

بسم الله وبعد: تم الرفع بحمد الله من طرف

بن عيسى قرمزلي متخرج من جامعة المدية

تخصص: إعلام آلي

التخصص الثاني: حفظ التراث بنفس الجامعة

1983/08/28 بالمدية – الجزائر-

الجنسية الجزائر وليس لي وطن فأنا مسلم

للتواصل **وطلب المذكرات** مجانا وبدون مقابل

هاتف : +213(0)771.08.79.69

بريدي إلكتروني: benaissa.inf@gmail.com

MSN: benaissa.inf@hotmail.com

فيس بوك: http://www.facebook.com/benaissa.inf

لا تنسوا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

صل على النبي – سبحان الله وبحمدك سبحان الله العظيم-

بن عيسى قرمزلي 2012

الوطنية والانسانية

في

آثار سميح القاسم

رسالة للحصول على دبلوم الدراسات العليا - الماجستير
في الادب العربي
من كلية الاداب والعلوم الانسانية - فرع الاداب العربية
في جامعة القديس يوسف - بيروت

باشراف الدكتور
اسعد احمد علي

اعداد
خالد عبد اللطيف زهد

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

مقـــــــــدمـــــــة

(١)

يمثل سميح القاسم روح الثورة والكفاح، فوق الارض الفلسطينيــة المحتلــة . . .
كما يمثل الاهتمام بهموم الانسانيــة .

وسميح في شعره ، يصوّر الشموخ والتطلـع في عزيمـة الفلسطيني، وطموحـــه، فهو وطنـيٌّ، يقاوم المعتدين على شعبه وبلاده . . . وهو إنسانيٌّ، يحاول إنصــاف الانسان من خلال الشيوعية . . . وهي حزب مجاز في البلاد . . . وقد عبّر بحـرارة، وصدق، عن القلب الفلسطيني محليّاً وعالميــاً .

لهذه الأسباب اخترتُ آثاره موضوعاً لرسالتي ، وسمّيتُ الموضوع بأبرز سماتـــه، وباسمه . الوطنيــة والانسانية في آثار سميح القاسم)

(٢)

كنتُ أظنّ أن اختيار موضوع هذا البحث هيّن، وليّن ، ولكن، عندما شرعت أعاني التجربة ، وأواجه الحقائق، والوقائع . . . أثبتَتْ لي هذه التجربة، والحقائق، والوقائـــع ، أن أصعب الأمور تكمنُ في أسهلها . . . فواجهتني صعوبات تتعلقُ بالمراجع، ومنهـــج البحث ، تمثلت فيما عانيته من الظروف الصعبة، التي نعيشُها في الداخل، المتمثلـــة بتنقلاتي داخل الأرض المحتلة ، وفي فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، لألتقي بالشاعـــر سميح ، ولأتمكن من الحصول على المراجع التي لها صلــة بالبحث الذي أتناوله . . . مع ما تمثله من اضطرابات نفسية رهيبة، تتعرض لها من قبل سلطات الاحتلال . . . . . . وصادفت صعوبات متعددة، للحصول على مراجع بحثي ، لا سيّما وإنّ معظم مراجع البحث، موجودة في حيفا، والناصرة ، مع ما يمثل من مخاطرة ومجازفــة اعرض لها نفسي . . . . . ولكن تلك الصعوبات تهوّن أمام الأمانة العلميــة، كما لمستــه وعهدته عن قرب مـــن الدكتور المشرف الذي عوّدنا كيف نواجهَ الصعوبات ، ونثابرُ ونصبرُ ، للوصول الـــى الحقيقة . . . والحقيقةُ صعبة المَنال . . .

من الصعوبات التي صادفتها ، صعوبةُ الانتقال من الضفة الغربية إلى خارجها، للالتقاء بالدكتور المشرف ، لأرشف من معين فكره ، واستزيدَ من وحيه وإيحاءاتـــه وارشاداته البنّاءة الهادفة المثمرة . . . لا خفّف من العبء الثقيل . . عبء الأمانـــة العلمية ، لا تزوّد بغذاء البحث من بحره الواسع الخصب . . . لأذلل الصعوبـــات

التي تلاحقني . . . وبفضل الله والمشرف ، فقد تحدّيتها وتجاوزتها . . واستطعتُ تجميع مراجع للبحث ، أرجو أن تكون وافية مفيدة ، مقنعة ومقبولة .

اقتصرت مراجع البحث على المراجع الآتيـــة

المراجع العامّة : والتي بلغ مجموعها أربعة وثلاثين كتاباً ، واثني عشر ديواناً شعرياً ، هي دواوين شعر سميح القاسم نفسه . اعتمدتُ عليها ، لأنّها تناولت فلسطين ، فأبرزت ما عرضته تلك المراجع عن طبيعة فلسطين ، وقدسيّتها وجمالها ، وأحقيّة أهلهـــا للعيش فيها بأمن ، وتفنيد أحقيّة اليهود فيها ، حيث عرضت موضوعاتها بأمانه . ومن تلك المراجع ما كان له صلـة وثيقـة بالعقيدة الدرزيّة وفلسفتها ، وحاولـت أن أجمع الجوامع المشتركة لتلك المراجع حول هذا الموضوع ، وأغلب تلك المراجـع يلفّها الغموض ، وعدم البتّ بما يتعلّق بأمور العقيدة الدرزيـة وفلسفتها . ٣٤ ١٢

ومن تلك المراجع استفدتُ في تحديد مفهوم علم الاجتماع ، وتحديد المشكلات التي تعانيها اسرائيل عن كفاية السكان .

أمّا دواوين الشاعر سميح القاسم وأعماله الفنيـة ؛ فهي التي تمثّل روحـه ، وواقعه ، ونظرته للوضع داخل فلسطين ، وخارجها ، ونظرته للفنون ، وبعض القضايـا السياسية . فجاءت أعماله متفاوتة في عرضها لهذه الأعمال ، نتيجة لتطوّر صاحبهـا فكرياً وعقليّاً وفلسفياً .

الدوريات . وبلغ مجموعها مئـة وسبعاً وتسعين دورية ، وتشملُ الصحف والمجلاّت التي صدرت ، ولا تزال تصدر في الارض المحتلة ، والتي اهتمت بالكتابة عن الأدب العربـي الفلسطيني على الارض الفلسطينيـة المحتلة ، وتناولت سميح القاسم بعيـن الاعتبـار والاهتمام . . موزعة كالآتـي . ١٦٧

جريدة الاتحاد : وهي جريدة نصف اسبوعية تصدر عن الحزب الشيوعي العربي الاسرائيلي في حيفا ، وبلغ عددها اثني عشر عدداً .

جريدة الأنباء : وهي صحيفةٌ صهيونية يوميّة شبه رسمية ، تصدرُ من القدس العربية ، ومحررها يعقوب خزمة ، وهو يهودي وتصدر بالعربية . وبلغ عددهـا أربعا وعشرين عدداً . وتصدِرُ ملحقاً خاصّاً بالأدب والفنّ يوم الجمعة من كلّ اسبوع وتعطّلُ يوم السبت .

جريدة الشعب : وهي صحيفة يوميّة تصدر بالعربية من القدس العربية، ومحرّرها محمود يعيش من عرب الضفة ، وتطبع بمطابع القدس العربية ، وتتوقف عن الصدور يوم السبت من كلّ اسبوع . وتفرد الصفحة الثالثة للأدب والفن يوم الخميس من كلّ اسبوع . بلغ عددها تسعة .

جريدة الفجر : صحيفة يوميّة ، تصدر بالعربية من القدس العربية ، وصاحبها حنا سنيوره ، ومحررها يوسف نصر سابقا ، ومأمون السيد حاليًا. وكلّهم من عرب الضفة كانت تصدر مرتين في الاسبوع ، وهي اليوم تصدر يوميًا . وتصدر ملحقًا خاصًا بالأدب والفنّ يوم السبت من كلّ أسبوع . بلغ عددها أربعة عشر عددًا .

جريدة القدس : وهي صحيفة يوميّة ، تصدر بالعربية من القدس العربية ، وتطبع بمطابع القدس العربية ، صاحب الامتياز ومحررها محمود أبو الزّلف من القدس العربية ، وهي تصدر كل يوم . وتصدر ملحقًا خاصًا بالأدب والفن يوم الخميس من كلّ أسبوع . وبلغ عددها تسعة وعشرين عددًا .

الغدير : فهي تصدر عن جامعة "بيرزيت" بإشراف لجنة خاصّة من طلبة الجامعة ، تعنى بشؤون الفكر والأدب .

اعتمدتُ على هذه الصُّحف ، لأنّها تناولت الأوضاع المحليّة عن قرب وواقعية ، فأعطت الأحداث صورها الحقيقية إلى حد ما ، ولأنّها تناولت الحياة اليوميّة بالمعالجة والتحليل . فعرضت لأوضاع الفلسطينيين داخل فلسطين سياسيًا واجتماعيا واقتصاديًا ، وفكريًا مسلطة الأضواء عليها . ولهذا جاء دور الصحف مكثفًا في الباب الأول من الرسالة ، لأنّها هي التي عرضت تلك الأحوال والظروف المعيشية والسياسيّة والفكرية والاجتماعية للمواطن في فلسطين برمتها ، فجاءت متفاوتة في شرحها وتعليقاتها عليها .

فالأنباء تحاول التركيز على الايجابيّات التي أوجدتها السلطة في إسرائيل لعرب فلسطين ، وطمس السلبيّات .

أمّا بقية الصحف : فتناولتْ معظم الوجوه ، وإن كان تقديرها للوضع يتفاوتُ نظراً لتفاوت نظرة محرّري تلك الصحف وميولهم السياسيّة .

أمّا المجلاّت فكانت كالآتي :

مجلّة الافق الجديد : وهي مجلّة الأدب والثقافة والفكر ، كانت تصدر من

القدس قبلَ حرب حزيران ١٩٦٧ ، وكان محرّرها أُمين شنار الأُديب الأُردني ، ونقلت فيما بعد إلى عمان .

مجلّةُ الآداب : وهي مجلّةٌ شهرية صادرة من بيروت ، تعنى بشؤون الفكر والأُدب والثقافة . اعتمدتُ على المجلّتين ، لأنهما تناولتا سميح القاسم من خلال أقلام كتّابها .

البرنامج العربي : التي تصدر عن وزارة المعارف والثقافة الاسرائيلية ، جاءَ ذكرها في معرض تناولي لأُسس التعليم في المحيط العربي ، ولأعطي القارئ نموذجًا عن نُظم التعليم في المحيط العربي داخل إسرائيل قبل عام ١٩٤٨ م .

مجلّةُ الجديد : وهيَ مجلة شهريّةٌ صادرة عن الحزب الشيوعي العربي الإسرائيلي في حيفا ، وقد رتبت الموضوعات حسب أعداد كلّ سنة على حدة ، وبترتيب الأشهر كما هو واضحٌ في فهرس المراجع ، وكان مجموع الأعداد لسنة ١٩٦٦ سبعة ، ولسنة ١٩٦٧ عشرة أُعداد . ولم يتوفر أعداد ١٩٦٨ ، ولكنني استغنيتُ عنها . بمقابلاتي الشخصية لسميح القاسم ورفاقه في العمل والحزب . ولسنة ١٩٦٩ بلغ عددها اثني عشر عددًا ، ولسنة ١٩٧٠ ثلاثة عشر أعداد ، ولسنة ١٩٧١ ثمانية أعداد ، ولسنة ١٩٧٢ سبعة أعداد ، ولسنة ١٩٧٣ عشرين عددًا ولسنة ١٩٧٤ اثني عشر أعداد ولسنة ١٩٧٥ تسعة أعداد ولسنة ١٩٧٦ عددًا واحدًا .

اعتمدتُ على هذا الزخم من أعداد الجديد ، لأنّها أكثر ما تناولت "سميحًا" وما يتعلق بموضوعه ، لا سيما إذا عرفنا أنّهُ يعمل محررًا فيها ، وهي تمثّلُ الفكر الشيوعيّ العربي الاسرائيلي ، والتي تستقطبُ قطاعات واسعة من شباب عرب فلسطين ما قبل ١٩٤٨ م ، وجلّ هدفها أن تفنّدَ ما تدّعيه السلطة الحاكمةُ في إسرائيل من تقديمها لخدمات زائفة وباطلة . فتعرض الجديد صورًا لقطاعات الشعب العربي داخل فلسطين ، وتفسح المجال للأقلام لتعبّرَ عمّا يعتمل في صدرها ، لا سيّما وإنّ المجال في بقيـةِ الصحف الأُخرى مقفلٌ أمام هذه الأقلام خشية الرقابة العسكرية . فالجديد مليئةٌ بالاحداث العربية والعالمية ، وبالفكر والفن والأدب . وهي التي عرضت لأُعمال القاسم الشعريّة والنثرية ، فنقلت ما كتبته الصحافة العربية والاجنبية عن أعمال القاسم على صفحاتها .

وعلى ضوء ذلك حاولتُ أن أُسلّط الأضواء على ما ذكرته تلك المراجع ممّا يتناسبُ مع موضوع الرّسالة .

- ب -

أخرجتُ البحث بمقدمة وخمسة أبواب وملحق وخاتمة ، ومراجع بحث وفهرسة .

الباب الأول : عصر سميح القاسم : وفيه أربعة فصول هي : الحياة السياسية على الصعيد الفلسطيني داخليًا وخارجيًا ، الحياة الاجتماعية ، الأوضاع الاقتصادية على الأرض الفلسطينية ، والحياة العقلية والفنية على الأرض الفلسطينية (١) تحدثت فيها عما يعانيه الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج ، على مستوى الثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، لما لها من آثار تنعكس على الوطنية والإنسانية في آثار سميح .

الباب الثاني : سميح القاسم في عصره ، وفيه خمسة فصول هي : أسرته وزمانه ومكانه ، مراحل حياة سميح القاسم ، أو قصة حياته ، ثقافة سميح القاسم ، شخصيته ، وأصدقاؤه . وفي فصول هذا الباب عشرون فرعًا . تحدثت فيها عن موضوعات تمس القاسم في صميمه ، ولها آثارها وانعكاساتها على شخصيته وقواسها . فعرضت لاسم ونسبه ، وأسرته ، ولمولده الزماني ، والمكاني ، ولطبيعة الأرض الفلسطينية ، وأوضحت أثر ذلك على حياته . . . وتناولت مراحل حياته وقسمتها إلى ثلاث مراحل .

المرحلة الاولى : حياة الطفولة وأثرها في نفسه فيما بعد . وعرضت للمرحلتين الثانية والثالثة ، تحدثت فيهما عن الشاعر المدرس ، ...... ، والشاعر المجند قهرًا ، والشاعر الشيوعي . . والصحفي والسياسي ، والعامل اليدوي ، وتجاربه مع المحتلين الاسرائيليين ، والملاحقات التعسفية ، والممارسات الإسرائيلية التي تتنافى مع أبسط قواعد حقوق الانسان . وعرضت لثقافة الشاعر واتصالاته الداخلية والخارجية وأثر ثقافته في سلوكه الحياتي والأدبي ، وعرضت لمذهبه الديني ، ومعتقداته السياسية ، وأبرزت ما لها من آثار فعالة تنعكس على وطنيته وإنسانيته ، منعكسة في تجاربه الأدبية والفنية . وعرضت لعلاقة القاسم بالأدباء المحليين عربًا ويهودًا ، مشيرًا لأهمية الملاقات . . وعلاقته بالأدباء في الخارج عربًا وأجانب ، موضحًا أثر هذه الصور والعلاقات في آثاره ، ومبينًا الطريقة التي التمسها القاسم في معاملته لمعارفه وماهية الأسس التي اعتمدها .

---

(١) أقصد بها فلسطين برمتها فلسطين المحتلة قبل ١٩٤٨ والضفة الغربية وقطاع غزة . الممتدة من البحر الأبيض غربًا حتى نهر الأردن شرقًا ومن قطاع غزة في الجنوب حتى حدود لبنان وسوريا شمالاً .

الباب الثالث : حياة سميح القاسم الأدبية ، وفيه ستة فصول هي :
آثار سميح القاسم الأدبية ، المؤثرات الخاصّة والعامّة على سميح القاسم منعكسةً في شعره ، تجربة القاسم الشعرية الأولى ، سميح القاسم الناثر ، سميحُ القاسم الناقد ، منزلةُ سميح القاسم الأدبية . وفيه خمسةٌ وأربعون فرعًا ... موضحًا العلاقة بين هذه الفصول، وفروعها، ومدى انسجامها مع عنوان البحث، محاولاً الربطَ بينهما .

الباب الرابع : الإنسانية في أدب سميح القاسم ، وفيه ثلاثةُ فصول هي :
مظاهر الانسانية ومعانيها في أدب سميح القاسم ، صورٌ من إنسانيّة القاسم في شعره صورٌ من إنسانيّة سميح القاسم في نثره . وضحت فيها مظاهر الإنسانية ومعانيها وصورها في أدب القاسم وتنوعها وسبب اختياره للكلمة البسيطة أحيانًا .

الباب الخامس : سميحُ القاسم في رأي النُّقاد . وفيه فصلان هما :
سميحُ القاسم في رأي النُّقاد العرب : تناولتُ في هذا الباب آراء النُّقاد العرب في أعمال الشاعر سميح القاسم الشعرية، والنثرية ، وحاولتُ أن أحصرهم حسب البيئات التي ينتمي إليها كلّ ناقدٍ ، وأهميّةٌ عمله كما هو واضح في الباب وحسب مراجعه ، ولم أستخرج القواسم المشتركة بين هؤلاء النقاد ، لأن كلَّ ناقدٍ منهم تناولَ سميح القاسم من زاوية مخالفة للآخر، وبطريقته الخاصّة ، فجاءت أعمالُهم متفاوتةً في التركيز على أعمال القاسم، وخصائصه من جوانب متعددة . وحتى في القواسم المشتركة بين النُّقاد ، كانَ كلُّ ناقدٍ يحللُ ذلك حسب وجهة نظره . وعلى سبيل المثال، ما اشترك فيه عبد الرحمن ياغي ، ورجاء النّقاش، وبولس فرح ، وإميل توما حول تحرُّك القاسم في الأُطر التاريخية أو الرجوع الى التاريخ، جاء تحليلُ كلّ واحدٍ منهم مخالفًا لتحليل الآخر .

والفصل الثاني : رأي النقاد الأجانب في سميح القاسم ، وكان ذلك من خلال تجربة موسيقيّة جديدة لشابٍ موهوب .. صدرت في باريس ... فأعزت النُّقاد الفرنسيين والصحف الفرنسية بتناول التجربة، والتعليق على ماتضمنته ، كما هو واضح في البحث ... وعرضت من خلال الفصل لرأي النُّقاد اليهود في أعمال سميح. ومعظمه ينصبُّ حولَ ملاحظات يحدوها الحقد والتحريض الرخيص ، موضحًا سبب ذلك .

اعتمدتُ هذا الهيكل بهذه الصورة ، للترابط المنطقيّ والتسلسل الفكريّ والذهنيّ والزمنيّ .. والمكانيّ ... وانعكاسات ذلك على سميح القاسم . فبدأت

بعصر سميح القاسم ، لأضع القارئ في الجو الطبيعي لحياة سميح ، ليسهل عليه تصور الممارسات التي تعرّض لها الشعب الفلسطيني ، وسميحٌ واحدٌ من هذا الشعب ، وليسهل عليه كذلك الانتقال للباب الثاني . . . سميح القاسم في عصره ، لما بينهما من تلاحم عضوي وفني تنعكس آثارها على وطنيّة الشاعر وإنسانيته . وطبيعيٌ أن أعرض ذلك ، لأعطي القارئ جوّا آخر من أجواء المعاناة وهي : حياة سميح القاسم الأدبية ، لنتعرّف من خلالها على خصائص ومميزات القاسم الفنيّة في آثاره الأدبية ولأوضح ارتباط هذا الباب بالوطنية والانسانية في آثار سميح ، وكيف قدّر لي أن أوضح تلك العلاقة بينهما ؟

ومن الطبيعيّ كذلك أن نخرج من عقال البيئة الضيّقة إلى باب أكثر سعة ورحابة وهي : الإنسانية بتطلّعاتها الشاملة نحو الكون والحياة . . . ومشاركة القاسم للإنسان والإنسانيّة في أرجاء المعمورة مشكلاتهم ويحنو على ما أصابهم ، ويتغنّى بانجازاتهم ، لأنّه مكلوم . . وهو ما يعرف بالإنسانية في أدب سميح القاسم . وأردتُ أن تكون خاتمة أبواب البحث : الباب الخامس وهو : سميح القاسم في رأي النُقّاد ، لأعرف القارئ العربي بالشاعر من خلال كبار الكتاب والنُقّاد الذين تناولوه من خلال أعماله الفنية والفكرية ، لتكون خاتمة وتتويجًا للأعمال التي قام بها الشاعر ، ليضع القارئ يده على حقيقة القاسم ونبوغه . وأتبعتُ ذلك بملحق يشتملُ على ألوان من شعر ونثر سميح ، تعكس أغراضه وأفكاره ومعانيه ، وأهدافه مراعيًا في هذا الاختيار ، الأخذ بعين الاعتبار كل ديوان من دواوينه الشعرية المطبوعة ، وأحدث قصائده التي استجدت أثناء كتابة رسالتي هذه ، ويشتملُ كذلك على بعض أعماله النثرية .

وكذلك أتبعته بخاتمة وهي : رصدٌ هاف للنتائج التي توصّلتُ إليها من دراستي للشاعر سميح القاسم ، والدروس والعِبر التي تعلمتها من هذه الدراسة والتي أرجو أن تكون إحدى المغانم التي تُضاف لدراسة الأدب العربي الفلسطيني على أرض فلسطين المحتلة ، ونموذجًا موفقا في إلتزامه قواعد البحث العلميّ الموضوعي الدقيق في الدراسة الأدبية لحياة شعرائنا الشباب المناضلين في سبيل الحرية ، والخلاص من نير الذل ، والاستعباد ، والاحتلال .

— ٣ —

من يريدُ أن يعرف القاسم ؟ سميح المواطن في فلسطين . . . إنسانٌ كغيره ولكن كيف نعيشُ الإنسانية ؟ وبمَ نقيّمها ؟ هناك أعدادٌ كثيرةٌ من الرجال يعيشون

ويقضون ولم يتركوا أثراً لهم ... ، ومنهم من يخلّدُ ذكره بروائع نتاج فكره وعمله .

سميحُ القاسم من أيّةِ فئة؟ إنهُ إنسانٌ عادي ... لكنَّ فعله امتدَّ ليشمل الآفاق عبر دروب الزمن ... زمن الآلام وهضم حقوق الانسان على أيدي فئةٍ لا ترعوي من درس كلّ ماهو إنسانيٌّ جميلٌ .... ولكنَّ الإنسان رغم الآفات والمِحن يصنعُ من يومه وغده عنواناً يُفخرُ به ، ليتوّج إنسانيته ويرصّعُها بأجمل الألوان ، وأحلى الأصباغ ... إننا ننتقلُ رويداً رويداً مع محبٍّ للخير ... مع ثائرٍ غضوبٍ للحقّ وعلى الظلم .... مع قلعة من قلاع الشموخ والنضال . من هي تلك القلعة ؟ ولم نطلق عليها هذه التسمية ؟ إنها الشموخ في عزيمةِ الفلسطيني وطموحه الوطنيّ الذي يقاوم المعتدين على شعبه وبلاده ... الإنسانيّ الذي يجاهدُ لإنصاف الإنسان من خلال حزبٍ انتسب إليه في البلاد .. الذي عبّر بحرارةٍ وصدقٍ عن القلب الفلسطيني محليّاً وعالميًا ، والذي سمّيتُ الموضوع بأبرز سماته وباسمه (الوطنيةُ والإنسانيّةُ في آثار سميح)، إننا نسيرُ معًا لنتعرّفَ من خلال أبواب البحث وفصوله وفروعه ومراجعه على (الوطنية والانسانية في آثار سميح) . هل استطاعت أبوابُ الرسالة: أن تعرّف بموضوع الدراسة (الوطنية والإنسانيّة في آثار سميح القاسم ؟ ولماذا بوّبتُ الرسالة بهذه الصورة ؟ ربما تجيبُ تفاصيلُ الرسالة عن هذين السؤالين . فما في تفاصيل الرسالة ؟ .

....

....

البـــــاب الأول

عصـر سـميح القاســـــم

. . . .

الفصـــل الاول

الحياة السياسية على الصعيد الفلسطيني داخليا وخارجيا

ولد سميح القاسم سنة ١٩٣٩ م ، وفتح عينيــه ليرى نفسه يعيش قضية بــلاده بمجريات أحداثها . فعصره عصر القضيــة الفلسطينيــة ... ويؤطّـر هذا العصر أربعةُ أركان هي : الحياة السياسية ، الاجتماعيــة ، الاقتصادية ، الحياة العقلية والنفسية .. فكيف تنعكس هذه الأركان في حياة شاعر فلسطيني ، عاش ضمن هــذه الأركان وفي ظروفها ؟ .

أبحث الأركان العصرية أولا .

وثانياً : أتتبع تكون الشاعر في الظروف العصرية ... لأتوصّل بعد ذلك إلى المفاعلات بين العصر والشخص ..

فقد غمرت الأحداث السياسية فلسطين ، وتركتها في بحر متلاطم الموج .... تتقاذفه التيارات المختلفة ، وكانت الزعامة الفلسطينية آنذاك ، لا سيما في أواخــر الثلاثينيات والأربعينيات ، بعيدة عن مستوى المسؤولية ، فارتكب قادة الحركة القومية العربية التقليدية خطأ فادحا ، حيث قاطعوا الجنة التحقيق الدولية المشتركة (١) التي زارت فلسطين ، واستمعت إلى شهادات قادة الصهيونية ، وعمّقوا بذلك طابعهم المتخلف أمام الرأي العام العالمي ، وقررت اللجنة بأغلبيتها تقسيم فلسطين إلـــى دولة ثنائيــة القومية .. اتحادية الشكل . بعدها قررت الأمم المتحدة في اجتمــاع الجمعية العامة إنهاء الانتداب ، وتقسيم فلسطين (٢) .

بعد هذا القرار دخلت القضية مرحلةً مهمّةً في تاريخ الشعب العربي الفلسطيني، حيث كانت الصهيونية ، قد نفذت من رسم خططها الكاملة .. لتضع يدها على أغلى مايملك الإنسان العربي . فاستغلت التلويح بمصائب أبناء الطائفة اليهودية من جــــراء أعمال الرأسمالية النازيــة ، وعلى هذا الوتر ضرب أنصار الصهيونيــة ، وطالبــــوا

---

(١) قررت هيئة الأمم المتحدة في اجتماع طارئ تأليف لجنة تحقيق دولية مشتركة من السويد ، وكندا ، وتشيكوسلوفاكيا ، واستراليا ، الهند ، بيرو ، هولندا ، وايران ، يوغسلافيا ، غواتيمالا وارغواي في آيار سنة ١٩٤٧ م

(٢) تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ م .

حماية اليهود من الآلام ،وفتح فلسطين أمامهم (١) .

تلخصت سياسةُ القيادة الصهيونيــة خلال الحرب العالميــة الثانيــة .بملمحين جوهريين :

أولاهما : مقاومةُ الكتاب الأبيض ،وانتقال الأراضي . .

وثانيهما : تأييد الجبهة المعادية للنازيــة بشتى الطرق لدحرها ، لأن دحرها يخلق ظروفا أفضل . . لتمارس الصهيونيــة سياستها . ومن هنا ،كان شعارهـــا تنظيم فرقة يهودية في الجيش البريطاني ، ورفضت، أن تتألف ,وحدات عسكرية مـــن اليهود العرب (٢) .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانيــة ،واندحار المانيا النازيــة ، وايطاليــــا الفاشيــة (٣) . تمسكت القيادة الصهيونية بالانتداب البريطاني ، ومقاومــة إحالة قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة (٤) واستجابت بريطانيا لمطالب الصهيونيــة فعملت كلَّ جهدها لتثبيت الاحتلال ،إذ جعلت القطاع اليهودي في فلسطين يحتل مكان الصدارة في ميادين المال والصناعة ، واستملاك الأراضي ، مما ساعد فـــي تدعيم الحركة الصهيونية ،واعداد العدة لقيام اسرائيل ،وحدوث النكبة الفلسطينيــة عام ١٩٤٨ (٥) .

ماذا حدث بعد حدوث النكبة الفلسطينيــة على الأرض الفلسطينية ؟ وماهي الممارسات الاسرائيليــة على الأرض الفلسطينيــة ؟

بعد هزيمــة الجيوش العربية ، ووضع يد إسرائيل على فلسطين ،بدأت تمارس سياستها ،وممارساتها على الفلسطينيين وتلاحقهم . . . وتمارسُ ضدَّهم الحرب النفسية .

---

١) وليم هل : سقوط وصعود اسرائيل،ص ٢٠٦ ونقلته الجديد : العدد ٦ ، سنة ١٩٧٠،ص ٤٨ .

٢) تقرير فلسطين ، مجلد ٣ ، القدس ،اللجنة الملكية بفلسطين .

٣) كان ذلك في آيار سنة ١٩٤٥ م .

٤) هذا ماصرَّح به ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني في ٢٢/١٠/٩٤٦ وماصرح به زعيم صهيوني آخرفي تل ابيب الموافق ٢١/٨/٤٦ وماكتبته صحفهم أمثال : هامشكيف (ودافار) في ٢٢ ،٢٣/٨/٤٦ ونقلته الجديد : العدد ٧ ،سنة ١٩٧٠ ،ص ١٠
إميل توما : دراسات في القضية الفلسطينية . الجديد : العددان ٤ ،٥ سنة ١٩٦٩ ص ٤ ، ٥ ، ٧
إميل توما : حول القضية الفلسطينية . الجديد : العدد ٦ سنة ٩٦٩ ص٣٠

٥) راجع : أحمد الشقيري : قضايا عربية : ترجمة خيري حماد (منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ص ٨٨ — ٩٠ .

لتشمل

وامتدت في سنة ١٩٦٧ لتشمل فلسطين بكاملها ، وأراض عربية أخرى ، لتحقق أغراضها وحلمها ، ولتشبع رغباتها . . وقامت بممارسات ومضايقات لكل ما هو عربي في فلسطين ، متذرعة بأمن إسرائيل . . فحرمت الإنسان الفلسطيني من أبسط قواعد الإنسانية (١) وقامت بمذابح داخلية رهيبة (٢) وحظّرت الأحزاب ، ولكنها سمحت للحزب الشيوعي العربي الاسرائيلي ، العمل داخل الأرض الفلسطينية قبل الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ م ومنعت نشاطه فيما عدا ذلك. وشددت من الرقابة العسكرية ، وحظّرت التنقلات دون تصاريح مسبقة ، وعمدت لتشيط الدوائر الصهيونية

---

١) طبقت سياسة هدم البيوت ، وتهجير الاهالي من قراهم، كفريتي، اقرت وبرعم في الجليل ، والاعتقال الاداري والتصفوي ، وحواجز التفتيش ، والإقامة الجبرية وغيرها . .

راجع الاتحاد : العدد ٣١/٣٥ بتاريخ ٧٤/٩/١٣ ص ١ عم ١ كلمة الاتحاد حول المعاملات التي يلاقيها المواطن العربي داخل إسرائيل من هدم البيوت واعتقال وعدم تنظيم وتخطيط للقرى العربية . كذلك راجع : جمال عامر : السحنة العربية وحواجز التفتيش .

الاتحاد : العدد ٣١/٣٧ ، بتاريخ ٧٥/٩/٢٠ ، ص ٥ ، عم ؛ ٨

٢) آ ـ انظر : سميح القاسم : من فمك أدينك ، (١٩٧٤) ، ص ٢٢ — ٢٧ ، حول مذبحة دير ياسين وكفر قاسم .

ب) راجع : عبد الحليم زهد : الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الحدود قبيّة السموع وقلقيلية . . الرسالة الخطية . ص ٢٨

جـ) يديعوت احرونوت : بتاريخ ٤ /١٩٧٢/٤ .

د) صليبا خميس : حرب سيناء ومكانتها في التاريخ، الجديد، العدد ١٠ سنة ١٩٦٦ ص ٣ — ٤

هـ) توفيق زيّاد : تقرير خاص من كفر قاسم : الجديد ، العدد ١٠ ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٧ — ١٢ .

من كل يهودي لا يقرّ بالسياسة الرسمية (١) ... ووضعت العراقيل أمام نشر الكلمة الحرّة المعبّرة الهادفة ، الا من خلال الأحزاب المجازة (٢) .

رفضت اسرائيل رفضاً قاطعاً التفاوض مع أي ممثل من ممثلي الشعب الفلسطيني، ورفضت إعطاءه أو إقرار منحه حق تقرير المصير وإقامة دولته بجانب إسرائيل ... مع أنها تدّعي بأنها تعترف بحق تقرير المصير لشعبها ، ولجميع شعوب الأرض .... وبهذه السياسة تدفع أصحاب الحق الشرعيين (٣) دفعًا للتطرّف (٤) ..

ولم تكتفِ بهذا ، بل طبقت سياسة اليد الحديدية على المواطن العربي داخل الوطن الفلسطيني .. فقاومت كل رفض .. وكل ثورة تنهض لمقاومة الاحتلال .... فقمعت الاضرابات الطلابية والعمّالية بالعنف ، وإطلاق النار ، والإعتقال . ولم تراع السلطات المشاعر الدينية للمسلمين بدخولهم الحرم الابراهيمي أثناء الصلاة ، للرقص والغناء ، ودخولهم ساحة المسجد الأقصى ، والصخرة المشرّفة برفقة كلابهم ....

---

١) دان بن ماتوس : الفنان الاسرائيلي التقدمي ، الذي أوقفت السلطات برنامجه الإذاعي ، رغم نجاحه . راجع محمد خاص "صفحات من مفكرة" الجديد ، العدد ٧ ، سنة ١٩٧٠ ، ص ١٨ .

٢) لهذا السبب وجد الشابُ العربيّ في إسرائيل أن الحزب الشيوعيّ العربي الاسرائيلي هو المنطلق الوحيد ، لينفسوا عن مشاعرهم وآرائهم ، فبدأوا يتهافتون على الحزب لينتسبوا إليه ، و لأنّ الحزب يفسح أمامهم المجال للكتابة في صحفه الناطقة باسمه دون الانتساب إليه ، ولكنّ الشباب العربي في نهاية المطاف يصلون إليه ، والعمل فيه ليكفلُ لهم الحريّة والطمأنينة نسبيّـًا وليحميهم من وطأة التكلّم والمضايقات .

٣) البرغوثي : تاريخ فلسطين، ص ١٧ ، يؤكد عروبة فلسطين في الأرض والجنس واللغة .. وحول هذا المعنى ما جاء في الرسالة الخطية لعبد الحليم زهدة ص ٣٠ وكتاب محمد العامري الذي أصدره ١٩٧٣ ، تحدث فيه عن عروبة فلسطين وكذلك كامل السوافيري : الشعر العربي في مأساة فلسطين، يؤكدُ فيه أهمية فلسطين وعروبتها واحتضانها للمقدسات .. ص ٤٠ .

٤) محمد أبو شلباية : حول مستقبل الأراضي المحتلة : الأنباء : العدد ١٧٦٠ تاريخ ٢٦/٧/٧٤ ص ٣ عم ٢

بل تجاوزوا الحدود بمنعهم بعض المسلمين ، ورئيس السدنة من الدخـــول إلى الحرم لأداء الصلاة فيها أثار مشاعر المسلمين (١) وعمدت السياسة لطرد العرب من أراضيهم (٢) .. وتهجيرهم بالقوة إلى الضفة الشرقية ، وفتح باب الهجرة أمام الشباب العربي إلى كندا ... لتفريغ الأرض من سكانها الأصليين . وبالمقابـــل عمدت لخطة مرسومة مدروسة وهي : عدم التعرض للذين لا يثيرون المتاعب لها ... وتقديم المساعدات والامتيازات المشروطة لمن يقبل التعاون معها ... وحاولت خلق زعامة من الداخل لفرض سياستها (٣) ... وساعدهم في ذلك جو التراجع العربـي الذي تمثل بالضربات العنيفة ، التي تعرّضت لها عربيًا حركة المنظمات الفلسطينيـة فترك آثاره في المناطق المحتلة ... وضربت الفلسطينيين في مخيماتهم ... وانهـا لا تزال تمارس سياسة القمع بمصادرة الأراضي ، وإقامة المستوطنات على كلّ الأرض — الفلسطينية لابتلاعها ...

هذا ماكان عليه الوضع الاسرائيلي والفلسطيني ، ولكن ماهو الوضــع العربـي منذ أوائل النكبـة حتى يومنا هذا ؟ .

---

١) راجع نص الشيخ حلمي المحتسب حول الحادث في الصحف العربية الآتيـــة والتعليقات عليها :

القدس : العدد ، ٢٠٣٠ بتاريخ ١١/٥/٧٥ ص ١ ، عم١

الشعب : العدد ، ٨٤٠٠ بتاريخ ١١/٥/٧٥ ص ١ عم٣

الفجر : العدد ، ٤٠٨ بتاريخ ١١/٥/٧٥ ص١ عم٧

٢) راجع القدس العدد ١٩٤٠ بتاريخ ١٠/٢/٧٥ ص ١ عم٦

القدس العدد ١٩٤٢ بتاريخ ١٢/٢/٧٥ ص ٢ عم٨

القدس العدد ١٩٤٣ بتاريخ ١٣/٢/٧٥ عن الاعتقالات والانفجارات

القدس العدد ١٩٤٥ بتاريخ ١٥/٢/٧٥ ص٢ عم٢ ، ٣

القدس العدد ١٩٥٦ بتاريخ ٢٦/٢/٧٥ ص ١ عم٤ ، ٥ اعتقالات في غزه ونابلس والقدس .

٣) راجع بيان من الشيخ محمد علي الجعبري ، وتعليقات الصحف التالية حول ذلك

ا — الفجر : العدد ٣٩٦ بتاريخ ٢٦/٤/٧٥ ، ص ١

ب — الأنباء : العدد ١٩٨٦ بتاريخ ٢٥/٤/٧٥ ص١ عم٤ ، ص ٨ عم٨

قبل الاجابة عن تساؤلنا ، لابدّ لنا من أن نشيرَ بايجاز دقيق للظــــروف القاسية ، والصعبة للعالم العربي التي مرَّ بها وهي : توالي ظروفه التعتيم على حياته السياسية ، والفكرية نتيجة لظروف سياسية وحقب زمانيـة متعاقبـة من الجهل ، نتيجة لممارسات الاستعمار ، لأن العالم العربي آنذاك كان تحت وطأة هذه الظروف القاسية ، ورغم ذلك . . رفضت الحركة القومية العربية الصهيونية في المشرق والمغرب العربيين . . فقامت الحركات القومية باستنكار التقسيم . . وجمع التبرعات لنضـــال الشعب العربي في فلسطين (١) . . . وقيام الحكومات الوطنيـة في العالم العربي لممارسة نشاطها نحو الوطن والقوميـة . . . ولقد ترك نمو التضامن العربيّ وامتداده إلى أقطار عربية جديدة بصماته على القضية ، وقد تميز الثورة على الأرض الفلسطينيـة بانضمام المحاربين العرب من سوريا والعراق والأردن إلى الثورة التي تجددت فـي فلسطين .

هبت الدول العربية لمساندة الفلسطينيين إثر التقسيم . . . لانقاذهــا مـــن براثن الصهيونيـة ، ولكن الجيوش العربية أخفقت في تحقيق ذلك لعدم التنظيـــم ، والتدريب . . . وسوء الأسلحة ، لأنَّ معظمها آنذاك مرتبطٌ بالاستعمار الذي أوجـد إسرائيل (٢) .

تابع (٣) في الصفحة ١٥ .

جـ) الشعب : العدد ٨٤٠ بتاريخ ١١/٥/٧٥ ، ص١ ، ع٣ ، ص ٤ ، ع٤ .
وكذلك ملحق الأنباء : العدد ١٣٧٨ ، ص ٣ بتاريخ ٦/٥/١٩٧٣ حــــول محاولـة إسرائيل خلق زعامة في الضفة وعرب إسرائيل للتفاوض معها .

---

١) أمين السعيد : الدولة العربيـــة : جـ ٣ ص ٥٦٣

٢) صليبا خميس : شهريات : الجديد : العددان ٩ ، ١٠ ، سنة ١٩٧١ ، ص ٤
وحول هذا المعنى راجع :
محمد قاسم أحمد نجيب : التاريخ الحديث المعاصر . دار المعارف مصر ، شارع ماسبيرو القاهرة ص ٣٩٣ ، ٤٠٣ .

بعد انتهاء الحرب العربية الإسرائيلية على الصورة المخزية التي عرضناها . . .
انتفضت الجيوش العربية ، وقواعدها لتنقذ شرفها العسكري ،فحدثت الاضطرابات
والاغتيالات ، والانقلابات ، والثورات . . . ولكن هذا لم يغيّر من الحقيقة شيئا .
حيث دخلت الجيوش العربية حربها مع اسرائيل في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧
وخسرت الجولة (١) .

ساهم بعض العرب في خلق جوّ من التوتر بين الفلسطينيين أنفسهم ،والفلسطينيين
والعالم العربي ،وحدثت المذابح الفلسطينية المتلاحقة ابتداءً من ايلول عام ١٩٧٠م ،
في الاردن وانتهاءً بأزمة لبنان التي لاتزال آثارها وبصماتها واضحة ليومنا هذا . .
ومردُّ ذلك لفرض الوصاية على القضية العربية الكبرى ،مما ساهم ويساهم في التمزّق
الفلسطيني ،واجهاض الطاقة العربية وتبديدها .

هذا ماكانت عليه السياسة العربية نحو الفلسطينيين والمتراوحة بين
مدّ وجزر . . فما هي علاقة الدول الغربية الرأسمالية . . ودول الكتلة الاشتراكية
ودول عدم الانحياز . أو دول العالم الثالث من قضية العرب ــ فلسطين ؟

وقفت الدول الرأسمالية بجانب إسرائيل تمدّها بالعون الاقتصادي والمعنوي
والأسلحة مؤيدة لها وتقف ووقفت إلى جانبها في أحلك الظروف . حتى أنها تواطأت معها
في أكثر من موقف . . كما فعلت بريطانيا وفرنسا في حرب السويس سنة ١٩٥٦ م (٢)
وأغدقت المانيا الاتحادية عليها المعونات الاقتصادية والتعويضات عن اليهود . . .
وكذلك فعلت هولندا . . . واعتماد اسرائيل كلياً على أمريكا في اقتصادها سبب لها
إحراجاً وانتقاداً من بعض المسؤولين الامريكيين (٣) فهي تزودها بالأسلحة على
حساب العالم العربي وساهمت بتمزيق العالم العربي بمبادراتها وتحركاتها . . . .
ولكن الظروف بدأت تتغير في العالم الغربي ،وكان موقف الزعيم الفرنسي الراحل

---

١) صليبا خميس : شهريات : الجديد : العددان ٩ ، ١٠ ،سنة ١٩٧١ ،ص٤
٢) صليبا خميس : حرب سيناء ومكانتها في التاريخ : الجديد والعدد ١٠ ،
سنة ١٩٦٦ ،ص٣ ، ٤ ،
٣) جورج بروان : رئيس هيئة الأركان المشتركة ،تصريح سياسي له حول تفريغ
الترسانة الامريكية لصالح إسرائيل مما حمل الرئيس الأمريكي الاسبق فورد أن
يردّ على تصريحه ويوبّخه مفنداً وجود النفوذ الصهيوني في أمريكا ــ راجع
الفجر : العدد ٢٦٠ ،بتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٧٤ ،ص١ ،عم ٦ ، ٧ ، ٨ .

(ديغول) ومن خلفه من الزعامة الفرنسية إيجابيـا نحو القضيـة وتفهمها ، وبدأنـا نسمع في أيامنا هذه تحولاً نحو الاقرار بحق تقرير المصير . .

ولكن ماهو موقف الدول الاشتراكيـة من القضيـة الفلسطينيـة ؟

لقد وقفت منذ بداية حرب حزيران سـنة ١٩٦٧ مع الحق والعدل ضد التوسع والعدوان، فسارعت معظم الدول الاشتراكية بقطع تمثيلها الدبلوماسي مع إسرائيل . . . وبتقديم العون للعرب وقضيتهم ماديا ومعنويًا في المحتفلات الدولية (٢) ، وسارعت الدول الاشتراكيـة الاعتراف بمنظمـة التحرير الفلسطينيـة ممثلا شرعيًا للفلسطينييـن

أما دول عدم الانحياز ، أو المعسكر الثالث : وقف مع الحق العربي في فلسطين ودعوة العالم للأخذ بناصر الحق العربي في أرضهم . . . وطالبوا بعدم ابـادة إسرائيل . . وكانت هذه الدول ولا تزال تعرب في المحافل الدولية عن قلقهـا العميق لتدهور الموقف المتفجر في الشرق الأوسط نتيجة التعنت والعراقيـل المطروحة في الساحة الدولية . . فطالب زعماء تلك الدول بالانسحاب الاسرائيلي ، وإقرار اعطاء حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني (٢) . وقطعت الدول الافريقية ودول عدم الانحياز علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل إثر حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وخرجت اسرائيـل من القارة السوداء . . . وبفضـل سياسـة الدول العربية الحكيمـة وتضامنها ، ظهر التحـول العميق في سياسات الدول الرأسماليـة وغيرها مـن دول العالم ، لتقف مع الحق والعدل . فسارعت دول العالم الثالث الاعتراف بمنظمة التحرير ممثلاً وحيداً وشرعيًا للفلسطينيين وطالبت بحق تقرير المصير (٣) .

---

(١) جيوزجي ماكوفسكو، وزير خارجيـة رومانيا : تصريح سياسي حول الاعتراف بالحقوق الشرعية للفلسطينيين. في حفل مأدبة العشاء التي أقامها له يغـال آلون في القدس : راجع الفجر : العدد ، ٢٠٨ بتاريخ ١٢/٩/١٩٧٤م ، ص ١ ، عم ٥.

(٢) الرئيس تيتو، تصريح سياسي : الفجر : العدد ، ٢١٠، بتاريخ ١٤/٩/٧٤، ص ١ ، عم ٧ .

(٣) راجع مقررات منظمة الوحدة الافريقية التي تضم ثلاثا وأربعين دولة افريقية فـي اجتماعهم رقم ٢٤٢ للمجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الافريقية المنعقد فـي أديس أبابا . راجع التصريح السياسي لـسيتزا ونو) الناطق باسم لجنـة التحرير التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية حول وجوب قيام دور مكثف لايجاد الطرق والوسائل لعزل أسرائيل القدس العدد ٩٤٩ . ص ، رقم ٣ .

الفصـــل الثانـــــي

الحياة الاجتماعيــــــــــة

يجمع علماء الاجتماع أن المقصود بالحياة الاجتماعية: جميع نواحي النشــــاط الإنساني من العمل والدين والاقتصـــاد والأسـرة والأعياد (١) ... وعلى هــذا الأساس، ووفق المفهوم لا يستطيع المرء في مثل هذه الدراســة الالمام بتلك الظواهـــر، ولكنني سأكتفي بالحديث عن فئـات الشعب الفلسطيني ، وعن تجمعات عدة فئـــات من اليهود من مختلف العالم بالقدر الذي تسمح لي به الامكانات المتوفرة من أجــل الدراســة .

شاع في الوسط العربي الفقر والرشوة والوساطة (٢) من قبل ذوى الوجاهـة ، وشاع بين السكان العرب ظهور زعامات حمائليـــة (٣) ... وسميح القاسم ممن خاض هذه المعارك مع السلطة ضد التفرقـة العنصريـة والطائفيـة ، وضد اللاسبالاة القومية واليأس الذى حاولت السلطة اشاعته بين صفوف السكان (٤) . وعمّ الاضطراب والفوضى صفوف السكان باثارة البلبلة والتشكيك، وكثر السجن والاعتقال (٥) لمجرد كلمات تلفظ حول السلام، ونتيجـة لهذه الظـروف القاسـية ظهرت في الوسط العربي فئــــات اجتماعية متضررة ، وبرزت سياســة انتقام فظّة شائعة في شوارع البلاد ، فبدأ الشـباب اليهودي الاعتداء على العمال العرب بشكل تلقائي، منفّسـة عن فائض الكراهيــــة والحقد العنصري (٦) وشاع في الأوساط العربية الاضطهاد ، الاعتقال الاداري والاضراب (٧) ولم تعط المعتقلين الفرصة للمثول أمام أية محكمة لتقرر مصيرهم ...

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : دراسات في الحياة الاجتماعية في مصر وعصر سلاطين المماليك، سنة ١٩٥٩ ص ٣ .

(٢) د . إميل توما : التعليم العربي في إسرائيل . الجديد : العدد ٢، سنة ١٩٧٣ ص ٩ —

عوده الأشهب : رسالة عبر بوابة الدموع : الجديد : العدد ١، سنة ١٩٦٦، ص ٣٤

(٣) إميل حبيبي : حديث الشهر : الجديد ، العددان ٨ ، ٩، سنة ١٩٦٦، ص ٣ .

(٤) محمد دكروب : لقاء مع سميح القاسم حياتي وقضيتي وشعري : الجديد العددان ٤ ، ٥، سنة ١٩٦٩، ص ٢٦

وفرضت عليهم جواً نفسيا رهيبا . . . وتبدرت بذور العنصرية والطائفية ، فأقر الكنيست ١٩٦٢ قانون المحاكم الدرزية لخلق انطباع يوحي بانفصال الدروز عن القومية العربية (١). ورغم ذلك لم يسلم الدروز من سلب أراضيهم (٢) . . . وهذا ما صرح به الزعيم الدرزي جبر داهش معدي حول الرسائل التي تلقاها من "كهانا" الذي يعرض فيها خدماته على العرب لترحيلهم ، واعتبرها مساسا بالعلاقات الحسنة بين العرب والاسرائيليين (٣). ويعاني المواطن العربي في اسرائيل مشكلة اشتراكه في عملية صنع القرارات والانطلاق نحو حل المشكلات ، وإبراز الدور الذي يلعبه في بناء الدولة ، ومشكلات العمل لعدم تصنيع الوسط العربي ، ولعدم التوفيق بين تخصصه الجامعي وبين مكان العمل (٥). فالتعليم وقضاياه هي أهم مشكلة تصادف عرب إسرائيل ؛ لأن عدد المثقفين العرب لا يتناسب مع عدد العرب في إسرائيل ، ومردّ ذلك للظروف — الاقتصادية السيئة للإنسان العربي ، واغلاق الفروع العلمية أمامهم بحجة الأمن ، وبسبب عروبتهم فهم محرومون من الطب والصيدله (٦) . . وبذلك يبرز الغرق الشاسع

تابع المصادر عن الصفحة ١٩ :

٥) سميح القاسم : صفحات من مفكرة ، الجديد ، العدد ٧ ، سنة ٩٦٩ ، ص ٣١ ،

٦) الجديد : هذا هو السؤال ، العدد ٧ ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٢

فوزي الأسمر : عند ما تحمل المرأة اليهودية من عربي ، الجديد ، العدد ٨ ، ٩٦٩ ، ص ٣٦

٧) حدث الإضراب بتاريخ ٩٧٠/٣/٣١ والثاني بتاريخ ٩٧٠/٤/٢٩ في سجن الداسون .

---

١) رجاء النقاش : أدباء معاصرون ، ص ٢٦٣

٢) م . ن ، ص ٢٦٥

صليبا خميس : تيارات اسرائيلية ومستقبل المناطق المحتلة ، الجديد ، العددان ٧ ، ٨ ، سنة ١٩٧٢ ، ص ١٠

٣) سميح القاسم : ليكن واضحا ، الجديد : العدد ١٠ سنة ١٩٧٣ ، ص ٤

٤) رسمي بياد سه : نائب مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية والدرزية ، الانباء : العدد ١٩٢٣ ، بتاريخ ١٩٧٥/٢/٧ ، ص ٣ عم ١ ، ٢ ، ٣

٥) م . ن ، ص ٣ ، عم ٤ ، ٥ ، ٦

٦) ملحق الأنباء : العدد ١٣٧٨ ، بتاريخ ٧٣/٥/٦ ، ما صرح به محمد كيوان في ندوة الأنباء بإدارة توفيق خوري ص ١٢ ، عم ١١

بينهم وبين أخوتهم في الوطن العربي الكبير . (١) .

ويعاني العرب كذلك النقص الكبير في عدم توفر النوادي الثقافية والرياضية، وعدم تشجيع السلطات لها (٢) . وهذا ما أكدته لجنة جرأيسي) موضحة الخطر المحدق بالشبيبة العربية وتركها فريسة سهلة لمجتمع الإجرام ، ومفسدة الأخلاق ، وأوصت بإقامة مراكز اجتماعية ، وتنظيم الحلقات الفكرية والموسيقية والفنائية والتمثيلية . لتشجيع الطاقات وتوفير الفنيين والمهنيين الذين تحتاج إليهم القرية العربية. (٣)

ومما يعانيه الوسط العربي، النقص الخطير في المشاريع العمرانية والمنشآت بعدم اهتمام السلطات بالقرية العربية ـ فينقصها التخطيط والتوسع ، وتفتقر للأموال اللازمة لتطويرها . . وتضع أمام العرب العراقيل للحيلولة دون انجازات مشاريع المياه، فتفرض عليها القروض الباهظة ، وتعطل تعبيد ورصف الطرقات الموصلة بينها في محاولة لعزل القرية العربية عن بعضها بعضاً . . . فتنتشر القاذورات (٤) . . . .

ولم تهتم ببناء الفنادق السياحية في الناصرة رغم إعلان وزارة السياحة عن تطوير منطقة الناصرة على لسان وزيرها أمام الفاتيكان (٥) .

ومما يعانيه العرب هجرة سكان القرى العربية إلى المدن ، لعدم توفر المشاريع الزراعية المتطورة ، ولعدم مد يد العون والمساعدة لسكانها ، والافتقار للتصنيع ، وانعدام المشاريع الصناعية في القرى العربية ، فيضطر سكانها للهجرة إلى المدن، لكسب قوتهم وقوت عيالهم ، مما دعا "يروحام ميتشل" القائم بأعمال السكرتير العام للهستدروت أن يتناول المشكلة ، وأن يطالب الحكومة بوضع الخطط لتأهيل العمال وتدريبهم ، وإقامة مشاريع صناعية فرعية في القرية العربية للعمل فيها (٦) . . وتزداد الأمور سوءاً إذا ماعرفنا العناية الصحية السيئة للمواطن العربي ، والنقص الخطير في عدد الأطباء والمستوصفات الصحية ، وفي تقديم الخدمات (٧) . .

---

١) راجع الأردن حقائق ومعلومات : سلطة السياحة الأردنية ، عمان سنة ١٩٦٢ ص ٢٢ ترى الاهتمام بالمواطن والعناية بالصحف والمجلات التي تخدم الثقافة

٢) سيف الدين الزعبي : الأنباء : العدد ١٧٦٦، بتاريخ ٢ / ٨ / ٧٤، ص ٧ ع م ٥،

٣) الانباء : العدد ١٦٧٠ بتاريخ ٩ / ٤ / ١٩٧٤، ص ٥ ، ع م ٨،

٤) الاتحاد : كلمة الاتحاد . العدد ٣١/٣٥ ، تاريخ ١٣ / ٩ / ١٩٧٤ ص ١ ع م ١، الاتحاد : العدد ٣١/٣٧ ٢٠ / ٩ / ١٩٧٤، ص ٤ ع م ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦،

٥) ملحق الأنباء : انجازات الهستدروت في المحيط العربي : العدد ١٣٧٨ تاريخ ٦ / ٥ / ٧٣، ص ١٣ ع م ١،

راجع المرصاد : العدد ١١٠٣، تاريخ ٧ / ٤ / ٧٢، ص ٣ ، ٤ ، ٦،

٦) ملحق الأنباء : العدد ١٣٧٨ تاريخ ٦ / ٥ / ١٩٧٣، ص ١٣

٧) ملحق الأنباء : شلوموزلخه : حصيلة ٢٥ عاما . العدد ١٣٧٨، تاريخ ٦ / ٥ / ٧٣ ص ٥ ، ع م ٧،

تماني اسرائيل مشكلة اجتماعية خطيرة في نظرها ، لأنها عجزت عن دمج الشبيبة العربية في الدولة الإسرائيلية، والمقصود بالدمج هو : دمج الشبيبة في المجال السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي ، لأنّ هذه العملية لها قيمتها في الظاهرة الاجتماعية، والتي عرفها علماء الاجتماع (الحدث الاجتماعي الذي يتكرر وقوعه بانتظام في المجتمع وهي عديدة يمكن حصرها بالاحصاء، والاستقراز (١) ......
فالعلاقة القائمة بين الشبيبة العربية، واليهودية في معظم الحالات، علاقة عداء.
وطالب الزعبي من السلطات قائلاً (لماذا لا يُجري تثقيف النشء اليهودي في البيت، والمدرسة، من رياض الأطفال، حتى الجامعة ليخففوا من لهجتهم، ونظرتهم تجاه العرب الذين يعيشون معهم (٢) ؟...
وهذا ما أكده مستشار رئيسة الوزراء (٣) ... فمن العقبات التي يواجهها المواطن العربي محدودية لسلطة الممنوحة له في تحمّل المهام العامة في الدوائر، والمؤسسات، فيعمل في الدرجات السفلى والمتوسطة ، ويحرمون من رئاسة الفروع الخاصة ، ولا تعترف السلطات بلغة الضاد التي يعتزّ بها ، ودليل الهواتف لا يحمل الأرقام العربية ، وتأميم الأراضي ، ومصادرتها، ومنحها لأغنياء اليهود من أجل إقامة العمارات عليها ، والمماطلة الخشنة في تطبيق أمور ضريبة الدخل، والتأخير في عملية جمع شمل العائلات ومعاملة الداخلية للعرب (٤) ...

المقدسات الدينية : لم تراع السلطات مشاعر عرب فلسطين وهي تعتدي عليهم ، وأحرقت المسجد الأقصى المبارك (٥) ... وألغت السلطات الروحية المسيحية احتفالاتها في كنيسة المهد، عام ١٩٧٤، احتجاجا على تواجد الجنود المسلحين في المدينة المقدسة، وتجتاح فئات من الشباب المستهترة بالقيم الانسانية ، والمشاعر الدينية لدى الطوائف الأخرى — المقدسات الاسلامية وقت الصلاة، واستمرار الحفريات المستمرة تحت المسجد الأقصى، بحجة البحث عن هيكل سليمان عليه السلام — مما يهدّد بانهيار أولى القبلتين، وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين (٦) ... وتقدم بالإستيلاء على مقابر القرى العربية لإقامة مدارس زراعية عليها (٧) ..

---

(١) د . مصطفى فهمي ورفاقه : مبادئ علم الاجتماع . ط١، ١٩٥٤ م، النهضة العربية بالقاهرة ـ ص ٦

(٢) الأنباء : العدد ٧٦٦ ، تاريخ ٢/٨/١٩٧٤ ، ص٧، عم٥،
جدعون فايكرت : ملحق الأنباء في مجال تعليقه على العلاقات القائمة بين الشعبين العدد ١٣٧٨، ص٣

(٣) ملحق الأنباء : العدد ١٣٧٨ تاريخ ٦/٥/١٩٧٣ ، ص ٣ ، عم٢،

(٤) جدعون فايكرت : نظرة الى الامام في عيد الاستقلال . ملحق الأنباء العدد ١٣٧٨ ص٣ عم ٤ ، ٥

من المشكلات التي يعانيها المواطن العربي، الأحوال الشخصية للمسلمين والأوقاف الإسلامية من تعيين للقضاة ، لأن النظام القضائي السائد هو نفسه زمن الانتداب البريطاني ، وتعاني الأوقاف من إهمال تام، وعدم ترميم المساجد (١) ... وقلة الرواتب الممنوحة للأئمة والمؤذنين، وموظفي الشؤون الدينية (٢) .... وغيرهما من المشكلات وهي (غيض من فيض) .

وجملة القول : أن منبع هذا الإهمال الصارخ في الشؤون العربية، مرجعه للعداء القائم بين الغاصب والمغتصب ، بين الظالم والمظلوم ، وللاختلاف في المعتقدات، والعادات، والتقاليد، والأعياد، والأهداف، وأساليب الحياة ، مما زاد التباعد بين الطرفين . لم يعد الشعب الفلسطيني يروق له ما يرى في الساحة فشارك في الأحداث وسمع واحد من أبناء الشعب يعاني ما يعانيه الشعب . ويشارك في النضال مشاركة الأبطال بالكلمة الحرّة الجريئة والعمل الصادق الدؤوب .

الحياة الاجتماعية في المجتمع الاسرائيلي :

نظراً للارتباط الحاصل بين فئات الشعب الفلسطيني المقيمة فوق أرضها تحت الحكم الإسرائيلي، وبين المجتمع الاسرائيلي الذي تحول السلطة جاهدة دمجه، وصهره فيها لتذوب الشخصية الفلسطينية ، فأجد من الضرورة أن أتحدث عن الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسرائيلي نظرا لاحتمال العدوى من مجتمع لآخر، نتيجة للظروف السائدة، وأتطرق إليها باختصار لأعطي صورة موجزة عن الحالة الاجتماعية للمجتمع الإسرائيلي .

يعاني المجتمع الاسرائيلي تمزقا روحيا بين الطوائف اليهودية، ونلمس هذا التمزق

تابع الملحق عن الصفحة ٢٢

٥) لقد أقدم أحد اليهود : هايكل روهان بإشعال النار في المسجد الأقصى المبارك بتاريخ ٢٨ آب ١٩٦٩ م

٦) أنظر إلى الصحف العربية الصادرة في القدس العربية : القدس ،الشعب العجز بتاريخ ١١/٥/١٩٧٥ .

٧) الاتحاد : رؤساء السلطات المحلية يطالبون بالمساواة ويندّدون بسلب الأراضي العدد ٣٥/٣١/ بتاريخ ١٣/١/٧٥، ص ٥،ع ١

---

١) سهيل جراح :المحاكم في إسرائيل : النظام القضائي،ملحق الانباء ١٢٧٨ ص٧، الأنباء : العدد ١٩٢٣ تاريخ ٧/٢/٧٥، ص ٣،ع ٥،٤، ٦

٢) الأنباء : العدد ١٧٦٦،تاريخ ٢/٨/١٩٧٤، ص٧،ع ٧،

في عدد الذين هاجروا من إسرائيل إلى أقطار أخرى ،لأنّهم لم يجدوا وطنا حقيقيا في إسرائيل (٣) ... ويظهر التمزّق واضحًا في معاملة اليهود الشرقيين ، واضطهادهم،فغالبيتهم من الرعاة وعمال المصانع ،وفلاحي الأرض ،مما أثار احتجاج اليهود الشرقيين القادمين إلى أرض اللبن والعسل والمراء (٢) وقد امتد التمزّق ليشمل الحزب الواحد (٣) ... فتعددت الأحزاب وبرزت الخلافات بينهما (٤) ولم تقف الأمور عند هذا الحد فتكشفت بعض الظواهر التي تثير القلق منها : انحرافات نفسية وانتشار عمليات التزوير . اكل الأموال بأية طريقة (٥). وعملت الشرطة في خدمة الجنس (٦) .. وازدادت نسب الجرائم بشكل مذهل ،مما أثار خبراء الاجرام للتعليق عليها أمثال : "كارلي"(٧) والدكتور" مناخيم هوروفيتش" مدير شعبة الاصلاح في وزارة الشؤون الاجتماعية (٨) ويعلّل خبراء الاجرام هذه الظاهرة بقولهم / إنّ الاقليّات من البلدان العربية وبلدان شمالي افريقيا الذين كثيرًا ما يعيشون في أحياء قذرة لا يستطيعون الاندماج في المجتمع الاسرائيلي ،وربما تحولوا إلى الجريمة نتيجة لخيبة آمالهم ويأسهم (٦) ... ويحاول خبراء الاجرام الهروب من الواقع بتحليل الامور على عكس ماهيتها بمحاولتهم إلقاء التبعية على التربية العربية لهؤلاء ، وكأنّ المجتمع العربي بحر للاجرام ،لتشويه الصورة الإنسانية لمبادىء الاسلام والسّلام والمحبة وتسامحه مع من تعامل معه خلال العصور المتفاوتة .

أمّا الدكتور أمير فيعلّل الاجرام للافلام السينمائية (١٠) . ومنهم من يرجعه للركون الاقتصادي وانخفاض الليره الإسرائيلية الذي أعقب حرب تشرين (١١) ...

---

١) أنظر إلى حديث الشهر : ثالثة الأثافي للسميح القاسم،الجديد،العدد ٥، سنة ١٩٧٠م ص ٣

٢) راجع القدس : العدد ١٩٤٣ تاريخ ١٣ / ٢ / ٧٥ ،ص٢،عم٧،
القدس : العدد ١٩٥٢ تاريخ ٢٢ / ٢ / ٧٥ ، ص٢،عم٣،

٣) القدس : العددان : ١٩٤٩ ، ٢٠٢٩ تاريخ ١٩ / ٢ / ٧٥ ، ١٠ / ٥ / ٧٥ ص٢ ،عم ٤، . الشعب العدد ١٣٣٦ تاريخ ١١ / ١ / ٧٧،ص١ ،عم٣،

٤) القدس : العدد ٢٦٤٠ تاريخ ٢٠ / ١ / ١٩٧٧،ص٢ عم ١

٥) القدس : ١٩٤٣ تاريخ ١٣ / ٢ / ٧٥ ،ص ٦ عم ٥،
القدس : ١٩٤٥ تاريخ ١٥ / ٢ / ٧٥ ص١،عم٨،
القدس : ١٩٤٩ تاريخ ١٩ / ٢ / ٧٥،ص٣،عم٤،

٦ — القدس : العدد ١٩٤٥ تاريخ ١٥ / ٢ / ٧٥ ، ص٦،عم٧،

٧) الفجر : العدد ٤٠٥ تاريخ ٧ / ٥ / ٧٥ ،ص٦ ،عم ٤،

٨) م ٠ ن، ص٦ عم ٥

٩) م ٠ ن، ص٦ عم ٥

١٠) م ٠ ن، ص٦ عم ٥

١١) م ٠ ن، ص٦ عم ٥

هذا رأي علماء وخبراء الاجرام في إسرائيل . كيف يفسّر لنا هؤلاء الخبراء آخر تقليعة في إسرائيل وهي : انتحار وزير الاسكان (ابراهام عوفر (عشية رأس السُنة الميلادية لعام ١٩٧٧ م ؟ كيف يفسّر لنا هؤلاء الخبراء إقدام الطبقة المثقفة على ارتكاب المخالفات والقيام بأعمال لا اخلاقية (٩) .

ولعلّ في هذا خير دليل للرد على اتهامات مناحيم هيروفتش ولعلّ في مقال فيصل قدسي الذي تناول الأزمة الوزارية الاسرائيلية خير دليل على مايعانيه المجتمع الاسرائيلي من مختلف الأمراض (١٠) . ومن هنا نستطيع القول : أن التخبط الإسرائيلي لم يستطع إخفاء الحقيقة الصارخة لتصور التمزق والانحلال الخلقي والنفسي والاجتماعي لمختلف فئات المجتمع الإسرائيلي ومدى انعكاس ذلك على المجتمع العربي الذي يتعامل مع المجتمع الاسرائيلي ، لتظهر سلبيات التمزّق والتفسّخ والاضمحلال الإنسانيّ ، وضعت القيم الروحية لدى المجتمع الإسرائيلي ، لينعكس آثاره على أبناء الشعب العربي الفلسطيني بكلّ سلبياته وتخلفاته .

بعد دراسة هذا الركن من عصر سميح القاسم فيما هي اهميته بالنسبة لسميح ؟ وماهو موقف سميح القاسم من فائض الكراهية والحقد المنصريّ ؟ كيف برز موقفه من بين بذور العنصرية والطائفية ؟ هل انعكست محاولات دمج الشبيبة العربية في الدولة الاسرائيلية على آثار سميح وحياته ؟ ماهو تحليله للامراض الاجتماعية التي سادت المجتمع الاسرائيلي نفسه ؟ .

---

٩) القدس : العدد ٢٦٤٠ تاريخ ١٩٧٧/١/٢٠ ، ص ٢ ، ع ٤ : تحدثت عن أربعة أخبار من اسرائيل تحت عنوان خاص ، ومفادها ان طبيبا اغتصب مريضته ويمنع طبيب آخر من مغادرة اسرائيل حتى تنظر المحكمة المختصة في أمر الشبهات التي تدور حوله . . وتتحدث عن سجين مُتهم بتهريب المخدرات . . . وقدمت النيابة العامة لائحة اتهام أمام المحكمة المركزية في تل أبيب ضد موظفين في وزارة الدفاع الاسرائيلية لحصولهما على الرشوة .

راجع الشعب : العدد ١٣٣٥ ، تاريخ ١٩٧٧/١/١٠ م ص ٢ ، ع ٢ ، تتحدث عن تعقب المرتشين من أفراد الشرطة وضباطها .

١٠) الشعب : العدد ١٣٣٤ تاريخ ١٩٧٧/١/٩ ، ص ٣ ، ع ٣ .

الفصل الثالث

الأوضاع الاقتصادية على الأرض الفلسطينية

اعتمد النمو الاقتصادي في الوسط العربي، على أسلوب النمو التلقائي، نتيجة للمبادرات الاقتصادية الفردية، ولم تسر بالطريقة الطبيعية لعدم توفر حوافز الاستثمار، وتوفير الحماية للصناعة، يرجع ذلك عن طريق فرض الرسوم، والضرائب المالية على الاستيراد المنافس للسلعة المنتجة، او عدم منع الاستيراد. لم تعمل السلطات على ايجاد المشاريع الانمائية في المجالات الزراعية، والعمرانية، والصناعية، والسياحية، التي تساعد الأيدي العاملة، ولم تعمل على استغلال الثروات الطبيعية (١) .. وانقسمت قطاعات الاقتصاد الوطني إلى الزراعة، والصناعة، والتجارة، والخدمات.

مرّ النمو الاقتصادي في الوسط العربي، بمرحلة إمتصاص فائض اليد العاملة من القطاع الزراعي، ولم تساهم في خدمة القطاع الصناعي، لعدم توفر الحماية، وتشجيع السلع المنتجة، ولعدم مقدرته على منافسة الوحدات الانتاجية المماثلة المتوفرة في السوق. ولقد قامت السلطات بمصادرة الأراضي الزراعية (٢) .. وتعمدت سياسة الإفقار الاقتصادي المخطط (٣) ... وهذا ما أشار إليه الدكتور، حسين النجار، في معرض حديثه عما تعانيه إسرائيل من مشكلات من ضمنها قصور انتاجها الزراعي عن كفاية السكان (٤) ... ولم تقم الحكومة الإسرائيلية بإنشاء أى مصنع في الوسط العربي (٥) ... فانّ كثيرًا من المشروعات الصناعية وُلدت ميتة في الوسط العربي الإسرائيلي .. وأغلقت بعض المشاريع أبوابها، لعدم صمودها أمام لمنافسة الوحدات الانتاجية التي تتفوق عليها في القدرة المالية، والتكنولوجية التي تعتمد على رأس المال (٦) .. اتجه الاقتصاد في فلسطين اتجاهاً احتكاريًا استغلاليًا يرمي إلى جمع الثروة، وحصرها بأيدي قبضة من كبار المموّلين والمستثمرين المستغلين (٧) وكانت بالمقابل، تتجه إسرائيل إلى تنمية الاقتصاد اليهودي على حساب المصالح العربية (٨)

---

١) مقابلة لي مع حنا ابراهيم في حيفا . مكتب الاتحاد ــ شارع الحريري ــ حيفا تاريخ ١٨/٣/١٩٧٥ م

٢) القدس : العدد ١٩٤٢، تاريخ ١٢-٢/٧٥، ص ٢ ، عم ١.

٣) محرر الجديد : حديث الشهر العددان ٦، ٧ سنة ١٩٦٦ ص ٣٠ .
توفيق زيّاد: آثار لهذه الظاهرة في ذكرى مذبحة كفر قاسم : الجديد العدد ١٠، سنة ١٩٦٦، ص ٥ .

تمثلت سياســة السلطات في مجال الخدمات بالتضييق على العرب . . وتخفيض أسعار منتوجاتهم، وعدم الاهتمام بمشكلاتهم الصحية، والتربوية ، وعدم منحهم الفرص الكفيلة للتوعيــة نحو النشاطات المهنيــة المختلفة . . بالاضافة لسياسة تطويــــق القرى، وعدم توسيع مساحاتها ، والتضييق على الزراعة بعرقلــة التصنيع، وخفض الانتاج (١) ، وعدم توفر العمل (٢) . . مما يساهم في الفقر الاقتصادي، والضائقــة المالية، بالاضافة الى فقدان كثير من السلع (٣) . . . وهذا ما أشار إليه وزير الصناعة والتجارة (هاييم بارليف (٤) . . . وازداد خطر حدوث البطالــة فالتجأت الحكومة إلى البنك المركزي في إسرائيل (٥) . . . وازدادت الرسوم الكهربائيــة، والمنزليــة، والهاتفيــة والبريديــة (٦) . . . كما تقلصت مصادر الدخل الرئيســية (٧) . . وانخفضــت الاستثمارات الامريكيــة في إسرائيل (٨) . . وحاولت السلطات أن تجعل من المناطق المحتلة مناطق لتصريف الانتاج الإسرائيلي، وعامل تنشيط القطاعات الانتاج ، ولعل هذه الإيجابيــة، من أهم عوامل حرص إسرائيل على بقاء هذه المناطق تحت سيطرتها (٩) .

وقد رافق هذا التطور ارتفاع في الأسعار ، أسعار المنتوجات، والسلع المختلفــة ، وارتفعت تكاليف الحياة لارتفاع ميزانية الاسكان، والمصروفات الحربية ، فازدادت نسبة

تابع المراجع عن الصفحة ٢٦

٤) د .حسين فوزى النجار : مع الأحداث في الشرق الأوسط (١٩٤٦ — ١٩٥٦) ط ١ م القاهرة الجديدة ، بمصر ، ص ٢٥٧ .

٥) راجع الأنباء : تصريح رسمي بيادسة العدد ١٩٢٣ ، ٧٥/٢/٧ ص ٣ ع ٤ .

٦) راجع الأنباء العدد ١٧٦٠ ، بتاريخ ٧٤/٧/٢٦ ، ص ٨ ، ع ٤ .

٧) د عبد الرحمن باغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث . منشورات المكتب التجاري للنشر والتوزيع بيروت ، ص ٤٦ .

٨) م ن ص ٤٦ .

---

١) الجديد : العددان ٧ ، ٨ سنة ١٩٧٢ ، ص ١٠ ، م : صليبا خميس : تيارات اسرائيلية ومستقبل المناطق المحتلــة .

٢) الأنباء : العدد ١٩٢٣ ، التاريخ ٧٥/٢/٧ ، ص ٣ ، ع ٥ .

٣) الفجر : العدد ٢٦١ بتاريخ ٧٤/١١/١٦ ، ص ٣ : القدس : العدد ١٣٤٧ بتاريخ ٧٣/٤/١ ، ص ٣ ، ع ٦ .

٤ — الأنباء : العدد ١٧٦٠ ٧٤/٧/٢٦ ص ٨ ، ع ٢ ، ٣ .

٥) الفجر العدد ٢٦١ بتاريخ ٧٤/١١/١٦ ، ص ٣ ، ع ٨ .

٦) القدس : العدد ١٩٤٠ بتاريخ ١٠ — ٧٥/٢ ، ص ١ ، ع ٩ .

٧) مجلة العربي الشهرية : العدد ١٩٥ محرم ١٣٩٥ هـ شباط ١٩٧٥ تصدرها وزارة الاعلام بالكويت ، ص ٥٢ .

٨) الشعب العدد ٨٠٧ بتاريخ ٧٥/٤/٢ ص ٢ ، ع ١ .

٩) محرر الفجر الاقتصادي : الفجر العدد ٢٨٨ بتاريخ ٧٤/١٢/١٨ ، ص ٤ ، ع ٣ .

الضرائب المفروضة وارتفع سعر الأرض ، ومواد البناء مما حمل السلطات على تقليص البناء وتخفيض العطلة وازداد حدوث البطالة .. فانعكست آثار ذلك على المواطن العربي الذي يجابه المواد التموينية الإسرائيلية بأسعار باهظة (١)... وهذا ما صرّح به "زيدان عطشة" قنصل إسرائيل الدرزي الأول لمندوب الأنباء عن النقصان الخطير في المصانع وتطوير الإنماء الاقتصادي في القرية الدرزية (٢)... الاقتصاد الإسرائيلي مرتبط بالاقتصاد الرأسمالي ، ولهذا يعاني الأمراض نفسها التي يعانيها الاقتصاد الرأسمالي ، فقامت بتخفيض ميزانية التربية والتعليم المخصصة للوسط العربي (٣) وشكّلت لجنة اقتصادية خاصة بالوقود للاقتصاد من استهلاكه ، لأنّه يكلفها كمية عالية من العملة الصعبة (٤) .. نتيجة لذلك ظهرت فئات في المجتمع الاسرائيلي من رجال السلطة ، لتوجه الانتقادات اللاذعة للمسؤولين حول فساد الجهاز المالي كما فعل د. نفتسال (٥) .. مما ساعد على انتشار عمليات التهريب للبضائع الممنوعة بين إسرائيل والضفة والقطاع (٦) ...

بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، توفرت مراكز العمل لعشرات الآلاف من العمال العرب للعمل داخل اسرائيل ، وترتب على هذه الظاهرة ارتفاع مستوى الحياة في المناطق المحتلة ... ولكن الحال لم تدم طويلاً ، فوضعت السلطات قيوداً في وجود العمال منها تنظيم دخولهم وخروجهم إلى إسرائيل بوساطة ، شركات الباصات المعتمدة لديها ... وفرضت على العمال حسومات قدرها ٤٠ ٪ من أجورهم الأصلية (٧)..

---

١) الفجر العدد ٢٦٠ بتاريخ ١٥/١١/٧٤ ، ص ٣ ، عم ٥.
٢) الأنباء : العدد ١١٧٥ بتاريخ ٢٥/٨/٧٢ ، ص ٣ ، عم ٦.
٣) الفجر : العدد ١٩٨ بتاريخ ٣١/٨/١٩٧٤ ، ص ٣ ، عم ٤.
٤) م . ن : العدد ٢٦٠ بتاريخ ١٥/١١/٩٧٤ ص ٣ ، عم ٦
٥) القدس : العدد ٢٠١٩ بتاريخ ٣٠/٤/١٩٧٥ ، ص ٢ ، عم ٥.
٦) حديث لكارش : تحت بحث خاص بالفجر بعنوان : ازدياد نسبة الجرائم في اسرائيل .
العدد : ٤٠٥ بتاريخ ٧/٥/١٩٧٥ م ، ص ٦ ، عم ٥.
٧) القدس العدد ١١٩١ ، بتاريخ ٢٦/٩/٧٢ ، ص ٣ ، عم ٤ ، ٥ ونقلته عن اللوموند الفرنسية .

واكتشفت الباحثة الاجتماعية عرفت منصور أن ٤٠ ٪ من العمال العرب غير منتظمين ، ويكتفون بأجور تافهة ودون أية شروط (١) ... ولقد لخصت مجلة شؤون فلسطينية أهداف السياسة الإسرائيلية من وراء التعامل مع العمال العرب ، وكذلك جريدة القدس (٣) ... ولقد حاولت إسرائيل أن تستعين بالأيدي العاملة العربية ، فأنشأت المراكز المهنية للاستعانة بالنقص الطبيعي في عدد العمال في إسرائيل (٩) ولكن وضع العمال العرب قد تغير بعد السياسة الاقتصادية الجديدة .. فتزايد عدد المطالبين بالعمل ، ونقصت شواغره ، وارتفعت البطالة في صفوف العمال غير المهرة ، واغلقت امامهم فرص العمل الاضافي (٥) .

هذه صورة لما كان عليه العمال العرب في إسرائيل بعد حزيران سنة ١٩٦٧ وما آل اليه بعد اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وحدوث الأزمة الاقتصادية الخانقة في اسرائيل وانعكاسها السيء على العمال العرب دون غيرهم .

هل انعكست هذه الآثار السيئة على حياة سميح ؟ وهل حركته الاوضاع السيئة للعمل والعمال العرب ؟ كيف عالجها ؟ وماهو موقفه منها ؟ وماهي القضايا التي أثارها حول تفشي البطالة ووضع العراقيل أمام العرب داخل إسرائيل ؟ .

---

(١) زهرة الشباب : العدد ٣ ، كانون الأول ١٩٧١ . دار النشر العربي ، ص ١١

(٢) مجلة شؤون فلسطينية : رقم العدد ١٢ ، آب (اغسطس) سنة ١٩٧٢ م ، ص .

(٣) القدس : العدد ١١٩١ ، بتاريخ ٢٦/٩/١٩٧٢ م ، ص ٣ ، ع ٨

راجع الأنباء : العدد : ١١٠٢٦ ، بتاريخ ٢٣/٦/١٩٧٢ ، ص ٣ ، ع ١ ، حول أوضاع العمال العرب .

(٦) الفجر : العدد ٢١٠ ، بتاريخ ١٤/٩/١٩٧٤ ، ص ٢ ، ع ٨

الفصل الرابع
الحياة العقلية والفنية على الأرض الفلسطينية

مر المثقفون العرب في إسرائيل منذ ١٩٤٨ في أزمة خانقة ، فوضعت السلطات الاسرائيلية العراقيل والصعوبات أمام المثقفين العرب لطمس معالم الحضارة العربية ، والتقليل من أهميتها ، ولمحاربة الاستنارة الفكرية ، كيف تم لها ذلك ؟ وماهي الوسائل التي طبقتها ؟ لقد سخرت الاهداف التعليمية لخدمة سياستها ، ولربط الشباب العربي الفلسطيني بعجلة الصهيونية لتسلخه عن أمته العربية، ماضيها وحاضرها. هل حققت السلطات انجازات يحق ذكرها في مجال التربية والتعليم ؟ وماهو موقف الهيئات الشعبية والوطنية تجاه هذه السياسة ؟ إن ثلث السكان العرب في إسرائيل حرموا من التعليم ، ولقد قامت من الهيئات الشعبيه والوطنية بالتعاون مع أفرادها بانشاء المدارس الأهلية لمقاومة فاعلية سياسة السلطة الداعية لتجهيل العرب (١) ....

اتبعت السلطة سياسة تعليمية هدفها تجهيل الطلبة العرب ، وفرضت عليهم عقوبات وصعوبات جمّة ، منها: مايرجع لطريقة التعليم، وللمناهج المدرسية المقررة ، ومنها: لاعداد المعلمين، والتجهيزات المدرسية ، وفرض امتحانات القبول ، والنقص الخطير في عدد الصفوف ، والزيادة المستمرة في عدد الطلاب وارتفاع رسوم التعليم الجامعي ووضع العراقيل أمام الطالب العربي، للحيلولة دون التحاقه بالجامعة ، والتحكم بالاتجاه الذي تفرضه السلطة على الطالب، وتحصره في الكليات الأدبية ، وعدم العناية بالوسط العربي، وفرض مخصصات خاصة تكفي لذلك .. والأقساط الجامعية الباهظة ... ليسهل عليها فيما بعد، حصر خريجيّ الكليات الأدبية، وفرض ارادتها عليهم، وتسخيرهم لخدمتها، وللعمل في المدارس كمدرسين (٢ ... ووضعت العراقيل لتحول دون التحاقهم، وانتظامهم في الهيئات الطلابية وأعداد كبيرة خوفا من آرائهم

---

(١) د .إميل توما : التعليم العربي في إسرائيل : الجديد ، العدد ٢، سنة ٧٣ ص ٨ — ١٠

(٢) الأنباء : أوضاع التعليم في المحيط البدوي في إسرائيل ، نص الكلمة التي ألقاها عضو الكنيست حماد أبو ربيعة . العدد ١٧٧٨، بتاريخ ١٦ / ٨ / ٧٤، ص ٧، عم ٤، م.ن مشا كل لتعليم في الوسط العربي . جبرداهش معدى ص ٢، عم ٤ لقاء مع الشاعر فهد أبي خضرة أجراه مندوب زهرة الشباب . العدد ٣ كانون الأول ١٩٧١ الناشر العربي، ص ٥ .
إميل حبيبي : حديث الشهر : الجديد العددان ٨ ، ٩، سنة ١٩٦٦، ص ٤

وتأثيرهم على مجريات الأحداث .. وتمدّت سياستها هذه المرحلة لتحرم العرب من التعليم المهني لأن المدارس الصناعية والزراعية والتجارية الاتفي بحاجات المواطنين العرب ولم يراع توزيعها على المناطق العربية لتسد متطلبات الشباب العربي في إسرائيل ، فاوصت لجنة جرايس بتوسيع شبكة التعليم الصناعي في الوسط العربي ، وبناء مدارس إقليمية تخدم مجموعات من القرى المجاورة ... وإيجاد مدارس أخرى تلائم الظروف الزراعية وتحضير معلمين أكفاء (١) ...

أما على الصعيد المسرحي ، فالأقلية العربية لا تملك مسرحًا ، لعدم توفر الأسباب الموجبة لتشجيع المسرح من قبل الادارة العسكرية (فالمسرح شخصية البلد الذي تمثله له جنسيته الخاصة وطابعه العام (٢) .. (والمسرح يتيم لا أب ولا أم وهو عصامي يشق بنفسه لنفسه الطريق ويفرض نفسه) (٣) ...

يتطرق الباحثون في مجال الثقافة إلى قضية جوهرية في حياة الشعوب ، قضية التربية والثقافة والعنصرية لشدة حساسيتها ، وخطورتها في آن واحد ، (فعمرام) صور اعتماد اسرائيل على التربية والعنصرية من خلال المنهاج الذي تطبقه على الناشئة المغذّى بسموم الفكر القاتلة (٤) ... وبالمقابل أعني القائمون على الأدب ومعظمهم من الجنرالات المتقاعدين بالأدباء العرب خارج فلسطين ، وبأدباء مغمورين في الداخل لخدمة أغراضها ... وذلك للحيلولة دون اتصال اليهود بالأدباء التقدميين العرب في إسرائيل ، وليتحدثوا عن غربة الإنسان الفلسطيني عند ذوي القربى ، ولأنهم لا يريدون إعلان الرابطة العميقة بين حركة الأدب العربي لعرب إسرائيل وبين حركة الأدب المعاصر ، لأن الاعلان عن ذلك يؤكد الانتماء القومي للعرب في اسرائيل من جهة ومن جهة ثانية يسبب احراجا لاسرائيل أمام القارئ العبري لأن جوهر الأدب الفلسطيني الرفض والإدانه (٥) .. فعمدت جاهدة التقليل من شأن الثقافة والحضارة العربية ، وهذا ما أشارت إليه عليز اليهنبرغ) بقولها إنّ البرنامج جاف ولا يدرس التلاميذ من القيم العربية والقومية أو مكانة الشعب العربي في العالم سوى القليل (٦) ..

---

(١) الأنباء : أضواء وظلال في القرية العربية . العدد ١٦٧٠ بتاريخ ٩/٤/٧٤ ص ٥ عم ٦ ، ٨

(٢) القدس : أضواء على أزمة المسرح المحلي . العدد ٤٤٣ ١ بتاريخ ٢٢/٧/٧٣ ص ٣ عم ٦

(٣) توفيق زياد : مسرح الأدب ومسرحنا القومي في إسرائيل الجديد العدد ٤ سنة ١٩٦٧ ص ٣٥

راجع رسالة من تل أبيب : روت لفين : الجديد العددان ٩، ١٠ ، ١٩٦٩ ص : ٦٢

وأحبّ أن أشير إلى حالة خطيرة تمارسها السلطة ضد توعية عرب إسرائيل وضد ممارسة التجهيل، وهو سوء ترجمة الكتب المدرسية التي تعرض الطالب العربي وغموضها، وكثرة الأخطاء الاملائية ومحاولة تعليم الطلاب أسماء غير صحيحة (١)، لأنّ الذين يشرفون على جهاز التعليم العربي في إسرائيل، والذين يقومون بتنفيذه معظمهم من اليهود (٢).. ولكن السلطة فشلت في طمس العزة القومية... وهذا ماصرّح به "د. يوحنان بيرس"، وانيرٌد يفس، (٣) بل على العكس تحوّل الشباب لمطالعة الأدب الخارجي واعتبرها "نعيم علمادي" ماهي إلا مظاهرة قومية لإثبات الطابع القومي لعرب اسرائيل (٤)

تعرضت الكلمة العربية على الأرض الفلسطينية إلى هزّات عنيفة، وهي أزمة كل شعب أصابه الظلم في وطنه، يقاوم بالكلمة الجادة، ومن هذا المنطلق نشأت أزمة الكلمة العربية، والثقافة العربية التقدمية بين عرب اسرائيل منذ ١٩٤٨، ولكن ايمان الشعب العربي بعدالة قضيته) وبحقوقه المغتصبة، عززّت لديه قوة شخصيته الثقافية، لأنه يؤمن أن الشعب المتعلم والمثقف يصعب قهره وإذلاله ويصعب كمّ أفواهه مهما وُضعت أمامه من العراقيل والصعوبات والتحديات، وفرض الاقامة الجبرية، واعتقال الكلمة العربية في مهدها، ونظام الرقابة العسكرية الحادة، والوضع الاقتصادي

تابع المراجع عن الصفحة ٣١

٤) علي رافع : أحاديث بين شباب الحركة الكيبوتسية : الجديد العدد ٦ سنة ١٩٧٠ ص ٣٠

٥) محمود درويش الحصار : الجديد، العدد ٨ سنة ١٩٦٩ ص ٣ — ٤

٦) اميل توما : التعليم العربي في إسرائيل الجديد : العدد ٢ ، ١٩٧٣، ص١٠

---

١) انسان المثلث : الكتب المدرسيه مع الندوة حول مشكلات التعليم العربي في اسرائيل، الجديد، العدد ٢ سنة ٧٣، ص ٣٩

٢) محمد كيوان : التربية القومية في المدارس العربية : الجديد : العدد ٤ سنة ٧٣ ص ٢٠ — ٢٣، ٢٦، ٢٧

٣) الأنباء : بتاريخ ٢١/١/٧٢ ونقلته الجديد : العدد ٢ سنة ٧٣ ص ١٦ إميل توما : التعليم العربي في اسرائيل .

٤) محمد خاص : دور الثقافة والفن في المجتمع الجديد، العدد ٤ سنة ٦٧ ص ٢٨

السي . كل ذلك لم يمنع انتشار الثقافة في الوسط العربي في إسرائيل ، فانتشرت المجلات والصحف التقدمية ، كمجلة الجديد ، ومجلة الغد للشبيبة الشيوعية وصحيفة الاتحاد .

عمدت السلطات إلى سياسة الكبت الثقافي الذي مارسته ضد المواطن العربي في إسرائيل . ولهذا يرجع فشل كثير من طلابنا في دراستهم ، بالاضافة إلى البرامج الدراسية والاضطهاد القومي والاستعلاء العنصري (١) ... ولقد كانت السلطات تمشط سلك التعليم من وقت لآخر ، وتضطهد المعلمين التقدميين ، وتفصلهم عن العمل ... فتعرض الادباء لا يشع أنواع التعذيب والاضطهاد والإقامة الجبرية (٦)

وهذا ما أكده كتّاب وأدباء اسرائيليون أعرض لبعض أقوالهم ، ونذكر من بينهم الكاتبة "روت لفين) التي قالت : (أنا أعرف تماما وضع الأدباء العرب في إسرائيل وفي المناطق المحتلة ، أحسُّ بالعار ، لأني أحبُّ أبناء شعبي وأخجلُ من أعمالهم وعدم فهمهم (٣)

وفي المعنى نفسه قال "دان عومر" في معرض الاجابة عن سؤال موجه إليه :

كيف كنت تعرض قضية أبناء شعبك للاجئين العرب ؟ فأجاب : (على الأقل بالعنف ذاته الذي نعرض فيه نحن اليهود قضية أبناء شعبنا في المانيا النازية ، إن قضية الناس المشردين هي قضية خلقية (٤) .. لم تقف الأمور عند هذا الحدّ ، بل تجاوزتها إلى عملية أبعد وأرسخ من ذلك ، إلى عملية غسل " الدماغ الثقافي (٥)

ولقد كان الكثير يعاني من الكبت الثقافي وكان لمجرد تصرف بسيط تلجأ السلطة إلى التهم حتى تتخلص من الوطنيين وخاصة ممن يتعاطون في التعليم (٦) ...

هل استطاعت السلطات الاسرائيلية رغم ما مر ، أن تضع حدًا لانتشار الكلمة العربية ، كيف تغلب سميح القاسم على هذه القيود ؟ وماهي المقومات الأساسية التي تمني شخصيته من خلالها ؟

---

١) نعلم محدث : أحاديث أدبية : الجديد ، العدد ٦ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٠٩

٢) سالم جبران : هوامش سرازدهار الشعر العربي في إسرائيل ، الجديد العددان ١ ، ٠١ ، سنة ١٩٦٩ ، ص ١٢
يوسف حمدان : الطالب الاسرائيلي والسياسة : الجديد : العددان ٩ ، ١ سنة ٦٩ ، ص ٣٢

٣) استفتاء الجديد : لوكنت أديبا عربيا . وجهت المجلة تحت هذا العنوان إلى اكثر من عشرين شاعرًا وكاتبًا يهوديًا عدة أسئلة الجديد : العدد ١ سنة ١٩٧٠ ، ص ٤١ .

٢) م . ن ، ص ٤٢

٣) لقاء مع الشاعر محمود درويش : الجديد : العدد ٣ ، آذار سنة ١٩٦٩ ، ٢٢

٤) لقاء مع الشاعر سميح القاسم : الجديد : العددان ٤ ، ٥ ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٢٥

بعد دراسة الأركان الأربعة لمصر سميح القاسم يتضح لنا أن الأحداث المتلاحقة قد تركت بصماتها واضحة على الشعب العربي بعامة والشعب الفلسطيني بخاصة، فتأثر كل مواطن عربي، وفلسطيني لتلك الأحداث التي مسّت الشعب الفلسطيني ، و سميح القاسم واحد من هؤلاء تأثر بها، لأن ذكرياتها عالقة في ذاكرته ، فدفعته ليتخذ موقفاً حازماً نحو قضيته ومصيره ، فأثرت عليه الأحداث والمسؤوليات ، فمال إلى الحزب الشيوعي ، ليعمل من خلاله ويناضل من منابره . فكتب محللاً الاطر الأربعة لأركان العصر على الساحة الداخلية والخارجية ، فمجّد الاشتراكية ودولها وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، وانتقد الرأسمالية ودولها، لأساليبها في قهر الشعوب — وابتزازها . قاوم السلطة وسياستها في الداخل والخارج . فضح العنصرية والطائفية التي حاولت السلطة بذرها بين العرب الفلسطينيين — الأسرة الواحدة . فجاهد ضد فصل الطائفة الدرزية عن القومية العربية ، وكشف الوضع الاقتصادي المتردي فكتب عن المراقيل ، وغسل الدماغ الذي تعرض ولا يزال يتعرض له كل مواطن عربي داخل اسرائيل ، لاسيما وان سميح القاسم قد طُرد من وظيفته بسبب مواقفه المناوئة للسلطة .

وادخل السجن ، ووضعت المراقيل أمام انتاجه . . . وحظّرت عليه حرية التنقل والترحال داخل فلسطين (١) . . ولكن رغم ذلك كله فتق حدود الكلمة ، فعبّر من وجدانه، وأحاسيسه نحو أخوته، وأبناء جلدته محذراً ومنذراً من مغبّة الانصياع وراء بيارق المظاهر الخادعة ، ومصوراً العلائق القائمة بين المواطن العربي والاسرائيلي في فلسطين ، موضحاً الزعم الموهوم، والباطل الذي تدّعيه السلطة حول التعايش السلمي والتفاهم ، متناولاً الأوضاع العربية في آثاره الأدبية (٢) . . . فانتقد العمال العرب الذين ساهموا في خلق وضع جديد على الأرض الفلسطينية ففسحوا المجال أمام إسرائيل وأعطوها قدرةً أكبر على الحركة ، كما أشفق على العمال العرب، وهم يعملون في تنظيف الشوارع والأحياء اليهودية من ناحية ، ومن ناحية أخرى أشفق عليهم، لأنهم يُجبرون من قبل أصحاب العمل على المبيت في دهاليز الأفران وأقبية المصانع ، مما سبب وفيات كثيرة بينهم ، فمنهم من أُحرق . ومنهم من تسمم . كاشفاً غيرها من الحوادث الجسام .

هذه خلاصة الظروف العصرية التي اكتنفت حياة سميح القاسم . . فكيف ظهرت ملامحها في تلك الحياة ؟

---

١) راجع الجديد : العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٩ ص ٢٥ لقاء مع الشاعر سميح القاسم

٢) هذا ما سنكشفه في أعمال القاسم الأدبية في الأبواب والفصول القادمة .

الباب الثاني

سميح القاسم

في

عصره

الفصـــــل الأول

أسرته وزمانـــه ومكانـــــه

سميح القاسم شخصيـة أدبيـة في الأرض المحتلـة ـ تغري الدارس لأدب المقاومـة والاطلاع على أعماله، والتعرف عليه في عصره، ومدى تأثير العصر عليه، وانعكاسه على شخصيته الأدبيـة ومفهومه السياسي ... وما الفائدة التي يجنيهـا الدارس من معرفـة نسـبه وأسرته ؟ ماالفائدة من دراسة مولده الزماني والمكانيّ ؟ هل للأحداث الزمانيـة والارتباطات المكانيـة كبير الأثـر في الدراسـة الأدبيـة للشخصيـة الأدبيـة التي يتناولها الدارس ؟

سأجيبُ عن التساؤلات التي عرضتها من خلال تناولي لفروع هذا الفصـل .

أسمه ونسبه وأسرته :

اسمه سميح ، ووالده محمد القاسم . من عائلـة مسلمة تنتسب للطائفـة الدرزية التي تنتسب إلى أصل عربي عريق ، كما يقر ويعترف بذلك الدروز أنفسهم . أنهم من أعرق القبائل العربية من لخم وجذام ، وأنهم أول ما سكنوا وادي التيم ، ثم انتشـروا في سوريا ولبنـان وفلسطين .

عائلـة سميح القاسم معروفة بطليعتها الثقافيـة بين دروز فلسطين ، وانجبت عددًا من العاملين في مجالات الكتابة والطب والقانون والتعليم . والدته هناء شحاده ابنـة شيخ فقيهٌ عرف بثقافته الواسعة في شؤون الديانات ، وشقيق والدته يدعـى سلمان شحادة مناضل معروف فقد إحدى عينيـه في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ويعتبر رائد المثقفين الدروز الذين هبوا لمقاومة سياسـة التفرقة الطائفية التي مارستها اسرائيل منذ قيامها ، ويواصل نضاله ضد الظلم، والفساد، والانحلال، والتفسخ الخلقي، والاضمحلال الفكري حتى اليوم ، بقلمه الجرئ، وبالعمل الاجتماعي المثابر (١) ...

أخوة سميح : للشاعر سميح القاسم خمسة أخوةهم : قاسم ، سعيد ، سامي ، سهيل ، ونديم، وكلهم حققوا تحصيلاً جامعياً . فالقاسم يعملُ في الشؤون الزراعيـة فهو مهندس زراعي يعمل على رفع المستوى الزراعي في المجال العربي . وسعيد ـ صيدلي ، اتجه إلى الاعمال الأدبية في المدرسة الثانوية ، ثم مال للابحاث العلميـة

---

(١) مقابلة مع سميح القاسم أجريتها في بيته بحيفا ـ شارع عباس في ١٨ / ٣ / ١٩٧٥م

فتعلم الصيدلة ، ويقدّم نشرة الأخبار باللغة العربية من التلفزيون — المرناة — الإسرائيلي . وبقية اخوته لم يرد الافساح عن مجال اعمالهم وحركاتهم نظرا لظروفهم الصعبة العائلية ، وخوفا على أعمالهم ولا يريد أن يسبب إحراجا لأحد منهم (١) . . وهو شديد الحب والتقدير والاعجاب بهم ، ويقدسهم ، وهو شديد التعلّق بأبنائهم .

شقيقات سميح القاســم :

لسميح القاسم ست شقيقات هن : سميا* ، وفاطمــة ، وهديقــة ، شفيقــة ، سهيلة وعفاف . والثلاث الصغريات معلمات . وشفيقة كانت اول معلمة درزيــة فـــي فلسطين ، وكانت أخته عفاف أوّل درزيــة تدخل الجامعة (٢) . . .

سميح القاسم شديد الحبّ لشقيقاته ، يأسى والد لفراقهم ، ويعجب بوالـــده الذي لم يفرض على أية واحدة زوجًا . وفي هذا الشأن يقول سميح (طول عمري لـــم أرعينيّ أبي تلمعان بهذا الشكل . أي لم يجسد ازاء عيني ذروة العذاب الإنساني بهذا الشكل سوى في اللحظات التي كانت تغادر فيها الواحدة من شقيقاتي عتبـــة بيتنا ، حيث عشنا معا سنين طويلة حافلة إلى بيت عريسها . ولكن والدي لم يفـــرض على أية من شقيقاتي زوجا (٣) . . . .

تربط الأسره روابط عميقــة من المحبة والاحترام ، ويسودها جو ديمقراطي ، يكره التعصب القبلي والديني . وفي الأسرة ميل للأدب والصحافة والفنّ غير أنّ سميح القاسم هو الوحيد الذي أصبح الشعر اهتمامه الأساسي ، وإن كانت الأسرة تحمـــل افكارا تقدمية وتطبقها في المجال الاجتماعي ، فإن سميح القاسم وشقيقه نديـــم القاسم يمارسان أيضا العمل السياسي الثوري على المستوى الجماهيريّ .

كان والد سميح القاسم متشبثا بالمفاهيم التقليدية المكرّسة للاهتمام بالزعامــة العائلية والحمائليــة فقد أصبح فــي السنوات الأخيرة أكثر تفهّمًا لأفكار ومشاعر ابنـه الشاعر الثائر ضد المغتصبيــن . فوالد سميح يقرأ كل مايكتبه سميح ، ويبدي لـــه رأيه من حين لحين مبديًا له النصيحة والتوجيه ، ولا يخلو هذا الرأي من دعوة رفيقة للعودة إلى الأوزان الشعرية الفراهيديــة (٤) . . .

---

١) المقابلة ذاتها .
٢) مقابلة مع سميح أجريتها في بيته بحيفا — شارع عباس في ١٨ / ٣ / ٧٥
٣) سميح القاسم : غاية الطفولة . الجديد : العدوان ١ ، ٢ سنة ١٩٦٧ ص ٢١
٤) مقابلة مع سميح في ٢٧ / ٩ / ١٩٧٤ .

أما والدة الشاعر هناء شحاده فهي مع سميح في كلّ شيء .. تناصره وتؤازره وتؤمن أشدّ الإيمان بمواقف ولدها وتدعمه معنويًا . وهي ترى (أنّ ولدها سميح على حق في كلّ شيء، إلا أنها تخالفه في شيء واحد، وتتمنى لو أنه يوافقها في ذلك . الا وهو الإقدام على الزواج . تقول والدة سميح : إني أؤمن أن ابني كان دائمًا على حق إلا في استنكافه عن الزواج (١)

وكذلك شقيقات سميح فهنّ شديدات التعلّق به إلى حد ملك عليهنّ هذا التعلّق شد تفكيرهنّ إليه ،فهن لا يستطعن العيش يومًا واحدا دون أن يرينه ولو دقائق معدودات، وحتى بعد الزواج فهنّ ينتظرن لحظة زيارته بفارغ الصبر .

أما علاقته باخوانه فهي علاقة الشقيق الرفيق بشقيقه على اختلاف ما بينه وبين بعضهم في وجهات النظر السياسية والفكرية . إنه يحترمهم ويجلهم وينحني إحتراماً لمن هم أكبر منه سنًا ، كما يبادله أشقاؤه هذا التقدير والاحترام والتقديس (٢) ..

مولده الزمانــــي :

سميح القاسم إحدى الشخصيات الأدبية المرموقة على الارض الفلسطينية ،ورث متاعب شديدة من متاعب الشعب الفلسطيني ،الذي صمد على أرضه ، والتي ظهرت منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا . وأشد المتاعب التي واجهت سميح القاسم ، هي قضية الشعب الفلسطيني على أرضه المغتصبه وخارجها . إذ أرسلت بريطانيا وامريكا لجاناً إلى المنطقــة تمخضت عنها أن إذ أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض ١٩٣٩ .. في العام نفسه الذى ولد فيه سميح القاسم ،لأن سميح القاسم وُلد في مدينة الزرقاء الأردنية في ١١ — ٥ — ١٩٣٩م . من أبوين فلسطينيين ،لأن والده كــــان ضابطاً في جيش قوة حدود شرقي الأردن . ولكن بعد تطور الأحداث عاد بــــه والده الى الرامة (القريــة الفلسطينيــة الجليلية .

والكتاب الابيض الذي أصدرته بريطانيا ،يقضي باستقلال فلسطين ، ومنــع الهجرة اليهوديــة . ولكن نشطت الحركة الصهيونيــة لاجبار بريطانيا على إلغــاء الكتاب الابيض ولكسب تأييد أمريكا ، وفتح أبواب الهجرة ،وتقسيم فلسطين بموافقــة هيئة الأمم المتحدة ، وكان ذلك في ١٩٤٧ م بعد الحرب العالمية الثانيــــة

---

١) مقابلة مع سميح في بيتة بتاريخ ١٨ / ٣ / ٧٥

٢) مقابلة مع سميح القاسم . أجريتها في بيتة بحيفا شارع عباس في ١٨ / ٣ / ٩٧٥

وبدأت اللعبة الخطيرة التي قامت بها بريطانيا، إذ تنازلت عن الانتداب ، فهبّ العرب في فلسطين، والدول العربية المجاورة للدفاع عن هذا الجزء . ولكن الصهيونية وبمساعدة الدول المستعمرة التي وفّرت لها كل الامكانيات اللازمة ، والكفيلة لدحر الجيوش العربية غير المنظمة . إذ كان الضعف مسيطراً على روحهم المعنوية ، لا سيّما وان معظم الدول العربية لم تنل استقلالها بعد . ولوقوع الزعامة العربية تحت تأثير المستعمر ، ولفساد العتاد الذي يملكونه، وعدم توفّر الامدادات الكافية .
كل هذه الأسباب مجتمعة سارعت وساهمت في مساعدة الصهيونية ، لاغتصاب جزء كبير من الأرض الفلسطينية البالغ مساحتها (٢١٠٠٠) كيلو متر مربع .

أعلنت الصهيونية قيام دولتها وسمّتها إسرائيل . ونشطت الحركة الصهونية بوساطة اعلانها ، ووسائل إعلامها ، وسيطرتها على حركة الاعلام في العالم تقريباً ، لاجتذاب يهود العالم لاسكانهم على الأرض الفلسطينية .

تطورت الأحداث بشكل رهيب حتى الفجيعة ، واستيقظ الفلسطينيون من هول الصدمة ، فوجدوا فلسطين الضائعة ، وقد وقعت بين براثن الغزو الهستيري .
فأحداث نكبة ١٩٤٨ ، كان لها أثر كبير على نفسية شاعرنا سميح وهاله ماشاهده من انسحاب الضباط والجنود دون انتظام . وتقهقرهم أمام الأحداث وهو يقول .. اعتبر ميلادي الحقيقي سنة ١٩٤٨ كل تفكيري وصور حياتي تنطلق من هذا الرقم (١)

أحداث ١٩٤٨ ومابعدها :

حلت بالشعب الفلسطيني ضربات ونكبات شديدة وأليمة أصابت جسمه . وحاولت النيل من صموده ، وطمس معالمه ، وانهاكه ، ولكن الضربات المتواليه لم تستطع طمس الشعب الفلسطيني ، ولم تنل من كرامته .

مذبحة دير ياسين كانت الضربة الأولى الموجعة التي حلّت بالشعب الفلسطيني .
ففي ربيع عام ١٩٤٨ نيسان ، وقعت المجزرة الرهيبة ، وكان ضحيتها دير ياسين) القرية العربية التي يسكنها خمسماية عربي ، والتي تقع على تلة ترتفع عن سطح البحر (٨٠٠) متر غربي القدس . وتشرف على عدة طرق ، ومستوطنات يهودية .

هذه المجزرة كان لها انعكاس خطير في نفسية القاسم . وسميح يقول في شأن ذلك : (.. انه الاسم الفاجع دير ياسين . دير ياسين أول قرية عربية

---

(١) الفجر : العدد ٢٦ سنة ١٩٧٢ ص ٤ ع ١ وكذلك الجديد العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٩ ص ٢٤

نكبت بالاحتلال الدموي في ربيع ١٩٤٨ (٩ نيسـان) وأصبحت رمزًا لمأساة الشعب العربي الفلسطيني، ورمزًا لقسوة الصهيونيـة، وبرارة الكراهيـة. دير ياسين الـم فلسطيني ، على العالم ألا ينساه، ألم في طريق الالام نحو جلجلة العصر . ألـم يحيشه مع غيرنيكا) الاسبانية (ليدنس) التشيكية ، ومع سونغ مي (وماي لاي) الفيتاميـن) (١) . . .

عاصر سميح القاسم صور الاضطهاد المتمثلة ، بشتى الصور من صفوف العـذاب ومصادرة الأراضي ، وفرض الضرائب ، والمراقبة، والاعتقال الاداري، وترحيل سكان القرى من قراهم متذرعيـن بالأمن وضرورياتـه . ((عام ١٩٤٨ تجلت مأساة الشعب العربي الفلسطيني في أكثر من شكل ، وأكثر من حدث . كنت آنذاك في التاسعة مـن العمر . واذكر اليوم . اذكر جيداً كيف وقفت مع والدتي مفغوري الأفواه مأخوذيـن بالدهشـة منبهري الانفاس أزاء الشاحنات المدنيـة التي رحلت من قريتنا الرامة فـي الشمال مكدسـة باللاجئيـن، والجرحى، والجنود الهاربيـن في أعقاب قادتهـم، وأذكر كيف وقفنا بعد ذلك المشهد بأيام أو شهور مفغوريّ الأفواه ، مأخوذين بالدهشة مبهوريّ الأنفاس أزاء شاحنات الجيش الإسرائيلي التي عادت إلى قريتنا الرامـة، وأخذت تفرغ في ساحتها الشرقية حمولتها من العرب الذين عرفنا فيما بعد أنهم سكان قريـة أقرت) في الجليل الأعلى)) (٢) . . .

ناضل سميح القاسم ضد اعتقال الكلمة، واعمال المراقبة، وأشاد بأصوات العناصـر الدمقراطيـة السليمة من مغبة الاجراءات المنافيـة لحريـة الفكر ، وكشف أن النتاج العربي هو الوحيد المتضرر من نظام الرقابة . ويرى أن الدمقراطية لاتقبل التجزئـة. فان كان عرب اسرائيل الاحرار ضحية مقص الرقيب ، فإنَّ الأدباء العبريين سيكونـون ضحيته غداً . فقال سميح : ((منذ اعتقلت الرقابة الكلمة الأدبية الأولى في هـذه البلاد . ارتفع صوت العناصر الديمقراطية السليمة محذراً من مغبّة الاجراءات المنافية لحرية الفكر . . وإذا كنا نحن اليوم ضحية مقص الرقيب فأنتم ضحيته غداً)) (٣) . . . . .

ناضلَ سميح القاسم في غمرة هذه الأحداث ضد التفرقة العنصرية، والطائفيـة، ليفوت على السلطة لعبتها .

---

٣) سميح القاسم : من فمك أدينك : قراءات في وثائق صهيونية (منشـورات عربسك عكا ايلول سنة ١٩٧٤ ص ١٩

٢) سميح القاسم : ليكن واضحا، عنقاء اسمها أقرت . الجديد . العددان ٤/ ٥، سنة ١٩٧١ . ص ٤

١) سميح القاسم : حديث الشهر . الجديد . العدد ٤ سنة ١٩٧٠ ص ٣

ولقد أشار رجاء النقاش إلى نضال سميح القاسم في كتابه أدباء معاصرون) قائلاً :
" والواقع أن ظهور سميح القاسم بهذه العاطفة الثورية ، وبهذا الشعر العنيف المتفجر كان مفاجأة للرأي العام الإسرائيلي ، وكان على وجه الخصوص مفاجأة أكثر بالنسبة للسلطات الاسرائيلية ، ذلك لأن سميح « شاب درزي » ، وقد حاول الاسرائيليون منذ سنة ١٩٤٨ ، سنة اعلان قيام إسرائيل ، ان يخلقوا نوعًا من النزاع الطائفي بين الأقلية العربية التي بقيت في الأرض المحتلة ، والتي بلغ تعدادها سنة ١٩٦٦ مايزيد على ثلاثماية ألف عربي ، من بينهم مايقرب من خمسة وعشرين ألفًا من الدروز (١) .

استطاعت السلطة من خلال لعبتها هذه (التفرقة الطائفية) النفاذ إلى اعماق بعض العناصر العربية الدرزية التي تقطن الجزء السليب من فلسطين ، ففرضت هذه العناصر على المواطن العربي الدرزي العمل في جيش الدفاع الاسرائيلي ، ليحمل سلاحه ويشهره في وجه اخوان له فوق الأرض العربية الفلسطينية ، والأرض العربية المجاورة . ففرضت بهم . وناضل سميح ضد هذه الظاهرة ، وسجن في سبيلها ، وطُردَ من عمله في سلك التدريس ، لأنهُ يحمل مبادىء وأفكار تسمم أذهان الطلبة (٢) .

لم تكتف السلطات الإسرائيلية بهذا القدر من سياستها نحو العرب الفلسطينيين المقيمين على أرضهم . بل عملت كل جهودها السياسية ، والقمعية البوليسية العسكرية ، لقمع حركات التحرر ، او كل انتفاضة تريد أن تزيل عن كاهلها غبار الصغار والعار ، للتخلص من هذا الاحتلال ، وحظرت الأحزاب ، والتجمعات غير المرخصة ، وضيّقت الخناق على الأحزاب المسموح بها . ومنعت نشر صحفهم في بقية أنحاء اسرائيل ، كما فعلت في صحيفة الاتحاد ، ومجلة الجديد ، وصحيفة الغد) التابعة للحزب الشيوعي الاسرائيلي حتى أنّها لم تسمح نشرها في القدس ، لانّ الحزب الشيوعي الاسرائيلي لايعترف بضمّ القدس العربية لاسرائيل . فامتلأت سجون بيت ليد ، وعسكلان ، والدامون ، وغيرها بالآف الأحرار من عرب فلسطين الشرفاء .

ففي غمرة الأحداث ، وخلال الفترات المتعاقبة فوق الأرض الفلسطينية ، حدثت في فلسطين المحتلة أحداث جسام كان لها أثر كبير ، انعكس على شخصية شاعرنا سميح القاسم ، ابتداءً من مذبحة دير ياسين سنة ١٩٤٨ وانتهاءً بمذبحة كفر قاسم ، وحرب السويس ، واحتلال القطاع ، وسيناء ، والوقوف على ضفاف القناة سنة ١٩٥٦ بالتواطؤ مع بريطانيا وفرنسا (٣) . . .

١) رجاء النقاش : أدباء معاصرون (ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية القاهرة) ص ٢٦٢ .
٢) مقابلة مع سميح القاسم أجريتها في بيته بحيفا شارع عباس في ٢١ / ٣ / ٩٧٥
٣) راجع الفصل الأول من الباب الأول من هذه الرسالة .

هذه الأحداث الجسام والوقائع جاءت وصمة عار في جبين الإسرائيليين ومصيبة عظمى في تاريخ الشعوب، وتجسيداً لرغبات الساسة الصهيونيين بالتواطؤ مع الامبريالية العالمية. وتواترت الأحداث وتكررت الاعتداءات الاسرائيلية على الضفة الغربية، فدخلت السموع وقلقيلية وقبيه وغيرها (١)... والاعتداءات المتكررة على الأراضي السورية، وتوالت السنون، ونشبت الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة سنة ١٩٦٧م.

٥ حزيران سنة ١٩٦٧:

في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م نشبت الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة وأسفرت عن احتلال ما تبقى من الارض الفلسطينية. واجزاء اخرى من بعض البلدان العربية المجاورة للارض الفلسطينية. وتغيرت لديه بعض المفاهيم السياسية فسميح القاسم يقول: ((وفي سنة ١٩٦٧ شعرت أن الناصرية كالبالون ضخم، وتفجر وثبت أن بداخله هواء بالرغم من الانجازات الكبيرة التي حققتها الناصرية والتي أسهم فيها عبد الناصر شخصيًا، كما نشأ لديَّ شعور بأنَّ الحركة الناصرية، وحركة التحرر العربية يجب أن تنتقل إلى مواقف أكثر ثورية. وفي رأينا أنَّ هذه المواقف تتمثل في الماركسية. وقدمت طلبًا للحزب أثناء وجودي في السجن)) (٢)...... وهو الذي يؤكد أن الخامس من حزيران مولده من جديد ((وفي الخامس من حزيران ولدت من جديد)) (٣)... هذه الأحداث أضفت إلى السطح أبعاداً سياسية كبرى، إذ ظهرت إلى حيِّز الوجود حركة رجال المقاومة الذين عملوا على اقلاق راحة العدو. ويشيد سميح القاسم في معرض ردّه على السيدة "فكتوريا غروس" من حيفا التي شاهدت على شاشة التلفزيون لقطات من الحوار الذي جرى في (نادي الأخوة) بحيفا بين الكتاب والشعراء العرب واليهود ("أ. ب يهوشواع"، سميح القاسم ("يورم كنيوك") محمد طه "ايهود بن عيزر") سالم جبران، سهام داود في ٣٠ — ٥ — ١٩٧٦م. يردُّ على السيدة التي تصف المقاومة بالارهابيين قائلاً لها:

---

(١) مناطق في الضفة الغربية تعرضت للاعتداءات الاسرائيلية قبل ١٩٦٧، وفي سنة ١٩٦٥ على وجه التحديد.

(٢) مجلة الغدير: العدد الأول. تشرين الأول سنة ١٩٧٢ ص ٤، ٤، ٥

(٣) لقاء مع سميح القاسم حياتي وقضيتي وشعري. الجديد، العددان ٤، ٥ سنة ١٩٦٩ ص ٢٦.

((لا تقولي ياسيدتي، ان المقاومة الفلسطينية تعني قتل التلاميذ، والرياضيين، فقد ثبت بالدليل القاطع، انه كان من الممكن تلافي مثل هذه المآسي . ثم ان ظاهرة الارهاب، ليست سوى ظاهرة هامشية بالنسبة للمقاومة الفلسطينية . ومن واجبنا ان نذكر دائما ان الارهاب الفلسطيني، تلقى دروسه الأولى في دير ياسين، وقبية، وكفر قاسم، والى آخر القائمة وهي طويلة حقا)) . . (١) . . . .

تأثر سميح القاسم، للاحداث الدامية على الساحة العربية الرامية لتصفية الفلسطينيين، وحرقهم فوق الثرى العربي الطهور ، فتأثر لحوادث أيلول فقال . . . .

((غير ان شهر ايلول الاسود ، أصبح رمزًا مكثفا للجريمة والمأساة ورمزا للصمود والبطولة ليفيض نوره ولظاه عن حدود البصر والبصيرة)) (٢) . . .

وهاجم مشروع (روجرز) الذي رأى فيه هدفًا خبيثا جاء به ليظهر الفلسطينيين وكأنهم العنصر المعوق في طريق احلال السلام في المنطقة)) (٣) وتعرض للأحداث الدامية على أرض لبنان. فيقول : ((حتى جاء ايلول ١٩٧٢، حيث استغل التوسعيون الاسرائيليون، ومن ورائهم سيدتهم وشريكتهم الولايات المتحدة الامريكية مأساة ميونخ)، ليدفعوا بقواتهم الى لبنان ، وليصنعوا بأيديهم الملطخة بالدم الفلسطيني، والدم العربي ايلول أسود ثانيا)) (٤) . . . .

حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣

نشبت الحرب العربية الاسرائيلية في السادس من اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ م، في العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ، واستطاعت الامة العربية، ان تعيد ثقتها بنفسها . تأثر سميح القاسم بهذه الحرب . ولقد كتب في كتابه من فمك أدينك (تحت عنوان (الفساد) وحتمية التاريخ حرب رمضان ١٩٧٣ م . في معرض تحليله وعرضه لكتاب الفساد (٥) . . .

---

١) نادى الجديد : صفحات للرأى والحوار . الجديد، العدد ١٠، سنة ١٩٧٤ ص٤٨

٢) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد . العدد ٩، ايلول سنة ١٩٧٢، ص ٣

٣) م . ن ليكن واضحا الجديد العدد ٩، ايلول سنة ١٩٧٢ ص ٣

٤) م . ن = = = = ص٤

٥) كتاب اسهم في وضعه سبعة من ابرز الصحفيين في اسرائيل ، وكانوا ضباطاً او جنودا او مراسلين عسكريين في اكثر من حرب اسرائيلية وهم : "يشعياهوبن فورات"، "يهونتان جيفن") او ("اورى وان") "واتيان هابر"— "وجازى كرمل" — "او ايلي لانداو" "وايلي تابور"— عالجوا فيه الفساد واسبابه ووصفوا الاوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية السيئة التي لحقت بالاسرائيليين .

وقد تناول سميح هذا الكتاب فقال : "ابرز كلمتين اتت بهما حرب حتمية التاريخ) المسماة أيضا حرب رمضان او حرب يوم الغفران هما كلمتا (زلزال)و(محدال) اما الزلزال فنعرفة ،واما محدال فهي لفظة عبرية فعلها الثلاثي هو:حدل، ومعناه قف او توقف،وهي تخبر باختلال النظام وقصور الوتيرة . . (١) . . ،

تأثر سميح القاسم بالدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز ، والدول المحبة للسلام،والتي تطالب باستمرار،وتدعو لتحرير الشعوب المغلوبة .

واكبت هذه التطورات،والاحداث تطورا في حركة المقاومة الفلسطينية على الصعيد الدولي . اذ استطاعت الدول العربية بموازرة الدول الاشتراكية والعالم الثالث . ان تدرج القضية الفلسطينية على بساط البحث . وارجاعها الى البحث بعد ان بقيت بعيدة عن المسرح السياسي . وانتقلت المشكلة من مشكلة (اللاجئين) الى مشكلة سياسية (مشكلة شعب طرد من أرضه . وظهرت ايجابية تطور الأحداث بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ م بتحرك بعض الدول الاوروبية ومطالبتها بحق تقرير المصير . وعبرت عن آرائها وسياستها باجتماع وزير خارجية فرنسا سوفانيارغ) برئيس منظمة التحرير في بيروت (٢) .

نشاط السلطة الاسرائيلية في الداخل للتأثير على عرب اسرائيل :

عملت السلطة الاسرائيلية كل جهودها طمن العرب عرب فلسطين في صميم فوءادهم فلم تتح لهم الظروف المناسبة ،لمواصلة تعليمهم نتيجة للغلاء الفاحش، ولكثرة الضرائب،والرسوم المدرسية الباهظة ،ولارتفاع مستوى المعيشة،وللظروف السياسية المفروضة عليهم ، ووضع العراقيل امام مواصلة تعليمهم الجامعي لا سيما الأقسام العلمية (٣) . . . . وهذا ما لمسته شخصيا على الأرض الفلسطينية المحتلة . اذ اشرفت السلطة الاسرائيلية على نظم التعليم . وحذفت المواد التي لا تروق لها . رغم وقوف رجال التربية امامها،ليحولوا دون تنفيذ رغبات السلطة . وعملت جاهدة على تقليص التوسعات المدرسية ،ووضعت العراقيل امام العربي المثقف ،لتقف حائلاً دون التطلعات المثمرة البناءة .

---

١) سميح القاسم : من فمك ادينك ص ٩٣ (منشورات عربسك عكا : ص ب ١١٢٣ تلفون ٩١٢٤٣١) .

٢) تم الاجتماع في بيروت (يوم الاثنين الموافق ٢١-١٠-١٩٧٤ م

٣) راجع الحياة العقلية والفنية على الارض الفلسطينية . الفصل الرابع من الباب الاول

ولا جهاض الحركة العلمية . ولكن بفضل جهود، وتصميم ابناء الوطـــن الفلسطيني المحتل ، تكسرت الحواجز ، وبقي رجال التربيــة يعملون كالشموع التي تحتـــــرق لاسعاد ابناء امتهم ، ولايجاد شباب مثقف، ليستطيع الوقوف بالمرصاد لكل التغييرات، والحركات المشبوهة التي تعمل في العلانيــة ، مدعومـة من الدول المستعمرة ، وكذلك أعوانهم الذين يعملون كالخفافيش في الخفاء للدس، والوقيعـــة بين الأخـــوة على الأرض الفلسطينيــة ، ليسهل على اسرائيل تمزيق كل أمل للعربي الفلسطينـــي، للتخلص من نير الذل والعبودية والتقهقر .

حاولت السلطة الاسرائيلية الدس والوقيعة بين العرب المسلمين، والعـــــرب المسيحيين فوق الارض الفلسطينيــة ، ولكن الاحداث اسقطت آخر قناع عن وجـــــه السلطة الزائف، وعرته امام الرأى العام العالمي باعتقال رجل من كبار رجال الديـــــن المسيحي على الارض الفلسطينيــة المطران (كبوتشي) الذي الصقت له السلطـــــة تهمـة التخريب ، والتعاون مع رجال المقاومـة الفلسطينيـة، للقيام باعمال عدائيــــة ، والتي لاتزال قضيتــه تشغل الرأي العام العالمي المسيحي والمسلم .

تكشفت الحقائق أمام العرب بهم، وظهر لهم جليًا ان اسرائيل لاتدخر وسيلـــة، للتخلص من أعدائها الواحد تلو الاخر . ولتضرب بعضهم ببعض . ولكن الاعيبهـــــا انكشفت ولاتزال تتكشف يومًا بعد يوم .

واتضح للعالم عنصرية السلطة التي لاتفرق بين مسلم، ومسيحي، وحتى بين العناصـــــر اليهودية انفسها . فظهرت حركة الفهود السود الذين ثاروا لكرامتهم .

كل هذه الاحداث السياسية الجسام . كان لها أثر كبير على الحياة السياسية للافراد الفلسطينيين، وخاصـــة الذين بقوا صامدين تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ ميلادية، وشاعرنا سميح القاسم واحد منهم .

كل هذه الاحداث عاشها ولا يزال يعيشها الشعب العربي في فلسطيـــــــن ومايعانيه من ارهاصات ، وضغط لتنال من جهودهم وصمودهم ، ولتفتر من عزائمهـــــم، ليخلو لها الجو المناسب، لتحقق اطماعها باقامة الوطن اليهودي من النيـــــل الـى الفرات .

استفادت اسرائيل من تفرق الكلمة العربيـــة . وعدم تقدير العرب للمسؤوليـــة حق قدرها . ولعدم تنظيم وسائل الاعلام تنظيما سليما . فكانت اسرائيل تأخـــــذ من افواههم ومن اذاعاتهم ومن تصريحاتهم كلمات التهديد والوعيد ، التي كانـــت

تصدر عن اناس اخطأو التقدير ، لتترجم اقوالهم الى لغات العالم ، وتنقلها عبـــــر وسائط اعلامها ، لتنال عطف العالم . وبالفعل استطاعت الحركة الصهيونية ان تنال عطف العالم مستغلة الاحداث التي أصابت يهود العالم على يد النازيـــة ، واستطاعت ان تصور نفسها الحمل الوديع بين وحوش مفترسة ، تتحين الفـــرص للانقضاض عليها . حتى تمكنت من اغتصاب ماتبقى من الثرى الفلسطيني الطهور ، ووقعت المقدسات الاسلاميـــة والمسيحية في أيدي الاحتلال ، والتي لم تراع لهـــذه المقدسات حرماتها وداست على شعور العالم الاسلامي والمسيحي باشمالهم فـــي مقدساتهم واماكن عبادتهم . فأحرقت المسجد الأقصى ، ولا تزال دائبة العمل لهدمه فهي مستمرة في عمل الحفريات تحته للبحث عن هيكل سليمان ، مما يهدد المسجد بالانهيار .

كلّ هذه الاحداث واكبها سميح القاسم ، وعاصرها واكتوى بنارها ، فألهبت شعوره الذي زعزع السلطات ، لا سيما وان الشاعر من الطائفـة الدرزيـة والتي تحاول جاهدة لضمها الى صفوفها ضد القوميـة العربية .

هاهو مولد سميح القاسم الزماني . وسط الاحداث ، ولهيب النار في قلـــب بركان متفجر ثائر ، في وسط ملتهب ، تغذيـه الاحداث بسمومها ، وتزيد الـــدول المستعمرة اشتعال البركان بما تسكبه عليه من نفط . نفط احقادها وأضغانها ، ليتحقق لها السيطرة على الشعوب وثرواتها . ضاربـة بالقيم الانسانية النبيلة عرض الحائـــط دون تردد من جانبها مع ماتمثله من مخاطر تنعكس آثارها على الشخصيـة الفلسطينية بخاصـة والعربية بعامة ، وهذا مالمسناه من سميح القاسم . فعلاقاته مع أسرته ، والاحداث الزمانية التي شهدها ساهمت في بناء شخصيته بالصورة التي عرفناها من خلال عرضنا السابق . فما اثر المولد المكاني على الشاعر سميح ؟ وماهو مـــدى ارتباطه وتعلقه بالمكان ؟ هل انعكس ذلك على مفهومه وعمله وبنائه ؟

مولده المكانـــي :

ولد سميح القاسم في ١١-٥-١٩٣٩ م في مدينـة الزرقاء الاردنيـة .

والزرقاء : احدى كبريات المدن الاردنية في وقتنا الحاضر . تابعة لجبال البلقـاء التي تمتد بين نهري الزرقاء والموجب . ويبلغ ارتفاع جبال البلقاء مابين ٨٥٠-١٠٠٠ متر عن سطح البحر وقديما كانت تعرف بجبال ربة عمون) تكثر في هذه الجبال الخيرات من حبوب وبساتين وكروم الزيتون وخضار وتشتهر سهولها واديتها بتربية المواشي .

تقع مدينة الزرقاء على مسيرة اثنين وعشرين كلو مترا شمالي عمان ، وترتفع من سطح البحر (٦١٠) امتار، وبها ٩٦٥٠٠ نسمه (١) ..

ينسب لمدينة الزرقاء الاردنية نهر الزرقاء الذي يفصل بين جبال عجلون، وجبال البلقاء والقريبة من مدينة الزرقاء . ويبلغ طول النهر المذكور خمسمائة وسبعة كيلو مترات، وينبع من جبال البلقاء القريبة من مدينة الزرقاء . ويستفيد منه سكان المنطقة ولقد وصفت الزرقاء من قبل ياقوت الحموي) بقوله: (الزرقاء أرض شبيب التبعي الحميري، وفيه سباع كثيرة مذكرة بالضراوة وهو نهر يصب في الغور (٢) ...

الرامة :

تقع الرامة على سفح جبل حيدر (٣) ... في منتصف الطريق بين عكا و صفد ، وهي قرية جميلة جداً ونظيفة ، ويلاحظ زائرها انها تتمتع بمستوى معيشي، وثقافي جيد .

والرامة : بلدة جبلية في الشمال الشرقي من عكا ، في منتصف الطريق بينها وبين صفد . مساحتها ٥٣ د ونما. بها (١٦٩٠) نسمة (٤) ...

سكان الرامة الاصليون هم مسيحيون ودروز، ويعيش فيها اليوم عدد من لاجئي القرى المجاورة من المسلمين والمسيحيين . ولعلَّ الرامة كانت أول قرية عربية تشهد معركة نضالية ضد حكام اسرائيل . ففي اوائل الخمسينات ، احتلتها من جديد قوات من الجيش والشرطة بهدف مصادرة موسم الزيت والزيتون الذي تشتهر به . ولكن صمود الاهالي ووحدتهم حالا دون تنفيذ أمر المصادرة رغم ان عددا من الشبان اعتقلوا بعد معركة يدوية عنيفة مع المعتدين (٥) ....

---

١) مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين . الجزء الاول ـ القسم الاول . دار الطليعة بيروت ـ ط ١، سنة ١٩٦٥، ص ٣٢٣

٢) معجم البلدان ٣ / ١٣٧ ـ بيروت ١٥٧ ياقوت الحموي . دار بيروت دار صادر بيروت، سنة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ .

٣) يبلغ ارتفاعه ٣٤٣٥ قدما : ١٠٤٧ مترا فهو ثاني قمم الوطن السليب في علوها. وجبل جرمق الذي يقع شمال غربي صفد اعلى قمم البلاد اذ يبلغ ارتفاعه ٣٩٦٣ قدما : ١٢٠٨ امتار .

٤) مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين . ج ١ ، قسم ١ ـ (دار الطليعة بيروت كانون الثاني سنة ١٩٦٥، ص ١٥٠

٥) مقابلتي مع سميح القاسم في بيته بحيفا بتاريخ ٢١/٣/١٩٧٥ .

الرامة : تبدو لزائرها أشبه بجزيرة في بحر من الزيتون . ورغم ان الزيتون لم يعد مصدر رزق كافيا للبلدة بسبب سياسة حكام اسرائيل التي تستهدف ضرب الانتاج العربي . فان أهل الرامة ، يحافظون على ماتبقى من زيتونهم غير المصادر باعتباره رمزًا لكرامتهم ولعراقتهم القومية الوطنية . .

تربط اهل الرامة علاقات متينة من المحبة والاخوة . وفي عام النكبة حاولت السلطة طرد معظم المسيحيين من البلدة الى لبنان ليعيشوا في دولتهم المسيحية على حدّ تعبير السلطة ولكن الدروز رفضوا التخلي عن اخوانهم ، وتضافرت جهودهم مع جهود دروز قرية (البيت جن) وحين سمعت السلطات المطلب الاخير : اما ان نبقى جميعا أو نرحل جميعا . فقد سمحت للمسيحيين بالعودة ، بعد ان نهبت بيوتهم وحوانيتهم .

قام جنود الاحتلال للتمييز بين منازل الدروز والمسيحيين برسم دائرتين على هذا الشكل " ⓞ " على بيوت الدروز . وبايعاز من أهلهم ، قام بعض الأولاد الدروز وبينهم سميح القاسم برسم الدائرتين على أبواب جيرانهم المسيحيين مستعملين صبغة الغسيل (النيلي) للتمويه على المحتلين ، ولانقاذ بيوت جيرانهم .

وقد قامت قوات الاحتلال بتفتيش المنازل الدرزية ، ومصادرة ماتريد ، وحين فتشوا منزل سميح ، صادروا بعض قطع الأسلحة . وأرادوا أيضا مصادرة بزة والده المحتجز مع سائر رجال القرية في احدى الساحات . غير ان والدة سميح انتهرتهم قائلة : (هذه البزة جزء من شرف زوجي العسكري ، ولا أسمح لكم بمصادرتها وانا على قيد الحياة . واما تشبثها ببزة زوجها العسكرية خرج جنود الاحتلال آخذين معهم كل ما اعتبروه ذا صبغة عسكرية (١) . . .

بلدة الرامة الجليلية موطن المعلم الناصر (ناصر جريس عيسى) الذي انهى دراسته الابتدائية في الرامة وانتقل الى الثانوية المسكوبية في الناصرة فتخرج منها بتفوق متمكنا من اللغة العربية واللغة الروسية طارحا بواكيره الشعرية على تلاميذه في بيت لحم وعكا (٢) . . .

---

١) مقابلتي مع سميح القاسم في بيته بحيفا بتاريخ ١٣-١٢-١٩٧٤

٢) مجلة الجديد : المعلم ناصر — شاعر من الرامة . العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٧٤ ص ٢١

مدينة الناصـرة :

اكمل فيها سميح القاسم دراسته الثانوية,وعمل فيها مفتشا في دائرة تنظيـــم الأراضي . ومنها اعتقل وسيق الى سجن"الدامون",وقضى في الناصرة قسطا من سنــي حياته

والناصرة مدينة مقدسة لدى المسيحيين,وهي مدينـة جبليـة جميلة . تحيــط بها الجبال المرتفعة ، فيقع شماليها جبل (تابور) او طابور)،ومنهم من يطلــق عليه اسم الطور،والذي يرتفع (٥٦٢) مترا عن سطح البحر . وتعتبر قيمته من أجمــل ماتقع عليه الانظار . فمن قمته تشاهد جبل الشيخ ، وجبال شرقي الاردن الشماليــة وبحيرة طبرية ومرج ابن عامر ،والكرمل والبحر الأبيض المتوسط .

يقع جنوبيها جبل دحية الكلبي ،المتوفي عام ٤٥ هـ . وهو جبل الدحي .) وينسب الى الصحابي الجليل،دحية الكلبي م ويبلغ ارتفاعه (٥٥٠) مترا عن سطــح البحر . ومن القمم التي تحيط بالناصرة ،قمـة جبل النبي (سرجين),ويبلغ ارتفاعة (٥٠٠) مترا عن سطح البحر .

الناصرة,مدينة عريقة جميلة,لها تقدير خاص في قلوب المسيحيين . (.... والناصرة عروس الجليل ،الحافلـة بالذكريات المسيحيـة المقدسة ،والتي كان بيتــا من بيوتها قد جمع الطهارة بأكملها ،وانشأ شابا خالصا من كل شائبـة في وجه دنيا رجس وسوء (١) ...

سكان الناصرة خليط من العرب المسيحيين،والمسلمين . وموقعها جميل,ولها اثر كبير في نفوس ساكنيها ،يحملون لها المحبة والتقديس ، (الناصرة : ترتفع عــن سطح البحر ٣٥٠ — ٤٥٠ مترا : ١٩٤٨ — ١٤٧٦ قدما . مساحتها ٤٩٨٨ دونما . بها (١٤٫٢٠٠) نسمة،بينهم (٨٦٠٠) مسيحي،و (٥٫٦٠٠) مسلم . وفــي الناصرة كنائس،واديرة كثيرة,تذكارا للسيد المسيح الذي نشأ وقضى ٢٧ — ٢٨ عامــا من حياته فيها . وفيها اثار تاريخية مسيحية متعددة منها : عين العذراء) التــي يقال ان الملاك بشّر سيدتنا مريم بالمسيح حينما كانت تستقي من هذه العين ثــم اتم بشارته في البيت وغيرها (٢) ..

---

١) مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين . الجزء الأول,القسم الاول .(دار الطليعة بيروت) ، ص ١٣٥ .

٢) م . ن : ص ١٦٩

يضم تراب الناصرة جثمان الشاعرين الشهيدين : عبد الرحيم محمود ، الــذي استشهد في معركة (الشجرة) الشهيرة . والشاعر مطلق عبد الحق الذي استشهد في حادث طرق في حيفا ، بينما كان في طريقه لاداء مهمة وطنية . هذه هي مدينة الناصرة التي أقام فيها سميح القاسم قسطا من الزمن ، ولا يزال يتردد عليها من حين لآخر ، لان أصحابه فيها وذكرياته متعلقة بترابها المقدس .

مدينــة حيفــا :

يقيم سميح القاسم في مدينة حيفا بسبب عملة ، لانه يعمل محررا في صحيفة (الاتحاد) ومجلة الجديد . وحيفا مدينة جميلة . موقعها الممتاز أضفي عليها جمالا رائعا . يحيط بها البحر والسهل والجبل . وفيها (نهر المقطع) الذى يعرف أيضا باسم نهر حيفا ، وهو ثالث انهار فلسطين ، اذ يبلغ ١٣ كم .

حيفا مدينة صناعية . يوجد فيها معامل لفائف التبغ والصابون ، والروائح العطرية ومعامل تكرير البترول . وفيها آثار خالدة : ففيها مشهد جميل لغير عبد البهاء عباس البهائي المتوفي عام ١٩٢١ . وقعت حيفا في يد الاسرائيليين في ٢٢ نيسان عام ١٩٤٨ .

يسكن حيفا خليط من العرب المسيحيين والموحدين (الدروز) والسنيين واليهود . ولكن الغالبية من اليهود .

يقطن معظم السكان العرب في شارع عباس . ويقطن سميح القاسم منزلا متواضعا في الشارع المذكور . وعندما زرته في بيته إخبرني ان هذا المنزل (لفلان) (١) . وابن اخته احد رؤساء الحكومات العربية ، وكان هذا الرجل رئيسا لبلدية حيفا قبل الاحتلال الاسرائيلي لها . وباع السوق العربية فيها . ولده مسؤول عن الاوقاف الاسلامية ، والتي حدثت فيها فضائح تدعو للخجل . والذي تزوج من فتاة يهودية أنجبت منه طفلتين وبعدها تركته زوجته لتتزوج من يهودي . وعندما سألته عن الشارع الذي يقع امام منزله . الى اين ينتهي هذا الشارع ؟ قال لي (انتبه لهذه الملحوظة جيدا ، والتي تقال على سبيل التفكه والتندر . ولكنها واقعية الى حد ما : ان هذا الشارع له مغزى كبير في نفسي ونفس كل مواطن عربي هنا . لا يمتد طوله اكثر من بضعة عشرات الامتار . وبعدها يصادف طريقا مسدودا . ومعظم

---

(١) حسن عباس رئيس بلدية حيفا قبل ١٩٤٨ وابن اخته زيد الرفاعي رئيس وزراء الاردن السابق .

سكانه من العرب واليهود على قدر المساواة تقريبا . وان هذا الشارع المسدود ، لدليل على ان التفاهم العربي اليهودي المزعوم نهايته الى طريق مسدود مثل هذا الشارع (١)

هكذا سميح القاسم في زمانه ومكانه ، في حله وترحاله . شديد الملاحظة ، كثير الايحاء ، متوقد الذكاء ، مشعل نور وحرية . ينير الدرب لاخوته المضللين . يكافح بالكلمة الحرة الجريئة ، لا يخاف بطش يد الظلم والعبث . وهو يقضي معظم اوقاته متنقلا بين مختلف البلدان الفلسطينية ، يكافح ويناضل من أجل الكرامة والحرية . فازداد تمسكه بالمكان ، والتصاقه بالارض فهي عالقة في ذهنه وبادية في عمله وتصرفه مالفائدة التي نجديها من دراسة طبيعة الارض الفلسطينية بالنسبة للشاعر سميح ؟ هل لجمال الطبيعة اثره الفعال في صقل وفكر الشاعر ؟ ماذا يعني سقوط الارض التي أحبّها الشاعر وتعلق بكل ذرة من ذرات ترابها ؟ كيف عبّر الشاعر عن حبه العميق لطبيعة تلك الارض؟

طبيعة الارض الفلسطينية :

فلسطين من أقدم ممالك التمدن الشرقي القديم . وتقع في قارة آسيا في الجزء الغربي منها ، بين خطي عرض ٣٠ ٣٩ و ١٥ ٣٣ شمالا . وبين خطي طول ١٥ ٣٤ ، ٤٠ ٣٥ شرقي خط غرينتش) وهي جزء من سوريا الكبرى وتؤلف القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام .

يقع غربي فلسطين البحر الابيض المتوسط ، وشرقيها الاردن الذي يفصل بينهما نهر الاردن . والشمال الجمهورية العربية السورية (والجمهورية اللبنانية ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة .

فلسطين مستطيلة الشكل طولها ممتد من الشمال الى الجنوب نحو (٤٣٠) كم ، وتبلغ مساحة فلسطين حوالي (٢٧٫٠٠٩) كيلو مترا مربعا .

تكاد تكون طبيعة الارض الفلسطينية فريدة من نوعها . فالساحل الفلسطيني ، يكاد يكون مستقيما . قد لا تجد مثيلا له في سواحل الكرة الارضية .

يكثر في فلسطين الانهار والبحيرات والجبال والصحارى . ولهذا يتفاوت مناخ فلسطين من منطقة لاخرى حسب موقعها الجغرافي .

---

(١) مقابلتي مع سميح ، في حيفا بتاريخ ١٩٧٤/٩/١٣ .

تهبُّ على فلسطين رياح الخماسين وهي رياح شرقية مزعجة ، جافة حارة . والريح الجنوبية الغربية تقبل بالمطر، ففي فلسطين الصيف الجميل مثل رام الله، والمرتفعات الفلسطينية ،وفيها المشتى الفريد من نوعه (اريحا) لموقعها في الغور قرب البحر الميت وهي اكثر بقاع الارض انخفاضا عن سطح البحر . (١)

ففلسطين لموقعها الجغرافي الممتاز ، تصارعت عليها الامم منذ فجر التاريخ حتى يومنا ،وتحطمت عليها جهود الغزاة وهي بلاد مقدسة لدى الأديان الثلاثة المسيحية واليهودية والاسلامية . ففيها موطن الاسراء والمعراج، وفيها الحرم الابراهيمي ومقام سيدنا ابراهيم عليه السلام،وفيها كنيسة المهد ، وكنيسة القيامة وفيها حائط المبكي . إليها تهفو الافئدة ، افئدة ملايين البشر . ففيها اقسم رب العزة قائلا . . التين والزيتون وطور سنين) (٢) . . . :

وعنها ،قال الرسول الكريم — صلوات الله عليه :(عن ابي امامة ان النبي — صلى الله عليه وسلم قال : انزلت علي النبوة في ثلاثة امكنة ، بمكة والمدينة والشام (٣)

وعن معاذ قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم : (يامعاذ ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدى . من العريش الى الفرات . رجالهم ونساؤهم واماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة . فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام ، اوبيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة (٤) . .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه — عن النبي (صلى الله عليه وسلم ، قال : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد . المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى (٥)

وقال النبي الكريم صلوات الله عليه — (ابشركم بالعروسين : غزة وعسقلان . (٦) . .

وفي الحديث كذلك (طوبى لمن رأى عكا) (٧) . . .

---

(١) سعيد الصباغ : الاطلس العام بطبعة اوفست دى اغسطيني — ميلانو ط ٤ ، سنة ١٩٦٠ ، ص ٢

(٢) القرآن الكريم — سورة التين الايه ١

(٣) حديث نبوي شريف . التاريخ الكبير لابن عساكر ١ / ٣٦ .

(٤) مجير الدين الحنبلي : الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ص ١٤٥

(٥) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى : صحيح البخارى جـ ٢ المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق القاهرة ١٣١٤ هـ ص ٦٠

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٤ بيروت دار صادر ١٩٥٥ ص ١٢٢

(٧) القزويني : آثار البلاد واخبار العباد . بيروت ١٩٦٠ ص ٢٢٣

وكذلك ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٤ بيروت دار صادر ١٩٥٥ ص ١٤٤

ولقد تطرق مؤرخو وجغرافيو العرب الى فلسطين فوصفوها . قال القلقشندي : وقد ثبت في الصحيح ان المسيح ـ عليه السلام ـ يقتل الدجال بباب لُدّ (١) .. ووصفها ابن حوقل بقوله : (فلسطين ارض بلاد الشام) (٢) ... ووصفها الادريسي بقوله : (ديار فلسطين جنة البقاع ، بلد ازكى بلاد الشام (٣) .

فكل الادلة والقرائن تدل على ان فلسطين مقدسة ، وهي موطن الديانات الثلاث المسيحية واليهودية والاسلام ، فيها ولد المسيح عليه السلام ، وفيها اقام موسى وابراهيم واليها اسرى النبي العربي فقال سبحانه (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) (٤) ...

فلسطين بلاد الوحي والخير والجمال . حيث تمتاز بروائع تكونها ، أو بجمالها الطبيعي الساحر الخلاب ، وبمناخها الجميل ، واريج ازهارها الفواحة . وبسهولها الخضراء ، وطيورها الغناء .

ففي الجبال تتجلى عظمة فلسطين على مر العصور لانها تطلُّ على السهول والاغوار والنجود . وكانت معقل الثار ضد الغزاة . فمنها تشاهد مناظر الطبيعة وروعتها التي تكمن خلالها الفتنة والجمال ، ويظهر فيها السحر الخلاب . ففي الربى يبهرك الجمال الرائع ، وتستنشق الهواء المنعش ، ويسحرك نغمات خريره المتدفقة من الجداول والانهار ، وحفيف الاشجار المتحركة التي تتراقص عليها أجمل نغمات الحياة . ففي السهول الخصبة المنتشرة ما بين المرتفعات والاودية والشعاب والوهاد يسرك اخضرار الطبيعة واصفرارها . فترى انتشار الأشجار والفواكه والأثمار ، وغابات اشجار الزيتون المباركة تدغدها نسمات الرياح الخفيفة . ومن على جبال الجليل المتنزة الجميل انتشر الاشجار الوارفة الظلال ، والازاهير الزاهية حيث تتجلى روعة الطبيعة وسحرها في الجليل وطبية والحولة وبيسان . ففي

---

١) الشيخ ابي العباس أحمد القلقشندي : صبح الاعشى . ج ٤ (مطبعة دار الكتب الخديوية القاهرة ١٩١٤) ص ١٠٠

٢) م . ن . ص ٨٩ = = = = = =

٣) الدومنيكي الاب ا . س مرمرجي : بلدانية فلسطين العربية (مطبعة جان دارك بيروت سنة ١٩٤٨ ، ص ١٨٢

٤) سورة الاسراء : الآية ١

الفصل الثاني

مراحل حياة سميح القاسم

قصة حياة سميح القاسم

سأتناول قصة حياة سميح القاسم من ثلاث زوايا . واتدرج في حياته الى ثلاث مراحل ، حسب تطوره الجسمي (الفسيولوجي)، والنفسي، تبعًا لتطور الحياة، وتطور الظروف السياسية ، وتطور المفاهيم لدى سميح ، وتغيرها لتغير صور الحياة الطبيعية ، التي فرضتها عليه قسوة الحياة، ومرارة التاريخ ، وظلم صانعي الاحداث الاليمة في حياة الشعوب ، اعداء الحرية والحياة الحرة .

والمراحل الثلاث استطيع تقسيمها حسب الاتي :

المرحلة الاولى : تبدأ من مولده لغاية ٥٤ — ٥٥ ، عام اكتشاف سميح الشاعر .

المرحلة الثانية : تبدأ من عام ٥٤ — ١٩٥٥ حتى حرب حزيران ١٩٦٧ عام النكسة .

المرحلة الثالثة والاخيرة : تبدأ من عام ٦٧ حتى يومنا هذا .

المرحلة الاولى :

ولد سميح القاسم في مدينة الزرقاء : ومنها تحرك ليلا إلى قرية الرامة، في قطار للبضاعة تحت احتياطات مشددة ، وفق نظام تعقيم صارم، ترقبًا من الغارات الجوية ، ولكن سميح القاسم، شأنه شأن الاطفال بكى . وحين بكى الطفل الصغير سميح القاسم، أصيب ركاب القطار بهلع وفزع شديدين ، لأن في بكائه جلب الطائرات الألمانية لتقصف القطار الليلي ، مما يعرض حياة ركاب القطار للخطر المحقق، وهو الموت .

هم ركاب القطار خنق سميح القاسم ، ولكن والده حال دون تنفيذ رغبتهم . ويخبرني سميح القاسم حول هذه الذكريات قائلا : ((هذه الحكاية التي رواها لي والدي، اصبح لها اليوم مفهوم خاص عندي ، واعتقد أنها احد المركبات المهمة في نفسيتي ، التي تنزع بعنف الى حرية التعبير عن الرأي ، وترفض كم الافواه)) (١)

بعد انتقال سميح القاسم إلى قريته الرامة بدأت حياته . وذكرياتها عالقة في ذهنه حتى اليوم .

---

(١) مقابلتي الشخصية لسميح بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٤

الجليل تقع الناصرة موطن المسيح — عليه السلام — البلدة التي تحمل الذكريات المسيحية المقدسة . ففي فلسطين بالقدس التي تضم المقدسات الاسلامية والمسيحية واليهودية رمز التآخي والمحبة والسلام ، وفيها اولى القبلتين ، وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين المسجد الاقصى المبارك ، فيها رفات الصحابة وماتحمله من ذكريات جميلة وبطولات خالدة عطرتها دماء الشهداء .

تنتشر في فلسطين بيارات البرتقال واشجار الليمون . ففيها البشرى وجنات الخلد والنعيم . فلموقعها الجغرافي الممتاز ، تصارعت عليها الامم منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا ،لتفسد احلام أهلها ،لتحمل المآسي إلى الاطفال الابرياء والامهات الثكلى ، لانها حلقة الاتصال بين عرب آسيا وعرب افريقيا : فلسطين تقصر عن الوصف (من الذي يدعي ان في وسعه وصف جمال البقعة المقدسة من الارض (١) . . . هذه فلسطين الحياة،وقعت بأيدي عديمي الحياء ومغتاليها فتجسدت فيها آلام شعب ذل فحمل ابناؤه مشعل الكفاح لينيرو الدرب امام الاجيال القادمة ، ليسجل لهم التاريخ صفحات مشرقة ناصعة ومشرفة .

لقد حبت الطبيعة الساحرة وجمالها الخلاب حب الشاعر لها،وتمسكه بقدسيتها فبرزت في أعماله الادبية ،فاهتز للاحداث التي تعرضت لها فلسطين عبر عصورها ، فأثارت تلك الاحداث المأساوية سميح القاسم الذي احب الارض وجمالها ، وتعلّق بكل ذرة من ترابها ، فاتحد بها اتحادا جسديا ونفسيا : عبر عن حبه لها بتعلقه وتمسكه بها ،وبمقاومة يد البطش بعدم الانصياع لرغبات الأعداء،وبمناصرة كلّ داع للمحبة ، والمساواة لازالة الظلم والاغتصاب والعيش معا بعيدا عن المضايقات النفسية التي يتعرض لها المواطن الفلسطيني . . . فملكت الأرض لب الشاعر وتفكيره . وحبه وحياته تتغنى بها وبجمالها ودافع عن قدسيتها وحرماتها . وستلمس ذلك بوضوح اشمل في الفصل الثالث مراحل حياة سميح القاسم . هل لحياة سميح القاسم قصة ؟ ماهي المراحل التي قطعها الشاعر في حياته ؟ كيف برزت شخصيته من خلال (تلك المراحل التي قطعها ؟ ما المفاهيم التي طرأت على فكر الشاعر وتصوراته للوضع على الارض — الفلسطينية وفي المنطقة العربية ؟ متى تم اكتشاف الشاعر سميح ؟ وكيف ؟ وما هي المحاولات التي قام بها في سبيل تعزيز شاعريته ؟ وما المخاطر التي تعرض لها في جسده وفكره ؟ .

---

(١) مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين جـ ١ ،ط ١ ك٢ سنة ١٩٦٥ منشورات دار الطليعة،بيروت ،ص ١٣٧ .

ينزع ويميل سميح القاسم منذ طفولته للحرية والاستقلال الشخصي ، ويطمح لان يصنع مايريد .

ولقد حافظ والده على استقلال شخصيته . سميح القاسم شديد الالحاح في اسئلته ليتلقى الاجابة الشافية عنها . وما ان يسمع سميح والده قائلا له: في الغد سأصحبك معي، حتى يبدأ سميح يلح على والده مستفسرا عن المكان الذى سيصحبه إليه والده . لا بد من ان يكون على فكرة تامة ، ووضوح في الرؤيا حول المكان الذى سيذهب اليه . لا يريد ان يستسلم استسلام العجزة ، بل كان ذكيا، وعفويا، وبريئا في تصرفاته ، مما زاد حبة في قلب والديه الرؤوفين الحنونيــن .

هذه الشخصية ليست بعيدة عنا، لم يلب طلب السلطة عندما طلبت منه تأديــة الخدمة الاجبارية، ولكنه رفضها . لماذا ؟ لانه عرف أهدافها ومدلولاتها ، لــــم يغرره، وصادف ماصادف في سبيل ذلك ، لا يحب الهجوم الاعمى على الاعمال دون دراستها وتفهمها . وسميح القاسم نفسه يقول :

((وكنت الح في السوءال الى اين ستأخذني يا أبي إلى أين؟))(١)

لم يكن ينام حتى يهمس والده في اذنه بهدوء ويخبره . انه سيرافقه الـــى الارض . ارض سميح القاسم . بعيد ذلك ينام نوما هادئا . ويطمئــن بهدوء ولهذا ليس غريبا مانلمسه في شعر سميح القاسم من كثرة تعلقة بالارض الارض الفلسطينيـــة ، لانّ حبه لها نما، وكبر مع نموه الجسمي والفسيولوجي والنفسي . وتمر الايام وتحمــل في طياتها حبا كبيرا من سميح للارض يقول في شأن ذلك: ((ولم اكن أحسن النوم . الا بعد ان يهمس والدي بهدوء الى الارض . . إلى أرضنا))(١) . .

يتذكر سميح القاسم رقة والده، ولطفه في معاملته ، يتذكر كلمات والده لـــه سيترك له حرية اللهو، والمرح، ليفعل مايريد ومايطيب .

كان القاسم في طفولتــه ينهض مبكرا، ليرافق والده الى أرضهم وليصحبه الـــى الحقل في طليعة النهار ، وقبل شروق الشمس . يحس بكف تهمز كتفه ، وتهز هـــزا خفيفا . ويشعر بصوت طيب عميق يناديه سميح — سميح — قم ياولدى ، يجب ان تمشي سأعود بعد دقائق لا جدك مستعدا . ولكن سميح القاسم في تلك اللحظات يجمـــع

---

(١) سميح القاسم : غاية الطفوله : الجديد . العددان ١ ، ٢ سنة ١٩٦٧ ص١٨ ص ١٨

(٢ م . ن .

كان سميح القاسم في طفولته يحب اللعب ، ويطيل الغياب عن منزله قبل ان يعود الى بيته القروي . كان في التاسعة من عمره تقريبا، بعد عودته من مدينة الزرقاء الاردنية . كان سميح القاسم ، مليئا بالحيوية والنشاط . كثير الحركة والعبث . تخاف والدته عليه خوفا شديدا، لطول غيابه خارج البيت، وتوءنبه بسبب ذلك، وتقول له : ((الم تشبع من الشقاوة في ساحات البلد وشوارعها)) (١) ....

سببت شقاوة سميح القاسم لنفسه في طفولته متاعب جمة ، اذ كانت ركبتاه تصاب بجروح نتيجة وقوعه ارضا ، وتصاب ثيابه بالتمزق والاتساخ وشعره تعلوه الغبرة يتذكر سميح ذلك جيدا ، يتذكر كلام والدته ، عندما كانت تقول له : ((دميت ركبتاك ياولد وتغبرت ثيابك وشعرك واذناك)) (٢) .. وكان لسان حال سميح القاسم يجيب والدته على استفساراتها، وتساوءلاتها ، انني اريد، ان العب أكثر من كل الاولاد ، اريد أن اذهب بعيدا، واعود متأخرا ، وان افعل ما اشاء ، أريد ان أمرح، وكأن سميح القاسم يستعد لاستقبال ظروف وايام مليئة بالمتاعب . ليروض نفسه على الصعاب والمشقات ، ليكسر طوق الجمود ، والتمزق والتفسخ . نعم لقد كانت والدة سميح الحنونة ، تشفق على ولدها من ان تكلم ركبتاه . لقد كانت والدته (هناء شحادة) تزداد غضبا وزجرا ووعيدا ، لأن سميحا لم يكن يرتدع او يغير من نظام حياته ، كان صلبا منذ نعومة أظفاره . يعمل الاشياء التي يريدها ويفعل مايرغب، وازدادت صلابته حدة، وقوة عندما شب كبيرا . وخير دليل على مانقول : مقارعة سميح القاسم للاحتلال ، وازعاج السلطات بأشعاره الوطنية الثائرة الغاضبة وفي رفضه الخدمة الاجبارية .

سميح القاسم شديد التعلّق بوالديه . يحبهم حبا مافوقه حب . يبادلهم مايبادلونه، يتذكر سميح القاسم تدخل والده اللطيف في معاملته له " ليخفف من حدة والدة سميح " ليعد سميح القاسم، انه في الغد، سيصحبه بعيدا، ليلعب كيفما يشاء ، ومثلما يريد، بعيدا عن التدخلات التي تحاول تحديد حريته ، ليفعل الطفل سميح مايريد فعله . وفي هذا الشأن يقول : ((كانت أمي تزداد غضبا وزجرا ووعيدا وهنا يضع ابي كوب الشاي على مائدته ليتدخل بهدوء، وليقول لي بهدوء : حسنا يابني، غدا اخذك معي بعيدا كما تريد ، ولتفعل هناك مايطيب لك)) (٣) ....

---

(١) سميح القاسم : غاية الطفولة . الجديد العددان (٢٠ سنة ١٩٦٧ ص ١٨
(٢) م ، ن ١٨
(٣) م ، ن ١٨

نفسه تحت غطائه، ويضع ركبتيه الى ما تحت ذقنه ، متكورا في الدفء كالقط ، وبعدها يصحو على وقع خطى تقترب من سريره ، خطى والده التي حفظها عن ظهر قلب . يخاطبه والده نبرة قوية تحمل العنف نوعا ما لتزجره ، ويتوعده بسكب الماء البارد على قدميه ، ان لم ينهض ليصحو . وفي ذلك يقول سميح :

((ولكنني اذكر صوته العسكري وعباراته الصارمة ، كان والدي في تلك اللحظات تعود اليه شخصية الضابط التي عاشها اعواما عديدة ، فيصيح بي : ماهذا ياولد ، انسيت ماقلته أمس؟ أم ندت ؟ ان كنت لا تنهض حالا فسأسكب على قدميك ماء باردا لتصحو)) (١) . . . . ولكن هل كان سميح القاسم يخشى تهديد والده ؟ وان لم يكن يخشاه . ماهو سبب ذلك ؟ .

الحقيقة يعترف سميح القاسم نفسه ، بانه لم يكن يخشى والده من حكاية الماء البارد ، لانه يعلم جيدا ، ان والده يقلق كثيرا ، اذا شاهد سميحا يعاني قليلا من الزكام . او اذا لمس في وجه سميح ابنه خدشا ، او في مرفقه . سميح المدلل لم يكن يخشى والده ولم يهتم بتهديداته ، لأنه يعلم علم اليقين ، ان والده لا يجرؤ على تنفيذ تهديده خشية على صحة ابنه ، ولكن سميحا بعد ما ينهض ويسير برفقة والده تأخذه الهواجس ويخجل ، ويندم من الحاحه على والده .

كانت تحد و سميح القاسم الرغبة الشديدة في الرد على التحدي . ولكنه في النهاية ينصاع لاوامر والده . يقول سميح القاسم ((كانت الرغبة في الرد على التحدي تتغلب علي)) (٢) . . . ولكن هذا التصرف من سميح ، كان يصادف استحسان الوالد محمد القاسم . فيرمق ولده باعتداد ، ثم يمضي الوالد محمد ليحمل بندقية الصيد ، ويصحب ولده سميح القاسم .

يحب سميح والديه اشد الحب ، ويعجب بهما اشد العجب ، لحرصهما عليه ولمحافظتهما على استقلاله الشخصي ، وتنمية روح الاقدام والاستقلال والاعتماد على النفس . وخاصة من قبل الوالد الحكيم . ولكن سميحا يتذكر حرص والدته عليه ، عند ما كانت تشيعه بالوصايا ، والتحذيرات من العقارب ، والافاعي ، ومن ضربات الشمس وتطلب من سميح الا يبتعد عن والده ، خوفا عليه من الحوادث . هذا الحرص الشديد له صدى عميق في نفسية سميح القاسم . فهو شديد الحرص على عروبته واعتزازه

---

(١) م ن ١٦
(٢) سميح القاسم : غاية الطفولة الجديد : الديوان ١ ، ٢ سنة ٦٧ ، ص ١٩

بقوميته ، ومطالبته بالتحرر، والانطلاق من وحشية قيود الظلم والعبودية .

يتذكر سميح القاسم وصايا والدته ويقول ((كنا نبتعد ابي ،وانا ومن ورائنا كلبنا السلوقي المرح عن البيت . وملاحظات امي لاتنتهي . ولكن تنبيهاتها الان . كانت تأتي مفعمة بالحنان : احذر الافاعي يمه العقارب تكمن تحت الحجارة . لاتبتعد كثيرا عن ابيك، لا تتسلق الاشجار العالية ،لاتترك . . . لا . . . لا . . .)) (١)

يحمل سميح القاسم منذ طفولته حبا عميقا لاهالي قريته . ورثها أباً عن جد ورثها عن اهالي القرية انفسهم، يحبهم، لتسابقهم في الصباح الباكر لاماكن عملهم، ولمزارعهم . يعجبه منهم التسابق، والمباراة في المبادأة لطرح تحية الصباح . يعجبه التسامي، والتآخي يقول: ((في طريقنا نحو الارض ، نحو ارضنا كنا نلتقي بابناء قريتنا كل في سبيله ورزقه ،وكنت احس كأنما هناك نوع من السباق ،كأن ابناء قريتي يتبارون في المبادأة بطرح تحية الصباح (٢) . . .

التصاريح العسكرية راسخة في ذهنه منذ نعومة اظافره . عالقة في ذهنه يتذكرها واثرها المفزع في نفسية ابناء قريته الرامة . يتذكر الحادثة التي جرت بين رجلين من رجال قريته . يتذكر جيدا تلك الحادثة ،وأقوال الرجل الذي علل عدم ذهابه للعمل ، لعدم منحه تصريحاً . وفي هذا الشأن يقول سميح : ((إلى جانب أحد البيوت وقف شاب في عز الشباب ،واخذ ينادي سعيد ، سعيد ، ياسعيد ، وانفتحت نافذة اطلّ منها شاب يرتدي فانيلا زرقاء .

ـ صح النوم يا افندي، وصباح الخير .

ـ صباح النور .

ـ اطلع .

ـ الى اين المطلع ؟

ـ الاتنوي ان تذهب اليوم الى الشغل ؟

ـ ا شغل ياشيخ، اولاد الحلال ماعطوني تصريحا)) (٣) . . .

جبل حيدر الاخضر وذكريات الطفولة :

على سفح جبل حيدر الاخضر ،أحد جبال الجليل ،الذي يقع شمالي قرية الرامة . والذي يبلغ ارتفاعه ٣٤٣٥ قدما : ١٠٤٧ مترا ، وهو ثاني قمم الوطن

---

(١) م . ن، ١٩٦٥

(٢) م . ن ١٩٦٥

(٣) سميح القاسم : غاية الطفولة . الجديد . العددان ١ ، ٢ سنة ١٩٦٧ ص ١٩

السليب في علوها ، وفي المسرب الضيق الذي يتصع في نهايته ارض سميح القاسم . كان سميح يسبق والده محمد القاسم في السير ، كان يقفز مرحا وطربا ، تشده الذكريات ، وتسرح به بعيدا يتخيل والده ضابطا ببزته العسكرية المهيبة ، التي كان يراه فيها منذ طفولته المبكرة ، هناك على الجبل الاخضر . كان يستعيد ذكرياته ، وذكريات الطفولة المبكرة عندما كان والده محملا باصناف الحلوى والهدايا ، ليروي لابنائه مشاهداته في سوريا والاردن والجزيرة العربية وايران . وفي غمرة تلك التصورات و التخيلات ، وفجأة تفرك تحت قدمية حصاة فيقع أرضا ويسارع الاب الرحيم ليأخذ بيد ابنه ، وينفض عنه الغبار والشوك . من على الجبل الاخضر ، كان سميح القاسم يرمق قريته الرامة ، ويتغنى بجمالها ، والتي يصفها بقوله : ((وتحدين مني التفاتة الى قريتي والتي اصبحت كلوحة في اطار اخضر لا نهائي ، او كجزيرة في بحر من اشجار الزيتون الغامقة لا حدود له : كنت امتص قريتي بعيني بيتا بيتا او شارعا شارعا واحاول ان احزر بيوت جميع لداتي فلا أصحو من ذهولي ، الا لاكتشف ان ابي اضحى بعيدا عني فأخف اليه كعصفور كجدي ، كنسمة))(١) . . .

وعلى رأس الجبل الاخضر ، يتذكر سميح القاسم والده . عندما كان يقف على رأس الجبل ليجفف عرقه ، ويسرع سميح ليقف بجانب والده محمد القاسم ، ليحدثه عن أخبار جده ، فكان سميح يشعر باعتزاز وفخر عجيبين ، عندما يروى له والده حكاية جد سميح مع الارض . وهذه الحكاية بعض ماهو عالق في ذهن سميح عن قصة جده مع الارض .

((جدك يابني لم يكن فلاحا عاديا ، كان خالق أرض ، هذا الميراث العريض الذي خلفه . . هذا الميراث الذي يوفر الحياة الكريمة لعدة أسر . صنعه بيديه . . بقوة زنديه طوع الصخور ، غزا سفوح البلآن وحولها الى جنات عنب . فتح السهل البري والوادي المتوحش بجلد وتفان وقال لاشجار الزيتون : كوني : فكانت : حتى الغابات المستعصية هذبها جدك . . شذب اشجار البلوط ، ودعي اجباب البطم بينما انا واعمامك في بلاد الغربة . نصارع ونغامر ، فنتعرض للاخطار ونحارب في سبيل نجوم من الفضة ، تلمع على اكتافنا ولكنك ترى ياولدي انتا عدنا اخيرا عدنا بعد طول تجوال لنرتاح على اعتاب بيوت جدك : وننعم برزق من خيره ، كل شيء يذهب ياولدي حتى النجوم الفضية إما عدا الارض . الارض وحدها الباقية ، الأرض كانت رصيدنا الوحيد في بنك الدنيا ، لم نعبأ بها ذات يوم ، ولكننا بعد طول المطاف ، عدنا لنسالها ما ادخرته لنا من قوت كريم))(٢) . .

---

(١) م . ن ص ١٩

(٢) سميح القاسم : غاية الطفوله . الجديد . العددان ١ ، ٢ سنة ١٩٦٧ ص ٢٠

ألستم معي، انّ في حديث محمد القاسم لولده سميح ، خير قوة ، وخير زاد ينمّي فيه شخصيـــة ابنه ؟ يقوي ثقته بنفسه ، يزيد من تعلّق ولده بأرضه ، أرض اجداده ؟.
الستم معي، انّ في حديث الوالد لولده ، عن قوة الزنود التي تطوع الصخور، فيهـــــا تلميح للارادة القوية ، والتصميم العنيد ، والكفاح المرير ضد الظلم والعبودية ؟ وللاجتهاد وفي نيل مايريد الانسان ولو بعد حين ؟ الستم معي في قول الوالد لولده: لم يكن جدك فلاحاً عاديا ، بل كان خالق أرض، يحمل ايحاءات وتصورات كبيـــرة وعميقة ؟ ففي الكينونة المنفية والمقلوبـــة المجزومة معنى التغيير والفور في صميــــم الاشياء ، والتصميم العنيد . وفي كلمة الفلاح معنى الفلاح، والفوز، والوصول الى النجـــاح فيما ينبغي الانسان ؟ وفي كلمة (خالق) معنى الابداع والابجاد، والقدرة الفائقـــة ، مع قوة الارادة ، ليبث في نفس سميح الحمية ؟ أليس في جملة (هذا الميراث العريــــض ، الذي يوفر الحياة الكريمة لعدة أسر . صنعه بيديه القوة زنديه) تثير الايحاءات وتوارد الخواطر ؟ فكلمة الميراث، تعني وتهدف للطريق الشرعي، والقانوني في استلام مايستحق المرء . وفي هذا تعريض بالاغتصاب والاحتلال غير الشرعي .
اليس في كلمة (عريض) معنى القاعدة الصلبة ، والارضية الثابتة ؟

فكلّ ماورد في قصـــة الوالد لولده من غزو صخور، قوة زنود ، فتح ، سهول ، برّي، ومتوحش ، الجلد ، وتفان ، وفي صيغ الامركوني) فكانت ، وشذب، ومستعصي وغيرهـــــا ؟ كلها تحمل القوة والاصالـــة والتصميم ، والعودة الى الجذور ، جذور التاريخ . عودة الى الاصـــل والمنبع . عودة الى الحقيقة الثابتة الدامغة . وأخيراً لابد لي من أن اقف عند جملة قالها الوالد لولده من قصـــة جد سميح مع الارض لما لها من مدلـــــول واثر واضح، في شخصية وحياة سميح القاسم الا وهي : (ولكنك ترى ياولدي اننا عدنـــا أخيرا ، عدنا بعد طول تجوال لنرتاح على اعتاب بيوت جدك لننعم برزق من خيره) هذه الجملة تؤكد العودة ، عودة الى الحياة الحرة الكريمـــة ، عودة الى الاصـــــل ، والمنبع، والجوهر ، عودة الى التاريخ المرير ، لاخذ العبرة . عودة الى البعث مـــــن جديد ، عودة للاجئين في كل مكان . عودة للاصالة الحرة الكريمة ، عودة لمحاســـبة النفس والضمير .
وبالفعل ان هذه الكلمات كان لها اثر كبير على نفس سميح القاسم وشعوره . عمقت لديه حب الوطن، والانسانية ، حب الضمير الحي ، وحب الانسانية المعذبة المغلوبـــــة على أمرها .

وبالمقابل عمقت شعور الكراهية ضد الظلم والاستبداد . ضد التظلم والجبروت

ومن هنا بدأ سميح القاسم يناضل من أجل الحياة الحرة الكريمة،لأنه يؤمن بما بثه والده في نفسه من قوة الشخصية ،والاستقلال الشخصي ،وتنمية الشعور ،والعودة الى التاريخ . فلا غرابة فيما نلاحظه من الاكثار للعودة والاستشهاد بالتاريخ ،والغوص الى الاعماق . اعماق الاشياء ودقائق الامور،وسبر اغوارها، وكراهية الزيف ،والقشور، والسطحيات ،والاعمال الارتجالية اللامسؤولة،والغوغائية ،لان سميح القاسم يؤمن ان الحق سيرجع الى اهله مهما كان متعبا ،ومهما كانت الاحوال والظروف وهو نفسه يقول: (كانت في عودتي متعبا ،متعبا ،واليوم،وقد كبرت قليلا ، اصبحت أؤمن ان العودة دائما يثقلها التعب)(١) ...

فالعودة تتطلب من المرء الكفاح،والاستمرارية في النضال،وتحمل المشقات ، وصنوف العذاب .

لم يبق لسميح القاسم من كرم العنب الذي خلفه له جده،ولا من الجذع الأول من الغابة التي تسلقها،ولا من الشمس التي كانت المرشد له،ولا اسراب العصافير المذعورة التي تطير مفردة والتي تشدو بشتى الوان الالحان ،سوى الذكرى . الذكرى الطيبة التي كانت ،والتي افسدتها يد الظلم والبطش والعدوان . لأن الغابة صودرت — ضمتها دائرة اراضي اسرائيل الى املاك الدولة . ويتذكر سميح القاسم بريق عيني والده ،كانتا تلمعان ،عندما أخبره والده عن مصادرة الارض،والتي جسدت أزاء عيني سميح القاسم ذروة العذاب الانساني .

انقطع سميح القاسم عن زيارة الغابة ، عندما انتقل للناصرة،ليكمل دراسته الثانوية والتهائه بالعمل .

اراد سميح القاسم ذات يوم،ان يجدد أيام الطفولة بعد عودته من الناصرة، فاندفع الى غابته كالمصعوق الى غابة الطفولة،ويقول: ((اندفعت اسأل قلبها ،ان كان حقا لم يعدلي (٢))) . فليس غريبا ان نرى سميح القاسم شديد التعلق والتفني بالارض ،شديد الالم والمرارة . المرارة التي تعصر قلبه،او تدمي كلمه ،وتنزق وتنزف حتى ينفس عنها بصرخة مدوية في وجه الظلم والطغيان . اليس في كلام القاسم الاتي خير دليل على الالم والامل المشوب باليقظة والحذر .

وها نحن مع بعض جمل من جمل القاسم النثرية :

---

١) سميح القاسم : غابة الطفولة،الجديد العددان : ١ ، ٢ ،سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٠

٢) سميح القاسم : غابة الطفولة،الجديد: العددان ١ ، ٢ سنة ٩٦٧ ص ٢١

عبثا تجدي ضراعتي وان انا لجمت عقارب الساعة ، فجواد الزمن لا يعرف اللجام . عبثا احاول الخلاص من جاذبية الغد ، ولو لكسرة من البرهة . . ان حبا لا من النار تشد قدمي ابدا الى الامام . . الى الامام ، ولو تحجرت للحظة ، فالويل لي من السقوط .

العاصفة رفيقتي في سيرتي ، والشمس منارتي الابدية ، وخُطايَ تجتاز الحياة ، وتخترق الموت . . على كتف احمل تابوتي ، وعلى كتفي الاخر احمل كيسا من الخيش شواهد القبور الرخامية ، والاف الاشباح تنتصب على جانبي الطريق ، لتسألني في فصول طيب .

— ماذا تحمل في كيسك ايها الشاب ؟

— في كيس الخيش احمل يا أحبائي ، حقيبة مدرستي ، وثياب العيد ، وعلب الحلوى الفارغة وغابة الطفولة .

— الا تحدثنا عن غابة الطفولة ايها الشاب ؟

— بلى . . . أحدثكم يا احبائي . . . ولوالدي كروم من الزيتون ، وكروم من العنب واللوز . ولوالدي كانت غابة فيها من السنديان ، والعبهر ، والخروب ، والاجاص البريّ .

— تقول (كانت) ايها الشاب ؟

— دعوني اتكلم ، دعوني أقول كانت ولا أقول : انها ليست بعدا (١)

لماذا سميح ينطق بالألم والامل ؟ لماذا يخاطب الجمهور ؟ هل من احد ؟ كيف نستغرب منه هذا الحمل ولم يَعد لسميح حرية زيارة الغابة ، الا بعد ان يحصل على تصريح عسكري . وسميح نفسه يقول : (اليوم صار عليّ أن اتحرّز بتصريح اذا شئت ان اودي طقوس الوفاء لغابة طفولتي . ولكن قدس الاقداس يا احبائي ، مازال راسخاً عميقاً في جذور السنديان ، والخروب ، والعبهر ، وغابة طفولتي — طفولتي يا احبائي ، مازالت تحملها وشما ابديا . . ذكرى باقية بقاء الكرة الارضية نفسها (٢) . . . . .

كيف لا يتألم القاسم ويرى الاغراب يعملون ويزرعون فوق أرضه الموروثه ، ومحرم عليه زيارتها ؟ ولكن هذا ليس بغريب في قانون الغاب ، ومن قبله شدا امير الشعراء أحمد شوقي قائلا : أحرام على بلابله الدوح م علال للطير من كل جنس (٣) . ؟ .

---

١) م . ن ؛ ص ١٨

٢) م . ن : ص ٢١

٣) احمد شوقي : الشوقيات . دار الكتاب العربي — بيروت ، ط ٢ ، ص ٤٦ .

سميح القاسم دائم التعلق بالماضي ، يعود بذاكرته دائما لعام ١٩٤٨ ويعتبره المولد الحقيقي له ، والمولد النفسي ، فقال : اما المولد الحقيقي (النفسي) فقد بدأ عام ١٩٤٨ م) (١) ... ودائما يكرر هذه العبارة ، ففي لقائه مع الاديب اللبناني محمود كروب في صوفيا (٢) .. ومن خلال اللقاءات والندوات التي اشترك فيها معه ، سجل الحديث الذى دار بينهما في مجلة الطريق ، اللبنانية (٣) ... وقامت الجديد في حيفا التابعة للحزب الشيوعي الاسرائيلي بنشر الحديث الذي دار بينهما ، فقال سميح في لقائه مع الاديب محمود دكروب : (اعتبر ميلادي الحقيقي سنة ١٩٤٨ ، لان الصور الأولى التي اذكرها هي صور احداث ١٩٤٨ .. انهيت دراستي الثانوية في الناصرة ، ووجودي كل تفكيري ، وصور حياتي تنطلق من هذا الرقم (٤٨) في مدرسة تضم طلابا من كل الطوائف . كان لها أثر كبير وحاسم في توجيهي السياسي (٤) ...

لا زالت صور الطفولة تلازم سميح القاسم دائما ككابوس ، والتي تكاد تصبح عقدة نفسية . فصور الجنود الهاربين الى مختلف الجهات ، الى الشمال والشرق دون انتظام ، وملامح الرعب التي كانت تملأ وجوههم ، حالتهم وهم يسيرون مشيا على الاقدام ، ومواصلة المسير اكثر من ليلة دون خلع الثياب والاحذية . يتصور سميح هؤلاء عندما كانوا يستعدون للرحيل ، وصور كبار الضباط الذين كانوا قد هربوا بكامل رتبهم وبهيأتهم الميدانية في سياراتهم العسكرية .

يتذكر سيارات جيش الدفاع التي حملت السكان المسيحيين لتقذفهم إلى لبنان ليقيموا في دولتهم المسيحية ، وترحيل أهالي قريتي "اقرت" و"برعم" واستمرار سياسة التفرقة الطائفية ، والتي خاض ضدها معارك عنيفة مع السلطة فأفقدته وظيفته في سلك التعليم وفي عمله الصحفي .

يتذكر سميح القاسم احاديث الجدة وحكاياتها ، والاناشيد الحربية الشعبية ، والروايات والقراءات الدينية كلها مجتمعة كان لها اثر كبير في تكوين شخصيته ، انعكست على نفسيته فنيا ومعنويا وسياسيا . بالاضافة الى استكمال دراسته الابتدائية في بلدته الرامة في مدرسة الراهبات وفي المدرسة الابتدائية الرسمية . ثم الجو

---

٢) صحيفة الفجر : العدد ٢٦٤ ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٤ ، ع ١ .

٣) صوفيا آب ١٩٦٨ . مهرجان الشبيبة الديمقراطية العالمي في بلغاريا . اما الدكتور هاشم يافي في كتابة (حركة النقد الادبي الحديث) فانه يذكر ان اللقاء تم بموسكو ص ٢٢٣ . ويذكر كذلك ان محمد دكروب نشرها في كتاب (عن الموقف والفن) وحياتي وقضيتي وشعري .

٤) محمد دكروب : مجلة الطريق . كانون الاول ١٩٦٨ وجمع هذه المعلومات في كتاب له (عن الموقف والفن حياتي وقضيتي وشعري)

٥) الجديد . لقاء مع سميح القاسم . حياتي وقضيتي وشعري) العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٩ ، ص ٢٤

الذي فرض عليه من قبل احدى بنات عمه ، جو المنافسة الرهيبة ، مما جعل سميح القاسم، يرحب بفكرة انتقاله إلى الناصرة لمتابعة دراسته الثانوية حتى يتخلص من ذلك الجو الرهيب .

بعد كل هذا العذاب والعقاب والمصادرة والحرمان ، وهذه القوة في الشعور ، والاندفاع الى الاعماق في تحقيق الحق ، يطلب من سميح بأن يلتحق بالجيش لاداء الخدمة . ولكن سميحا لم يكن سهلاً كما تصورت السلطة ذلك ، فمالها مارأته من صلابته وقوته وتصميمه الموروث عن اسرته العريقة ووالده العسكري ، فلا غرابة بعد كل هذه الاحداث ، ان يتحول سميح القاسم من الشقاوة والمرح او من الطفل الضاحك دائما الى ذئب عصبي غاضب .

يكثر سميح القاسم من التحدث عن طفولته في اشعاره ونثره . فسميح في قصيدة له تحت عنوان (من هنا تعبر النسور) يصور فيها طفولته .

مكتبة البيت القديمة
كنت تلميذا . . . . وكان
في دماغي افعوان
علموني انني صفر وضيع علموني
انني خرقة عار وهوان
ولد خلفه الاعراب في بيد الزمان
علموني . . .
ان أخاف النور . . . ان اخفض للنار جبيني
كنت مغلوبا . . . وكان . . .
في دماغي افعوان (١)

سميح القاسم دائم الرجوع في ذكرياته الى عام ١٩٤٨ ويقول سميح عندما علق على ديوانه (دخان البراكين) : هذا الديوان الأخير اصدر بعد حرب ١٩٦٧ ، ولا بد ان اشير هنا الى مايميز شعرنا بعد حزيران : لقد خرجنا من السجن بعد اسبوعين من الاحداث الفاجعة . كتبنا قصائد فيها مرارة والم .

والى جانب قصائد الصمود في دخان البراكين « هناك قصائد تتضمن نقداً ذاتيا مرا منها مثلا : قصيدة " التعاويذ المضادة للطائرات " وهي ليست من احداث ه حزيران مباشرة بل هي عودة الى ذكريات عام ١٩٤٨ م (٢) . . .

---

١) لقاء مع سميح القاسم : حياتي وقضيتي وشعري ، مجلة الجديد : العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٩ ص ٤

٢) الجديد : لقاء مع سميح القاسم . حياتي وقضيتي وشعري العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٧ ص ٢٥

وفي قصيدته (خطاب من سوق البطالة) يحمل طابع العنف والتحدي . وفي شأن ذلك قال ابراهيم ابوناب : (اذا كانت مهمة الشاعر ان ينطق الشعب الاخرس وان يصنع له الامل : فلقد فعل ذلك الشاعر سميح القاسم في قصيدته (خطاب من سوق البطالة) .

ربما أفقد ماشئت — معاشي .
ربما اعرض للبيع ثيابي وفراشي .
ربما اعمل حجارا ،
وعتالا .
وكناس شوارع .
ربما أخدم في سوح المصانع
ربما أبحث — في روث المواشي — عن حبوب .
ربما أخمد . . . عريانا . . وجائع .
ياعدو الشمس . . لكن . . لن أساوم .
والى آخر نبض في عروقي . . سأقاوم . .
ربما تسلبني آخر شبر من ترابي .
ربما تطعم للسجن شبابي
ربما تسطو على ميراث جدي ،
من اثاث . . .
واوان . . ،
وخوابي . .
ربما تحرق اشعاري وكتبي
ربما تطعم لحمي للكلاب .
ربما تبقي على قريتنا . . . كابوس رعب .
ياعدو الشمس . . لكن . . لن أساوم
والى آخر نبض في عروقي
سأقاوم (١)

---

(١) ابراهيم ابوناب : الجذوة الشعرية الفلسطينية بعد النكبة . الآداب . العدد ٣ اذار (مارس) السنة الرابعة عشرة ١٩٦٦ عدد ممتاز خاص بالشعر العربي الحديث (مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر ص . ب ٤١٢٣ بيروت تلفون ٢٢٨٣٢) (المطبعة الكاثوليكية توزيع المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت — لبنان) ص ٨٥ .

هكذا كانت طفولة سميح القاسم الملتهبة ، المغذية بروح القوة والتصميم والاندفاع الكريم نحو الحياة، والحرية، والكرامة ، ونيل العزة، والفخار ، ليمهد سيرة الحياة الطبيعية ، وفق ناموس الحياة الطبيعي ، لدى كل القوانين، والشرائع ، والانظمة الانسانية المتعارف عليها بين الناس كافة ، دون تفريق وتشتيت .

ولا بد لنا من ان ننتقل الى مرحلة أخرى من مراحل النضال . مراحل الكفاح في مسيرة العودة الشاقة ، المليئة بالصعاب ، المزروعة بالشوك ، مثلما كان ضربه : السرب الضيق الى جبل حيدر ، مليئا بالحصى ، التي أوقفته اكثر من مرة . ولكن الاشواك، والحواجز، لم تستطع ايقافه ، لأنَّ عوده اصلب وتغذى بروح المحبة، وقوة الشخصية، والشجاعة الكريمة، والاقدام الجريء ، لأنه ورثه عن والديه واسرته العريقة، وعن اهالي قريته الرامة ، وابطالها الخالدين خلود التاريخ .

المرحلة الثانية

سأتحدث عن المرحلة الثانية ، التي تبدأ من سنة ١٩٥٤ — ١٩٥٥ حتى حرب حزيران ١٩٦٧ م، والتي تعتبر امتدادا للمرحلة الاولى ، ومتداخلة معها . وسأبدأ الحديث منذ انهى سميح القاسم دراسته الابتدائية في قريته الرامة، وانتقاله إلى مدينة الناصرة . مولد رسول المحبة والسلام ورمز الاخاء . السيد المسيح عليه السلام .

انهى سميح القاسم دراسته الابتدائية في بلدته الرامة، في الجليل، في مدرسة الراهبات، وفي المدرسة الابتدائية الرسمية . وكان بامكان سميح مواصلة الدراسة الثانوية في بلدته الرامة ، غير ان اهله اثروا ارساله لاستكمال الدراسة الثانوية في الناصرة في كلية تيراسانطة) ثم في الثانوية البلدية. ورحب سميح بالفكرة ، لانها تساعده على الخلاص من المنافسة الدراسية الرهيبة التي فرضتها عليه احدى بنات عمه .

كان سميح القاسم احد التلاميذ البارزين دائما، لاسيما في اللغات. غير ان ورقة رسمية وصلته من السلطة، زعزعته من الاعماق، وشوشت عليه دراسته . وفي الوقت نفسه أصيب بمرض (اليرقان) (آ) . .

ولهذين السببين لم يستعد للامتحانات النهائية، ولم يحصل على الشهادة الحكومية الثانوية . وكانت الورقة الرسمية التي وصلته امرا حكوميا باداء الخدمة العسكرية بصفته أحد ابناء الطائفة الدرزية التي فرضوا عليها، وعلى البدو والشركس، خدمة عسكرية

آ — مرض يصيب العينين بالاصفرار ، مسبب عن مرض كبدي خطير .

الزامية . ولكن سميح القاسم الذي عرف بالتزامه بموقف واضح صريح، كما قال لي اثناء لقائي به: ((وهو الايمان بعروبة فلسطين) ورفض الاحتلال الاسرائيلي رفضاً كاملاً)) (١) . . . وهو ما جاء في كتاب رجاء النقاش (ادباء معاصرون) (٢) . . . الذي يؤكد هذه الظاهرة . فرفض سميح هذا الامر السلطوي ، وتم تأجيل موعد تجنيده سنة كاملة ، ثم سنة أخرى ، واخيرا اعتقلته الشرطة العسكرية وفي هذا الشأن اخبرني قائلا : ((اعتقلتني الشرطة العسكرية ، وسجنتني مدة ثلاثة اشهر لم يسمحوا لي خلالها بمقابلة احد ، ورفضوا السماح لي بتوكيل محام يدافع عني)) (٣) . . .

واذن كيف وصلت اخبار سميح القاسم وامر اعتقاله الى اصدقائه واهله ؟

ان قضية امر اعتقاله ، قد بلغت اصدقاءه في الناصرة مصادفة ، فبينما كان مكبلا بالقيود ، ومحاطا بحراسة مشددة من قبل بعض الجنود المسلحين ، الذين حضروا لنقله من مركز شرطة الناصرة العسكرية الى مكان آخر مجهول . شاهد أحد ابناء الناصرة وعلى الرغم من ان سميح القاسم لم يكن يعرف ذلك الشاب من قبل . فقد صاح به . . ابلغ)(منصور كردوش) ان سميح القاسم اعتقل) (٤) . . . ومنصور كردوش احد قادة حركة الارض ــ فعقد منصور مؤتمرا صحفيا، واعلن اعتقال الانسان سميح وثارت في البلاد ضجة صحفية، كما ان بعض الشباب الدروز كتبوا على جدران قراهم شعارات معادية للسلطة ولقانون التجنيد الاجباري الالزامي التعسفي . غير ان السلطة رفضت كل النداءات لاطلاق سراح سميح القاسم . ولم يكن الجو آنذاك مهيئا لشن حملة شعبية واسعة ، ولم يكن امام سميح القاسم من خيار سوى العمل في التعليم بين المجندين العرب والشركس دون مقابل مادي . او البقاء في السجن الى أجل غير مسمى، وبمعزل عن الناس .

قبل سميح القاسم بشرط التعليم غير انّ سلطات الجيش الاسرائيلي رفضت السماح له بمواصلة تعليم الجنود ، لانه كان يسرب افكاراً ثورية وقومية معادية للسلطة. وقال لي سميح القاسم : ((بعد ذلك تم نقلي للعمل في سلك التمريض والشؤون الاجتماعية وبعد مضي سنتين ونصف اطلقوا سراحي)) (٥) . . . .

---

١) مقابلتي مع سميح بمكتبه في الاتحاد بحيفا شارع الحريري (٢ / ٣ / ١٩٧٥

٢) رجاء النقاش : ادباء معاصرون (مكتبة الانجلو مصرية ــ القاهرة) سنة ١٩٦٨ ص ٢٦٦ .

٣) مقابلتي لسميح في مكتبه بالاتحاد بتاريخ (٢ / ٣ / ١٩٧٥

٤) المقابلة ذاتها

٥) المقابلة ذاتها

اكتشاف سميح الشاعر :

أثناء دراسة سميح القاسم في المرحلة الثانوية ، واثناء كتابته لاحد المواضيع الانشائية فوجيء سميح القاسم ، بقول مدرس اللغة العربية الى ان بعض المقاطع الموجودة في موضوع الانشاء على أنها شعر ((في سنة ٥٤ — ١٩٥٥ م ، كتبت موضوع انشاء ، وفوجئت بأنّ الاستاذ يلفت نظري الى بعض المقاطع في هذا الموضوع قال عنها : انها شعرا. دهشت سهرت بعدها عدة ليال احاول كتابة الشعر ، ولكنني فشلت ، ثم اخذت اقرأ شعرا كثيرا))(١) . . .

استمر سميح القاسم في محاولاته لقرض الشعر حتى افلح، وخطا خطوات واسعة في هذا المجال .

واثناء الدراسة الثانوية، كان سميح قد قطع شوطا بعيدا في قرض الشعر الساخر والهجائي ، وكان زملاؤه يتسلّون بأبياته الساخرة غير ان وعيه السياسي ،كان في طور التبلور ، والوضوح الاولي ، ورافقت ذلك أبيات، وقصائد سياسية وطنية . وبما ان سميح القاسم احد ابناء الطائفة الدرزية، ويكن لها حبا ووعيا وتقديرا، وباعتباره وطنيا صادقا ، وجنديا من جنود الامة العربية ، من جنود الحق المدافعين عن حرية الشعوب (الذين يقاومون الظلم . لم يرق له التمزق الطائفي ولا التفرقة ، والا العنصرية ، فهب مدافعا ضد ظاهرة التمييز الطائفي، وكتب شعرا مباشرا ضد تلك الظاهرة ، وبدأ يطرح شعارات كثيرة . ويقول سميح : ((ان ظاهرة الطائفية هذه كانت عبئا آخر في المعركة ، الى جانب عبء المعركة القومية، والاجتماعية والسياسية، والنفسية فكنت أجد نفسي ملزما بكتابة هذا النوع من الشعر اليومي))(٢) . .

فمن أمثلة ذلك قصيدته بعنوان (لن تهوني) :

لن تهوني ابدا يا مجدلية
لم ازل اغسل رجليك بدمعي
ودمي . . . يا مجدلية
من قرون الهمجية
لقرون الهمجية
فاسلمي ، سلطانة العشق

---

(١) مقابلتي لسميح في بيته بحيفا بتاريخ ١٣/٩/١٩٧٤
(١) مقابلتي لسميح في بيته بحيفا بتاريخ ١٣/٩/١٩٧٤

اسلمي لي واقهليني
سادنا في حضرة الحب المقدس
لن تهونـــــي
لن تهوني ابدا ... يامجدليــة (١)

وفي سنة ١٩٥٨ بعد تخرجه من المدرسة الثانوية بسنة واحدة ، وكان انذاك في التاسعة عشر من عمره صدرت له مجموعته الشعرية الاولى (مواكب الشمس) وهي تضم بعضا من قصائده التي كتبها اثناء الدراسة الثانوية وبعدها ، وقصائـــد قرأها في مهرجانات وامسيات شعرية في المدن والقرى العربية .

التحق سميح القاسم بسلك التعليم بعد فراغه من الدراسة الثانوية وقبـــل اعتقاله الاول . عمل مدرسًا في بعض قرى الجليل . كان سميح القاسم مشعل النـور والحرية في نفوس الطلبة ،كان منارًا وهاديا لهم في احلك الظروف والمحرك الفعلـي لمشاعر الوطنية الصادقـة ، يحدثهم حديث القلب للقلب ، حديث المحب لمـن يحب ، حديث الوفاء والاخلاص ، حديث الوطنية الصادقة والمشاعر النبيلة .

كان سميح القاسم اذا اراد ان ينبه الطالب لاحد الاخطاء ،او يحاول تقريعـه لتشاغله او تخاذله يلقي اليه جملة بسيطة يقول له : ((تريد ان تعمل جنايني)) (٢) . هذه العبارة ترمز لاشياء كثيرة ، ولها مدلولات عظيمة ، فيها تلميح لسياسة اسرائيـل في توجيه العرب ، للعمل في الحدائق والجنائن ، خوفا من مواصلة تعليمهـم . يقولها سميح القاسم للطالب ليبث فيه روح العزم الصادق ،والقوة الفاعلة ،ليتنبـه للاخطار المحدقة به ،وفي الوقت نفسه ، يلمح دون ان يصرح خوفا من ان تصل اليه يد البطش ،ليتسنى له العمل المتواصل في بث روح الوطنية في نفوس الشباب اليافع وشحنهم بالقوة والحيوية ،ليقاوموا التيار المتخاذل الذي يريدهم عمالا وفلاحين ، ومأجورين ، بدلا من ان يكونوا احرارا وسادة . ولكن المدة لم تطل،فبعد صـدور مجموعته الشعرية الاولى(مواكب الشمس) دفعت السلطة لاعتقال الشاعر سميح ،وسوقه للخدمة الاجبارية ،مستهدفة ابعاده عن النشاط السياسي الجماهيري .

كانت السلطات الاسرائيلية تحسب حسابا شديدا للضرر الذي يستطيع سميح القاسم ان يجلبه على سياستها العنصرية الطائفية وذلك لسببين .

---

١) سميح القاسم : صفحات من مفكرة الجديد العدد ٧ لسنة ١٩٦٩ للسنـة السادسة عشرة ص١٥

٢) مقابلتي لسميح في مكتبه بالاتحاد شارع الحريري بتاريخ ١٩٧٥/٣/٢١

السبب الأول : أن سميح القاسم ينتمي لعائلة مرموقة تتمتع بمكانة خاصة في الاوساط الدرزيـة .

والسبب الثاني : ان سميحا مسلح بالكلمة الشعرية ، ذات الاثر البعيد في النفس العربية، ولذلك فقد سعت السلطات جاهدة لتحطيم سمعة سميح بشتى الوسائـل.

وعلى سبيل المثال كما أخبرني سميح القاسم (١) . . . حين دخل سميح المستشفى الطلياني في حيفا لاجراء عملية جراحية بسيطة في راحة يده اليمنى . روج عملاء السلطة اشاعة تقول : ان سميحا أصيب بالجنون ، وأدخل مستشفى للامراض العقليـة كما شنوا ضده حملة لا اخلاقية أقل ما فيها (انه سكير عربيد) ولم يتورعوا عن نشر) زجلية) في احدى صحفهم يهجون فيها هذا السكير العربيد الذي يقاوم السلطة .

في هذه الفترة من حياة سميح القاسم ، جابه مقاومة من السلطة واعوانها ، حاولوا غمز سميح في آرائه السياسـة نظراً لمواقفه الوطنيـة ولايمانه الشديد بالوحـدة العربيـة ، والتضامن العربي والعزة والكرامة العربية ، والشهامة ، والنضال الوطني التحرري في انحاء العالم العربي كله .

حاولت السلطة مهاجمته من مواقع اليسار) ووصفته صحيفة الأنباء الحكوميـة الصهيونيـة ، بانه وهو الشيوعي يناصر شيوخ الخليج العربي، والسلطان قابوس (لمجرد كونهم ضد اسرائيل على الرغم من ان هؤلاء معروفون بمعاداتهم للشيوعية العالمية (٢)

حاولت السلطة بهذا التعليق الايقاع بين سميح القاسم، واخوانه في الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، حاولت الدس والوقيعـة بكل ثقلها واساليبها . هل هذا الدفـاع عن الشيوعية محبة في الشيوعيين ام لغرض في نفسها ؟

هل العيب الذي ساقته الانباء يضر بموقف سميح الوطني النضالي ؟

هذا التعليق الذي ساقته الانباء لا يضر بسميح الوطني الحر ، الذي ينبـع ايمانه الوثيق من مصلحة الوطن والعروبة ، وينظر الى الامور بمنظار المصلحة الوطنيـة لا الحزبيـة، ويناضل من اجل حقوقهم .

ايعيب سميح القاسم ان يناصر شيوخ الخليج العربي، والسلطان قابوس ، الذين يقفون ضد اسرائيل ؟ أيعيب سميح القاسم عدم معاداة هؤلاء ، لأنهم يقفون ضـد الشيوعية ؟ ايهتم سميح القاسم بالقضايا الجزئية ، ويهمل القضية الشاملة ، قضيـة

---

(١) مقابلتي لسميح في بيته بشارع عباس بحيفا في ١٢ /٩/ ١٩٧٤

(٢) المقابلة ذاتها .

شعب مناضل ضد الاستعمار والاغتصاب ؟ وانني استحضر بيت الشاعر المتنبي (رحمه الله — الذي قال فيه (١) :

واذا اتتك مذمتي من ناقــص فهي الشهادة لي بأني كامل

وهذا واضح لما بين سميح القاسم والعاملين في جريدة مأجورة، تنطق بوحي السلطة من تسامي في الطباع والتفكير .

لم يقتصر موقف السلطة الى هذا الحد من التضييق، ومحاولة الطعن وتسفيه احلام شاعرنا . بل تعدى ذلك ، الى طعن سميح باعز مايملك وبأقوى مايشعر ويحس به، وخاصة مايشعر به المواطن الشريف الثائر الصابر، الغاضب على المحتل الدخيل، الذي يثور كالبركان، ويقذف بالحمم في وجوه الاعداء . ارادوا ضربه في رجولته وشهامته ، وبطولته، ارادوا تصويره بالرجل الخانع الذليل المترف المنعم حتى يجروه الى مايريدون، لانهم يركزون على الزمن، ويعتبرون الزمن كفيلا بتغيير الشخصيات والاشخاص، ولأن ساستهم يركزون على الزمن وفوائده التي يجنونها ه حين جروه مكبلا بالاغلال الى معسكر مايسمونه (وحدة الاقليات) في الجيش الاسرائيلي، راحوا يفسرون للجنود رفضه للخدمة العسكرية ، بانه (منعم ورقيق وابن ذوات) لا يستطيع تحمل خشونة الجندية ، وحين أخبره اخوانه بهذه الاشاعة ذهب الى قائد الوحدة وقال له :

((انتم تعلمون جيدًا انني آخر مخلوق على سطح الأرض يمكن ان يطلق رصاصة على عربي، ولكنني لن اسمح لكم بالانتقاص من رجولتي بين شبان يقدسون الرجولة لذلك فانا اطلب الاشتراك في جميع التدريبات المفروضة على اخواني)) (٢) . . . . . .

واردف سميح القاسم قائلا لي : فابتسم قائد الوحدة بخبث وقال: ((ولكنك انت اشترطت علينا الا تحمل السلاح ، وان تكون مجرد متدرس ، يعلم هؤلاء الاميين)) (٣) . . فأجاب سميح القاسم على الفور قائلا : ((هؤلاء الاميون اخوتي، وانا أحبهم وأرثي لهم وسأعرف كيف اتصرف إن انتم لم تسمحوا لي بمشاركتهم حياتهم بكل قسوتها)) ورد القائد . (ليكن لك ماتشاء . وعلى أية حال لا اعلم ان كنت قد نجحت في امتحان الشعر، لكنني اعلم انك ستسقط في امتحان العنف)) (٤)

---

١) احمد بن الحسين : ديوان المتنبي . مراجعة نخبة من الاساتذة دار احياء التراث العربي — بيروت ١٩٦٩ ص ١٨٨

٢) مقابلتي لسميح في بيته بتاريخ ١٩٧٤/٩/١٣ بحيفا

٣) المقابلـة ذاتها .

٤) مقابلتي لسميح في بيته بحيفا بشارع عباس بتاريخ ١٩٧٥/٣/١٨

واشترك سميح في التدريبات العنيفة ،وحين حان الوقت لاختيار المتفوق في تلك التدريبات الشاقة الضيقة . اتجهت عيون المجندين جميعها الى سميح (وبلغت القلوب الحناجر (١) .... ولم يبق امام الضباط الاسرائيليين مجال لتجاهل هذه الحقيقة . واعترفوا لسميح بالتفوق . وعلى اثر ذلك استدعاه قائد الوحدة وقال بخبث : ((اني لا اعلم ان كنت قد نجحت في امتحان الشعر ،ولكنني أعلم انك نجحت في امتحان العنف . وتستطيع ان تصبح ضابطا اذا شئت)) (٢) ......

ورد سميح بلوم ان جارلي التعبير ،مستوحيا معنى الآية الكريمة من الفارق في التعبير والايحاء . ."ويمكرون ويمكر الله ،والله خير الماكرين" (٣) ...

فجاء رد سميح عفما له ((بل اريد ان أصبح انسانا)) (٤) ..

ففي اجابة سميح طعن بانسانية المحتلين ،سفاكي الدماء كما يراهم سميح الشاعر الانسان ،ويخبرني سميح قائلا : ((يبدو ان القائد فهم ،فقد احمر وجهه وطردني من الغرفة بحقد وحنق وغضب)) (٥) ... فغادرها سميح بخطى عسكرية مسرحية ، حتى وصل رفاقه المنتظرين في الخارج .

لم تتحقق أمنيات المحتلين ورغباتهم وحربهم النفسية ، وكل الوسائل التي استعملوها ضد سميح ،لم يعد سميح يرى في الاسرائيليين ،الا الوجه المخالف للطبيعة الانسانية.لم تغره كلمات القائد بالرتبة العسكرية التي تنتظره،اذا وافقهم ، لانه يرى في الرتبة تلك ازهاقا للحق ،ودحضا للقيم والمفاهيم الانسانية النبيلة ، بل يرى فيها ضربا للحق واعمالا ليد البطش ،وازهاقا لارواح اخوة له في المصير ، فان جار اليوم على اخوته فانه يعلم علم اليقين ، انه لا بد من يوم تدور فيه الدائرة على اخوته الدروز المفروضهم .

وانني استطيع القول ان الزمن لم يحول ولم يغير من مواقف سميح ،ضد الاحتلال وملابساته واستشهد ببيت المتنبي) الشاعر العربي الفذ -رحمه الله،اذ قال :

---

(١) الاحزاب اية : ١٠

(٢) مقابلتي لسميح في بيته بيافا — شارع العباس تاريخ ١٨/٣/١٩٧٥

(٣) قرآن كريم : سورة الانفال اية ٣٠

(٤) مقابلتي لسميح في بيته بحيفا بشارع عباس بتاريخ ١٨/٣/١٩٧٥

(٥) المقابلة ذاتها .

ماكل مايتمنى المرء يدركه   تجرى الرياح بمالاتشتهي السفن (١)

مرت الايام،وتوالت السنون والاعوام،ثم كانت احدى الجولات الانتخابية ، وصعق المراقبون العسكرية حين اكتشفوا،ان الاغلبية الساحقة من اصوات (وحدة الاقليات منحت للشيوعية ،ومنع سميح من تدريس الجنود ،فالحق بدورة للتمريض وعمل في بعض المستشفيات لمدة سنة ، ثم عمل في الشؤون الاجتماعية الى ان اطلقوا سراحه .

طالب سميح العودة الى سلك التدريس المدني ، لكن السلطات الاسرائيلية رفضت ذلك شكلا ومضمونا . وعثر سميح على وظيفة مفتش في (دائرة تنظيم المدن) في الناصرة . لكنه استقال بعد فترة وجيزة احتجاجا على سياسة خنق القرى والمدن العربية،ومنعها من التطور العمراني .

ارادت السلطات الاسرائيلية ، ان تخطو خطوة ايجابية ،لتثني سميح القاسم عن عزمه،ولتكسب وده،فأعادوه الى سلك التدريس المدني على امل ان يصرفوه عن العمل السياسي . لكنه واصل نشر قصائده الثورية ،والقائها في المهرجانات . وفي اواخر عام ١٩٦٤ صدرت مجموعته الشعرية الثانية (اغاني الدروب) وبعد شهور من اصدارها طرده وزير المعارف من سلك التدريس .

ولقد تطرق علي عاشور الى هذه الحقيقة بقوله ((بعد صراع طويل اعادته وزارة المعارف الى عمله ، وحين اصدر ديوانه الثاني — اغاني الدروب — طرد من عمله ووجد نفسه عاطلا عن العمل))(٢) . .

طرد سميح القاسم من عمله . ولم يفت من عضده،لم تهن عزيمته،ولم يركن او يخضع او يذل .

بحث سميح الوطني الثوري عن عمل ، فعمل عاملا يدويا في منطقة حيفا الصناعية ، ولكن السلطات أبت ان تترك سميحا وشأنه ، أرادت قهره واذلاله ،دون جدوى طردوه من عمله اليدوي ،بحجة أنها منطقة أمنية ((واشتغل عاملا في منطقة مفراتس) مدة قصيرة وعاد الى البطالة))(٣) . . .

ففي سنة ١٩٦٥ اصدر قصيدته (ارم) في سبعة أناشيد ،رغم كل المعوقات والعراقيل . استطاع سميح القاسم ان يتخذ مكانه فاتخذ مكانه في الصف الاول من

---

(١) احمد بن الحسين : ديوان المتنبي ،بيروت ،دار احياء التراث العربي ١٩٦٩ مراجعة نخبة من الادباء ص ٢٧٧

(٢) علي عاشور : مع ديوان الشاعر سميح القاسم . دمي على كفي . الجديد العدد ٥ سنة ١٩٦٧ ، ١٤ ص ٧

(٣) م . ن

الحركة الادبيـة السياسيـة . فدعته صحيفة الاتحاد : صحيفة الحزب الشيوعـي في حيفا) للعمل في هيئـة تحريرها ، وقبل الدعوة ، وعمل هناك ، ثم عمـل في مجلة الـ(غد) للشبيبة التي يصدرها الحزب الشيوعي ايضا)وعمل في مجلـة الجديد التي اصبح اليوم محررها .

اصيبت صحيفة الحزب بضائقة مالية شديدة . وحين قال (أمين الصندوق): (لم يبق لدى سوى ثمن علبـة شاى)) قال سميح لرفاقة في هيئة التحرير :(انـا لست عضوا في الحزب ، ولستم ملزمين بحل مشاكلي المادية ، لذلك فانتم في حـل من دفع مرتبي ، لكنني سأواصل الكتابة معكم))(١) . . .

ثم دعي لتحرير مجلة شهيرة باسم (هعولام هزه) اى (هذا العالم) وكانت تراود صاحب المجلة (اورى افنيرى)الليبرالي، اصدار مجلة أسبوعية عربيـة ، وكانت تربطه بسميح القاسم معرفة عابرة ،فزار المحامي (صبرى جريس (صديق سميح القاسم ،وأخبره برغبـة ("اورى افنيرى") "وشالوم كوهن" (صاحبي المجلة اللذيـن اصبحا فيما بعد عضوين في الكنيسـت ،وانهما معنيان بان يحرر سميح القاسم المجلـة العربية التي ينويان اصدارها)وجرى لقاء بين سميح) وبين"اورى افنيرى") اتفقا فيه على ان تكون المجلة ' مستقلة ومنبرا للافكار والاتجاهات الدمقراطية والتقدمية علـى ان يكون فيها مقالان رئيسيان/احدهما بقلم سميح القاسم ،والآخر بقلم (اورى افنيرى) وهكذا كان/ونجحت المجلة نجاحا ملحوظا ـ كما قال سميح ، ولكن بمرور الزمـن) اخذت تظهر خلافات شديدة بين سميح) وافنيرى.وكان سميح آنذاك ناصريا يساريـا وكان متحمسا للتحولات اليسارية في العالم العربي) وكان في تقديره الذي ضمنه احدى الافتتاحيات ،ان حكومة زعين البعثية خير من الحكومات السورية التي سبقتها'وانهـا قد تقود سوريا على طريق ثوري واضح .

اما "افنيرى") .فقد كان تقديره أن حكومة زعين البعثية، حكومة دموية متطرفـة . وكان بين الاثنين خلاف وازداد مع مرور الزمن .

اما في الداخل كان سميح القاسم يعمل جاهدا من اجل نجاح الشيوعييـن في السيطرة على بلدية الناصرة ،بينما كان "افنيرى"يطمح في تشكيل قائمة انتخابيـة تؤيده في بلدية الناصرة ، وكان خلاف آخر) والخلاف الآخر المقصود هو : زار اسرائيل شخص يدعى عبدالقادر الجزائرى ، راح يكيل المديح والثناء لاسرائيل (ويدعو للسلام

---

(١) مقابلتي له في بيته بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٧٤

معها . فكتب سميح القاسم مقالا بعنوان (احذروا الخائن) يحذر فيه الجمهور العربي من السموم التي ينفثها عبد القادر هنا. واحتج افنيري زاعما ان عبد القادر الجزائري صوت نادر من اصوات السلام، ولا يجوز مقابلته بهذا الموقف، وكان من سميح القاسم الا ان حمل حقيبته، وغادر "تل ابيب" الى الرامة وكان هذا في عام ١٩٦٦ (١) هذا ما خبرته من سميح اثناء تحدثي معه في منزله في شارع عباس في حيفا .

ولقد كتب علي عاشور في معرض حديثه عن ديوان (دمي على كفي) لسميح القاسم، حول المضمون نفسه قائلا : ((ثم دعي لتحرير مجلة هذا العالم) الاسبوعية بالعربية وبعد ثمانية اشهر من رئاسة تحريرها انشبت بينه وبين صاحبها (اوري افنيري) خلافات سياسية حادة فحمل حقيبته وعاد من "تل ابيب" الى الرامة)) (٢) . . . . . .

بعد عودته الى الرامة عام ١٩٦٦ . عادت (الاتحاد) فطلبت من سميح القاسم ان يعود للعمل فيها ، وهكذا كان. وفي صباح ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ كان سميح القاسم في الدفعة الاولى من المعتقلين ، الذين ساقتهم الشرطة في الشوارع مكبلين بالاغلال، ثم نقلتهم الى سجن الدامون على جبل الكرمل ، وبذلك يكون سميح القاسم قد دخل مرحلة نضال جديدة في حياته ضد التخلف والتمزق والسيطرة ضد الحروب، وسفاكي الدماء ليصرخ ملء فمه، وبأعلى صوته في وجه الطغمة العسكرية الاسرائيلية داعيا للحق، والعدل، والمحبة، والاخاء، وفق القوانين الدولية والقيم الانسانية الخالده .

المرحلة الثالثة :

كان سميح القاسم في صباح ٥ حزيران ١٩٦٧ في الدفعة الاولى من المعتقلين الذين ساقتهم الشرطة في الشوارع مكبلين بالاغلال، ثم نقلتهم الى سجن الدامون على جبل الكرمل، وكان شريكا في السجن بعد اتضاح امر الهزيمة تحطمت عند سميح القاسم مفاهيم كثيرة، وأصابه احساس قاتم بانه كان مضللا ، وان الافكار التي كان يتبناها تفجرت كالبالونات . قدم في السجن طلب انتساب للحزب الشيوعي وترسخ عنده ايمان إن الاشتراكية العلمية هي الطريق الوحيد ، لتخطي النكسه ولبناء دولة عربية موحدة قوية ثورية تكفل لأبنائها العدل الاجتماعي قوميا ووطنيا ((في الخامس من حزيران ولدت من جديد)) (٣)

---

(١) المقابلة ذاتها

(٢) علي عاشور : مع ديوان الشاعر سميح القاسم/ دمي على كفي/ الجديد / العدد ٥ سنة ١٩٦٧ /ص ١٤ ص ٧

(٣) الجديد : لقاء مع سميح القاسم حياتي وقضيتي وشعري . العددان ٤ ، ٥ نيسان وايار ١٩٦٩ السنة ١٦ ص ٢٦

يعود سميح القاسم بذاكرته لاحداث الخامس من حزيران ٦٧ ليبلور أفكاره ومفاهيمه يقول : ((كنت مؤمنا بنوع غامض من الاشتراكية،ولكن احداث حزيران ،كانت الحد الفاصل بين الايمان العاطفي والوعي))(١) .

بدأ سميح القاسم بعد حزيران، يخوض معركته النضالية ضد السلطة بصورة كبيرة وشاقة . بدأ يصرخ ملء فيه محذرا المواطن العربي-الواقع بين فكي كماشة الاحتلال وصك الظلم-يحذره من السموم التي شرعت تفرغها فيه ، يحذر المواطن العربي داخل اسرائيل . الذي اخضعته السلطة لجميع انواع الاختبارات، والتكنولوجيا الحديثة لمحاربته في نفسه، وأهله، ووطنه واته . يحذر المواطن من ان اجهزة القمع الاحتلالية ، ومؤسساتها الدعائية بكل خبرائها، وعملائها تجهد لاقناع المواطن ،انه عاجز من ان يفعل شيئا . ويذكر المواطن العربي، من انه سيأتيه بعد ذلك،ومن وراء ظهره،من يصب الماء على طاحونة الغزو الامبريالي الصهيوني عسكريا وحضاريا . وبذلك يساعد الغزاة ويوفر لهم الجهد والجهود لقهره وتمزيقه .

يدفع سميح القاسم الثقة في نفس المواطن، ويرفع من معنوياته،وقدراته الفاعلة ويخاطبه ، بانه قادر على الفعل شريطة ان يعرف الطريق قبل ممارسة الخطوة ، واستقصاء الحصيلة قبل البذل ،واستبطان الحدث وادراك جدليته (٢)

في هذه الفترة من حياته ،تغنى ببطولات الشعوب الصغيرة ، واعتبرها قدوة حسنة في تخطيها للاحداث ، وقهرها لاعتى قوة في العالم ،واعتبرها نبراسا تحتذى لتهتدي بها الشعوب المغلوبة،اعتبرها رمزا للحرية، والكفاح المرير ،رمزا للنضال،وازالة العفن الاستطياني على أرضه المحروقة . اتخذ سميح القاسم من شعب فيتنام مثلا يجب احتذاؤه ، والسير على نهجه للتحرر، وفي سبيل ذلك يقول مخاطبا المواطن العربي ، داخل اسرائيل تحت عنوان ماذا فعلت في ٥ حزيران ؟

((هاانت ترى شعب فيتنام الصغير السالم الباسل، كيف يواصل القتال من قرون ؟ وكيف يلحق العار بأكبر وأقوى دولة رأسمالية في العالم ؟ ها انت ترى شعبك في مصر، وسوريا، والعراق في كل مكان يتلقى الضربة تلو الضربة . وثق ان صاعه بصاعين لانه في متراس الحق والعدالة . . انت قادر على الفعل ان العالم لاينتهي عند زنديك

---

(١) م . ن ص ٢٦

(٢) سميح القاسم ليكن واضحا الجديد العدد ٦ حزيران ١٩٧٢ ص ٣

المصفودين (ومن لم يستطع فبلسانه) ، (ويوزن يوم القيامة مداد العلماء بــدم الشهداء . . انت في حقلك ، وانت في مصنعك وانت في مكتبك وانت في خندقك . قادر على الحركة والبذل والفعل والتغيير ، واذكر دائما انها خطوة للوراء وخطوتان للامام (١) ". . . . يمثل هذه الكلمات يخاطب سميح القاسم ابناء وطنه ، يتغنــى ببطولات الشعوب ، يعتز بقوميته يفخر بالضربات التي تتلقاها مصر وسوريا والعراق ، لتكيل الصاع صاعين ، يعتز بهم لأن عزائمهم لم تمهن ولم تضعف.هذه الابــــر المشحونة بالقوة والحيوية،كان يلقيها في جسم المواطن من فترة لاخرى ليعيـــد ثقته بنفسه ، وليعطيه قوة اكبر في العطاء ، والصبر ، ليكيل الضربة ضربات لعدوه الجاثم على أرضه،الرابض على صدره .

لم يكن ينسى في هذه الفترة من حياته النضالية ، ابناء طائفته الدرزيــة ، يحذرهم ، ينبههم،يوقظ أذهانهم واسماعهم ، على اكاذيب السلطة ليكشف قناعهــا الزائف،ليبطل مصلها المبثوث في اجسام حفنة من النفعيين الذين اضفوا على طائفتهم بعض المظاهر التي لا تروق، ونظرة الشباب ، مع التحرر والعزة القومية العربية،ليكشف سياسة فرق تسد التي تنتهجها السلطة في علاقاتها مع العرب المقيميــن فـــي ظل الاحتلال .

خاطب سميح القاسم ابناء طائفته الدرزيــة ، عندما وجه تحية لرفيقة فـــي النضال (جمال فرهود) الشاب العربي الدرزي من قرية الرامة،الذي رفض اداء الخدمة الاجبارية . خاطبهم سميح القاسم قائلا : (ولقد اثبت احتلال هضبة الجولان السورية التي يقطنها الدروز ، وقصف قرية حاصبيا اللبنانيــة التي يقطنها الدروز ومصـــادرة أراضي الدروز في اسرائيل وأراضي أوقافهم وانبيائهم ، ان سلطات الاحتلال الصهيونية لا تستطيع طويلا اخفاء وجهها الحقيقي وراء سياسة فرق تسد ، وهاهي أكذوبة الصداقة الصهيونية الدرزية تتضح يومًا بعد يوم ، وهاهم الشبان العرب الدروز ومعهم العديــد من ابناء طائفتهم ، أبناء شعبهم يرفعون قبضاتهم في وجه السياسة الاسرائيليـــة العنصرية وعملائها.والف تحية لك يارفيقنا جمال فرهود (٢) . . ".

في هذه الفترة من حياته تحدث عن أحداث العالم العربي ، ومآسي الشعب الفلسطيني والأحداث العالمية والأحداث القتل والاغتيال لزعماء الثورة الفلسطينيــة

---

(١) م . ن : ص٤
٢) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد . العدد ٦ حزيران ١٩٧٢ ، ص٦

على ارض لبنان، وعن المشاريع والحلول التي تطالعنا من حين لآخر (١)..

وقف سميح القاسم صوت الحق امام "سناء حسن" (الصحفية المصرية التي قدمت الى اسرائيل لتقصي الحقائق . واستضرب سميح القاسم من تصرف الفتاة فقال: (اذا كانت تبحث عن الحقائق، فلماذا تذهب الى "ديان" وابنته (ياعيل) ولا تأتي الينا لتسمع رأينا (٢) ...؟

ناقش سميح القاسم "سناء حسن التي أجابت الفتى الاسرائيلي في احدى المدارس الثانوية العبرية عندما اخبرها ان والده أحد الرياضيين الذين قتلوا في "ميونخ" على يد الفلسطينيين" والتي اجابته ان دموعها التي تجيبه . فيقول سميح القاسم: هل أبقيت من دموعك شيئا لتذرفيه على مدرسة بحر البقر ؟ اين دموعك كانت عند ما هوجم الفلسطينيون في مخيماتهم ؟ .. أين ؟ .. الى آخر التساؤلات وجابهها بحقيقة مرة . هل ترضى حكومتك بالعمل الذي تقومين به؟ بالتأكيد لا (٣) ... وبعد هذا النقاش ذكّر سميح القاسم المواطنين العرب في اسرائيل بداعية السلام الذي حضر للمنطقة قبل سنوات إسمه عبد القادر الجزائري" ويحذر من هذا الوجه الجديد قائلاً : (قبل سنوات لمع في اسرائيل" داعية سلام آخر، كان اسمه عبد القادر الجزائري، وفي حينه" فضحنا ذلك المخلوق شر فضيحة" ووضعناه عاريا امام جمهورنا، واليوم لم يبق منه سوى ذكراه السيئة ، واليوم نُعلن أن ماسيبقى من "سناء حسن — بعد ان يعتصروها كالليمونة — لن تكون "سناء" ولن تكون حسناء ابدا (٤) ...

ناضل سميح القاسم في كل الجبهات وفي كل اتجاه، ناضل ضد العنصرية ، ضد التمييز" والظلم، وناضل ضد نقابة الأدباء العبريين (وطرح اقتراحها مقتضبا في الاجتماع الذي عقد بين جماعة من الأدباء" والشعراء العرب ، واللجنة المركزية لمنظمة الكتاب العبريين في بيت "تشير نيخوفسكي" (في الثالث من يناير ١٩٧٠ ، دعا في ذلك الاقتراح الى الغاء نقابة الادباء العبريين" وبناء تنظيم جديد يكون مفتوحا امام جميع الكتاب في البلاد" بغض النظر عن قوميتهم" واللغة التي يبدعون فيها، وبعد ذلك اللقاء بفترة وجيزة ، عقد المؤتمر الخامس والعشرون للمنظمة وطرح بعض زملاء

---

(١) راجع معتقداته السياسية .
(٢) سميح القاسم : هموم لا سناء ولا حسناء، صحيفة الاتحاد، العدد ٣١/٣٥ تاريخ ١٣ — ٤ — ١٩٧٤ ص ٤ ، ع ١ .
(٣) م . ن ، ص ٤ ، ع ١ - ٢ .
(٤) م . ن ، ص ٤ ، ع ٢ .

سميح من اليهود اقتراحا مماثلا،ودارحوله النقاش،واستهوى الاقتراح جماعة من الادباء العبريين،او كاد يحصل انشقاقا في النقابة،لولا ان منعوا مناقشة ذلك الاقتراح والغوه (١)

لم تكن ايام سميح القاسم مليئة بالافراح او المسرات . لم تكن طريقة مفروشة بالورود ،شأنه شأن كل مواطن مناضل ، كان سميح القاسم يجهد نفسه ويتعب قبل ان يصل الى سكن يأويه في حيفا . لماذا ؟ لانه عربي ثوري ، وانقل هنا بعضا من مفكرته التي تصور مدى الجهد الذي بذله وصديقه محمود للعثور على السكن يقول :(اليوم بدأنا حملة البحث عن منزل آخر ؟ .
حسنا!انا ومحمود في شوارع حيفا ،ندخل مكتب سمسار منازل (ونخرج من آخر ، رحبوا بنا في البداية ،واكتشفوا هويتنا في النهاية،وواصلنا البحث عن منزل في اعلانات الجرائد ،وفي اعلاننا الواعية . لو أن الدنيا غير الدنيا .
حصلت،على عنوان ،اتصلت تلفونيا بصاحب المنزل ،واتفقنا على ان أزوره في المساء لنتفاهم . الاجرة الشهرية في الاعلان (٢٠٠) ليره ،وحين سمع اسمي (٢٥٠) ليره و . . . ماذا مع النطافة (٢) . . ؟

واجه سميح القاسم مضايقات شديدة من قبل جيرانه اليهود ،وسببوا له مشكلات ومآسي لا تحصى الاسباب . فكانت جارته تتصل بالشرطة ،وتشكوه ،وتدعي انه سبب لها

---

(١) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد العدد ٣ آذار سنة ١٩٧٣ السنة ٢٠ ص ٤ .
لقد نقل سميح القاسم بعض ما دار في المناقشات في المؤتمر الذي عقدته اللجنة المركزية للكتاب العبريين .منها ما قاله (حانوخ بارطوف) قال في معرض النقاش (مافعلتموه يخوفكم وضعفكم هو منع النقاش لا يمكن العيش في منظمة يكمون فيها الافواه . هذه ليست شركة باصات ايجد) اما ما قاله (دافيد شاحم (ان عدم قبول الكتاب العرب في المنظمة هو ؟ اثارتها . بمعنى (تفرقة عنصرية) اما ماقال (عاموس عوز) الذي وصف القرار بقوله : مساومة غير مستقيمة وغير محترمة) جاءت هذه الاقوال ببعض الكتاب والمزيد في ص ٢٤ و ٥ من الجديد العدد ٣ سنة ٧٣ ،ولقد نشرت ما دار في المؤتمر الصحف العبرية منها (هآرتس) بقلم ــ يهوديت فنكر شباط ١٩٧٣ .
كذلك صحيفة معريب بقلم ((سوشيه دول ٢٢-٢-١٩٧٣ وكذلك صحيفة يديعوت احرونوت ٢٠-٣-١٩٧٣ ،وكذلك صحيفة معاريف ــ بقلم يسرائيل هرئيل ٢١-٣-٧٣ كذلك معريب ــ ١٨-٢-٧٣ وكذلك احوتام) وملحق على همشمار) ٢٦-١-١٩٧٣ .

ازعاجا ومتاعب وانه قذر ، فما ان يغادر ضيوفه الا والشرطة تقرع باب منزله مستفسرة عن اسباب الفوضى ومضايقات الجيران .

(بعد انصراف الشلة بقليل، حضرت الشرطة بناء على طلب دعوة تلفونية من الجارة (السيدة ليفي) وبعد تحقيق قصير اجراه معنا شرطيان بالتمام والكمال انصرفا دون استدعائنا للمحكمة ،ولكنهما اكدا قبل انصرافهما انا لسنا قذرين وقبيحي المنظر ، كما اوحت السيدة جارتنا (٣) . . .

عذب واضطهد ،وطرد من عمله، وضيق عليه الخناق وسجن مع القوادين والحشاشين يقول : (وانا في طريقي الى سجن الجلمة كان شريكي في الكلبشة قواد وحشاش معروف جيدا في اوساط العالم السفلي (٤) . . . فرض على سميح القاسم الاقامة الجبرية اكثر من مرة ، استدعي لمركز الشرطة اكثر من مرة كلما أصدر ديوانا جديدا من اشعاره لا يروق للسلطة.تتصل الشرطة معه تلفونيا تتحدث معه عن الديوان المصادر وعن الملف المفتوح ضده . فيطلبه ضابط الشرطة الى مركز البوليس فيجد نفسه محاطا بخمسة أشخاص هم اعضاء مركز شرطة حيفا . ويسألونه عدة اسئلة مألوفة لدى سميح ، ومن ضمنها: اين كنت ؟ وماذا عملت من تاريخ كذا أو كذا الى تاريخ كذا ؟ ومن هم الاشخاص الذين قابلتهم من الضفة الغربية والمناطق المحتلة الاخرى ؟ وتسيطر دون تخيل الاسئلة الى جو آخر، التهمة الموجهة اليك اليوم خطيرة جدا، انت متهم بالاشتراك مع آخرين في نسف منشآت النفط في ميناء (كيشون) على خليج حيفا (٥) . . . .

واجه سميح القاسم صور التحدي بكل اشكالها ، كان يواجهه المحقق قائلا له: انت تكرهني ، وانا اكرهك ، فيجيب سميح قائلاً : (اعرف انك تكرهني وليكن ذلك هنيئا مريئا عليك . اما انا فلا اكرهك ولكنني لا اوافق عليك (٦)

تعرف سميح القاسم في السجن على عدد من السجناء نحو عشرين سجينا سياسيا من الهضبة السورية المحتلة ، وثلاثة من قطاع غزة ، وواحد من الضفة الغربية ، شعر برغبة حادة في البكاء وهو الذي يقول (رغبة حادة في البكاء تكاد تفقدني السيطرة على نفسي . . لاعلينا . . اننا نقيم هنا نوعا فريدا من الوحدة العربية (٧) لانه لم تتح له فرصة اللقاء الا في ظلمات السجون، لانه يبكي على الامل المفقود امل الوحدة العربية الذي يحمل للأمة العربية الرخاء والسعادة .

---

٢) سميح القاسم، صفحات من مفكرة، الجديد ، العدد ٧، تموز ، ١٩٦٩م ، ص ٣٠

٣) م . ن ، ص ٣٠ ٤ — م . ن ، ص ٣١ ٥) م . ن ، ص ٣١

٦) م . ن ، ص ٣٠ ٧) م . ن ، ص ٣١

هكذا حياة سميح القاسم ، مليئة بالمآسي ، والاحزان ، يثقلها الهموم ، ويحددها الامل المنشود ، حياة سميح صرخة حق في وجه الطغمة . كلمة نور تنير المسالك والدروب بركان يقذف بالحمم النارية في وجه الظالم والفساد ، ورواسب الزمن العفن . انه رسول اعلام ، ليفضح تصورات السلطة ، واحلامها . طعم في جسد السلطة يدسها وينغص احلامها . يقف كالطود الشامخ ، لا تنال منه الاحداث ، ولا توهن عزيمته ، ولا تضعفه ، بل تزيده قوة ، وصمودا وثورة .

سميح القاسم ، مثل الانسان الرافض ، انسان التحدي والصمود ، انسان الغضب . سميح تخشاه السلطة وتحاذر من افكاره وتأثيرها على الشباب العربي ، لقوة سحره فيهم ، لانه يعرف نوايا السلطة ، وخبثها ووسائلها في مجابهة الاحرار في الوطن السليب . تخشى السلطة اشعاره التي تنتشر بين الناس ، انتشار النار في الهشيم . هذه حياة سميح مليئة بالحيوية والنشاط ممزوجة بالالم والأمل ، كالسيل الجارف ، لتأخذ مايصادفها من عقبات . واخيرا ماهي الصلة بين مراحل حيات سميح وثقافته ؟ .

الفصل الثالث

ثقافة سميح القاسم

بعد هذا العرض لمراحل حياة سميح، تتقاذفني مجموعة من الاسئلة، احاول ان اجد لها حلولا مناسبة، تتعلق بسميح القاسم الا وهي :

مالصلة بين الثقافة والشخص ؟ وما الاهمية التي نحصل عليها من دراسة مراحل حياة الشاعر ممزوجة بثقافته ؟ ندرس اتصالات الشاعر داخليا وخارجيا، ونتعرف على المؤتمرات التي اشترك فيها، مالغاية من ذلك ؟ وما انعكاساتها على تطور الدراسة لمعرفة الشاعر ؟ هل نعتبر مدخلا للنفاذ الى فكر الشاعر، وشخصيته ؟ وكيف يتحقق لنا ذلك ؟ ماذا نعني بالمواهب ؟ هل تؤثر ثاقفة الانسان على سلوكه الحياتي والادبي ؟ كل هذه التساؤلات تقودني للبحث فيها، لاكشف مدى تأثيرها وارتباطها بالشاعر فكرا وعملا، منهجا وطريقا .. لاضع يدي على مواطن الاثارة والتترب الدقيق لمعرفة حقيقة الشاعر في تعامله اليومي مع من يحتك بهم، ويما يشهم اعني : الفصل الثالث .: ثقافة سميح وانعكاساتها على داخل نفسه وتكوينه .

دراسته الابتدائية والثانوية : مر سميح القاسم بمضايقات شديدة اثناء حياته. فبعد فراغه من دراسته الابتدائية في مدرسة الراهبات، والمدرسة الابتدائية الرسمية في الرامة، انتقل للناصرة. فتلقى دراسته الثانوية في كلية تيراسانطه، ثم في الثانوية البلدية .. ولم يحصل على الشهادة رغم كونه احد التلاميذ البارزين، لا سيما في اللغات، وكان في هذه المرحلة، قد قطع شوطا بعيدا في قرض الشعر الساخر الهجائي، وكان وعيه السياسي في طور التبلور، والوضوح الاولى، ورافقت ذلك ابيات، وقصائد سياسية، وطنية (١) ...

عمل سميح القاسم في مجالات متعددة: منها التعليمية، والتنظيمية، واليدوية والتدريبات العسكرية، والصحافية (٢) .. كل هذه الأمور مجتمعة اكسبت القاسم ثقافة واسعة ادبية، وعلمية، وعسكرية، وصحية، واجتماعية. وجعلته يحتل مكانا مرموقا بين صفوف الحركة الادبية، والسياسية، واكسبته صداقات حميمة، ومكنته من الالتقاء بأغلبية الشعب مثلا في مختلف طبقاته الاجتماعية، واتاحت امامه الفرص، لالقاء محاضرات في المؤتمرات العالمية التي عقد من خلالها صداقات طيبة مع كتاب عرب، واجانب :

---

(١) راجع ديوانه الاول مواكب الشمس .
(٢) راجع المرحلة الثانية من حياة سميح القاسم — الفصل الثاني من الباب نفسه

لغته وثقافته : وقراءاته :

يجيد سميح القاسم من اللغات الاجنبية:اللغة الانكليزية ،والعبرية ويعرف قليلا من الروسية .
درس سميح القاسم اللغة الفرنسية لمدة عام اثناء دراسته الثانوية في كلية تيراسانطة في الناصرة . ولكنه لم يحبها فأقلع عنها . وهو يقول اليوم : (لقد احببت اللغة الانكليزية من خلال بايرون) ،و (تشيللي) ،وشكسبير) ولو انني عرفت (رامبو) ، و (لوتريامون) آنذاك ، فلاريب في انني كنت ،سأعشق الفرنسية (١) . . .

بدأ سميح القاسم مطالعاته الادبية عبر المكتبة المتاحة له في منزل والديه ، وهناك وجد ديوان المتنبي ،والقرآن الكريم ،والتوراة ،وكتب المنفلوطي وبعض مؤلفات علي محمود طه ، وابي القاسم الشابي ،جنبا الى جنب مع روايات (ارسين لوبين) ، وشرلوك هولمز) التي كان يلتهمها بمعدل روايتين او اكثر في اليوم الواحد (٢) . . .

ظل سميح القاسم لسنوات عديدة شديد الحماس للتراث العربي ،والاسلامي ، والميثولوجيا العربية ،والاجنبية .وقبل سنوات قليلة فقط لا تزيد على عقد من الزمن ، اتجه نحو الآداب الحديثة العربية ،والاجنبية (٣) . . . ومن العقبات التي واجهته وزملاءه انعدام النصوص العربية او قلتها . وعلى سبيل المثال :قرأ سميح القاسم اعمال (برتولد بريخت) اول ماقرأها باللغة العبرية . وقرأ (لوركا) اول ماقرأه باللغة الانكليزية ،غير ان الوضع تحسن بعد عام ١٩٦٧ (عام (النكسة الرهيبة الرائعة) كما يحلو لسميح تسميتها ،وانفتاح مكتبات الضفة الغربية ،وقطاع غزة ،والجولان امام الفلسطينيين المقيمين في الداخل منذ ١٩٤٨ ، فأقبلوا ،ومنهم سميح القاسم على ما اخرجته دور النشر في العالم العربي بالقراءة والدراسة ، واقتناء كميات كبيرة من تلك الكتب ،ليعوضوا النقص الخطير في التراث العربي ،والاسلامي الذي كان قبل النكسة . (٤) . .

قرأ سميح القاسم كثيرا من الكتب الاجنبية ،لاسيما الانكليزية ، وممن قرأ لهم الكاتب (الن بتون) قرأ كتابه (ابك ياوطني الحبيب) الذي فضح فيه عنصرية

---

(١) مقابلتي مع سميح القاسم في بيته بحيفا — شارع عباس — بتاريخ ٢٨ / ٢ / ٧٥ .
(٢) المقابلة ذاتها
(٣) المقابلة ذاتها
(٤) المقابلة ذاتها .

البيض في جنوب افريقيا،وكتاب (تعال الي يا ابيض اللون) الذى طبع على غلافه صورة زنجية عارية ،ووجد نفسه امام رائعة ادبية،تصور العذاب الذي يتعرض له رجل ابيض،يقع في حب فتاة زنجية في جنوب افريقيا ، وان هذا الحب المحرم دمر الشاب،واسرته كلها (١) . . .

ثقافة سميح القاسم الواسعة،واتقانه لبعض اللغات الاجنبية،مكنته من الاطلاع على الثقافات العالمية ،والفكر الاوروبي الحديث من لغاتها الحية،ومنابعها الاصلية ، فقام بترجمة عدد من القصائد العبرية المعادية للحرب،وترجم عن الانكليزية اغنية"سوفيتية") عن الوطن ويقول معلقا على ذلك : ((كانت الدموع تطفر من عيني،وانا اترجمها ،ولماذا لا احس بروعة الوطن في أغاني مطربينا العرب؟)) (٢)

ومما ترجمه من اللغة العبرية الى العربية (وثائق صهيونية)وافادات جمعها من اللغة العبرية،والمطبوعات الاسرائيلية مباشرة واخرجها في كتاب (٣) . . ونقل الينا كذلك قصيدة للشاعر (أ . نوف) بعنوان الى ابناء كفر قاسم (٤) . . وترجم لنا من العبرية(هواء)ونجمة الصبح ،والشعر ،والحب والسلام،وغسل دماغ،والسقوط، ومدوايديكم للشمس (٥) . . وموشح الارجوان شعر"موشيه برز بلاى") (آ . نوف) (٦) . . بالاضافة الى ثقافته الحزبية اللينينية،واطلاعه على الافكار الماركسية، والنشرات الخاصة بالحزب .

<u>اتصالات سميح القاسم الداخلية والخارجية ،والموتمرات التي اشترك فيها في الداخل والخارج .</u>

<u>في الداخل :</u>

سميح القاسم سائح متجول ، يجذر،وينذر،يبث الوعي،وينير الدرب ،يلقي المحاضرات ،ويدير الندوات،يلقي اشعاره الوطنية للنفوس المشرئبة ، لا تكاد

---

١) سميح القاسم : صفحات من مفكرة . الجديد . العدد ٧ تموز ١٩٦٩ ص ٣١ ٣٢
٢) م • ن ص ٣٢ .
٣) هو :(من فمك ادينك) منشورات عربسك.عكا،ايلول ١٩٧٤ .
٤) سميح القاسم : تعريب الى ابناء كفر قاسم،للشاعر العبرى أ . نوف . الجديد العدد ١٠،تشرين الاول ١٩٦٦ ص ٢٥ .
٥) سميح القاسم : ترجمها عن العبرية مجموعة قصائد الجديد،العددان ٣ ، ٤، اذار ونيسان سنة ١٩٧١،ص ٣٤ — ٣٦ .
٦) سميح القاسم : من الشعر العبري الحديث.الجديد . العدد ٥ ايار سنة ١٩٦٧ ص ٢١—٢٢ .

قرية او مدينة في داخل اسرائيل الا وقام سميح بزيارتها ، والقى فيها قسما من اشعاره الوطنية . وكثيرا ماتوفرت له الفرصة كاملة في اللقاءات والتنظيمات والندوات التي ينظمها الحزب الشيوعي في القرى والمدن العربية .

امتد نشاط سميح القاسم الى داخل الوطن المحتل في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان . ففي (بيرزيت) القى محاضرة شعرية على طلبة الجامعة ، ونشرته صحيفتهم (الغدير) . رحب الدكتور (حنا ناصر) رئيس كلية بيرزيت آنذاك بالشاعر سميح ، عندما زارها في الرابع عشر من تشرين الاول ١٩٧٢ . بهذه الكلمات ((عشرون سنة في عمر الشعوب ليست ذا بال ، املنا كبير ان تزول الغمامة وتطلع الشمس ، سميح القاسم شاعر الوطن المحتل ، يكتب بما يحس به لانه عاش المأساة وتعلم كيف يقاوم ولا ينخذل . دعوناه الى هنا لكي نتعلم منه شيئا من العزيمة والصمود)) (١)

ففي الشهر التاسع والعاشر من سنة ١٩٧٤ . القى محاضرتين او ندوتين شعريتين احدهما : امام الطلبة في جامعة بيت لحم (٢) والثانية امام جمهور غفير من المدعوين في اللقاء الذي اعدته جميعة اتحاد النساء العاملات في مدينة نابلس) . قرأ فيهما عددا من قصائده الشعرية الجديدة ورد على اسئلة الجمهور . ولقد نقلت الجديد خبر الندوتين بقولها :

((عقد الشاعر سميح القاسم لقائين شعريين في بيت لحم ونابلس ، قرأ فيهما عددا من قصائده الجديدة الشعرية ، واجاب عن اسئلة الجمهور حول الحركة الشعرية الفلسطينية والعربية وحول الاوضاع السياسية الراهنة)) (٣) . . . .

وفي مدينة نابلس استهلت اللقاء الشاعرة فدوى طوقان بافتتاحية ترحيبية قالت فيها : ((معنا هذا المساء شاعر ، كم تغلغل في وجداننا ، شاعر اتحد بالوطن وبالقضية كاتحاد الصوفي بربه ، وراح يستقي شعره من ينبوع مقدس لا ينضب هو ينبوع الحق والعدل والحرية ، ينبوع الرفض والتأبي على القهر والعدوان ، وانسحاق الانسان اينما كان . شاعر له رؤيا واضحة ، له موقف محدد ، ينطلق منه في مسيرته الشعرية . هذا الموقف هو البحث المستمر عن الحرية الضائعة في هذا الوطن الضائع وفي اي مكان من العالم ضاعت الحرية فيه . . . وهناك الشاعر الذى ينتزع حبنا واعجابنا معا . وسميح القاسم تجسيد حي لهذا النموذج . لقد طرحت على نفسي هذا السؤال ،

---

(١) صحيفة الغدير : العدد ، ١ تشرين الاول (صحيفة طلابية تصدر عن كلية بيرزيت) سنة ١٩٧٢ ص ١ ، ع ٤ ، ٥ .
(٢) مجلة الجديد : نادى الجديد . العددان ٩ ، ١٠ سنة ١٩٧٤ ص ٤٠ .
(٣) حدثت الندوة في جامعة بيت لحم بتاريخ ٢٢ / ٩ / ١٩٧٤ .

لماذا يحب الناس سميح الشاعر؟ وماهو سر قوته الشعرية الآسرة ؟ وجاء في الجواب واضحا مبينا : ان السر هو تلك التعادلية ،او ذلك التوازن الموجود في تركيب سميح النفسي، والذهني، والفني . التوازن بين سميح الفنان، وسميح الانسان التوازن بين سميح الموقف، وسميح الموقع ، هذا هو سر قوته الشعرية، وتأثيرها العميق فينا . ان اروع ما في سميح الشاعر انه ضميرنا جميعا، وان شعره الذى يعيش في وجداننا، وذاكرتنا، هو مانحن فيه ، وما ينبغي ان نكون عليه .

اخيرا لست هنا لاعرف بشاعرنا الكبير ، فالشمس لا يعرف بها . ولست هنا لاعلن حضوره . فوجود سميح بيننا، لا ينحصر في هذه الامسية . فمنذ زمن بعيد وسميح حاضر فينا بشعره حضور البدر في الليلة الظلماء . لقد ظل شعره خبزنا، ومطرنا على مدى سبع سنين عجاف ظل شعره الضوء الذي اعاننا على تحمل وحشة الطريق . هذا هو الشاعر الذي أحبنا واحببناه، والذى اتانا اليوم بكل عذابنا وحبنا المشترك . فألف اهلا وسهلا ياسميح . ياجبل ماتهزك ريح))(١)

عقد سميح القاسم ندوة شعرية اخرى في جامعة بيت لحم(٢) .. وقام من هناك بزيارات لبعض المدن في الضفة الغربية ، وكان سميح القاسم احد اعضاء اللجنة المشرفة في مهرجان (سوق عكاظ) الذى عقد في جامعة بيرزيت الناشئة(٣) .. لاختيار شاعر من بين الطلبة الذين يلقون بواكير انتاجهم .

عقد سميح القاسم في المناطق المحتلة صداقات صميمة مع رجال الفكر، والفن والأدب ، مع الاحرار ممن يتحدون السلطة، ويرفضون الظلم ، التقى بمدوب صحيفة الفجر، واجرى معه حديثا شائقا .

اجرى سميح القاسم عدة لقاءات مع ادباء يهود ، وعرب في نقابة الادباء العبريين في بيت "تشيرنيخوفسكي"(٤) ... في الثالث من يناير سنة ١٩٧٠

جرى نقاش بين سميح القاسم، وبين "يسرهرئيل") رئيس "الشين بيت") السابق في ندوة محررى الصحف في (تل ابيب)، وجرى نقاش بينه، وبين (روت ديان) رئيسة منظمة جديدة تدعى (حلف ابناء سام) وهي زوجة وزير الدفاع السابق ، موشيه ديان (بعد ايام من نقاشه الاول (٥) ...

---

١) مجلة الجديد : نادى الجديد . العددان ٩ ، ١٠ سنة ١٩٧٤ ص ٤٩ .

٢) بتاريخ ٢٢ — ٣ — ١٩٧٥ .

٣) بتاريخ ٢٢ — ٥ — ١٩٧٥ .

٤) سميح القاسم ليكن واضحا . الجديد . العدد ٣ سنة ١٩٧٣ ص ٤ .

٥) سميح القاسم : شهريات . الجديد . العددان ١ ، ٢ كانون الثاني، وشباط ١٩٧١، ص١٥ .

ظهر سميح القاسم في اكثر من حوار مسجل وعرض على شاشة التلفزيون الاسرائيلي ادباء عبريين ، لان سميح القاسم يؤمن بأهمية اللقاء ، وهذا ما سأعرضه بالتفصيل في معرض تحليل العلاقة بين سميح القاسم والادباء العبريين . هذه بعض الندوات واللقاءات التي جرت مع سميح القاسم في الداخل ، ليكافح من . . . ويناضل ضد العفن .

في الخارج :

زار سميح القاسم معظم اقطار اوروبا الاشتراكية والرأسمالية على السواء ، وقضى فيها جميعا قرابة عامين . ففي المرة الاولى ، سافر الى بلغاريا عام ١٩٦٨ للاشتراك في مهرجان الشباب العالمي ، وكان يرافقه محمود درويش . وقد تعرض الاثنان لهجوم ظالم من بعض الصحف العربية اليمينية ، استهدفت الحملة تشويه سمعتهما ، ولكن سرعان ما احبطت ، واتضح انها عناصر مشبوهة معادية للثورة ، والتقدم في الوطن العربي . وهناك في صوفيا في (آب) ١٩٦٨ التقى بالاديب اللبناني محمد دكروب ، ومع جميع مندوبي الوفود من جميع انحاء العالم .

سافر سميح مرة اخرى الى "تشيكو سلوفاكيا" سنة ١٩٧٠ ، وفي "تشيكوسلوفاكيا" دعي لندوات ولقاءات عديدة مع الطلاب العرب ، والاجانب ، ومع جماعات مختلفة من "التشيك" . وشهدت تلك اللقاءات حوارا سياسيا ، واجتماعيا نشطا ، سيطرت عليه روح الود والاحترام المتبادل رغم اختلافات وجهات النظر من حين لآخر ، كما يقول سميح القاسم . ((في "تشيكو سلوفاكيا") دعيت لندوات ولقاءات عديدة مع الطلاب العرب ، والاجانب ومع جماعات مختلفة من التشيك . وشهدت تلك اللقاءات والندوات حوارا سياسيا واجتماعيا نشطا ، ولكن الروح الودية ، والاحترام المتبادل كانا سائدين دائما ، رغم الاختلاف في وجهات النظر من حين لآخر)) (٢) . . .

وكانت له في "تشيكوسلوفاكيا" ذكريات جميلة ، وخاصة في القرية (ستراجنيتسي) وهي قرية جميلة ، تقع شمالي شرقي (برنو) الشهيرة بمعرضها الدولي ، وهي عاصمة اقليم (مورافيا) وبعد ان حضر مهرجان الفنيين في القرية المذكورة ، عاد الى (براغ) وهناك التقي بالشاعر محمد مهدي الجواهري العراقي ، وكان قد التقى به قبل عامين في مهرجان الشباب العالمي في صوفيا ، ودار بينهما حديث قصير عن الشعر والسياسة ، والحياة ، واللجوء ، وبغداد ، واخذا صورة فوتوغرافية معا يصحبهما محمود درويش[٣] .

---

٢) الجديد : لقاء مع سميح القاسم شهر امتد ثلاثة اشهر . العدد ٨ ، آب ١٩٧٠ ، ١٧ / ص ٢١ .

٣) ن . م ص ٢٢ .

في "تشيكوسلوفاكيا" قام سميح القاسم برحلة الى "برونو" و"براتسلافا" ، وجبال التترا في اقصى الشمال الشرقي . (١) . . ومن هناك سافر الى (رستوك) المدينة الساحلية الالمانية، بناء على دعوة من اتحاد الطلبة العالمي ، وهناك اشترك في مؤتمر الطلبة العراقيين في اوروبا ، الذي حمل عنه ذكريات طيبة، واٰمالا كبيرة يقول :
((وجدتني هناك محاطا بشعراء الجيل العربي الجديد المثقف الثوري، والنقي من العقد، ومشاعر القزامة)) (٢) . .

من مدينة (رستوك) سافر الى برلين الشرقية ، حيث حل ضيفا على الحزب الشيوعي الالماني ، وهناك التقي بالشاعر السوداني (تاج السرحن) وقضى معه سهرة ادبية ممتعة، شاركهم فيها الاديب المصري الشاب (صنع الله ابراهيم) واخوة آخرون من أصحاب اقلام الادب، والفن والفكر (٣) . .

في الغداة اتصل بسميح القاسم محرر مجلة "فوخن بوست" الاسبوعية ليقول له : ان مجلته بالتعاون مع لجنة الصداقة الالمانية العربية ، ومنظمة الشعوب الاسيوية الافريقية ، استضافت ثلاثين طفلا فلسطينيا ، وعددا من الاطفال المصريين، بينهم اثنين من جرحى العدوان الجوي على مدرسة بحر البقر ، وان هؤلاء سمعوا بوجودك في برلين، وطلبوا الالتقاء معك . فحدد سميح القاسم موعدا للسفر الى (بوتسدام) حيث اقيم مخيم عالمي للاطفال ، وحين وصل سميح القاسم ، فوجيء بالاطفال الفلسطينيين وقد انضموا كفرقة عسكرية رافعين العلم الفلسطيني ، واخذوا يرددون الاناشيد الفلسطينية عن التحرير والعودة ، ويقول سميح عن ذلك المشهد : ((كان ذلك المشهد من اعنف المشاهد التي ابصرتها في حياتي ، شعرت بجسدي يتمدد، ويتقلص، ويتشكل في هيئة اخرى ، شعرت بأعضائي تنفصل، وتتحد في صورة جديدة ، لم اعد احس بالارض التي اسير عليها ، كاد يغمى علي ، ولم ينقذني سوى الدموع بكيت، وبكى آخرون من حولي)) (٤) . .

سميح القاسم كذلك (وليد بزغ) ودرسدن) وزوريخ) و (شتوتغارت) وتبرتبرغ) ومدن وقرى اخرى ، وكانت له لقاءات مع طلاب، ومواطنين من اهالي المدن المذكورة . ومن تشيكوسلوفاكيا، زار المانيا الغربية ، وسويسره، والمانيا الديمقراطية . ومرة ثالثة سافر سميح القاسم الى الاتحاد السوفييتي ، حيث تلقى دراسة ماركسية ،

---

١) م ٠ ن ص ٢٣
٢) الجديد : لقاء مع سميح القاسم : شهرا متد ثلاثة اشهر . العدد ٨ آب سنة ١٩٧٠ ١٧ ص ٢٣ .
٣) م ٠ ن ص ٢٣
٤) م ٠ ن ص ٢٣

ودورة في اللغة الروسية ،وبعد تسعة اشهر قضاها في الاتحاد السوفيتي ،قـام بجولة في الغرب شملت لندن وباريس . ففي معظم المدن والعواصم التي زارها التقى سميح بالطلاب والعمال العرب ،والقى عليهم المحاضرات ، وعقد الامسيات الشعرية واللقاءات السياسية ،واجرى مقابلات عديدة مع جملة من الصحف والمجلات العربيـة والاجنبيـة (١)....

في موسكو دعي سميح القاسم ،لحضور موئتمر كتاب الاتحاد السوفيتي في التاسع والعشرين من حزيران عام ١٩٧١ . وهناك التقى بعدد كبير من الادباء والشعراء العرب والاجانب وعقد مع بعضهم صداقات حميمة ،وهو يقول في معرض زيارتـه لموسكو : ((في التاسع والعشرين من حزيران هذا العام (١٩٧٠) اسعدنـي ان اكون بين قادة الحزب الذين اشتركوا في جلسة الافتتاح وبين المندوبين الخمسمئة الذين مثلوا كافة شعوب الاتحاد السوفيتي))(٢)..

هذه صورة للاتصالات التي قام بها سميح القاسم على الصعيدين الداخلـي والخارجي ،وللموءتمرات والندوات التي اشترك فيها ،وللاشخاص الذين التقـى بهم ، وتبادل معهم وجهات النظر في مختلف القضايا الادبية والفكرية والسياسيـة والاجتماعية والتي انعكست اثارها جليـة على آثاره الادبية وتجربتـه الشعريـة ، وحياته الفكرية فقويت دوافعه النفسية للبذل والعطاء والصمود والتحدي ، وقهر الظلم ، وللوقوف بثبات كالطود الشامخ امام التحديات التي فرضت عليه وليقف كذلك بجانـب الحق والمسحوقين يناصرهم في قضاياهم العادلة التي تجمعه بهم وحدة المصيـر امام الظلم والجبروت والطغيان .

بعد هذا العرض ، سأتناول جانبا آخر يرتبط ارتباطا وثيقا بثقافة سميح القاسم ، اعني مواهبه . فالموهبة ؟ وما هو وجه الصلة بين الموهبة والثقافة ؟ وهل تخـدم مواهب الشاعر ثقافته ؟ وما هو طابعها ؟ هل اثرت في شعره ؟

---

(١) مقابلتي من سميح في بيته بتاريخ ٢٨-٢-١٩٧٥

(٢) سميح القاسم : التجربة الثقافية تجربتان وحصيلتان . الجديد . العددان ٩ ، ١٠ سنة ١٩٧١ ص ١١ .

مواهبـــــــة

نعني بالمواهب الاستعدادات الفطرية لممارسة الأعمال المتنوعة مــــن زراعيـــة وصناعية ، وتجارية وفنية على اختلاف ضروبها وأشكالها ، وهي متفاوتـــة في العلماء والأدباء ، وغيرهم من رجال الأعمال . فقد تبلغ عند بعضهم درجـــة العبقريـــة ، وعند بعضهم الآخر دون هذه الدرجة .

ومواهب سميح القاسم متنوعة تبعًا لتنوّع واختلاف التأثيرات الحياتية عليـــه عليه . فقد كان في صباه وقبل ان يبلغ الخامسة عشرة من عمره يميل إلى اللعـــب مع رفاق صباه ، ويكثر من الاختلاط بالأذكياء ، وسماع أحاديث كبار الرجال مـــن عائلته ، وقطن بلدته ليستزيد معرفة بواقع حياة الشعب العربي الفلسطيني الـــذي ينتمي إليه بفخر واعتزاز ، كما كان شغوفًا بالدراسة والبحث ، وملازمة المعلمين فـــي معظم أوقات فراغه ، كي يرشف من نمير علمهم وفنهم وأدبهم . مما قوّى مواهبه الأدبيـة التي كونت منه شاعرًا وناقدًا أديبًا وسياسيًا من الطراز الاول في واقع الحياة العربيـة على الأرض الفلسطينيـــة المحتلة (١) . .

وبعد أن شبّ وتخرّج من المدرسة ، وعمل مدرّسًا وممرضًا في قوات إسرائيـــل النظامية . اتخذ له أصدقاء من العرب واليهود والأجانب ، وعاصر الأحداث السياسية التي عملت بقوة وجنابة رهيبة ضدّ أهله وقومه . وسار في منتصف الأعاصير التـــي عصفت بالابرياء من العرب داخل المنطقة المحتلة ، قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ وخارجها من فلسطين العربية من جرّاء الاعتداءات الاسرائيلية البربريـــة ، وارتطـــم بالواقع المرير المؤلم الذي أصبح يعيشه اخوانه الفلسطينيون على الارض الفلسطينية ، وخارجها في المخيمات بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ بعد هذه المؤثرات نمـــت مواهبه وتشعبّت ، وفعلت فعلها الساحر العجيب في ميادين السياســة والأدب والنقد ، بعد أن فاضت انفعالاته ، وأحاسيســه إستجابة لهذه الأحداث . وأصبح سميـــح القاسم نتيجة هذه المواهب اديبا لا يُجارى وسياسيًا لبقًا ، وناقدًا أديبًا وسياسيًا واجتماعيًا فطنًا ودقيقًا ، نرى هذا منعكسًا على الصفحات التي تحتضن كلماتـــه ، وقوافيه وعواطفه وأخيلته ، وأفكاره ومعانيه ، وخوالج نفسه الأدبية المترفعة التـــي لا تقبل الضيم تارة ، والإنسانية الحانية الذائبة ألمًا وحسرة نتيجة للحرمان السياســي والفكري والمعاشي ، الذي يعيشه سميح القاسم وشعبه العربي الفلسطيني داخـــل وخارج الأرض الفلسطينية المحتلة .

---

(١) من حديث بلّغني إياه في مقابلة أجريتها معه بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٧٥ بداره في حيفا شارع عباس

أنظر إلى هذه المواهب تتفجّرُ غيظًا وألمًا حانقًا على المحتلّ حين يقول(١) . .

اتحـــــدى !
كلُّ ما أملك من ميراث جدي وأبـــي
ان اتحدى !
كلّ ما أفهمه من لغة الريـــــح
وأسرار القرى المند شــــرة
ومواويل الينابيــــــــع
على أعشابها المحتضرة
شهقـــة مكتومـــــــة
تحفظها عني جذور الشجرة
شهقـــة . . . ان أتحدى !
كل مايسكنني من أنين الأطفال
في المنفى المدمّـى
كل ما أسكنه من وطني الغائب
اسما ومسمّى
صرخـــة تجرشني . . أن أتحدى

. . . .

فمي يقطر بترولاً وشهـــدا
ألمي يثمر لوزًا ومزامير وورد ا
فاسجنوا كسرة خبزي
جاورتني بالمنافي . . أتحدى
فنّد وا الحجة بالاصفاد والزنزانة الخرقاء ،
إني اتحدى :
ألبروا الطاعون والحزن ،
وأبقى أتحدى —
اقطعوا زنـــدي

---

(١) سميح القاسم : د يوان قرآن الموت والياسمين (الناشر مكتبة المحتسب القدس شارع صلاح الدين . ت ٢٨١٢٢ ص ٠ ب ١٩٢٢٤ ص ٥٣—٥٤

بالصدر المدمى اتحدى :
واقطعوا ساقـيّ
أعلو صهوة الجرح وامشي
وبعنقي أتحدى
بجبيني . . . اتحدى
وبأسنانـــي ،
وأسنان الاغاني . . أتحدى :

++++++++++

واقتلوني . . . اتحدى
أقتل الموت .
وآتيكم ، إلهاً يتحدى . . .

وفي قصيدة أخرى تحت عنوان انتظار كتب يقول : "(١)

لم أرجئ الموت ،
ولكن ليالي الغاب
طالت ،
وخيل الأخوة الأحباب
ماتت على الدرب
ولم تصهل على الأبواب
لم أرجئ الموت
انتظاري
يفتح الأبواب . .

أثر ثقافته في سلوكه الحياتي والأدبـــي :

سميح القاسم ،صاحب ثقافة واسعة ، اكتسبها من شخصيته ، ومطالعاتـــه ودراسته ،واتقانه لبعض اللغات ،ولثقافته العسكرية ،ورحلاته ،والموءتمرات العالميـــة التي حضرها ، ومن اللقاءات التي اجراها معه ،مندوبو الصحف ،ورجال الفكـــر) والأدب ،واحتكاكه بهم . كل هذه العوامل اكسبته قوة وحيوية ونشاطا في الحيـــاة

---

(١) سميح القاسم : ديوان قرآن الموت والياسمين . ص ٩٩ — ١٠٠

العملية ، وغذت ونمت تجربته الشعرية والأدبية ، وغيرت نظرته للحياة . غيرت نظرته السياسية لتغير الأوضاع في المنطقة والتطور في المفهوم السياسي والنضالي .

اكسبت سميح القاسم ثروة لغوية كبيرة ، تمثلت في كتاباته النثرية والشعرية . في أشعاره ضد الظلم والتخلف والتفرقة والعنصرية ، وفي معرض تقييمه لأعمال الشعراء يرى سميح القاسم في الشاعر نايف سليم ، في معرض تناوله لديوانه (من أغاني الفقراء) أنه شاعر الفقراء والمسحوقين ، متمرس في منازلة الاستبداد ، وإن الاعتقال المنزلي أصبح شيئاً عاديا عنده . واختار سميح قصيدة من الديوان المذكور تحمل عنوان (حادث عادي) ليقول في بعض منها :

الشمسُ تهوي كالغريقـة في اللظى خلف الجبال
والقريـة النعسى تكاد تهزها ريح الشمـال
وأحس خفق الجو ـ والقصب المرنّح والدوالـي
ويسارع الأطفال خلف ظلالهم يتراكضـون
وتحس وشوشة القسائم والحمائم في الغصـون
وكأنُ ساحرة تهامس ، ثم يمتدُّ السكـون
الصمت ران على الجميـع
والأفق يشرب زعفران الغسق .
يغرقُ في النجيـع ....
وسمعتُ خفق حوافر تعلو الدرج
كالحلم كان ... رأيته .
كالبومة السوداء تنهش ناظري .. تشقّ بابي
طاقيةُ البوليس ، والوجه المقطب بيرقان
وكأنَّ نارًا في ثيابي .....

يعلق سميح القاسم على هذه الأبيات بقوله : ((إنها نار الصمود ، والتحدي والأمل ، تلك التي يحسها الشاعر نايف سليم ، وهو يتلقى الأوامر التعسفية والإرهابية . وهي نار لن تنطفيء أبدًا ما دام الظلم ماثلا جاثلا (١) ...)) .

فتحت ثقافة سميح القاسم أمامه فرص الحياة ، وكشفت لعينيه حقيقة الأوضاع ، الأحداث التي هزّت العالم العربي بأسره في منطقة الشرق الأوسط . فتحت عينـي

---

(١) سميح القاسم : ليكن واضحا . الشاعر نايف سليم والحادث العادي . الجديد العدد ٩ ، سنة ١٩٧٢ ص ٦٥

سميح القاسم على حقائق لم يكن يتجاهلها . كيف لا ؟ وهو ابن النكبة شرب حليبها ، وتغذى بهمومها ، وذاق مرارتها ، واكتوى بنارها .

أحداث حرب الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ، كشفت أمامه حقائق ثورية لا مجال لانكسارها ، اتضح له أن الطريق الصحيح أمام حركة التحرر العربي هي: ممارسة مبادئ الاشتراكية العلمية بشكل علمي . كان قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ مؤمنا بنوع غامض من الاشتراكية ، ولكن أحداث حزيران ، كانت الحد الفاصل بين ايمانه العاطفي والوعي (١) ...

بعد أن اطّلع سميح القاسم على قاموس الشهير الصهيوني ، وعلى الوثائق والقرارات الصهيونية ، تكشفت أمام عينيه الحقائق جليّةً ، أخذ يحذّر العرب من الخطر الصهيوني ، من المباشرة في التعبير والتهديد .

وجه انتقاداً لاذعاً لأغاني الحروب والاناشيد الحماسية ، وعن الحروب والثورات والحقوق المغتصبه التي تثير الحماس، ولكن سرعان ماينطفئ الحماس مع انطفاء اللحن أو سرعان ما ينسى الكلمات الرّنانة الصاخبة كالأجراس الكبيرة ، ويعجب بفيروز ، وبفنّها الرفيع ويتساءل :

هل يستطيع الإنسان أن يفلت من حنجرة فيروز حين تغنّينا عن أي شيء ؟ عن السنابل والأعشاب والحب ، عن الناس والسلام والحب والبيوت والنجوم . لماذا ؟

لعلّ سميح القاسم يريد من الاغنية العربية ان تبتعد عن المباشرة في التعبير، الذي يخدم الاسرائيليين ، ويترجمونها للغات العالم ، لتشويه سمعة الأمة العربية . . بل يريد ترجمة الأقوال لأفعال ، والرمز والتلميح عوضا عن التصريح . يُشيد بأغنية فيروز الذي كتبها ولحنها العربيان الجديدان منصور وعاصي الرحباني. قصة ، حكاية صبي ، كان اسمه شادي . كان يأتي من الأحراش يلعب مع صديقته الصغيرة ، يكتبان على الحجارة قصص الهوى الصغيرة . في يوم من الأيام اشتعلت الدنيا ، وصار القتال يقترب من التلال . ركض شادي ليتفرج ، فخافت صديقته ونادته ، لكنه لم يسمع . وأوغل في قلب الوادي المشتعل ، ومن يومها لم يعد شادي . وكبرت صديقته ، وظل شادي صغيرا . وجاء الثلج وذهب الثلج ، وكبرت صديقته ، وظل صغيرا يلعب على الثلج . ويتابع سميح قوله : ((في الأغنية ـ القصة كلها لم ترد كلمة الحرب ولو مرة واحدة . لم ترد من الحماس الجرسي، ولو كلمة واحدة ، ولكننا سمعنا ورأينا مأساة

---

(١) الجديد : لقاء مع سميح القاسم . حياتي وقضيتي وشعري . العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٩ ص ٢٦

مروعة من مآسي الحروب تزعزع قلوبنا وضمائرنا ، وتجندنا ضد الحرب البشعة ، وفي جبهة السلام الصافية كصوت فيروز العجيب ، تجندنا النقاتل ونقاتل من أجل شادي حتى يكبر مع صديقته ، من أجل الاطفال جميعًا (١) . . .

ثقافة سميح القاسم أثرت في سلوكه ومفهومه الأدبيّ والنقدي إذ تعرض لمفهوم الالتزام والفن ، وموقف بعض الأدباء العرب في غمرة الصدمة الحزيرانية . يرى أنّ بعض العناصر شرعت تروج من جديد لفكرتها القائلة : بالتناقض بين الفنّ والسياسة ، ويرى سميح القاسم أنّ هذا الموقف قد تبنته الصحف المجهزة في أروقة الهستدروت والدوائر الحكومية للشؤون العربية ، وشؤون الاحتلال . ويذكر أن التاريخ أكّد تماما الهزيمة التاريخية لهذه الفكرة ، ولن يستطيع أصحابها تبيض صفحة وجه الاحتلال ، والحكام الصهيونيين التوسعيين ، يستشهد بقول (جورج أورويل) الذي يقول :

(دمنا يسيل على السياسة ، وخبزنا يعجن بالسياسة ، وقرانا تهدم بالسياسة ، وانجازاتنا تتحقق وتكبر في السياسة ، فأين أنتم رائحون ؟ (٢) . . . .

مع العلم أنّ سميح القاسم كان يؤمن قبل حزيران سنة ١٩٦٧م بالفصل بين الفن والسياسة ، ولكن الأحداث أوصلته إلى قناعة تامّة إلى الالتزام والالتحام العضوي بين الفن والسياسة (٣) . . .

أوصلت الأحداث العالميّة ، لا سيّما الأحداث على الساحة العربية سميح القاسم إلى قناعة تامّة ، أنّ العلاقات الثقافية بين الدول الاشتراكية ، وبين العرب ، تخالف العلاقات القائمة بين الدول الرأسمالية والعالم العربي . فالأولى تقوم العلاقات على التلاحم والتعاون الوثيق وتنمية اللغة بالنفس لدى العقل العربي ، والفكر العربي ، والوجدان العربي .

أما الثانية : فإنها قائمة على خلق مركبات النقص والقزامة ، كما كانت الحال في العلاقات الثقافية بين عواصم الاستعمار ، والأمة العربية الممزقة (٤) . . .

ثقافة سميح القاسم ، وتعلقه بالقومية العربية ، جعلتاه ثائرًا ضد التفرقة والطائفية ، ومن هذا المنبع ، بدأ يتحدث عن الدروز ووطنيتهم الصادقة ، ويرى أنهم بدأوا ينتبهون إلى الأخطار الحقيقية التي تحدق بهم ، وبدأوا يرفضون السياسة التي تفرضها عليهم السلطة بأيّ شكل من الأشكال .

---

١) سميح القاسم : شهريات : من أجل شادي . الجديد . العددان (١ ، ٢ ، سنة ١٩٧١ ، ص ٣

٢) سميح القاسم : يكن واضحا . أفكار على شاشة الرادار الحزيراني . الجديد . العددان ٤ ، ٥ ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٤ ، ٥

٣) هذا ما أكده لي في معظم مقابلاتي معه

٤) سميح القاسم : ليكن واضحا . أفكار على شاشة الرادار الخريراني . الجديد . العددان ٤ ، ٥ ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٥

سميح القاسم كثيراً ماطلبته السلطة للتحقيق معه ، لأنه في نظر الصهيونية قد أفسد العلاقات الطيبة بين الاسرائيليين والدروز ، وسمّم أفكارهم ، وأن هؤلاء الشباب ضُبطوا متلبسين بأشياء تمس أمن الدولة ، ويجابهونه بأدلة وقرائن تثبت صحة مايقوله المحقق الإسرائيلي (١) ..

ثقافة سميح القاسم أثّرت على سلوكه الحياتي . لم يقبل المهادنة أو الملاينة ، أو المصالحة على حساب غيره ، بل كان موقفه واضحاً وضوح الشمس ، رافضاً كلّ تلك المحاولات التي كانت تُفرض عليه التبعد عن إخوانه في النضال وفي المصير ، وعن ابناء وطنه . فعندما زاره الشاعر المصري التقدمي (بمبي) وعرض عليه فكرة إحياء أمسية شعرية يشترك فيها شعراء من العرب واليهود محادون للحرب . رحّب سميح القاسم بالفكرة ، لكنّه رفضها رفضا باتّاً ومطلقا ، عندما طُلب منه الشاعر اليهودي التقدمي أن لا يكون عنيفاً كعادته ، كان سؤال سميح للشاعر المذكور عما إذا كان راغباً في فنجان قهوة . (٢) ... "

رحلات سميح القاسم غذّت تجربته النضالية والأدبية والسياسية وأكسبته مكاناً مرموقاً في عالم الأدب . ففي تشيكوسلوفاكيا دُعيَ لندوات ولقاءات عديدة مع طلاب عرب واجانب ، ومع جماعات مختلفة من التشيك . وفي تلك اللقاءات والندوات شهد حوارا ياسيا وأدبيًا واجتماعيًا نشطاً ومن خلال هذا ..... اتضحت له معالم كثيرة لم يكن ليعرفها لو لم يخرج إلى الطبيعة . سميح نفسه يقول : (أعجبني من بعض الطلاب العرب وعيهم للدور الهام الذي يستطيعون أداءه في الغربة خدمة لقضيتهم وشعبهم ، وساءني من الآخرين تصرفاتهم العامة التي تجعل منهم عنصراً ممتازًا لتشويه سمعة العرب ، وتعميق العداء لهم ، وطمس ملامح قضاياهم السياسية والاجتماعية) (٣) ...

وساء سميح القاسم دور السفارات العربية في مراقبة الطلاب العرب وتوجيههم ومساعدتهم وبهذا الصدد يقول : (شيء آخر ساءني للغاية ، فحين سألتُ عن دور السفارات العربية في مراقبة الطلاب ، وتوجيههم ومساعدتهم ، قال لي صحفي مصري معروف : "ان معظم موظفي السفارات العربية بحاجة إلى من يراقبهم ويردعهم" (٤) ..

---

١) اثناء مقابلتي له في حيفا بتاريخ ٢٠ / ١٢ / ١٩٧٤ .
٢) سميح القاسم : صفحات من مفكرة . الجديد ، العدد ٧ ، سنة ١٩٦٢ ، ص ٣٢
٣) مجلة الجديد : لقاء مع سميح القاسم . امتد ثلاثة أشهر ، العدد ٨ ، ٦ سنة ١٩٧٠ ، ص ٢١
٤) م . ن ، ص ٢٢

رحلات سميح القاسم أنفذت ايد يولوجيته ، وعمّقت إيمانه بالاشتراكية ، وفي معرض ذلك يقول :

(بعد ايام قضيتها في تشيكوسلوفاكيا وفي "براغ " خاصة ، أحسستُ أن مأساة ما وقعت هنالك ، ورافق هذا الإحساس صداعُ شديد ، لم يخلصني منه سوى رحلتي إلى ألمانيا الغربية وسويسرا ، والمانيا الديمقراطية . هذه الرحلة أنفذتني أيديولوجيا ، وعمّقت إيماني بأنّ الاشتراكية هي أفضل ماتوصلت إليه الإنسانية لحلّ مشاكلها (١) . »

ومن انطباعه بعد رحلته لموسكو يقول :

((لقد خرجت من رحاب الكرملين ، وأنا أكثر اقتناعا ، وأعمق إيمانا بأننا نحن الشيوعيين وحدنا القادرون على تغيير العالم كما ينبغي (٢) . .))

من كلّ ماسبق من أمثلة نرى مقدار الثقافة وتنوّعها في سميح القاسم ، وأثرها في سلوكه الحياتي والادبي .

هل من إتصال بين ثقافة سميح ومذهبه الديني ومعتقداته السياسية ؟

وكيف يتم ذلك ؟ .

---

١) م . ن . ص ٢٤

٢) سميح القاسم : الثورة الثقافية تجربتان وحصيلتان ، الجديد . العددان ٩ ، ١٠ ، سنة ١٩٧١ ، ص ١١ .

الفصـــل الرابـــــع

مذهب سميح القاسم الديني ومعتقداتــــه السياســـــية

لسميح القاسم مذهبة الديني الموروث، وله مذهبه السياسي المكتسب، فسميح درزي بالولادة، وقد ثقف الثقافة الدينيـة المذهبيـة ... وهو شيوعي بالثقافـة، وقد التزم بالمذهب السياسي الشيوعي، ومن خلاله ناضل لتحرير وطنه الفلسطينـــي، وحرية شعبه العربي .. فكيف تجلت حقيقة المذهبيـة، بوجهيها، في أدب سميح ونصوصه ؟ وكيف تسربت ملامح عصره الى مذهبه ؟ .

مذهبه الدينـي :

سميح القاسم عربي مسلم، درزي المذهب وتقضي امانه البحث العلمي هنا، ان اتحدث باقتضاب عن الحركة الدرزيـة لما لها من دور فعال في ميول الشاعر وتوجيه حياته، ولبيان مدى انعكاس المفاهيم الدرزيـة وفلسفتها على أدبه ونفسه وشخصيتـه وفنه .

الدّروز فرقـة اسماعيليـة، اتسمت بطابع الباطنيـة . اخفت عقيدتها عـــن غيرها من الفرق الاسلامية، ظهر الدروز ايام الفاطميين وانطووا على انفسهم، وحاذروا ان تذاع عقيدتهم، وتعرف اسرارها، وفي الوقت نفسه حرصوا . ولا يزالون يحرصــون على انتشار وشيوع عاداتهم وتقاليدهم واعتقاداتهم بين معظم الناس، وقد سبب لهـم هذا الحرص حرجا كبيرا . ((ونتيجة لهذا الانطواء كثرت حولهم الاقاويل وتناثـرت الباطلـة والافتراءات الجريئـة (١))) .

للدروز اسماء متتابعة ومتنوعة في الاسلام، لانهم في حقيقة الامر نشأوا زمــن الرسول محمد عليه السلام، وكانوا يعرفون باسم (الانصار المؤمنين)، ثم عرفوا فيما بعد بالشيعة العلوية، ثم شيعة آل محمد، ثم شيعة جعفريـة، ثم اسماعيليـــة، ثم موحدين، ثم قرامطة، ثم فاطميّين دروز، وهو الاسم الذي يعرفون به حتـــى اليوم، ويقال: ان الدّرزيـة نسبة عسكرية، وليست عقائدية، ومرجع ذلك لمحاربتهـم تحت لواء الاميرانوجور ابي منصور المعروف باسم انوشتكين الدرزي (٢) ..

---

١) د . مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب، ص ٢٤٦

٢) سليم ابو اسماعيل : الدروز وجودهم ومذهبهم ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٧١ ، بيروت .

وهناك اختلاف في سبب تسمية الدروز بهذا الاسم . هل ياترى ترجع لفظة درزي — بضم الدال وسكون الراء — ام بفتح الدال والراء معا ؟ ومرجع ذلك لارتباط التسميتين بشخصيتين بارزتين هما : محمد بن اسماعيل الدرزي ١) . . بفتح الدال المشدودة والراء — وهذا هو احد الداعين الى تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمي المعروف باتجاهاته اليهودية المجسوسية ، والذي بشر عندهذا في وادي التيم موطن الدروز الاول باسم (نشتبكين) الدرزي — بفتح الدال وسكون الراء — ام ان التسمية ترجع الى ابي منصور (انوشتكين) الدرزي بضم الدال وسكون الراء — وهو احد قادة الحاكم بأمر الله ؟ ومهما يكن من أمر هذه التسمية يقال : ان الطائفة تنتسب الى هذا الاخير ، لان الدروز لا يزالون يلعنون نشتكين ويجلون انوشتكين (٢) ومن هذه العلاقة تنتسب الطائفة هذه الى الفاطميين ، وترتبط بهم لعلاقتهم بالحاكم بأمر لله الفاطمي ، والدروز عرب خلص في نظر الدكتور مصطفى الشكعة اذ يقول :
(الدروز عرب خلص ، فهم من لخم وتنوخ ، وهما قبيلتان عربيتان لكل ماض مشرق ، وان لم يكن (٣) ». كل أبناء القبيلتين ممن اعتنقوا المبادئ الدرزية حتى أننا نجد احيانا الاسرة الواحدة وقد ضمت فروعها سنيين واماميين ودروز .

العقيدة الدرزية وفلسفتها :

آمن الدروز بكل الرسالات السماوية رسالة اثر رسالة ، ولما جاء الاسلام سارعوا الى اعتناقه . والحديث عن الدرزية يوقع الانسان في الحرج ، وعدم الدقة ، لتستر الدروز في امور دينهم ، ولاقتصار هذه الامور على العقال = رجال الدين ومشايخه = اما ماعداهم من الدروز فلا يعرفون شيئا عن امور دينهم ولا يسمح لهم بالاطلاع عليها الا بعد امتحان طويل ، ويسمى هؤلاء بالجهال . ومن هنا نشط المغرضون والنفعيون في ايقاع الشر والفساد بين الدروز واخوانهم العرب المسلمين . وسارعوا الى تشويه الصورة الحقيقية للمذهب الدرزي ، ومعتقداته ، فنسبوا كثيراً من الرسائل الغاصة بالانحرافات العقائدية الى الدروز ولكن الدروز لم يهتموا بهذه المحاولات ، ولم يحاولوا الرد عليها ، مما سبب تضاربا عنيفا في آراء الباحثين عن الدروز ومعتقداتهم ، وفلسفتهم في الحياة . ويقول د . مصطفى الشكعة في هذا المعنى : (أصول العقيدة الدرزية — خليط من نظريات وافكار الفلاسفة القدامى من يونان وايرانيين وهنود وفراعنة . (٤)

---

١) راجع الموسوعة ، العربية الميسرة ط ١ ١٩٦٥ . دار مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر باشراف محمد شفيق غربال ص ٧٠٩

٢) الدروز — للزعبي ص ٣٦ — ٥٢ — والدروز : د . سليم ابو اسماعيل ص ٧

٣) د . مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب . ص ٢٥١

٤) م ن . ص ٢٧٦ .

يعرف الدروز بالزهد، والتقشف والابتعاد عن الشبهات والمحرمات والاعراض عن بهارج الدنيا وزخرفها، وعدم التملق للسلطان والحاكم، كما يعرفون بالهدوء وكثرة الصمت، والطهارة والعفة، والصدق، والاكثار من تلاوة القرآن الكريم، والانقطاع للعبادة مع الاجتهاد في كسب الحلال من الرزق ولهذا فهم معروفون بالزهد ..

(الزهد عند بني معروف – اي الدروز – يبدأ مسلكه بالاطلاع على حياة المتصوفة واستقصاء اخبارهم ويأخذ من آدابهم مايستطيع الاخذ به ويقبل على قراءة اخبار الزهاد (١) .. ثم يسهب الدكتور الشكعة في الحديث عن كبار زهادهم وشعرائهم، أمثال : جمال الدين التنوخي، ويوسف الكفرقوفي، والشيخ محمد ابو هلال وغيرهم.

تأثر الدروز بالفلسفة اليونانية القديمة، حتى ان المعاصرين الدرزيين يقرنون عبارة (عليه السلام) بكل اسم من اسماء فلاسفة اليونان / افلاطون وارسطو، وفيثاغورس وهرمس وغيرهم . تماما كما لو كان واحد منهم نبيا سماويا (٢) ......

ونتيجة لهذا التأثر فقد وضع العقل الارفع او الكلي عندهم على قمة عقيدتهم الدرزية قائلين : (إن ارادة الايداع واجبة الوجود بوجود ذلك الابداع، وهي بالبداهة اصل كل موجود وعلته، وهي علة جميع العلل في الوجود. والله مصدرها وينبوعها (٣)

ومن معتقدات الدروز التي عرفتها من خلال دراستي لكتاب اصل الموحدين الدروز للكاتب اللبناني الدرزي امين محمد طليع (٤) ... وحديث الاستاذ نبيه القاسم من هذا الكتاب في مجلة الجديد (٥) ... مايأتي :

١– النطق : تذكر الانسان بعض ماكان له في حياته السابقة ليوم الدين الذي يؤمنون به والنطق عندهم كما جاء في كتاب اسلام بلا مذاهب للدكتور الشكعة (هو ان الروح حين تنتقل من جسد الى جسد تحمل معها معلومات عن دورها في الجيل السابق (٦) .

---

(١) راجع اسلام بلا مذاهب – د . مصطفى الشكعة، من ص ٢٥٥ – ٢٦٢
(٢) اضواء على سلك التوحيد . د سامي مكارم . ص ١٤٥
(٣) م . ن : ص ١٥٨
(٤) امين محمد طليع : اصل الموحدين الدروز . دار الجليل للطباعة والنشر ١٩٦٧
(٥) نبيه القاسم : في معرض حديثه عن كتاب . اصل الموحدين الدروز لامين طليع / الجديد، العدد ٦ ، ١٩٧٦ ص ٣١ – ٣٢
(٦) د . مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب / ص ٢٨٠

٢ ـ الثواب والعقاب : يكونان بمقدار ما تكتسب النفس من المعرفة، والعقيدة في ادوار تقمصها المتعاقبة، وانتقالها من جسد لاخر . والذي يريد ان يعرف مزيدا من العلم عن الثواب، والعقاب، والخبراء عند الدروز، عليه ان يراجع كتاب مذهب الدروز للاستاذ النجار (١) . . .

٣ ـ التناسخ او التقمص : وهو انتقال الروح من جسد الى جسد، لانها لا تموت .

٤ ـ يوم الدين : هو في العقيدة الدرزية غير يوم القيامة ، وهو يوم الحساب الذي هو نهاية مراحل الارواح وتطورها في نظرهم ، لان الارواح عندهم، لا تموت لتبعث ولا تنام لتوقظ (٢) . . .

٥ ـ الله : عند الدروز واحد احد ، قديم لا بداية له ولا نهاية . خلق العالم دفعة واحدة وخلق البشرية سوية (٣) . . . .

٦ ـ العقل : هو جوهر بسيط روحاني ، وفيض من نور الله ، وحجته بين مخلوقاته (٤) . .

٧ ـ النفس : وهي ثلاث : كلية ، وجزئية وانسانية ، ولها خمسة اعمال : تدبير ، نية ، اعتقاد ، قول ، وعمل (٥) . . .

التنظيمات الدرزية :

ينقسم الدروز الى طبقتين :

الطبقة الاولى :

الروحانيون : رجال الدين الذين يلمون بأصول المذهب . وهم الرؤساء، والعقال، والاجاويد . بيد الرؤساء : جميع الاسرار الدينية ، وبيد العقال : التنظيم الداخلي للمذهب ، وبيد الاجاويد : الاسرار الخارجية، وعلاقتها بالمذاهب الاخرى .

والطبقة الثانية :

الجثمانيون : وينقسمون الى امراء ، وعامة ، وجهال .

فالأمراء : اصحاب الزعامة الوطنية، ولا يحق لهم ان يحضروا الطقوس الدينية الا بعد امتحانات طويلة، تؤخذ عليهم بعدها مواثيق غليظة اسمها ميثاق ولي الزمان (١) . .

---

(١) ص ٥٨ — ٨٠
(٢) راجع اسلام بلا مذاهب ـ للدكتور الشكعة ، ص ٢٨٢ (١٩٦٦)
(٣) من حديث نبيه القاسم عن الدروز . الجديد . العدد ٦ حزيران / ص ٣٢
(٤) نبيه القاسم : في معرض حديثه عن كتاب (اهل المواحدين الاروز الامين طليع . الجديد . العدد ، ١ ، سنة ١٩٦٦) ص ٣٢
(٥) م . ن ١ ص ٣٢
(٦) م . ن ، ص ٣٢
(٧) د . مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ...

الديـن الدرزي :

دين صوفي، يعتمد على الجواهر، والداخليات، ولا يهتم بالشكليات ، لا يقبـــل الدروز احدا في دينهم ، ولا يسمحون لاحد بالخروج منه ، وتعلم دينهم وقـــف على فئة معينة من الدروز، تتوفر فيها شروط خاصـة بهم ، والصلاة عندهم مع انهـــا خمسـة فروض ، الا انها تختلف في عدد الركعات ، وطريقة الاداء عنها عند جمهـور المسلمين ، والصوم عندهم عشرة أيام في شهر ذي الحجة، تنتهي بالعيد الكبيـــر الاضحى . وصوم رمضان عندهم مستحسن، لمضاعفة الثواب فيه ، والزكاة عندهم مبطلـة ولا حدود لها . والحج غير مفروض عندهم . والطلاق عندهم طلقـة واحدة لا رجعـــة فيها .

مصدر التشريع عند الدروز هو القرآن الكريم وحده ، واحيانا يلجأون الى بعـض الاجتهادات ، ولا يؤخذ بالحديث النبوي الشريف والسنة عندهم .

يعتبر الدروز أنفسهم في طليعة المسلمين الأوليين الحقيقيين ، ولهـــــم بطولاتهم الخارقـة في الدفاع عن الاسلام، واراضيه على اختلاف العصور والازمـنـة . ويفضلون ان يطلق عليهم اسم الموحدين ، لانهم يرون انفسهم اهل توحيد للخالق .

معتقدات سميح القاسم السياسيـة :

سميح القاسم من الشخصيات الفلسطينيـة الادبية البارزة ، وممن اكتووا بنار الظلم ، والاستعباد ، وهو واحد ممن قارعوا السلطات في احلك الظروف، وخاض معها معارك مريرة قادته الى السجن اكثر من مرة ، والقاسم انسان عميق يؤمن بكل القيم الانسانيـة ، فمنظار نظرة واقعية مليئـة بالمحبة والوفاء لامته العربية والدرزيـة ولشعبه الفلسطينـي العريق . هذه المحبة الشاملة والوعي الكامل لم تعم سميح القاسم ، ولم تقف حائـــلا بينه وبين انسانتيه . وشب سميح القاسم يافعا واذا بالارض مغتصبـة ، والاهل مشردون والعشيرة متفرقة ، والكلمـة ممزقـة ، والمآسي متلاحقـة بدءا من نكبـة ١٩٤٨ وانتهاء بحرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ م . وما آلـت اليه هذه الحروب من ويلات ونكبات متلاحقة .

يعتز سميح القاسم بقوميته ، شأنه شأن كل شاب في المدارس الثانوية ، فمال الى الناصريـة ، لان الاغلبيـة الساحقة من الشعب الفلسطيني كانت تميل للناصرية لان الناصرية في نظر الشاب حركة ثوريـة محليـة قوميـة ، ورد فعل على عقــــد وتناقضات وعلى مآسـي كثيرة ، وسميح القاسم في بدايـة نشاطه السياسي رأى فـــي

الناصرية الخلاص (١) . . وكان سميح يتتبع نشاط الاحزاب السياسية في اسرائيل ، ولمس في نفسه اهتماما شديدا بالمسألة القومية ، ونجم الاهتمام هذا عن قضية الشعب الفلسطيني بالدرجة الاولى ، وعن المحاولات الصهيونية لعزل الطائفة الدرزية عن امتها، وشعبها العربي بالدرجة الثانية ، لتجسد بذلك عملا مروعا ويزيد من تفكك الامة العربية، والوطن العربي، وتجزئته الى مقاطعات، ودويلات، وولايات قبلية عشائرية، وطائفية، ومطوكية . هذه الاحداث جعلت اهتمام سميح القاسم ينصب في المجرى القومي ، ورأى في الناصرية طريقا قويما للخلاص من كل هذه المآسي . ونتيجة لاهتمام سميح القاسم بالسياسة ، شعر سميح القاسم يتعاطف الحزب الشيوعي بالنسبة للاحزاب الاخرى التي تدور جميعها في حلقة الفكر الصهيونية ومن هذا المنطلق اخذ يحس بميل واحترام للحزب الشيوعي ، وعرف نفسه انه من اليسار الناصري ، ولكن الشيوعية تتعارض مع القوميات بصيغة خاصة ، ولهذا نشب صراع بين الناصريين والشيوعيين في العالم العربي ، وانتقل الصراع الى عرب اسرائيل ، ودار حوار عنيف بين الطرفين . ووجد سميح القاسم نفسه مشتركا في الحوار، والاعتزازه بقوميته العربية، اعلن رفضه لحالة العداء بين الجانبين. وفي هذا الخصوص يقول سميح : (غيراني بقيت احس باحترام وبميل خاص نحو الحزب الشيوعي ، وعرفت آنذاك بانني من اليسار الناصري ، وحين نشأت الازمة بين الناصريين والشيوعيين في العالم العربي — دار هنا حوار عنيف بين الطرفين، واشتركت في الحوار ، فأعلنت رفضي لحالة العداء بين الجانبين ، وكتبت يومها: ان الاعداء وحدهم يستفيدون من الصراع) (٢) . . . ولقد بدأ الحديث عن تشكيل حركة الارض ، وكان من المفروض ان يكون سميح القاسم من المؤسسين ، ولكن حدث خلاف حول قضية الموقف من الشيوعية (٣) . . . ولم ينتسب سميح القاسم اليها ، وبقي سميح محبا للناصرية الى ان حدثت نكسة حزيران سنة ١٩٦٧ ، فشعر سميح القاسم ان الناصرية بالون ضخم تفجر ، واسفر عما بداخله ، ولكنه رغم ذلك بقي يعترف بالانجازات الكبيرة التي حققتها الناصرية ، والتي اسهم فيها "عبد الناصر" شخصيا ، ونشأ لديه شعور بان الحركة الناصرية ، وحركة التحرر العربية يجب ان تنتقل الى مواقف اكثر ثورية وفي رأيه: ان هذه المواقف تتمثل في الماركسية، ويقول في هذا الشأن (في سنة ١٩٦٧

---

١) صحيفة الفجر . العدد ٢٦ ، تاريخ ٣٠ — ٦ — ٧٢ ،ص ٤ ، ع ٤؛

٢) صحيفة الفجر . العدد ٢٦ ، تاريخ ٣٠—٦—٧٢ ،ص ٤ ، ع ٤؛

٣) صحيفة الغدير، صحيفة طلابية تصدر عن كلية بيرزيت . العدد الاول ، تشرين الاول، سنة ١٩٧٢ ،ص ٤ ، ع ٤؛

" شعرت ان الناصرية كالبالون الضخم رتفجر، وشعرت ان بداخله هواء ، وبالرغم من الانجازات الكبيرة التي حققتها الناصرية ، والتي اسهم فيها عبد الناصر شخصيا ، نشأ لديّ شعور بان الحركة الناصرية ، وحركة التحرر العربية يجب ان تنتقل الى مواقف اكثر ثورية ، وفي رأينا ان هذه المواقف تتمثل في الماركسية (١) ".. ولايمان سميح القاسم بقوميته العربية والفلسطينية خاض معارك شديدة مع السلطة ، ضد التفرقة الطائفية ، وضد اللامبالاة القومية ايضا ، وضد اليأس الذي حاولت السلطة والقوى الرجعية اشاعته في صفوف السكان العرب .

وسميح القاسم واجه باستمرار معركته النضالية التحريرية مع السلطة التي شنتها ضده وضد زملائه الاحرار الذين يناضلون من اجل الكرامة والحرية والحياة الفضلى .

يسارية سميح القاسم :

عمل سميح القاسم في صفوف الحزب ، وفي صحفه ، دون ان يطالب منه الانتماء الى صفوفه ، رسميا ، وهي حالة خاصة ونادرة في اي حزب شيوعي ، فتأثرت نظرة سميح القاسم بوجود الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، ونشاطه بين العرب . فبعد الخامس من حزيران اثر اعتقاله مع جماعة من رفاقه ، تبعا لضرورات الامن الاسرائيلي . اكتشف سميح القاسم ان نتائج حرب حزيران كشفت امام عينيه اشياء كثيرة منها اتضح له ان الطريق الصحيح امام حركة التحرر العربي هي ممارسة مبادئ الاشتراكية العلمية بشكل علمي ، وكان سميح القاسم مؤمنا بنوع غامض من الاشتراكية ، ولكن حرب حزيران ١٩٦٧ كانت الحد الفاصل بين الايمان العاطفي والوعي ، وفي السجن ، سلم سميح القاسم احد اعضاء اللجنة المركزية ، وكان رفيقا له في السجن ، طلب انتساب الى الحزب الشيوعي ، وقد قبل طلبه وهو في السجن ، ويقول سميح " في الخامس من حزيران ولدت من جديد (٢) ".

يشيد سميح القاسم بالحزب الشيوعي قائلا : (والحقيقة يسجل تاريخنا ، ان هذا الحزب اسهم في حماية الوجه القومي للعرب في اسرائيل ، واسهم في حماية التراث ونشوء ادب محلي ، فقد كانت صحف الحزب هي الوحيدة التي نشرت انتاجنا ، واي تنظيم عربي صرف ، كانت السلطة تهدد ضربة بالرصاص) (٣) ...

---

١) م ٠ ن ، ص ٤ ، ع ٤ ، ٥ ،
٢) سميح القاسم : صفحات من مذكرة . الجديد ، العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٦ ص ٢٦
٣) صحيفة الغدير : العدد الاول تشرين الاول ١٩٧٢ ، ص ٤ ، ع ٤ ،

ومن خلال هذه الاشارة نكتشف سبب اقدام الشباب العربي المقيم في اسرائيل ، على الانتساب للحزب الشيوعي ، لان الشاب العربي يجد في الحزب الشيوعي الاسرائيلي — كما وجد سميح القاسم — الملاذ الوحيد الذي يمكن من خلاله الانطلاق لمحاربة العدو ومضايقته ، ويستطيع من خلال الحزب الشيوعي ، ان يعبر عن آرائه بحرية نوعا ما . ومن هذا المنطلق يكن الشباب العربي المقيم في اسرائيل لحزبه الاحترام والتقدير . ومن هذا المنطلق ايضا ، كان سميح القاسم اول المسارعين الى الحزب ليعبر عن آرائه ، وليسمع صوته الهادر الى الملأ ، ليفضح الاستعمار الصهيوني المحتل ، فسميح نفسه يقول : ((اتمنى ان اقرأ شعري في كل بقعة من ارضنا المحتلة ، لعله يكون قادرا على منح الناس والتراب والاشجار شيئا من الامل ، وشيئا من القدرة على الصمود (١))) . ولكن سميح القاسم أن رأى في الحزب اى انحراف لا يؤدي الى اشباع وطنيته ، كان يسارع بمعارضته والوقوف امامه بحزم ، ولقد اخبرني ((انه انضم الى الحزب الشيوعي الاسرائيلي على اساس ان الحزب جزء من الامة العربية الفلسطينية ، ولكن عندما اجتمع روءساء الحزب واقطابه وارادوا محو تلك الفقرة ، وقف امامهم بشدة وحزم ، وهدد بالانسحاب من الحزب ، وايده في موقفه محمود درويش ، فرمى سميح القاسم ببطاقة الحزب للمجتمعين ، ولكن محمود على غنه الظروف خاصة ، لانه كان يعمل جاهدا لارسال شقيقه ببعثة الى الاتحاد السوفيتي على حساب الحزب الخاص ، ولانانيته تخلى عن موقفه الوطني لاتفه الاسباب ، ولكن سميح القاسم انتصر في النهاية ، وبقي البند كما هو لم يمح (٢) ...))

ولعل هذا الموقف الوطني يكشف ويفصح عن جوانب سميح القاسم النضالية ، واهتمامه الواسع والشديد بالمسألة القومية واعتزازه بها . هذا الاهتمام الذي نجم عن القضية الفلسطينية وشعبها المشرد ، لانه اكتوى بنار المحاولة الصهيونية لعزل الطائفة الدرزية عن امتها العربية ، وشعبها الفلسطيني . فسميح القاسم عندما ينتسب الى الحزب يسير وفق مفاهيم واضحة ، وطريق مستقيمة وروءيا مستنيرة ، لايشوبها غموض ، وهذا ما اشار اليه بقوله : ((.. ولكن من الافضل ان يكون الانسان منتم الى موءسسة ، او تنظيم حزبي معين ، بشرط ان يكون هذا التنظيم سليما ، لا ان يصبح مجرد جهاز . وان يكون موجها لتفجير الطاقات وليس لكبتها (٣) ...))

---

(١) صحيفة الفجر العدد ٢٦ . تاريخ ٣٠/٩/١٩٧٢، ص ٤ ، ع ٤ ، ع ٤

(٢) مقابلتي مع سميح ٤/١٠/١٩٧٤ في بيته ، شارع العباس — حيفا

(٣) جاء ردا من سوءال ، هل من الضروري ان يكون المقاوم الفلسطيني منتم لاى حزب ارتباط سياسي حتى يعطي صفحة الثورة الفلسطيني ؟ صحيفة الغدير : العدد ١ تشرين الاول سنة ١٩٧٢، ص ٤، ع ١

ويأخذ سميح من الاشتراكية مايوافق الاوضاع العربية الراهنة ، ولا يطلب تقليدها تقليدا اعمى والسير وراءها دون الاخذ بالاعتبارات الوطنية ، وفي هذا المجال يقول : (انا دائما كنت ارى في الماركسية حركة ثورية عربية ، وهذا لا يلزمنا ان نقلد اي بلد شيوعي ، او نأخذ تجربة هنغاريا اوالاتحاد السوفيتي ونطابقها عندنا تطبيقا تاما . اننا نأخذ المبادئ والافكار التي هي ضد الاستغلال والاستعباد ، والتعصب الديني والطائفي والعائلي ، وتطبيقها في مجتمعنا ، واغلبية جماعة الارض كانت لديهم مواقف معادية لذلك لم اوافق على برنامج حركة الارض ولم انتم اليها (١) ... ".

وانصافا للحقيقة لا بدلي ، من ان استعرض نصوصه الحزبية التي كتبها في مجلة الجديد لنكشف مواقفه الحزبية من خلالها ، ولنعطي القارئ صورة واضحة عن ملامحه الحزبية .

يسارية سميح القاسم من خلال نصوصه :

رأي سميح القاسم في الصراع الحاد بين الايديولوجيا الاشتراكية من جهة ، والايديولوجيا الرأسمالية من الجهة الاخرى ، ان هذا الصراع اسفر عن رجحان دائم في ميزان القوى الدولية لمصلحة منهج الحياة حاضرا ومستقبلا . منهج الاشتراكية العلمية ، والتي تقود مسيرتها المظفرة الحركة الشيوعية العالمية ، وفي طليعتها فصائل الحزب الشيوعي السوفيتي ، حزب لينين الفتي بخبراته ، والذي اثبت جدارته بالقيام بالمهمات المنوطة به والتي تلقيها على عاتقه مكانته الخاصة ، وتجربته الفريدة الرائدة في حركة التاريخ . وينظر سميح القاسم للاوضاع السياسية في العالم بين الاشتراكية الشيوعية ، وبين الرأسمالية الغربية واجهزتها الامبريالية ، ان الرأسمالية الامبريالية تفقد مواقعها واعصابها تحت ضربات الحركات الشرعية ، وحركات التحرر القومي ، وخاصة كلما اشتد الصراع . وسميح القاسم شديد الاعجاب بالدولة السوفيتية يقول : (تبهرنا الدولة السوفيتية بقدرتها الهائلة على التحرك والاحتفاظ بالدقة في المضائق الخطرة التي تحاول الامبريالية زج البشرية في مآسيها وكوارثها (٢)

وتقدير سميح القاسم للاوضاع العالمية وللاشتراكية الدولية ، ان الممارسة الفعالة اثبت صحة مبادئ (لينين) واثبت التطبيق نجاعتها رغم حواجز الحقد والاضاليل التي تفرضها البرجوازية الدولية لتحاصر مبادئ الاشتراكية اللينينية . ولكنها تتدفق

---

١) جاء ردا عن سؤال . ماهي درجة العلاقة بينكم وبين الشعراء الفلسطينيين المتواجدين بالضفة الغربية والقطاع وبقية الدول العربية ؟ صحيفة الفجر ، العدد ٢٦ تاريخ ٣٠-٩-١٩٧٢ ، ص ٨ ع ٤ .

٢) سميح القاسم : حديث الشهر مئة سنبلة ، وليسقط السيف ، الجديد ، العددان ٢ ، ٣ ، سنة ١٩٧٠ ، ع ٣ .

كالنهر مكتسحة كل مايعترضها ، وسميح القاسم شديد الاعجاب والتغني بثورة اكتوبر الاشتراكية ، ويتغنى بمولد " لينين " في الرابع والعشرين من نيسان ، ويشن هجوما عنيفا على البرجوازية التي تحاول وضع العراقيل امام الاشتراكية .

يرى سميح القاسم ان الملايين في العالم تستمد القوة من (لينين) ومن وطن (لينين) ، ويرى ان درب لينين هو الدرب الحقيقي نحو آمال الملايين المنشودة ، ويرى ان حركات التحرر القومي التي اخذت مكانها الطبيعي من التاريخ في عصر ثورة اكتوبر الاشتراكية ، كانت هذه الحركات ستدفع ثمنا باهظا لولا الدعم المالي والمعنوي الذي وجدته من قلعة الوطن السوفيتي ، الذي وضع اسسه وصقل وجهته حزب لينين العظيم ، ويرى سميح كما هي الحال في الاحزاب الاشتراكية وفق نظريتها العلمية ان التحركات الجماهيرية هي التي تصنع التاريخ وترفض رفضا قاطعا مايذهب اليه المؤرخون المثاليون من ان الرجال المقديدين هم الذين يصنعون التاريخ . ومن هنا نشأ موقف الماركسية المعادي لتقديس الشخصية ، وهذا الموقف لا ينفي قدرات الافراد الشخصية ، والقياديين الذي يتمتعون بقدرات وامكانيات ومواهب ذاتية وتنظيمية ترفعهم الى القيادة ، حيث تتجلى عظمتهم ، وتتجلى المعيتهم (١) . . .

يرى سميح القاسم في (فلاديمير ايليتش لينين) انه من أبرز القادة في العصور الحديثة بلا منازع ، ويرى الفرق واضحا بين عظماء التاريخ الذين احتلوا اماكنهم في التاريخ بفضل سلطة موروثة او مغتصبة ، وبين اولئك الذين ارتقوا الى اماكنهم بوساطة الجماهير وبوعيها التام يقول : (لقد توفرت في لينين خصائص العالم العظيم والسياسي العظيم في آن واحد . فلم تكن تبهره الفكرة الفلسفية بحد ذاتها ، وكان لابد لها من ان تثبت سلامتها على محك التطبيق ولم يعرف التاريخ رجلا مثل لينين ، يستحيل على دارس سيرته العثور على حدود واضحة بين حياته الخاصة وبين حياته العامة . يتصرف في منزله ومع اصدقائه تصرف الزعيم الذي يقود حركة كبرى ، ويتصرف في مكتبه تصرف رب الاسرة الطيب والمتواضع والحميم . ويتابع سميح قوله . . كان في نظرته للعلاقات الاجتماعية رافضا لتجزئة الموقف ، فأنت صديقه مادمت صديقا للطبقة العامة وحركتها الثورية ، وانت منتزع من قائمة اصدقائه في اللحظة التي تنفصم فيها من التيار الجماهيري (٢) . . . ويشيد بلينين في الكثير

---

١) م ٠ ن ؛ ص ٣
٢) م ٠ ن ؛ ص ٤

من موقع وموقف لسياسته قائلا : ((كان لينين يؤكد دائما على ان الحسم في المعركة ضد الرأسمالية يتم في انتاجية العمل)) (١) ... ويصف الاعمال الجليلة والخدمات الكبيرة الواسعة التي قدمها "لينين" لروسيا في مختلف مرافق الحياة يقول سميح : ((لافتقار روسيا الهائل الى كوادر الفنيين والاختصاصيين . فقد كرس للمعاهد الصناعية جانبا هاما من خطته في الثورة الثقافية في سبيل تربية العمال التقنيين القادرين على ارساء الاقتصاد الاشتراكي، والاسهام في خلق المادة للمجتمع الشيوعي، وجعل القرن العشرين قرن الثقافة الاشتراكية)) (٢) ..

يتحدث سميح عن رحلته الى المانيا الغربية وسويسره، والمانيا الديمقراطية على انها انقذت ايديولوجيته وعمقت ايمانه، بان الاشتراكية هي أفضل ماتوصلت اليه الانسانية لحل مشكلاتها، يقول سميح : ((فأنت تستطيع ان تشاهد بوضوح تفوقا رأسماليا في البريق واللمعان الخارجي ، ولكنك بعد المقارنة تتأكد من ان الانسان هو الذى ينتصر، ويحظى بالاستقرار والهدوء النفسي، والترحيب بالمستقبل ، بينما يتضح لنا تماما الصراع الوحشي في النظام الرأسمالي، والعداء بين التقدم الاقتصادي والاحتكارى الرأسمالي، وبين الانسان العامل المسحوق، والمغبون والخائف من المستقبل)) (٣) .. لقد عاد سميح، وهو اشد تمسكا بموقفه من الجبهة ، انه مطمئن تماما بعدالة معركته ومعركة حزبه ، وحركته العالمية يقول سميح: ((ببساطة نحن في صف الخير ، نقاتل الشر ، ويجب ان ننتصر عليه مهما كان الثمن)) (٤) ... وسميح القاسم شديد الاعجاب بكل الابطال الذين يقفون صامدين امام الظلم والاستعداد، ويشيد بـ (كاريشيف) الجنرال وأحد ابطال الحرب العالمية الثانية ، وشهدائها الخالدين ، يصفه سميح بالعبقرى، اذ يقول: ((كان عبقريا عسكريا، يعتز به الجيش الأحمر ، ولم ينهزم امام اغراء النازيين بالذهب والكنوز ، بل اغلى من ذلك حياته ، قاوم من اجل وطنه، فنزعوا عنه ملابسه ووضع تحت الثلج في الليل القارس وفي الصباح كان جثة متجمدة، ولكنهم وجدوه كالتمثال، وعلى شفتيه الابتسامة الساخرة العالية نفسها التي جابههم بها عند تهديدهم)) (٥) ... ويتخذ سميح من هؤلاء الابطال رمزا للصمود وقهر

---

(١) سميح القاسم : الثورة الثقافية تجربتان وحصيلتان . الجديد ، العددان ٦ ، ٥ ، سنة ١٩٧١ ص ٨

(٢) م ٠ ن ص ٨

(٣) الجديد . لقاء مع سميح القاسم العدد ٨ سنة ١٩٧٠ ص ٢٤

(٤) م ٠ ن ص ٢٤

(٥) سميح القاسم : بلاد الصمت . الجديد . العددان ٧ ، ٨ سنة ١٩٧١ ص ٢٠

الظالم ودعوة صريحة للمثابرة حتى ولو خسر المرء الفلسطيني روحه في سبيل نيل الكرامة والعزة والهناء ، افضل من ان يعيش عيشة ذل وصغار .

موقف سميح القاسم من الثورة الثقافية اللينينية والثورة الثقافية في الصين :

مفهوم الثورة :

الثورة عند سميح القاسم هي تحطيم كل ما من شأنه عرقلة تطور قوى الشعب المنتجة ، وتصفية كافة المظاهر السلبية في واقع الانسان ، والارتفاع به الى علاقات اقتصادية وسياسية واجتماعية جديدة ، بحيث يحتفظ بالايجابي من التراث ، ويكتسب حاضره صفات اعلى تصلح لتشكيل القاعدة المادية والفكرية للانتقال الى المجتمع اللاطبقي الخالي من الاستغلال ، مجتمع الكفاية وتكافوء الفرص والسلام ، المجتمع الشيوعي (١)

تعني تحطيم كل ما هو سلبي في الماضي والحاضر الذى يصير هو نفسه ماضيا ، والاخذ بكل ما هو ايجابي وانساني وبناء من التراث ومن الواقع ، والانطلاق منه نحو العالم الجديد (٢) . .

اما مفهوم الثقافة :

الثقافة عند سميح هي كل مايبدعه الانسان في مجالات نشاطه كلها من قيم مادية وروحية . الثقافة تعني العلم والفن والادب واللغة واساليب التدريس ومبادئه . انها البناء الفوقي للمجتمع . فالثورة الثقافية يجب ان تتناول حياة الانسان برمتها ، ويرى سميح انها ملتحمة التحاما عضويا بالثورة السياسية التي تعني الاستيلاء على السلطة ، والثورة الاقتصادية تعني انتقال ملكية وسائل الانتاج من ايدى الطبقات المستغلة الى ايدي الجماهير العاملة المنتجة (٣) . . .

يمجد سميح القاسم (لينين) وثورة اكتوبر الاشتراكية ويقول : ((بثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، توفرت لاول مرة في التاريخ امكانية اعادة الحق الى نصابه ، وامكانية تطور الانسان دون عراقيل ، على حد تعبير "ماركس وانجلز" وتربية وتعليم واعداد

---

١) سميح القاسم : الثورة الثقافية تجربتان وحصيلتان . الجديد ، العددان ٤ ، ١٠ سنة ١٩٧١ ص ٨

٢) سميح القاسم : ليكن واضحا . افكار على شاشة الرادار الجزيراني . الجديد العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٧٢ ص ٤

٣) سميح القاسم : الثورة الثقافية تجربتان وحصيلتان . الجديد ، العددان ٤ ، ١٠ سنة ١٩٧١ ص ٨

أناس متطورين من كل الوجوه ، ومستعدين من كل الجوانب ، وقادرين على القيام بكل شيء "كما قال لينين" (١) .. ولقد أحرزت روسيا تقدما هائلا في ميدان الطباعة والصناعة وتصفية الامّية والزراعة التعليم الابتدائي ، ووفرت الفرص لمتابعة التعليم الجامعي ، وبمقابل هذا التمجيد يشن سميح القاسم حملة عنيفة على الصين الشعبية ورئيس ثورتها الثقافية (ماوتسي تونغ) قائلا « في الصين اغلق الماويون ابواب المدارس لمدة طويلة نسبيا بذريعة الثورة الثقافية » (٢) ... ويذكر سميح القاسم ان الثورة الثقافية اللينينية السوفيتية قد عنيت بالأعمال الادبية والفنية الكبرى التي خلفها المبدعون الروس ، بجانب اعمال المبدعين العظام من ابناء الشعوب الاخرى حيث اصبح الاتحاد السوفيتي جديرا بان يعتبر الوطن الثاني لشكسبير "اناتول فرانس" "وويلز" "بلزاك" "وويتمان" وغيرهم .

اما الثورة الثقافية في الصين بقيادة (ماوتسي تونغ) فهي في نظر سميح : انها قد هدمت التراث العالمي الادبي والفني . ولم يسلم من شرها كتاب الصين التقدميون ، ويستشهد سميح القاسم برجل من أبرز قادة الحزب الشيوعي الصيني الا وهو (وانغ منغ) الرجل الذي غادر بلاده ليتجو برأسه ورأيه ، ولقد وضع مؤلفا بعنوان (الصين ثورة ثقافية ، ام انقلاب للثورة المضادة ؟ (وينقل سميح ماقاله (وانغ منغ) في كتابه المذكور وملخصه : ان انصار ماوتسي تونغ) يدمرون التراث الصيني العظيم بحجة الثورة الثقافية ، ويدمرون الثقافة التقدمية الاجنبية ، ويحرقون الادب الماركسي "اللينيني" المطبوع في الصين ، وفي الاقطار الاشتراكية الاخرى يحرقون اعمال الكلاسيكيين والمحدثين من المبدعين الانسانيين الكبار أمثال: ("سرفانتس" "وبلزاك رابسن") و تولستوى) "غوركي") "شولوخوف")، ويحرقون اشعار "هوميروس" "ودانتي" "وهايتي" ،"وويتمان" ، وناظم حكمت ، ويهدمون المعابد البوذية ، والجوامع الاسلامية ، يزعم قادة الصين انهم يريدونها ثورة ثقافية بروليتارية خالصة (٣) .. ويشن سميح القاسم هجوما عنيفا على شخصية (ماوتسي تونغ) و (لين بياو) مساعده الايمن (وهنالك نرى صورة "ماوتسي تونغ" الذي هو الشمس على حد تعبير الثورة الثقافية في بكين ، نرى صورته وأقواله الميتافيزيقية في معظمها تشغل المساحة الكبرى من مجمل وسائل الاعلام المفروض ان تكون جماهيرية» (٤) .. ويسخر سميح القاسم

---

١) م ٠ ن ص ٨

٢) م ٠ ن ص ٩

٣) سميح القاسم : الثورة الثقافية تجربتان وحصيلتان . الجديد ، العددان ٩ ، ١٠ سنة ١٩٧١ ص ١٠

٤) م ٠ ن ص ٩

مما يكتب في الصحف الصينية عن "ماوتسي تونغ" ويرى ان المضمون الاساسي للثورة الثقافية المزعومة في الصين، هي تقديس شخصية الزعيم ماو ، ويرى سميح فرقا واضحا بين الايديولوجية اللينينية والماوية ، فالحزب الشيوعي السوفيتي — حزب لينين منسجم في ثوراته السياسية والاقتصادية والثقافية . اما الصينية — فيما يسميه سميح القاسم عصابات "ماوتسي تونغ" — تدوس وتحطم كل ماهو جميل وانساني وثقافي ، وثوري في الصين ، باسم الثورة الثقافية (١) . . . ويتحدث سميح في اكثر من موقع في كتاباته عن منجزات ثورة اكتوبر الروسية ، ويعدد انجازاتها ، كما جاء في العدد العاشر "الجديد" ١٩٧٢ ويرى سميح في الاتحاد السوفيتي رغم كل حملات التشكيك البرجوازية انه لم يتخل عن مسؤولياته التاريخية الاممية ازاء الانسانية قاطبة ، ويقول : ((وجيلنا شاهد عيان على ماقدمته ومازالت تقدمه ثورة اكتوبر للحركة الثورية العالمية ، رغم كل الملابسات التي تكتنف هذه الحركة ، ورغم كل العقبات التي تعترض مسيرتها))(٢) . . ويرى سميح ان كل حركة ثورة (٣) . . . او كل حزب سياسي ثوري لن يكونا قادرين على ضمان النصر مالم يسترشدا بالرصيد الضخم من التراث الثوري السوفيتي .

ولعل تمجيد سميح القاسم للثورة الاشتراكية اللينينية ، مرده لموقفها النضالي كما يراه — الى جانب البلدان الضعيفة . لتشد من ازرها . وسميح ممن اكتووا بنار الظلم والحرمان الذى وقع على أمته العربية الفلسطينية ، ويمتدح موقف الاتحاد السوفيتي لوقوفه بجانب الامة العربية في احلك ظروفها ، وللمساعدة التي يقدمها في مشاريع العمران والدفاع والمجالات الحيوية الاخرى، ولمناصرة الاتحاد السوفيتي لقوى التحرر في العالم الثالث .

رأي سميح القاسم في القضية الفلسطينية ، واحداث الوطن العربي :

يعتز سميح القاسم بقوميته العربية ، سميح القاسم فلسطيني دما ولحما وتفكيرا وقضية . ففي عام ١٩٤٨ تجلت مأساة الشعب العربي الفلسطيني في أكثر من شكل واكثر من صوت . كان سميح القاسم في التاسعة من عمره ، أنه يذكر ذلك اليوم الذى وقف فيه مع والديه مفغوري الافواه مأخوذين بالدهشة ، منبهري الانفاس ازاء الشاحنات التي رحلت من قريته الرامة الى الشمال ، مكدسة باللاجئين الجرحى ، والجنود

---

(١) م . ن ص ٩ ، ١٠ ، ١٤
(٢) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد . العدد ١٠ سنة ١٩٧٢ ، ص ٤
(٣) م . ن ص ٤

الهاربين في اعقاب قادتهم . ويتذكر سميح القاسم قول الجنود لاهالي (اقرت) في الجليل الاعلى : ((هي ايام ويستتب الامن وتعودون الى قريتكم ... يتذكر وعود السلطات الزائفة ، ويذكر ان اربعا وعشرين سنة مضت على اهالي (اقرت) وهم لاجئون في الرامة ، محرومون من وطنهم وبلدتهم (اقرت) . يعتز سميح بنشاط اهالي (اقرت . المطالبين بالعودة الى قريتهم ، ولجوئهم الى محكمة العدل العليا التي اصدرت قرارا يعترف بحقهم في العودة الى قريتهم)) (١) ..... ولكنه لم يبق من القرار الا ماكتب على الورق . لم يبق من القرية الا الكنيسة .

يعترف انه قد ادخل في روعه ، ووجد نفسه متلبسا باليأس وقال في سره ((تمت اللعبة ، اصبح الاقارتة راميين ، فويل للنسيان)) (٢) ولكن الأيام اثبتت له عكس ذلك ، ويعترف ان رؤياه كانت حالة ضعف لا اكثر ، وصداق ذلك ماحدث . فبعد مضي اربع وعشرين سنة ضجت صحف البلاد بكل اللغات نبأ وصورة اهالي اقرت الذين يطالبون بالعودة الى قريتهم ، ويعتصمون في منزل المطران (يوسف ريا) ويعلنون اضراب الجلوس .

يثق سميح ثقة مطلقة بالشعب الفلسطيني وعدالة قضيته ، ويرى أنه لابد من ان يرجع الى وطنه ، وان رجوعهم الى وطنهم العزيز سيتحقق ان عاجلا او آجلا وفي هذا الشأن يقول : ((هل تعرفون اسطورة العنقاء التي تحدق في الصحراء العربية ، ثم تبعث من الرماد ؟ انها ليست اسطورة . فهذه العنقاء التي تنبعث من الرماد هي (اقرت) وهي كل اللاجئين ، وكل الشعب العربي الفلسطيني لانها كل الشعوب ، ولانها علم)) (٣)

يتغنى سميح القاسم بالدروز بوطنيتهم ويؤكدها . الدروز في اسرائيل وطنيون وينتبهون للاخطار الحقيقية التي تحدق بهم ، ويرفضون السياسة التي تفرضها عليهم السلطات الاسرائيلية بأي شكل من الاشكال تسمح لهم الفرصة للتعبير عنها .

الشباب الدروز مثقفون وواعون . جمال فرهود شاب عربي درزي من قرية الرامة رفض الخدمة العسكرية فوضع في السجن ، رفض الخدمة في جيش اصبح وسيلة للقمع والاحتلال ، ويرى سميح ان لجمال فرهود اكثر من سبب لرفض الخدمة العسكرية

---

(١) سميح القاسم : ليكن واضحا . عنقاء اسمها (اقرت) الجديد . العدد ٦ سنة ٧٢ ، ص ١ ، ص ٤

(٢) م ٠ ن ص ٤

(٣) م ٠ ن ص ٥

شكلا وهمونا ، فمن الذى يستطيع تبرير اكراه العرب الدروز على تصويب البنادق الى صدور اهلهم واخواتهم وتراب اجدادهم ؟ ووجه لجمال فرهود تحية ، وذكرة انه معه ، وكل الاحرار معه في معركة العادلة (١) ..

رثى سميح القاسم الأديب الفلسطيني غسان كنفاني ، كتب عن حياته ونضاله ، وتتطرق لحادثة قتله غيلة وغدرا ، وستشهد بالتاريخ ، ويرى ان العرب قد احتلوا اسبانيا اكثر من سبعة ونيف من القرن ، ولكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بالأرض ، ولم يستطيعوا زعزعة ثقة اهل اسبانيا بأرضهم ، ولم يستطيعوا الثبات . ويذكر الفارق بين معاملة المسلمين لاهالي اسبانيا ، ومعاملة الاسرائيليين لعرب فلسطين ، ويقول رغم ذلك فان اهالي اسبانيا اخذوا يعبرون عن انفسهم بشتى الوسائل والطرق . كان اهالي اسبانيا ضعافا ، ولكن ظهرت في المقاومة الاسبانية ظاهرة اصبحت فيما بعد حركة سجلت في ارشيف الزمن باسم ((حركة الاستشهاد)) وانها حركة اليأس التي يقدم عليها انسان يغالب الانفجار والتمزق ، بينما تنقض عليه ، وتنهش فيه قوة عنيفة ويرى سميح القاسم ، ان من انظمة الطوارئ التي ابتدعها اجدادنا في الاندلس ان من يشتم الرسول العربي جهارا يعاقب بالاعدام . فما كان من افراد حركة الاستشهاد الا ان بدأوا يجوبون الشوارع ويشتمون الرسول الكريم جهارا حتى يعلقوا على المشانق ليمارسوا شكلا من اشكال التعبير عن رفض الاحتلال ومقاومته . وبعد تحليله للاحداث السابقة يرى سميح تشابها في الاوضاع اثر مقتل غسان كنفاني المناضل الفلسطيني واغتيال قادة المنظمات (٢) ... ويستنتج من ذلك قوله ((هل سيؤدى استمرار نكبة الشعب العربي الفلسطيني الى ظهور حركة الاستشهاد داخل حركة المقاومة الفلسطينية)) (٣) ... ويرى سميح القاسم ان الاجابة عن تساؤله بالايجاب ينطوي على خطر ليس بالنسبة للمقاومة الفلسطينية وحدها ، بل بالنسبة لصانعي النكبة من أسياد واتباع وعملاء (٤) ....

---

١) سميح القاسم : ليكن واضحا . العدد ١ سنة ١٩٧٢ ص ٦ ، راجع ص ١٢٨ ، ١٢٩ من هذه الرسالة .

٢) راجع الجديد : سميح القاسم : ليكن واضحا . العدد ٤ سنة ١٩٧٣ ص ٤ ، ٥ ، ٤٧ يتحدث فيها عن اغتيال كمال ناصر ، ومحمد يوسف نجار ، والعدوان في بيروت . وجاء مقاله تحت عنوان (ليكن واضحا . حضارة الاغتيال

٣) سميح القاسم : ليكن واضحا . غسان كنفاني وحركة الاستشهاد الفلسطينية . الجديد . العددان ٧ ، ٨ تموز آب سنة ١٩٧٢ ص ٣

٤) م . ن ص ٣

يرى سميح القاسم من المناسب "ان يتكيف المرء حسب الظروف والاحوال ، لكي يجد الفرصة المناسبة للانقضاض على عدوه ، للحصول على فرصة ذهبية ليستفيد منها ، وتخرج بنتائج ايجابية ، ويستشهد بأمثلة من التاريخ، كانت المساومة عليه عطاء، لتجديد الطاقات واعادة بنائها ، من اجل القضاء على العدو الخارجي ، ويضرب لنا مثلا على ذلك . "موقف لينين") الذي فاوض المانيا في الحرب العالمية الاولى ، لان المانيا كانت اقوى من الاتحاد السوفيتي آنذاك . وفاوض لينين رغم معارضة رفاقه المخلصين جدا على حد تعبير سميح — لعملية المساومة . قام "تروتسكي") رئيس الوفد السوفيتي في المحادثات مع المانيا بتعطيل المفاوضات ، لانّه لا يحمل مبدأ المساومة بأي شكل من الاشكال ، ومع ذلك لم يفت من عضد "لينين" ، وفاوض لايمانه الوثيق بان عملية المساومة هي مجرد خطوة موقتة ، حتى تنشأ الظروف المناسبة لتصفية آثار المساومة (١) . . وعندما وجه الى سميح السؤال حول قصيدته (خطاب من سوق البطالة (التي برز فيها قضية الشاب الذي يحارب في رزقه وفي حياته من اجل ابتزاز سكوته أجاب سميح الشاعر قائلا : (ان المساومة في مثل هذه الحالة تعتبر غير مقبولة في ظرف كهذا)(٢) . . . ،

يرى سميح القاسم انه من المناسب وفق قرار مجلس الامن رقم(٢٤٢)ان يساوم العرب على القضية الفلسطينية ويرى بان من مصلحة العرب المساومة وقبول قرار مجلس الامن ، لانّ في حالة موافقة العرب بالاجماع على قرار مجلس الأمن ، فان اسرائيل سترفضه . ويعللّ سميح القاسم موقفه بقبول قرار مجلس الأمن بان اسرائيل في موقف قوة) والعرب في موقف ضعف ، لذلك لا مانع فيما اذا ساوم العرب بقبول قرار مجلس الامن ، الذي يعطي مكاسب معينة لاسرائيل ، ولكن في الوقت نفسه يمنع الاستيطان ويمنع التوسع ، وينبه الاذهان ان قرار مجلس الامن يرفض ضم القدس لاسرائيل ، ويرى ان القرار المذكور هو افضل الاشياء التي يجب ان يناضل العرب من اجلها (٣) . . . . . .

سميح القاسم له رأي في القضايا المطروحة على الساحة العربية لحل أزمة الشرق الأوسط التي انقسمت بين اقصى اليمين واقصى اليسار . فمن الحلول المطروحة الحل الذي يتزعمه بعض رجالات الضفة الغربية وهو (قيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع) وهذا الحل مشكل ، وهروب من الواقع نتيجة يأس واستسلام أصحاب

---

(١) صحيفة الغدير : العدد الاول . تشرين الاول ١٩٧٢ ص ٤ ، عم ٢

(٢) م . ن ص ٤ ، عم ٢

(٣) م . ن ص ٤ ، عم ٢

هذا الرأي من مواصلة النضال . والحل الثاني : وهو مشروع المملكة المتحدة ، مشروع الملك حسين . وهذا الحل غير مقبول،وهي عملية تراجع الى الخلف ، ويقرن هـــذا الحل بمشروع "يغال الون" وعلى اية حال،اصحاب هذا الرأي ينقسمون بين موءيـــــد للملكة المتحدة وموءيد لمشروع يغال الون ،وكلاهما اقليـة لا تتجاوز في اقصـــى حالاتها عن ٣ ــ ٤ ٪ ،والحل الثالث:وهي اقامـة دولـة دمقراطية شعبية علـــى غرار دول المعسكر الاشتراكي،يعيش فيها اليهود الفلسطينيـون ضمن دولـة واحـدة دون تمييز . لسميح القاسم رأي في ذلك (١) ....

سميح القاسم له رأي صريح حول هذه القضايا . ومن اجل هذا يناضل، ويوءكد، انه لا مفر من اعتراف اسرائيل بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني،والـــذى يجعل هذه المسألة بعيدة بعض الشيء توازن القوى في المنطقـة،وداخل اسرائيـل . ويتساءل سميح القاسم،ماذا علينا ان نفعل حتى ذلك الوقت ؟ ويرى،ان بعض المهتمين بتلك القضايا،قد طرحوا وتقدموا بايجابات مثاليـة تبدو ثوريـة في ظاهرها بينمـــا تخالف ذلك ، بل تنطوي على اخطار شديدة ،ويكاد يكون ميئوسا من تحقيقهـــا . ان القول بدولة مشتركة للشعبين شيء جميل جداً ،ولكن سميح القاسم،يعود بالذاكرة الى عام ١٩٤٨ ، وهو العام الذي يعتبره الميلاد الحقيقي والنفسي له ، عـــام تقويض الشعب الفلسطيني ،ويذكرنا ان العرب قد رفضوا الدولة المشتركة للشعبيـــن في عام ١٩٤٨،والان نرى الصهيونية قد اشتدت شوكتها ، وتعاظمت قوتها ، وحققت مزيدا من القوة والتقدم والتوسع على حساب الشعب الفلسطيني،والشعوب العربية كلها . فبعد حرب حزيران سمحت السلطات الاسرائيلية الاكثار من المشاريع فظهرت وبـرزت مشاريع من تأليف اشخاص مهزوميـــن من الشعب الفلسطيني ،وبعضها من تأليـــف اشخاص اسرائيليين في الحكم وخارجه، مثل "ديان" و"الون" ، بينما تنشط السلطـــات الاسرائيلية في مواصلة بناء المستعمرات،وشق الطرق ،وخلق الامر الواقع لترسيـــخ وتثبيت الاحتلال وتخليده . وبناء على هذا فان اقرب الحلول،واكثرها واقعية فـــي نظر سميح القاسم،هو قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) القرار الذي اقره العالم ، والـــذي يمكن من خلاله الضغط على اسرائيل وامريكا . ويرى سميح ان الدولة التي تقـــوم تحت ظل حراب الاحتلال وسهامه،لا يمكن ان تكون دولة مستقلة او حرة ،ويرد علـــى الذين يزعمون بأنهم لا يريدون العودة الى الملك حسين بقوله ((اننا نعرف

---

(١) صحيفة الفجر : سميح القاسم يتحدث عن أشياء كثيرة،القاء مع مندوب الفجـــر العدد ٢٦١ ، ٣٠ ــ ٩ ــ ١٩٧٢ ص ٤ ع ٧

ونفهم دوافعه ، ولكننا لا نوافق على استبدال حسين بدايان (١) ... انه يرى: ان الشعب العربي في الاردن,في كل مكان من هذا الوطن العربي الهادر ، انه يملك القوة التي يمكنها سحق العرش الهاشمي، وجميع العروش والانظمة الرجعية يقول سميح : ((ان من منتهى السخف ان نفضل الاحتلال الجمهوري على النظام الملكي ،ان واجب الساعة امام جميع القوى الثورية والحرية وتقرير المصير والكرامة القومية هو واجب لحجم (لحصر) المد التوسعي الصهيوني,وانقاذ ما يمكن انقاذه في مثل هذه الظروف الراهنة) (٢) ....

يرى سميح القاسم في الشلة التي ظهرت تدعو لاقامة الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، تحت حماية الاحتلال وبمساعدة ابواقه ونشراته ،وتروج لنظريتهم التي تقول : لا امل في الدول العربية ، بينما حكام اسرائيل يبدون استعدادهم للتفاهم معنا بشأن تشكيل الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، دون الالتفات الى الشعوب العربية يقول سميح في شأنهم (هناك خطر آخر من مضاعفات الازمة القيادية في الثورة العربية ، ويتمثل هذا الخطر في الانتهازيين والمهزوزين الذين فقست عنهم بيوض الكويزلنغية في المناطق المحتلة (٣) ....

اما مجمل رأيه في مشروع الملك حسين ،والمس بمشروع (المملكة المتحدة) التي استبدل فيها كلمة المتحدة بدلا من الهاشمية مستغلا كلمة المتحدة ليخلق جوا وحدويا وثوريا على غرار الجو النابع من الجمهورية العربية المتحدة سابقا او اتحاد الجمهوريات العربية ليقول لهم فيما بعد : انتم تدعون للوحدة ، وانا ايضا ادعولها ويوجه سميح القاسم كلامه للذين يدعون الخوف من بدوحسين وكذلك لدعاة المملكة المتحدة ولكل الدعاة والمروجين لما يسمى امكانية التفاهم مع حكام اسرائيل .

يقول لهم سميح القاسم جميعا : لاحل سوى الانسحاب الاسرائيلي الناجز والشامل عن كافة الاراضي العربية المحتلة بموجب قرار الامم المتحدة ، ولا حل سوى الاعتراف للشعب العربي الفلسطيني بحقه المشروع والراسخ في تقرير مصيره حرا من حراب المحتلين الاجانب ، والشعوب العربية لن تفقد قدرتها الجبارة والابداعية على سحق الملوك والرجعيين ،وتقويم كل اعوجاج وازالة كل التباس (٤) .....

ويرى ان ايلول الأسود الذي عجز عن سحق الشعب العربي الفلسطيني ، وعجز عن

---

١) م . ن ص ٤ ، عم٢
٢) م . ن ص ٤ عم ٨
٣) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد العدد ؛ ايلول ١٩٧٢ ص ٥
٤) م . ن ص ٥

تحطيم ارادته وارادة الشعوب العربية الشقيقة وكل قوة للتقدم والحرية والاشتراكية في العالم بأسره ، وان كل المحاولات التي ستبذل فيما بعد سيكون مصيرها الفشل الذريع ، وستفشل كل الأيام والشهور السوداء ، ويرى ان ارادة الحياة هي التي ستنتصر ، وان منطق التاريخ وحكمه هو الذى يفوز ، ويتحقق في نهاية النزال . ويختتم سميح القاسم حديثة بدعوة صريحة الى امته العربية ، والى الشعب الفلسطيني المناضل قائلا :"ومزيدا من الصمود ، ومزيدا من البطولة ، ايها الفلسطينيون ، وأيها العرب ، فالفجرآت لا محالة"(١) . . .

سميح القاسم شاعر انساني ، محب للخير ، يؤمن بالقيم الانسانية لكل الامم والطوائف ، بعيدا عن الشحناء . شديد المحبة والوفاء والاخلاص لقوميته العربية الفلسطينية . هذه المحبة لم تمنع سميح القاسم من ان يزن الامور ويقدر حق قدرها ، فمثلا يرى سميح القاسم امكانية التعايش السلمي بين العرب واليهود على الارض الفلسطينية على أرض واحدة وفي وطن واحد ، ولكن ضمن مفاهيم انسانية توافق وتساوي الفرص ، لهذا يعترف سميح القاسم باليهود كأي شعب آخر يمكن العيش معه ، ويستشهد بالتاريخ ويضرب لنا منه مثلا ، ويذكرنا ان اليهود في اسبانيا قد عاشوا بين العرب في ظل الدولة الاموية والحضارة الاسلامية . وتلك المعيشة خير نموذج ، وعلى هذا الاساس ووفق المفهوم الانساني يرى ان امكانية التعايش قائمة ، ولكن الذى يقف امام التعايش الصهيونية والحركة البرجوازية اليهودية والمتدينين المتعصبين من اليهود ، فقد أفسد هؤلاء العلاقات الطيبة بين الشعبين ، ولكنه يتساءل : هل تستطيع بين عشية وضحاها ان تقضي على الصهيونية؟ ويجيب عن تساؤله بالنفي . ويرى من افضل الطرق واحسن الحلول ، ان يتحدث في مثل هذه الظروف عن حق تقرير المصير مصير الشعب العربي الفلسطيني ، وحق تقرير مصير الشعب اليهودى ، ويطالب بقوة وعنف مواصلة النضال ضد الصهيونية لتعريتها ، وضد البرجوازية اليهودية والعمل المتواصل من اجل تجنيد الشعب اليهودي ضد الصهيونية (٢) . . . .

موقف سميح القاسم من وسائل الاعلام في العالم العربي :

سميح القاسم له موقف صريح وواضح من قضية لا ذاعات العربية وتصريحات بعض

---

(١) م . ن ص ٦

(٢) صحيفة الغدير : سميح القاسم يتحدث للغدير . العدد ١١ ، تشرين ١ سنة ١٩٧٢ ص ٤ ، ع ٢ ، ٣

المسؤولين غير المدروسة ، والخطب الارتجالية الرنانة ، فيوجه سميح انتقاد الاذعا ضد الاذاعات العربية، والصحف العربية التي كانت تطلق التصريحات، والتي تتحدث عن القاء اليهود في البحر ، ويرى ان الدولة اليهودية الصهيونية العالمية معا ، قد استفادتا من تلك التصريحات والمقالات ، والخطاب الرنانة ، ومن خطابات احمد الشقيري وتصريحاته ، ورسوم الكاريكاتير التي كانت تنشر في الصحف والمجلات العربية . فبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، قامت اسرائيل بتجميع كل هذه التصريحات والمقالات والرسومات، ونقلها الى لغات عدة ووزعتها على العالم ، لتجند الرأي العام العالمي ضد الامة العربية (١) .. وتصورهم بصور الجزارين الهمجيين المتعطشين للدماء ، ونزف الجراح وتمزيق الاشلاء ، وتبديد الآمال .

رأي سميح القاسم في تطور العالم العربي :

يرى سميح القاسم العرب في مرحلة تطور كبيرة ، فالعرب ينتقلون من القرون الوسطى الى القرن العشرين بسرعة مذهلة ، ويرى ان اية مرحلة في التاريخ تتعرض للمد والجزر .

ويرى سميح القاسم أنّ الامة العربية والوطن العربي، كان اثناء الحرب العالمية الأولى في مرحلة مد . ولكنه اعقبها بجزر، عندما حضر الاستعمار الفرنسي والبريطاني ، واصحاب الامة العربية في الحرب العالمية الثانية حركة مد جديدة ، اعقبها قضية فلسطين بعملية جزر تلتها عملية مد هائلة ، نتج عنها قلب الانظمة في مصر والعراق وسوريا واليمن والجنوب ، والسودان وليبيا ، ثم كانت الوحدة رغم انتكاسها . ويتصور سميح القاسم وجود فكرة الوحدة على الساحة العربية ، وظهورها الى حيز الوجود ، انها عمل رائع ، لا سيما ظهورها بعد مئات السنين من التمزق والاضمحلال ، ويأسف سميح القاسم للخطر الذي دهم الوطن العربي ، ولعملية الجزر الشديدة التي أصابته اثر نكسة حزيران ١٩٦٧ ، ولكن الرد الايجابي على تلك النكسة جاء على شكل طرد الانجليز من عدن ، وقيام دولة جمهورية اليمن ، وطرد الملك ادريس السنوسي من ليبيا ، ووصول القذافي الى سدة الحكم ، ويشيد بحركة التحرر في المغرب العربي ، ويرى فيها حركة تحرر قوية جداً ، ويشيد بأبي مدين الرئيس الجزائري الذي يتقدم مع البناء العربي الصحيح . اما الوجه السلبي الذي أعقب

---

(١) م ن ص ٤ ع م ٣٠

كل هذه الحركات وفاة الرئيس جمال عبد الناصر،وظهور السادات،وهو في نظر سميح خطوة الى الوراء بالنسبة لجمال عبد الناصر ، لانّ السادات يتخبط في سياسته على حد زعم سميح القاسم ،ويتحدث عن محمد حسنين العائد من الغرب بيأس شديد بعد محاولة التودد الى الغرب وامريكا (١) . . .

موقف سميح القاسم من الحركات المضادة للمد الثوري في الوطن العربي الكبير :

جعل السلفيون من الثورة درعا يتسلحون بها،لشن هجومهم المضاد على التيار العلمي الثوري في حركة التحرر العربية وراء ستار من الدخان الثوري ، وحاولوا بوساطتها الاطباق من الخلف على كل المضامين الاشتراكية التقدمية للثورة العربية . ويرى سميح في الثورة نفسها انها قد أصبحت واجهة خطرة لفكر القطاع المهزوز من البرجوازية الصغيرة ، وهذا القطاع المهزوز استفاد من نكسة حزيران ١٩٦٧ لفرض تيارات النهلسية والفوضوية واليسارية الطفولية ،وعرقلة مسيرة الحياة العربية وجذب خيط المستقبل باتجاهه (٢) . . .

ويجزم سميح القاسم،ان اقصى اليمين،واقصى اليسار قد ساهم في نكسة حزيران وفي حدوث ما حدث ، لاد مانهم التناقض الصارخ بين الكلمة والسلوك،ومواقفهم من الانظمة في الدول العربية . تلك المواقف المتراوحة بين الاحتواء الشامل حتى العمالة والتلاشي ، وبين الرفض التام حتى العمالة والخيانة ويعلل ذلك ايضاً ل لمجابهتهم الفاضحة للاشتراكية العلمية ، لان سميح القاسم يعتبر الاشتراكية العلمية الحل الحتمي ،والوحيد لكافة قضايا العرب ، وقضايا الشعوب ، وكذلك ان عداءهم السافر للفكر الماركسي اللينيني ، والادب الشيوعي ، والتجارب الحية الفذة في الاتحاد السوفيتي ساهم بدرجة معينة في نكسة حزيران . يقول سميح القاسم: ((من اقصى اليمين ارتفع السؤال الشامت : الم نقل لكم ؟ ومن أقصى اليسار ارتفع السؤال الشامت : الم نقل لكم ؟ ، في كلاّ الحالين دسوا السم في سلة التين، وخبأوا الخنجر في الحرير))(٣) . . كل منهم حاول التعامي عن رؤية الامور واكتشاف وسبر اغوارها . ويدعو سميح القاسم أصحاب الثورات الثقافية،ومن يتبنونها ان يقرأوا جيدا افكار (لينين) ودعوة سميح القاسم هذه،تكشف بعض الجوانب السياسية

---

١) صحيفة الغدير : العدد الاول : تشرين الأول سنة ١٩٧٢ ص ٤ ، ع م ٣/٤

٢) سميح القاسم : ليكن واضحا (افكار على شاشة الرادار الحزيراني) الجديد، العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٧٢ ، ص ٣

٣) سميح القاسم : ليكن واضحا (افكار على شاشة الرادار الحزيراني . الجديد العددان ٤ ، ٥ ١٩٧٢ ص ٣

الاشتراكية عنده يقول سميح : ((وكان ينبغي عليهم (اصحاب الثورة الثقافية) ان يتعمقوا جيدا الموضوعة «اللينينية » التي مازالت صالحة في يومنا هذا ، والقائلة باننا نستطيع تغيير النظام السياسي في يوم واحد ، ولكن تغيير الانسان يحتاج الى سنوات طوال))(١) ...

ويحدثنا سميح عن العلاقات الثقافية القائمة بين العرب والدول الاشتراكية والتي تخالف العلاقات القائمة بين العرب والدول الغربية الاوروبية الاستعمارية ، فيرى في العلاقات القائمة بين الدول العربية والاتحاد السوفيتي قوامه التعاون ، وليس الاستعباد ، ولحمته تنمية الثقة بالنفس لدى العقل والفكر العربي والوجدان العربي، اما العلاقة بين الدول العربية والدول الاوروبية قائمة على خلق مركبات النقص والقزامة كما كانت الحال في العلاقات الثقافية بين عواصم الاستعمار والامة العربية الممزقة (٢) ...

انجازات الثورة المصرية بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي :

حققت الثورة المصرية الرائدة انجازات هائلة للشعب المصري ، الامر الذي سار به حثيثا الى المعاصرة ، وسارت بالشعب المصري على طريق التصنيع ، ويقول سميح :((منذ ١٩٥٢ ،نهضت في ربوع الديار المصرية أكثر من (١٢٠٠) مؤسسة صناعية تشكل القاعدة المادية الاساسية للقطاع العام ، الى جانب عدد كبير من منشآت القطاع الخاص ، وينتقل سميح ليحدثنا عن الاصلاح الزراعي الذي زاد من انتاجية مصر بنسبة ٢٠ ٪ ويوجد في مصر اكثر من ٤١٠٠ جمعية تعاونية تضم مليون ونصف فلاح ، وتقدم هذه الجمعيات خدماتها لاكثر من ٥٥ ٪ من الاراضي الصالحة للزراعة ، ويعتبر سميح مجمع الحديد والفولاذ في حلوان ، والسد العالي في اسوان مفخرتين عالميتين بحق لثورة ٢٣ تموز وللشعب المصري ان يعتز بهما ، ويهاجم سميح القاسم الحمقى الذين يتجاهلون اثر الصداقة العربية السوفيتية في جني هذه المكاسب العظيمة ، ويرى ان الثورة المصرية حققت ثورة سياسية واقتصادية ، وحققت تقدما ملحوظا ، غير انها لم تحقق ثورة ثقافية حقيقية ، لانه يرى الأمية متفشية في الشعب المصري على الرغم من مرور عقدين من الزمن على ثورة ٢٣ تموز ، ومعنى هذا في نظره ان قطاعا واسعا من الشعب المصري يقف خارج السياسة وخارج الثورة

---

(١) م ، ن ، ص ٤

(٢) م ، ن ، ص ٥

ويرى ان غياب الثورة الثقافية من اهم العناصر الاساسية في النكسات والهزات التي تصفعنا من حين لآخر (١) ....

الهزات الطلابية في مصر :

تطرق سميح القاسم للاحداث الطلابية في جمهورية مصر العربية، فأكد مسألتين مهمتين اولاهما : وجود اليمين المتطرف، واليسار المتطرف، اللذين يحاولان السيطرة على الحركة الطلابية في مصر وغيرها ، ويرى سميح ان الطابع العام للحركات الطلابية لاسيما في مصر — هو طابع تقدمي وطني، وليس مستوردا عميلا مخزيا .

والثانية : يقول سميح : نحن ادرى الناس بوسائل التحريض غير النبيلة، وغير الوطنية التي تلجأ اليها من حين لاخر المؤسسات الحاكمة في العالم الرأسمالي، وفي العالم الثالث تشويه الحركات المعارضة ، ودمغها بتهم العمالة والخيانة ، ويرى سميح انه من الطبيعي ان تطفو على السطح في ظروف استمرار العدوان الاسرائيلي الامبريالي بعض مظاهر نفاذ الصبر ، ويرى ان بيان نقابة الادباء في مثل هذه الظروف (نقابة الادباء في جمهورية مصر العربية) من قبل أدباء مصر ، دليل على ان ادباء مصر ومفكريها أهل لان يضطلعوا بمهماتهم الوطنية التاريخية (٢) ....

موقف سميح القاسم من استغلال المشاعر الدينية لتسريب نفوذ المستعمر واعوانه الى الوطن العربي :

يرى سميح ان بعض العناصر في الوطن العربي، تتحالف مع الاستعمار تحت غطاء المشاعر الدينية لتهاجم الاتحاد السوفيتي ، وتدعو للتقرب من امريكا . ولقد تحدث سميح عن محمد حسنين هيكل في نقاشه لصديق العرب والزعيم السوفيتي (بوناماريوف) في مسألة النفوذ الديني في مصر ، ونشرها في صحف تموز ، ويرى سميح القاسم فيها تحريضا ضد الاتحاد السوفيتي صديق العرب ، مستغلا المشاعر الدينية ، وليخدم بذلك موضوعيا مؤامرات الامريكيين على وطننا العربي المنكوب الثائر ، ويعيد سميح القاسم الى الاذهان دعوة هيكل ونظريته الداعية لعدم مناطحة امريكا ، ويذكر سميح كذلك ان الاستعمار حديثه وقديمه، لجأ الى استغلال المشاعر

---

١) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد . العددان ٧ ، ٨ سنة ٩٧٢ ص ٢٠٦

٢) سميح القاسم : ليكن واضحا . ادبا مصر لن يتخلوا عن مواقفهم ، الجديد العدد ٢ ، سنة ١٩٧٣ ص ٤ .

الدينية ، لتسريب نفوذه في بلادنا منذ الشيخ الامام (نابليون بونابرت) حتى (اد ولف نيكسون) ، وكثيرا ماسمعنا الابتهالات الدينية ضد روسيا ، ويذكرنا بنداء (نابليون) عندما اعتمر عمامته سنة ١٧٩٨ — ووجهه الى شعب مصر بدأه بما يلي :

(باسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، لا ولد له ، ولا شريك له في ملكه) ويورد البيان الديني البونابرتي الذي وجهه نابليون للمشايخ ، والقضاة واعيان البلد في مصر ، وطلب منهم ان يقولوا لامتهم : ان الفرنساويين اعتنقوا الاسلام . ولجأ نابليون الى تخريب كرسي البابا في رومية الكبرى ، الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام ، ويقول سميح : ان كل طالب في الابتدائية يعرف دوافع نابليون الحقيقية في محاربة البابا ، وفي احتلال مالطة التي كان ينافسه عليهما زميله البريطاني الاميرال "نلسون" . ويرى سميح القاسم ان هذه الأيام تعيد سيرتها الاولى مستغلة المشاعر الدينية ، ابتداء بمحمد حسنين هيكل وانتهاء بصالح جودت في افتتاحياته في مجلة الهلال ، ويقول سميح : (ولو عاد الرسول العربي محمد بن عبد الله . عليه السلام الى الحياة الدنيا ، ورأى مايفعله هؤلاء المثقفون بتراثه العظيم ، لهتف من جديد بقوله المأثور : ما ابتلي احد من الانبياء بمثل ما ابتليت (١) ودوافع سميح القاسم الابتعاد عن المهاترات ، لأننا في ظروف نحن بأمس الحاجة لتلافي الخلافات مع الاصدقاء والسقوط في أحضان الأعداء .

اهتمام سميح القاسم بالشعب الفلسطيني :

مرت أحداث جسام على الشعب الفلسطيني . وتوالت عليه النكبات ، وكان في كل مرة الشعب الفلسطيني كبش الفداء للتواطوء او للتخاذل . ولقد قاسى الفلسطينيون آلاما كبيرة وكثيرة ، سواء من ثبت على أرضه ، او ممن حلوا ضيوفا على بناء عرقهم ان جازلنا التعبير — ولسميح القاسم رأى في الفلسطينيين الذين بقوا فوق ارضهم الفلسطينية ، والفلسطينيين الذين هاجروا منها ((الفلسطينيون الذين ثبتوا في ارضهم ولازموا ترابها ، وقالوا للرحيل لا ، عانوا ولا زالوا يعانون منذ اربعة وعشرين عاما صنوفا شتى من الظلم والارهاب والتعسف . اما الذين قذفتهم الرياح السامة بعيدًا عن ارض وطنهم الحبيب ، فقد تجرعوا الامرين . التشرد عن أرضهم ، وظلم ذوي القربى هناك)) (٢) . . .

---

١) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد ، العددان ٧ ، ٨ ، ١٩٧٢ ، ص ٧

٢) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد ، العدد ٩ سنة ١٩٧٢ ص ٣

ذبح الفلسطينيون على ارضهم الأردن في ايلول الاسود عام ١٩٧٠ ، ويرى سميح ان ايام الفلسطينيين ،وكل شهورهم أصبحت مشحونة بالعذاب والمأساة ، اصبح هدفا للجريمة والمأساة ،ورمزا للصمود والبطولة،يفيض نوره ولظاه عن حدود البصر . ويرى سميح القاسم ان المحتلين الاسرائيليين في ذعر واضح من تصاعد المد الثوري، وكذلك حكام الاردن ، ومن ورائهم كافة قوى الرجعية ، والتخلف العربي في ذعر واضح مما تحمله الثورة الفلسطينية الى الانسان العربي في كل مكان من مبادئ و افكار ثورية حقيقية : مما يهدد مستقبل الاحتلال الاسرائيلي،ويهدد مستقبل الرجعية العربية برمتها،مما اقلق امريكا على اتباعها في اسرائيل والاردن ، وحملها على مشروع (مبادرة روجرز) وهدف المشروع اظهار الفلسطينيين،وكأنهم العنصر المعوق في طريق احلال السلام في المنطقة (١) . . .

ونجحت امريكا وحلفاؤها في المنطقة بضرب المقاومة ،اذ نشطت الحركات المشبوهة في المنطقة ، ولقد وجدت قوى الرجعية ضالتها لتوجيه ضربة قاسمة للمقاومة في عملية اختطاف الطائرات ،ويقول سميح: ((وكانت المجزرة الرهيبة ، وكان الرمز رمز المأساة ،ورمز البطولة في ايلول ١٩٧٠)) (٢) . . . والاحداث التي هزت الاردن وغيرته ، قد استفاد منها المحتلون حيث امنوا على انفسهم مما كان ينتظرهم عبرما يسمى الجبهة الشرقية ، والاحداث تتواصل ،والمؤامرات تحاك ضد الثورة الفلسطينية على الارض اللبنانية ،غير ان سميح القاسم،يرى:ان توازن القوى في لبنان ،وموقعه من خريطة الدبلوماسية العربية جعل الاجابة عن السؤال ، هل يتكرر ايلول الاسود في لبنان ؟ وجعل الاجابة عسيرة ومعقدة لبعض الشيء ، الا ان الاحداث التي جاءت بعد ذلك ،حيث استغل التوسعيون الاسرائيليون،ومن ورائهم الولايات المتحدة الامريكية مأساة (ميونخ) عام ١٩٧٢ ،لتدفع اسرائيل بقواتها نحو لبنان ، وليصنعوا بأيديهم الملطخة بالدم الفلسطيني والدم العربي ايلولا اسود ثانيا . وهذه الاحداث جاءت رمزا للبطولة ،ورمزا للمأساة في الوقت نفسه (٣) . . . وينتقد سميح القاسم موقف الدول العربية المتفرج على شلال الدم النازف من الفلسطينيين على الارض اللبنانية، حينما اندفعت طائرات العدو لتقصف المخيمات ،ودبابات اسرائيل ومدافعها تقذف حممها وشواظها على القرى اللبنانية العزلاء . بينما كان يخرج من الاذاعات العربية

---

(١) م ٠ ن ٣
(٢) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد ،العدد ، سنة ١٩٧٢ ٤
(٣) م ٠ ن ٤

اصوات غنائية ، ويرى سميح ان هذا الشلل الواضح في الاذاعات العربية ، وخاصة الإذاعات الرجعية له مايبرره . اما مايجرى في صفوف الانظمة التقدمية المعادية للاستعمار فليس له مبرر (١) . . . وهاهي الاحداث انفجرت في لبنان مرة أخرى في شهر ايار ومن قبل في نيسان لتجسد الهجمات الشرسة التي تقودها قوى الرجعية المتحالفة مع الامبريالية والاستعمار . ولسميح القاسم موقفه الواضح من زيارات وزير خارجية امريكا ويعتبرها حركة تكتيكية هدفها الوقيعة بين مصر وسوريا وضرب رجال المقاومة على الساحة العربية ، حتى تمرر الولايات المتحدة مشاريعها الاستسلامية . ويكرر ان وزير خارجية امريكا (هنري كيسنجر) سيفشل في محاولاته ، وسينكشف فيما بعد للقوى الوطنية ، ولهذا فان سميح القاسم واثق بحدوث مد جديد ، وها نحن اليوم نرى صدق ماتوقعه سميح . لقد اعلن كيسنجر فشله وعاد من حيث اتى ، ورجع بخفي حنين واصطدم بالصخرة العربية الصلدة ، وانهزم امام الارادة العربية والتصميم الاسرائيلي التوسعي ، ويحذر سميح من المبادرات التي ستعقب ذلك لضرب القوى الوطنية في الوطن العربي ولكنه يقول : ((ان مصير كل ذلك الفشل الذريع ، لانه كما قال ((ان القوة العربية والارادة العربية ووحدتها كفيلة بكشف كل القناعات الزائفة)) (٢) . . .

مما سبق تقف على اراء ومواقف سميح القاسم السياسية والنقدية للأوضاع السائدة في العالم العربي واثر ذلك على ابناء الشعب الفلسطيني . فسميح القاسم يقف مع اخوانه أبناء فلسطين والعرب بدمه وروحه ونفسه وقلمه ولسانه يناضل من اجلهم ، ويحترق من اجلهم ، ويواجه الهجمات الشرسة من اجل عزتهم ويلاقي الاضطهاد في سبيلهم .

وكان تقييمه للوضع نابعا من مفهومه الحزبي والثقافي اللينيني — وان كنا قد وقفنا عند آرائه التي تطالبنا بان لا نأخذ الاشتراكية دون مناقشة ، ونطبقها على صعيدنا المحلي ، وانما طالبنا بان نخضعها للتجارب المناسبة لاوضاعنا المحلية والعالمية بما يخدم الارض والقضية . يدفعه موقفه النابع من احساسه الوطني والقومي المتأثر بمواقفه وآرائه الحزبية — فهو بأسى للوضع الخطير الذي آل اليه المجتمع العربي ، ويحنو على المصير المجهول ، ويطالب رجال الفكر والصحافة والاذاعات

---

(١) ن ، م ، ص ٤

(٢) صحيفة الغدير : العدد الاول تشرين الاول سنة ١٩٧٢ م ، ص ٤ ، ع ٢

ان يرتفعوا في مجال اعمالهم الى مستوى المسؤولية ، لانها خطيرة ومصيرية . كل ذلك مصدره مذهب القاسم الديني ومعتقداته السياسية . فما ارتباطها بشخصيته واصدقائه ؟ ماهي العوامل التي كونت شخصية القاسم ؟ وهل انعكست آثارها على اصدقائه العرب والاجانب ؟ وماهو مدى ذلك ؟ وكيف برزت هذه الصور والعلاقات في أدب سميح القاسم ؟

. . . .

الفصل الخامس
شخصيته وأصدقاؤه

صورته الجسمية والنفسية :

كونت شخصية سميح القاسم عدة عوامل مهمة . منها: اصله العربي الدرزي ، ونشأته في ظروف القهر والاحتلال والاغتصاب ، وتوالي النكبات على شعبه الفلسطيني ، وامته العربية الماجدة ، وصور الظلم المختلفة التي قاساها وعاناها أشد المعاناة ، واضطرابه في الدراسة والمعيشة نتيجة الطلب الذي وصله من السلطات الصهيونية يدعوه فيها لتأدية الخدمة الاجبارية العسكرية المفروضة على الدروز . وحياة الشعب الفلسطيني على الارض الفلسطينية وخارجها في ليل الحكم الاسرائيلي المستبد . وانتفاضة الشعب الفلسطيني للخلاص من هذه الوقعة الشديدة ، متجسدة بثوراته منذ امد طويل حتى يومنا هذا . بالاضافة الى اسرته العسكرية والدينية المعروفة التي اكسبته قوة الشخصية والتصلب بالرأي ، والاعتقاد الراسخ بالتحرر وتحمل الصعاب ، وتأثره برجال الفكر والادب واحراره ، اذ انعكست آثارهم الادبية على شخصيته ، كالشاعر محمود علي طه ، وبدر شاكر السياب والجواهري وغيرهم .

لسميح القاسم شخصيتان : شخصية سياسية . ثارت ضد الظلم والاستعباد وتمثلة في نشاطه الحزبي والنضالي ، وعلاقته مع افراد الشعب الذين يتصل بهم في الندوات واللقاءات . والمؤتمرات العالمية ، وصورتها النضالية المريرة مع السلطات الصهيونية وفرض الاقامة الاجبارية ، ومنعه من زيارة أهله واصدقائه في بلدته الرامة والسجن والتعذيب والملاحقات البوليسية التعسفية ، وطرده من عمله في سلك التدريس .

وشخصية ادبية : ذات نفس حساسة قوية الملاحظة ، و طبيعة مواتية تدفعها وتسندها ثقافة قوية واسعة ، غذتها ندواته الشعرية ومطالعاته الخارجية ، واسفاره للخارج ، ولقاؤه مع الادباء والشعراء العرب والاجانب عبر الندوات والمؤتمرات العالمية .

سميح القاسم حسن الوجه ، رائق اللون ، نحيف ، مربوع القامة ، يطلق لحيته بتهذيب مقبول ، واسع العينين ، نير الوجه ، وبناء الجبين . في نبرات كلامه جرس وايحاء يحمل المرء الى آفاق بعيدة . يتصور المرء في نفس سميح القاسم صور النضال وحقيقته الثورية . محب لمجالس اللهو والعبث والشراب ، وليبتعد بنفسه عن منابع الألم والمرارة التي طالما يُرددها مندفعا بقوة الجذب التأثيري الذي يطغى

عليه نتيجة الالم وللواقع المرير الذي يعيشه مع شعبه .

يحترم الشاعر الانسانية ، ولا يستخف بالناس ، ولا بالآداب العامة . سريع الاحساس ، متدفق الشعور جياش العاطفة ، عميق التأثر بما يحس ، حاد الذهن شديد الذكاء ، قوي المعارضة صبور على المشاق يعتد بنفسه ، يقدرها أعظم تقدير شعره ينطق بنفس وثابة ليدل على ملامح شخصيته ، تغلب عليه روح المغامرة ، ويأنف الخضوع ، يحب الغناء والمسرح . سخي على أصدقائه ومعارفه ، يبدد أمواله في سبيل كرمه ، يعتز بعروبته وقوميته ووطنيته ، وحيثما رددت النظر في شعره طالعتك شخصيته قوية عنيفة تكاد تكتسح كل ما يعترضها ، شديد الوفاء لمن يوده ، شديد التعلق بأسرته ورفاقه في العمل ، يحب الوفاء والعمل به ، صادق النية ، محبوب من معارفه واصدقائه في العمل ، محب للخير ، يعجب بغيره من الشعراء ، ويعترف بفضلهم واسبقيتهم والمعيتهم في الشعر . شعر سميح يكشف شخصيته الغاضبة الثائرة ضد التخلف والسيطرة فالغضب يشذب حديقته المتوحشة (١) . . . .

علاقته بالاصدقاء من عرب ويهود :

سميح القاسم شاب يتحلى بصفات طيبة حميدة . . محبوب من قبل أصدقائه واحبائه ، يحبونه ويعجبون به لمست ذلك من رفاقه في الحزب ، لا سيما العاملين معه ، وانهم يقدرونه اجل تقدير ، ويعجبون بآرائه وانتقاداته البناء في معالجته للقضايا التي تمس العلاقات الانسانية ، كل ما سمعته منهم المديح والثناء (٢) بيته مجمع اهل الادب والفن ، منزله مكتظ بالمعجبين من كلا الجنسين ، ممن يتابعون انتاجه الأدبي .

حرص سميح منذ طفولته ان يستقطب حوله مجموعة من الاصدقاء ، يلهو ويلعب معهم ، وفي المدرسة كذلك ، واثناء عمله في سلك التدريس المدني والعسكري ، والعمل في سلك التمريض التابعة للجيش ، وفي تنظيم شؤون القرى والمدن العربية في الناصرة ، وعندما عمل عاملاً ايدويا في منطقة حيفا الصناعية وفي الضفافة وفي المدن والقرى العربية التي زارها والتقى فيها بالشباب الطموح ، استطاع سميح من خلال ذلك كله ان يستقطب حوله جماعة من الاصدقاء من محبي السلام المؤمنين بحرية الشعوب ، وحق تقرير المصير ، مما ازعج السلطة ودفعها لتطرد سميح القاسم

---

(١) انظر الى القصيدة في ديوان الموت الكبير ص ٤ دار الآداب بيروت ١٩٧٢

(٢) حنا ابراهيم ، وعصام عباسي ، وصليبا خميس ، وسهام داود ، ود. اميل توما ٢٢٣ — ٢٢٤ هكذا قالوا لي في مكتب جريدة الاتحاد بحيفا بتاريخ ١٨/٣/١٩٧٥م .

من كل عمل عمل به ،لأنه في نظر السلطة يسمم افكار الشبيبة ،ومصداق ذلك استدعاؤه من قبل المحقق الاسرائيلي اكثر من مرة ، وفي كل مرة يطرح عليه الاسئلة التي الفها القاسم ،ليوجه اليه تهمة افساد العلاقات بين الاسرائيليين وغيرهم من الطوائف القابعة تحت الحكم الاسرائيلي ، لاسيما الطائفة الدرزية .

لم يكن سميح القاسم يختار اصدقاءه وفق طبقات اجتماعية مترفة منعمة ، بل كان يحب البساطة والبسطاء . فعندما كان يعمل مدرسا في قرية (عين الأسد) الجليلية التقى بشاب يدعى"نجيب"كان في الخامسة عشرة من عمره ، خرج من المدرسة ليرعى غنم أبيه . كان سميح يبث في نفوس معارفه القوة والمحبة والشجاعة ،فنجيب عندما اخبره انه يقلد وديع الصافي وفريد الاطرش. قال له سميح :لماذا لا تدرس الموسيقى ؟ ومنذ اللقاء الأول في الوادي في طريقه الى عمله (عين الاسد).وسميح يلتقي يوميا به ،لينعشه بالغناء،ويتجاذبان أطراف الحديث ،وبقي سميح يصفي الود لنجيب ويقول:(مرت سنوات ،وصوت نجيب في مسمعي لا يزال ،التقي به احيانا في الرامة وفي حيفا ، وفي اماكن اخرى ،وهو يحمل أدوات عمله ،ويداه مصبوغتان بالكلس ويضحك نجيب وهو يقول : راح الصوت يا صاحبي ،لم يبق منه الا لوم الصحاب ، وقوله يا ريت الخؤهز"رأسي أسفا ،واقول له لا بأس ،وفي قرارتي أقول يا خسارة (١) ...

سميح محبوب من قبل الجمهور والشباب الواعي ، والاصدقاء . فما ان يحضر ندوة شعرية حتى يسارع اليه الشباب ،يدعونه لزيارتهم فيلبي دعوتهم دون تردد وسميح يقول:(قبل مدة دعيت لالقاء الشعر في قرية "طمرة" ، وهناك التقيت بشاب اسمه "مروان ابو الهيجا". دعاني الى منزله ،فلبيت وهناك فوجئت بانني دعيت الى معرض للرسوم .. ورحت استعرض اللوحات ،وفهم مروان فقال : معظمها من رسمي و بعضها نقلته عن لوحات رأيتها في المجلات والجرائد (٢) ...

تربط سميح القاسم علاقات طيبة مع عدد كبير من العرب واليهود على الأرض الفلسطينية . يتبادل معهم الرأي . يبني علاقاته معهم على شعور الحب المتبادل وتنمية الشخصية والتعاون ويأنف من العلاقات غير المتكافئة ،كعلاقة الغالب والمغلوب العلاقات التي تقوم على خلق مركبات النقص . يكره الغوغائية والتصرفات الارتجالية يحب اصدقاءه صباحا ،يبادلهم الوفاء بوفاء أعظم ما داموا مساندين في القضايا

---

(١) سميح القاسم : بين بابل . الجديد . العددان ٧، ٨ ، سنة ١٩٦٧ ، ص ١٤ ، ص ٣١

(٢) م . ن : ص ٣٢

الاساسية التي تهمة ، لايقبل منهم التحدي والظلم ، فسميح القاسم هاجم "عطالله منصور" صديقة وصاحبة ، لانه وقف في الصف المعادي للاحرار وللقضية الفلسطينية ، وقف مع الطغمة الصهيونية يساندها في مقالاته وكتاباته ضد الأدباء والشعراء الثوريين ، هاجمه لانه هاجم مسرحية (قرقاش) والاتحاد السوفيتي (والشعراء الشوعيين لأنه هاجمهم في صحيفة صهيونية هي صحيفة (هارتس) .

يعترف سميح بذلك ويقول موجها خطابه للاحرار وللثوريين :(اعترف هنا بأنني كنت ذات يوم مخلوقا نزقا ، وفقدت الكثيرين من الاصدقاء والمعارف بسبب ذلك، وفوق هذا استعديت علي بعضهم منهم صديقي السابق جدا عطالله منصور الذي يشتغل اليوم في جريدة هارتس (ام الصحافة الصهيونية)، لانه كتب ذات يوم كلاما اعتبره معاديا لي، ولكم، ولكل الناس الذين احبهم، وفي حينه علقت على كلام عطالله منصور بسطور قليلة تحت عنوان (الاحذية تتكلم) فزعل (غضب) عطالله منصور (١)

سميح القاسم رغم صفائه وحبه لاصدقائه ، فانه لا يحب بين بين، انما يريد الحقيقة ولو كانت مرة . عندما جاء صديقة الشاعر اليهودي التقدمي (بيبي) وعرض عليه فكرة احياء امسية شعرية بمشاركة ادباء من العرب واليهود، شريطة ان لا يكون عنيفا كعادته ، رده ردا لا مهادنة ولا ملاينة ، ولا ملاطفة، فأجابه عما اذا كان راغبا في فنجان قهوة (٢) . . .

وبالمقابل، يشعر سميح القاسم بالخجل الشديد اذا ما اخطأ التصرف لا سيما من أصدقائه ورفاقه في العمل والنضال ، وخاصة اذا ما تأخر عن دوامه . وسميح نفسه يعترف بذلك (كالعادة وصلنا متأخرين الى مكتب الاتحاد ، ومنذ بدأنا نصعد الدرج بدأ شيء من الخجل يصعد في اعماقنا) (٣) . . .

سميح القاسم عندما يسجن او يعتقل، لم يكن يشعر بانه وحيد في الساحة . كان رفاقه في الحزب والمصير يقلقون الدوائر للاستفسار عن دوافع وظروف اعتقاله، واين هو ؟ منهم المحامي حنا نقارة ، ومحمد ميعاري والمحامي علي رافع .

يعتز سميح القاسم برفاقه في الحزب مثلما يعتزون به ، ويشعر بالرضى والارتياح . ولقد جابه المحقق الاسرائيلي قبل عودته لمكتب الاتحاد بعد اعتقاله للتحقيق معه قائلا : اتعلم انني أعيش في حقل فروع الانغام (٤) . .

---

١) سميح القاسم شهريان . الجديد . العددان ١: ، ٢ ، ١٩٧٢ ، ص ٣

٢) سميح القاسم : صفحات من مفكرة . الجديد ، العدد ٧ ، سنة ١٩٦٩ ، ص ٣٢

٣) م . ن ، ص ٢٩

٤) م . ن ، ص ٣٢

والاحتمال ومعرفة المناورة من الجرأة ووضوح الرؤيا (٥) ...

هاهي صداقة سميح القاسم مع الاصدقاء،قوامها الوضوح لمعنى الصديق والصداقة والاحترام المتبادل ،ومراعاة الحقوق والمشاعر ،ودعم الانسانية وحقوقها الحقيقية ، مهما كانت الحقيقة مرة ومؤلمة للنفس البشرية .

ماهي الاسس التي دفعت القاسم للاتصال بالادباء المحليين عربا ويهودا ؟

حاول سميح القاسم الاتصال بالادباء العرب واليهود المحليين في الداخل،لاسماعهم صوت الحق ،واطلاعهم على الحقيقة المرة القاتلة ،ايمانا منه بعداله قضيته ،واحقيتها، وبحق الشعب الفلسطيني في حق تقرير المصير رغم الحواجز المتبعة والاسياج الشائكة ، واعلامها شحنت اليهود بسموم الفكر القاتلة ، وحاذرت من اتصال الادباء العرب بالادباء اليهود ، خشية ان يطلعوا على الحقيقة ،ولزيف والدجل الذي طالما تغنت به السلطة بادعائها ان هؤلاء العرب لايحبون العيش بسلام رغم الرخاء الاقتصادي وتوفير الخدمات الاجتماعية ،الا انهم متعطشون لسفك الدماء وحب السيطرة . بل تعدت السلطة ذلك ،فمنعت اتصال الادباء العرب في داخل اسرائيل بالادباء العرب في الوطن العربي ،ولو بأي شكل.كان ويكشف سميح هذه الحقيقة حين يقول (بعد نكبة ١٩٤٨ لم ينتهج حكام ويكشف اسرائيل سياسة الجسور المفتوحة ، كانت لديهم آنذاك سياسة البحر المفتوح باتجاه واحد ، ولكنهم سواء في النكبة او في النكسة انتظروا اللحظة المناسبة لاسدال الستار الحديدي بين العرب المقيمين ، وجيرانهم اليهود) .

ولم تكتف اسرائيل بمحاولتها تلك ،بل شحنت اليهود بالعداء ،وحاولت منع اجراء الحوار بين الادباء العبريين والعرب الفلسطينيين المقيمين داخل اسرائيل . فسميح يقول . بينما راحت ابواقهم وصحفهم تحقن جماهير اليهود بسموم العنصرية

---

٥) مجلة الجديد، مليئة بالرسائل من المعجبين والمتأثرين بسميح القاسم ويظهر الاعجاب بوضوح في معرض تعليقهم على اعماله الفنية يتخذ ونها منبرا للاطراء والمديح .

ملحوظة : ملحم كرم فنان مسرحي تلقى علومه في لندن كان يقطن في منزل سميح بحيفا ومن التقيت بهم في منزله،(جاكي ايوب) الممثلة المسرحية لتدارس معه شؤون المسرح ،وعبد اللطيف عقل وغيرهم .

٦) راجع الجديد : العددان ٤ ، ٥ ،سنة ١٩٦٩م، ص ٢٤ ،لقاء مع سميح : حياتي وقضيتي وشعري ،والكلمات المعبرة التي قالها الاديب اللبناني في شان سميح عن التقائه به في صوفيا .

بعض زملائنا اليهود اقتراحا مطابقا . . في المؤتمر الاسرائيلي ساد جو من البلطجة ، قررت فيه الاكثرية منع النقاش حول طابع المنظمة . واستعمل بعض المتناقشين عبارات ادبية جدا مثل : تلحس ... وسيّد يوزك) و وفي الختام اعلن ثلاثة أدباء وشعراء انسحابهم من المنظمة (دافيد افيدان) و (موشيه دور) واوري برنشتاين) برنشتاين وصف ما حدث بانه عيب وعار وموشيه دور الذي كان عضوا في المنظمة طيلة ستة عشر عاما صرح بألم : الان انكشفت الشخصية الحقيقية للمنظمة (١) . . .

انعكست شخصية سميح القاسم على اصدقائه ممن تربطه بهم صداقة متينة ، ففي الاسبوع الاول من ديسمبر ١٩٧٤ م شهدت تل ابيب حوارا واسعا بين ادباء وشعراء ومفكرين من العرب واليهود، استمع اليه جمهور كبير ازدحم في قاعة الصحافة في بيت "سوكولوف" (اشترك فيه من الادباء العرب سالم جبران ، إميل حبيبي ، عصام عباسي وسميح القاسم . ومن اليهود ، بروفسور (دان ميرون) وبروفيسور كالمان التمان والبروفيسور (اسحق دانتسيجر) والشاعر بيبي) والرسام دان كرفان ، والدكتور (شرشفسكي) جلهم اصدقاء سميح القاسم ومن قدامى العاملين في القضية العربية الاسرائيلية .

افتتح الحوار الشاعر (بيبي) بقصيدة عن السلام المنشود ، ثم تلاه الشاعر سالم جبران، فدعا الى اقامة جبهة سلام واسعة تتصدى للحكام وحلفائهم دعاة تجديد الحرب وقال : (ان السلام لا يمكن تحقيقه عن طريق سياسة الامن من طراز ديان — بيرس ، بل الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في اختيار قيادته وتحقيق مصيره (٢) وتلاه البروفيسور (كالمان التمان) المحاضر في جامعة (التخنيون) بحيفا ، فأكد ان طريق الجنرالات لا توصل إلى السلام ، وان واجب الساعة الاعتراف بقيادة الشعب العربي الفلسطيني وبحقه في تقرير المصير ، واضاف (اذا اعترفنا نحن بالشعب الفلسطيني فسيعترف هو بنا (٣) . . وتحدث الشاعر عصام عباسي (٤) فقال : ان السلام لا يتحقق بالدعاء والصلوات ، بل بالعمل الجاد المثابر ، ودعا أنصار اليهود والعرب للعمل المشترك من اجل السلام (٥) . . .

اما الرسام داني كرافان) وهو يهودي تقدمي فقد دعا الى التجنيد لمحاربة الحرب ،

---

(١) سميح القاسم : ليكن واضحا . الجديد . العدد ٣ اذار سنة ١٩٧٣ ، السنة الاولى ٢٠ ، ص ٤

(٢) مجلة الجديد : نادي الجديد . استفزاز . العدد ١٢ كانون اول ١٩٧٤ ، السنة الـ ٢١ ، ص ٣٨

(٣) م . ن ، ص ٣٨

(٤) شاعر واديب . وهو من رفاق سميح القاسم في الحزب والعمل في مجلة الجديد وصحيفة الاتحاد ويكتب في الجديد) مقالات تحت ((نفوذ عربية))

(٥) مجلة الجديد : نادي الجديد . استفزاز . العدد ١٢ كانون ا ، ٧٤ ، ص ٣٨

وهاجم حكومة اسرائيل على انها لا تقدم أي مشروع حقيقي للسلام ، وهاجم اليمين المتطرف المتمثل في قيادة بيغن (١) . . .

اما الكاتب (اميل حبيبي (٢) فقد ألقى كلمة شاملة ، استعرض فيها العلاقات العربية الاسرائيلية منذ بدايات القضية الفلسطينية ، وتحدث عن نضال الشيوعيين من أجل تنفيذ قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن ، ودعا الى استئناف مؤتمر جنيف) للحوار بين ممثلي جميع شعوب المنطقة من اجل السلام (٣) . . ثم تحدث البروفيسور "اسحق دانتسيجر " عن زوال الحلم الاسرائيلي الوردي بعد حرب أكتوبر التي اعادت الاسرائيلية الى الواقع وقال : (على الاسرائيليين ان يواصلوا ويعمقوا الاتصالات والمباحثات مع العرب ، لان هذا هو الطريق الى السلام لا الحرب التي ستكون كارثة اذا نشبت (٤))

أمّا محرر الجديد ، الشاعر سميح القاسم ، فقد استعرض الوضع الراهن ، وندد باستمرار حكام اسرائيل في التنكر للشعب العربي الفلسطيني ، وتجاهل هويته الوطنية والقومية وقال : ان الحكومة التي تستطيع ان تقرر من هو اليهودي ، لا يحق لها ان تقرر من هو الفلسطيني ؟ واضاف : ان حكام اسرائيل يزعمون انه ليس هناك من يتكلمون معهم باعتباره قيادة للشعب الفلسطيني ، والحقيقة عكس ذلك ، فالشعب الفلسطيني اختار قيادته ، وأعلن أنها ممثله الوحيد والشرعي ، وتطرّق للعذاب والمنافي والسجون التي يتعرض لها المواطن العربي ، والقيادة المحلية في اسرائيل ، وتعرض التهديد رئيس الدولة (افرايم كستير) بالسلام الذري فقال : (ان صنع القنبلة الذرية لم يعد معجزة تكنولوجية ، ودول كثيرة تستطيع اليوم الحصول على الأسس العلمية للقنبلة الذرية من صنع منزلي ولعل الانضمام الى نادي (بلاي بوي) أصعب من الانضمام الى النادي الذري ، واختتم كلمته بقوله : (انضموا الى نادي السلام (٥) . .

اما البروفيسور "دان ميرون " القى محاضرة قيمة حول الفكر الاسرائيلي ، وموقفه من الشعب الفلسطيني ، والقضية الفلسطينية . وقال : ان المجتمع الاسرائيلي يستوعب اليوم اكثر فأكثر الوعي ، بان حل القضية الفلسطينية هو مسألة مصيرية بالنسبة لاستمرار دولة اسرائيل في الوجود . وقال : يتوجب علينا ان نتكلم من القائد الذي يرى فيه

---

١) م . ن ، ص ٣٨
٢) اديب عربي وعضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الاسرائيلي ، ورئيس تحرير صحفية الاتحاد .
٣) مجلة الجديد : نادي الجديد ، العدد ١٢ ، ١٩٧٤ ، ص ٣٨ — ٣٩
٤) م . ن ، ص ٣٩ .
٥) مجلة الجديد : نادي الجديد استفزاز ، العدد ١٢ ، كانون اول ، ١٩٧٤ ، ط ٢١ ، ص ٣ .

الشعب الفلسطيني فائدة رغم كل النقد الذي نستطيع ان نوجهه له حتى نحل القضايا السياسية ،ينبغي علينا أن نتكلم مع اولئك الذين يقررون السياسة ؟ وتحدث عن حرب أكتوبر فقال : (لقد تحطم الغشاء الذى غطى العقل ،وذلك لانّ الحقائق ضربتنا على رؤوسنا،لقد فهمنا ان القضية الفلسطينية هي قضيتنا المصرية ولا مفر منها (١) . . .

اما الدكتور (شمعون شرشفسكي)، وكان آخر المتحدثين فقد فطالب بإقامة الدولة الفلسطينية ،لان العرب أيضا لهم الحق في مقاومة الحكم الاجنبي ، وقال ايضا : ولا تفعل لجارك ماتكرهه لنفسك) واضافان الدول العربية لا تطالب من اسرائيل اكثر مما التزمت به يوم وافقت على قرار (٢٤٢) الذي يرفض ضم الأراضي بالقوة ، ولكن حكومة اسرائيل تتملص من الوفاء بالتزامها — وقال : ان اليهودي كان منهما دائما بانه لا يحترم توقيعه على الشيك ،فلتحترم حكومة اسرائيل توقيعها على الشيك الذي يضمن جميع الدول في منطقتنا بما فيها اسرائيل (٢) . . لقد علقت مجلة الجديد على هذا اللقاء بقولها :

(لقد كان هذا اللقاء الكبيرظاهرة مهمة ضد سياسة حكام اسرائيل،ورغم المقاطعات وصيحات الاستنكار التي ارتفعت في القاعة من حين لاخر . فقد كان الجو العام مشجعًا للغاية ، وكان دليلاً على ازدياد فاعلية العنصر الفلسطيني في الفكر السياسي الجماهيري في اسرائيل (٣) . . . .

ولقد أوردت آراء المفكرين والادباء والشعراء العرب كما وردت في مجلة الجديد تقريبا ،لنكشف جانبًا من مواقف أصدقاء سميح القاسم وعلاقته مع الأدباء اليهود والعرب) ومدى ارتباطه معهم ووجهات النظر التي تجمعهم حول مائدة واحدة ،لنعطي القارئ العربي صورة عما آل اليه الوضع على الارض الفلسطينية داخل اسرائيل ولنكشف القدرة الفذة التي استطاع ادباؤنا الأحرار داخل اسرائيل استقطابها حولهم ، وقوة التأثير والاقناع لايمانهم بعدالة قضيتهم ولوضعها في مسارها الصحيح والطبيعي . كل ماتقدم يكشف الناحية الايجابية في علاقة سميح مع الأدباء العرب واليهود .

اما الناحية السلبية في حياة سميح القاسم، فتتمثل في وجود بعض الأدباء ـــــن

---

(١) م ٠ ن : ص ٤٠
(٢) م ٠ ن : ص ٤٠
(٣) م ٠ ن : ص ٤٠

العرب المأجورين، حاولوا الاساءة والتنكر لتراثهم العربي والفكري، والتخلي عن نضالهم الحقيقي مثل : عطاالله منصور، ومحمود عباسي، ممن يسيرون وفق رغبات السلطة، حفاظا على مناصبهم الشكلية .

عطاالله منصور عمل مراسلا لصحيفة (هآركتس) الصهيونية. هذا الشخص خدم السلطات الصهيونية في مقالاته غير المسؤولة ، ومواقفه المتخاذلة من الحركة الثورية على الارض الفلسطينية ، فهاجم الشعراء والادباء ، والكتاب الشيوعيين والتعربيين . وحبا في الظهور والاستعلاء ، كتب مقالات عديدة هاجم فيها الأدباء والشعراء المعادين للسلطة ، ولم يسلم سميح القاسم من لسانه وقلمه ، فهاجم مسرحية قرقاش والحركة التي ينتمي اليها فقال : ان سميح القاسم يبحث فيها عن العدل ، ولكن أي عدل ؟ انه العدل السوفيتي ، وحاول المساس بسمعته، مما أثار سميح القاسم ، وهب مدافعا عن نفسه، وعن حركته التي ينتمي اليها ، وعن الشعب الذي يحبه ، وكتب سميح مقالاً تحت عنوان : (الاحذية تتكلم) فضح فيه عطا الله منصور ، واهدافه الخبيثة ، ونواياه السيئة نحو نفسه وأبناء وطنه فقال سميح : (كنت سأعتز بهذا الكلام لو كتبه شخص آخر في صحيفة أخرى ، ولكن مادام صاحبه هو عطاالله منصور الذي اصبحتم تعرفونه جيدا ، وفي صحيفة هارتس) في عزّ جملة التحريض الهوجاء ضد الاتحاد السوفيتي ، وضد كل ما هو سوفيتي ، مادام الامر كذلك ، فاننا نفهم التحلق التملق المفضوح عبر هذه الكلمات ، ونفهم مدى الحقد الذي اراد عطاالله منصور اشعاله في صدور قرائه ، ليس ضدي شخصيا فحسب ، بل ضد الحركة التي انتمي اليها ، والشعب الذي انتمي اليه ايضا (١) ...

لم يكن سميح القاسم هو الوحيد الذي سدد إليه سهامه، وتناوله بالتجريح ، ولكنه تناول اضرابه ، فتناولهم ليشوه صورتهم النضالية ، ويزيف حقيقتهم ... السلطات الصهيونية فقال سميح في معرض ذلك : (ولو كنت الوحيد الذي سدد إليه مراسل هآرتس قلمه السموم، لهانت المسألة ، فان جميع شعراء راكح" تمتعوا بشيء من خبراته باللغة العبرية (٢) ...

أما الأدباء اليهود فقد حاول بعضهم ان ينال من شخصية سميح القاسم ، وسمعته الوطنية، والانسانية ، ولو بأية طريقة ، ومهما كانت الظروف ، فمثلا حانوخ بارطوف

---

١) سميح القاسم : شهريات . الجديد، العددان ١ ، ٢، كانون ثاني، وشباط ، ١٩٧١، الـ ١، ص٢

٢) م . ن ، ص ٢

في معرض اجابته عن استفتاء الجديد الموجه للشعراء والأدباء العبريين من قبـل الجديد ، "وهو لوكنت أديبا عربيا". ماذا اكتب عن معاملة السلطة الاسرائيلية للمواطنين العرب في اسرائيل ؟ وكيف اعرض قضية ابناء شعبي اللاجئين الفلسطينين ؟ وكيف أنظر الى اعمال القمع في المناطق المحتله .. إلى أخرى ؟

كانت اجابته ان طرح سوءالا على الشاعر محمود درويش ورفيقه الشاعر سميـح القاسم عن رأيهم في الارهاب الجاري في المنطقة على حد زعمه ، وعن قصائدهم الثورية التي تلهب المشاعر فيقول : انني اطرح عليك سوءالا ، وعلى رفيقك الشاعر سميح القاسم ، وعلى آخرين . مارأيكم في الارهاب الجاري في المنطقة التي احتلها الجيش الاسرائيلي في حرب الايام التسة ؟ وفي حدود اسرائيل ؟ هل توءيدونه أم تعارضونه ؟ وان كنتم تعارضونه فمتى عبرتم كأدباء عرب من اسرائيل تعبيرا علنيا وقاطعا عن معارضتكم ؟ لم أسمع من ذلك ، ومقابل ذلك قرأت مقالات وقصائد تعبر عن التماثل مع المقاومـة للوجود الاسرائيلي في أرض اسرائيل كلها وتدعو الى المقاومة (١) ...

حاولت بعض العناصر من الكتاب والأدباء اليهود النيل من سميح القاسـم امام الجمهور ، وبقصد احراجه . ففي نقاش جرى بين سميح القاسم وبين ايسرهرئيل) رئيس (الشين بيت) السابق في ندوة محرري الصحف في تل ابيب . تلك الندوة التي تطبخ فيها سياسة الاعلام . وجه (ايسر هرئيل) سوءالا لسميح القاسم بقصـد احراجه قائلا : ماهو موقفك من القاء القنبلـة على سيارة فولكس فاجين في غزة وقتـل ولدين يهوديين ؟ فما كان من سميح الا ان واجهه بالحقيقة المرة الموءلمـة قائـلا : غزة مدينـة محتلة ، وليست مدينة سياحية ، اخرجوا من غزة ولن يقتل فيها أي ولـد يهودي او عربي . الاحتلال هو المسوءول الاول (٢) ...

بعد ايام من لقائه مع (أيسرهوئيل) في ندوة محرري الصحف في تل أبيب . جرى نقاش بين سميح القاسم وبين (روت ديان) زوجة وزير الدفاع موشيه ديان السابق ورئيسة منظمة تدعى (حلف ابناء سام). وفجأة بدون سابق انذار توجهت روت ديان الى سميح قائلة (انت اعلنت في تل ابيب تأييدك لقتل الأولاد اليهود (٣) .... مشيرة بذلك الى ندوة محرري الصحف في تل ابيب واجابة سميح ل(يسرهرئيل) فموقفا

---

١) الجديد : استفتاء الجديد . العدد الاول كانون الثاني ، ١٩٧٠ ال ١٧ ، ص ٣٩
٢) سميح القاسم : شهريات . الجديد . العددان ١ ، ٢ سنة ١٩٧١ ، ال ١٨ ، ص ١
٣) م . ن ؛ ص ١

الكاتبة (روت ديان) شأنه شأن المواقف الاخرى ، مواقف الحاقدين الذين لا يألون جهدا في تشويه سمعة الأدباء المتحررين والثوريين الذين يطالبون بالحرية والعدل ونصرتهما على الباطل والظلم والبغي والعدوان .

هذه بعض من صور العلاقات القائمة بين سميح القاسم والأدباء المحليين من العرب واليهود المتأرجحة بين الايجابية والسلبية في التأثير على نفسية الأدباء العبريين ، وللكشف عن الحقيقة التي تشغل الرأي ، رأي الطرفين لحل المشكلة المستعصية ، ولتوضيح مواقف زعمائهم وفضحها امام الجمهور اليهودي المضلل .

علاقته بالأدباء في الخارج عربا وأجانب :

تربط سميح القاسم علاقات طيبة مع كثير من الأدباء العرب والاجانب خارج الوطن المحتل ، ممن سنحت له فرصة الالتقاء بهم ، والتحدث اليهم عبر رحلاته وتنقلاته ، والمؤتمرات التي شارك فيها، فتحادث معهم ، وجالسهم ، وشاركهم وبادلهم وجهات النظر ، ليعطي صورة واضحة عن أبناء وطنه الذين يعانون الأمرين ليعطيهم صور النضال التي يخوضها ابناء وطنه في الداخل ليبطل مفعول الدعاية الصهيونية بقدر ما أوتي من جهد ، ليحدثهم عن الحق المغتصب ، والكرامة المهدورة والانسانية المغتالة على الارض الفلسطينية السليبة .

ففي مدينة براغ التقى بالشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري ، وتبادل معه الاحاديث عن الشعر والحياة والسياسة واللجوء وبغداد ، وقضى معه سهرة لائقة مع الموسيقى والشعر مما فاضت بها قريحة الجواهري ، وكان قد التقى به قبل عامين في مهرجان (صوفيا) آب ١٩٦٨ .

يصف سميح القاسم لقاءه بالجواهري قائلاً : (كنت قد التقيت بالجواهري قبل عامين في مهرجان الشباب العالمي في صوفيا . كان ذلك اللقاء مقتضبًا ، دار فيه حديث عن الشعر والحياة والسياسة واللجوء وبغداد . وانتهى بصورة فوتوغرافية للجواهري ومن حوله محمود درويش وانا . . . ولكن رغم كل شيء كان اللقاء انسانيا أكثر منه رسميا ، وحين ابصرته فجأة في براغ في ذلك المساء توجهت إليه على الفور (١) . . . .

وفي براغ تحدث سميح عن جلسته مع الجواهري واستمتاعهما بالموسيقى والشعر قائلاً :

---

(١) لقاء مع سميح القاسم : شهر ا ... ثلاثة أشهر الجديد ، العدد ٨ ، ١٩٧٠ ، ص ١٧

ص ٢ .

(ان قصة حب الجواهري لبراغ ذات الجمال الارستقراطي العريق معروفة للجميع . فقلت له مداعبا : جئت انافسك في حب هذه المدينة العجوز الرائعة الجمال ، وافترقنا لنلتقي مساء الغد حيث قضينا سهرة رائعة مع الموسيقى والشعر واشياء أخرى فاضت بها قريحة الجواهري الشابة ببضعة أبيات . في ساعات الصباح الباكر عاد كل منا الى منزله ، وحين هاتفت ابا الفرات في المساء قلت له أي صوت شاب هو الذي يرد عليّ ؟ فقال : واي صوت عجوز هذا الذي يكلمني ؟ اسمع يا سميح لقد اصبحت الابيات المعدودة قصيدة كاملة ، قلت : احتفظ بحق نشرها في صحفنا . قال ، ومعها صورتنا القديمة ، وصورة جديدة ان شئت ، وننقل للقراء حديثا خاصا معك . . اتفقنا على تنفيذ كل هذه الامور فور عودتي من " برونو " و " براتسلافا " وجبال " النترا " في أقصى الشمال الشرقي . . ويكفي القول انني لم اعد من جبال الحلم الموحشة الا في يوم عودتي الى الوطن ، فلم استطع الالتقاء بأبي الفرات ، وفاتتني امور كثيرة ، كان عليّ ان انجزها في براغ (١) . . .

والتقى كذلك بالشاعر السوداني (تاج السرحسن) في برلين ، وامضى معه ، ومع الصحفي المصري صنع الله ابراهيم ، ومع آخرين من العاملين في ميدان الصحافة والادب سهرة ادبية ممتعة . وسميح يقول : (من " رستوك " سافرت الى " برلين " ، وكنت هناك ضيفا على الحزب الشيوعي الالماني . وبعد وصولي بيوم واحد التقيت بالشاعر السوداني المعروف تاج السرحسن وقضينا معا سهرة أدبية ممتعة ، شاركنا فيها الاديب المصري صنع الله ابراهيم واخوة آخرون من العاملين في ميدان الصحافة والأدب (٢) . .

أما من الاجانب فقد التقى في برلين بمحرر مجلة (فوخن بوستا) الاسبوعية ، الذي صحبه الى مخيم عالمي للاطفال اقيم في " بوتسدام " واخبره ان مجلته بالتعاون مع لجنة الصداقة الالمانية العربية ، ومنظمة الشعوب الاسيوعية الافريقية استضافت ثلاثين طفلا ، فلسطينيا وعددا من الاطفال المصريين بينهم اثنين من جرحى العدوان على مدرسة " بحر البقر " ، فبعد ان حدد الزيارة وسافرا معا وتم اللقاء مع الاطفال . تأثر سميح القاسم تأثرا شديدا لأناشيدهم الوطنية ، وانشدهم من أشعاره . وبعد استماعه لاسئلتهم العديدة المتنوعة ، رأى تعطشهم للحقيقة والحرية ، وفي طريق

---

(١) القاء مع سميح القاسم : شهر امتد ثلاثة اشهر . الجديد — العدد ٨ ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٢٢ ، ٢٣

(٢) م ٠ ن ؛ ص ٢٣

عودته جرى بينه وبين محرر الصحيفةفوخن بوستوهو يهودى من اشرف انصار التحرر العربية حماسا ـ حوار بدأة سميح بقوله لرفيقة المحرر : اترى ؟ جيل آخر ينمو طفولته فرد المحرر بوجه متكدر شاحب : رأيتهم يقلدونك سلسا لا ايقنته رصاصة ، وانني اعيش لاجلهم .

فقال سميح : حبهم علمني حب أطفال العالم جميعا ،يسعدني أن اعيش معهم ، ويسعدني ان اموت لهم (١) واختتم حديثي بما قاله الاديب اللبناني محمد دكروب في شأن سميح : الصوت الهادر في شعر سميح القاسم يجعلنا نتخيله واحدا من العمالقة . . وعندما رأيت صورته ذات مرة جميلا ووديعا ذكيا ،تخيلت ان العملقة تكمن في بجرته ،ورأيته في صوفيا وسمعته . صوته هادئ ،هادئ ، ولكنه حازم مثل سكين حادة تبرق . . سميح ورفاقه كانوا وسط النار والدم عمالقة يتحدون النار والدم . الموقف هو العملاق هنا وهو اساس تلك الصورة . اما سميح نفسه الشاب المرح الرائع المبتسم ابدا فانت عندما تلتقي به تشعر انك كنت معه منذ زمن طويل . وانك تواصل معه حديثا سابقا . . وفي صوفيا واصلت معه هذا الحديث السابق . فهو يتابع حركتنا من خلال (الثقافة الوطنية) سابقا . ومن خلال الاخبار حالياً . ومن خلال (الطريق) وصحف عربية أخرى . . ، وكانت لنا مع غيرنا من الوفود الى مهرجان صوفيا جلسات وأحاديث مع سميح خلال عدة مناسبات ولقاءات ، وحلقات أدبية (٢) . . . . ؟

هذا الوجه المشرق من علاقة سميح القاسم مع أصدقائه ممن عرفوه عيانا ،أو ممن عرفوه عن طريق أعماله الفنية . ولكن بالمقابل واجه وجها مشوبا بالغبار تكسوه عدم الرؤيا الواضحة تدفعه الارتجالية ، وعدم التدقيق وراء الدافع لشن حملة شعواء على سميح القاسم .

من هاجموا سميح القاسم وبادلوه التهم :

تعرض سميح القاسم لحملة هجوم عنيفة ،وقاسية من الادباء خارج الارض المحتلة . ومرجع ذلك النداء المشترك الذى كان قد أصدره فريق من الأدباء ، ورجال الفكر ، واساتذة الجامعة من العرب واليهود في اسرائيل . وفيه يشجبون العنف ، ويستنكرون

---

(١) م . ن : ص ٢٣

(٢) لقاء مع سميح القاسم : حياتي وقضيتي وشعري . مجلة الجديد . العددان ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .

الفعاليات التي تسترخص حياة الانسان . ويسعون الى الاتفاق حول خطوط عامة من التعاون في كل ما من شأنه المساعدة على احلال السلام في المنطقة . في الحقل الذي يعمل فيه رجال الفكر هو"لا" وبالطاقات التي لديهم ،وبالوسيلة التي يمتازون بها . وعندما نشر النداء في الصحف العبرية والعربية داخل اسرائيل . كان فيه تحريف عن الصيغة الاساسية كما خبرت ذلك من سميح القاسم (١) . . . وعلى كل حال سارع للاعتذار والتملص من هذا البيان . ولكن البيان كان قد وصل الى العالم العربي بالصورة المشوهة المشبوهة . فاندفع بعض الشعراء لمهاجمة الشاعر والبيان دون التأكد من مضمونه ،والملابسات التي دارت حوله ،وحتى الاحاديث التي دارت في الاجتماع قبل اصدار البيان كما لمست ذلك من سميح .

ولابد لي هنا من ان أقول كلمة حق ، وليس الهدف منها ايجاد المبررات للشاعر الانسان سميح وانما خدمة للانسانية وللاهداف النبيلة وللحقيقة اقول : هناك فرق بين من هو في الداخل ومن هو في الخارج . المناورة في الداخل تتطلب طريقا واسلوبا يختلف اختلافا كبيرا عن الطريقة والاسلوب في الخارج ،لاسيما وأنهم يعيشون في ظروف غامضة . في مجتمع أقل مايقال عنه أنه معاد للادباء التقدميين بشراسة وحقد .

فلا بد من الظهور بالطريقة المخالفة لما يشاع حولهم بانهم يحبون القتل والتحريض .

ولا أحب ان اطيل . لابد من ان أشير الى الحديث الذى وجهه الشاعر العراقي ، بل الدبلوماسي على الحلبي وكله سباب وشتم في شخص سميح احد الموقعين على البيان السابق ،والذي اورده في صحيفة الانباء وعلق عليه سليم البصون بعنوان كبير (شاعر عراقي يصف سميح القاسم بالارتداد والتخاذل والانهزامية (٢) . . . ومما قاله سليم أيضا في تعليقه على قول علي الحلبي مايلي :

(انهم من دهاقنة رأس المال ،وتجار السلاح ،وعملاء الاستعمار يحبون الحروب ، ويعملون على اذكائها ويزيدون في أحطابها . ولكن أن يحب الحروب ويشجع العنف ويكره السلام اناس يصح أن يقال فيهم انهم رجال فكر وشعراء بالذات الذين يتغنون بالجمال والسلام وكل تقارب فكري . . . فأمر أحار في تفسيره (٣) . . .

---

١) اثناء مقابلة لي معه في حيفا بتاريخ ١٠/١/١٩٧٥ .
٢) سليم البصون : على مسرح الحياة . جريدة الانباء . العدد : ١٨٠٣ تاريخ ١٥ — — ٧٤ ،١ ص٥،ع٣، ٤ ، ٥
٣) م . ن ; ص ٥ ع٣

هذا الكلام جاء في صحيفة صهيونية ناطقة بالعربية (صحيفة الانباء) هذه الحملة اساءت للعلاقات ،وزادت من تسمم الافكار ، وكان في غنى عن مثل هذه المهاترات التي تشغلها الدعاية الصهيونية،وتنقلها لمختلف اللغات ، لتظهر العالم العربي بصورة من يحب المداوة والانتقام . وانهم ليسوا أصحاب حقوق وقضية .

فالشاعر العراقي علي الحلبي،يصف سميح القاسم في جريدة الجمهورية العراقية بعنوان:كلا ياسميح القاسم (١) ومما قاله كما جاء في مقال البصول :((هذه هي الصورة المزرية التي وصل اليها الشاعر سميح القاسم وأضرابه من المرتدين والمتخاذلين والانهزاميين ، وهذا هو موقع السقوط المشين الذي انحدروا اليه،ليسجل التاريخ فوق جباههم لعنات الاندحار . . ليتهم تملكوا القدرة الكافية ،والاصرار العنيد على الصمود الحي في الدفاع المستميت عن قضيتهم الممتدة عروقها في الارض الطيبة، ولكنهم واحسرتاه!يحيون بلاقضية . . (١)

ممن تعرضوا إلى هذا الموضوع محمود درويش ،ومعين بسيسو، فألصقا التهم بصاحبهم جزافا في ظروف عصيبة ،وكان من الأفضل لهما،ان يبتعدا عن مثل هذه الاتهامات .

بدأ محمود ومعين بيشككان بوطنية سميح ،وهاجماه من الطائفية . والاسس التي استندا عليها دخول سميح القاسم الجيش لاداء الخدمة الاجبارية . ونشرا صورته في الصحف اللبنانية بالبزة العسكرية . واتهماه العمل في المستشفيات مستشفيات الجيش لمداواة الجرحى . وعندما توجهت لسميح القاسم للاستفسار عن سر ذلك ، والى اي مدى صادقين في اتهاماتهما،تأثر سميح القاسم تأثرا عميقا وقال لي (٢) . "يحزنني جدا يا اخ خالد ،ويؤسفني ان تأتي الاتهامات من انسان خبر اساليب السلطة ،والفائدة التي يجنيها من المهاترات والاعمال الغوغائية ،ولكنني سأوضح لك اولا التهم التي وجهت الي ،ولن اتطرق لـ (معين) وأكتفي بالقول ان تذهب الى غزة لتسمع منهم عن شخصه" (٣). وبدأ سميح يشرح لي كيف دخل الجيش فقال :

دخولي الجيش وظهوري بالبزة العسكرية الكل يعرف هنا في الداخل من رفاق وغيرهم انني لم احمل السلاح البتة في وجه اخواني العرب على الحدود اللبنانية للدفاع

---

١) ج ن ك ٥ ع ٤

٢) مقابلتي له في منزله بحيفا،بتاريخ ٢١/٣/١٩٧٥

٣) المقابلة نفسها .

عن اسرائيل ، ولاطلاق النار على اخوان لي اتحدوا في جسمي . مصيرهم مصيري . مايؤلمهم يؤلمني ، والذي ينال من كرامتهم ينال من كرامتي . ولكنني على العكس رفضت التجنيد بقوة وعنف حتى اعتقلتني الشرطة المدنية ، وقامت بتسليمي للشرطة العسكرية . سجنت مدة طويلة لم يسمح لي خلالها بمقابلة احد للدفاع عني ، فوضعت بين خيارين لا ثالث لهما كل واحد منهما احلاهما مر فأخترت الاخير حتى لا ابقى منعزلا عن الناس الذين يحبونني واحبهم ، ولكنني قابلت قائد الوحدة كما اخبرتك سابقا . ورفضت التدريبات المسكرية ، لأنني لا اريد مقابلة اخواني العرب كما يزعم محمود بل العكس عملت في سلك التدريس العسكري بين اخواني لاعلمهم ، ودافعت عنهم عندما قال لي قائد الوحدة : تريد ان تعيش مع هؤلاء الاميين ؟ فأجبته انهم اخوتي واحبائي . وبقيت معهم مدة حتى فصلت من المهنة ، لأنني في نظر السلطة خطر على العلاقات الحسنة السائدة بين الشباب الدرزي والسلطات كما تدعي ، وارجف واشيع بين الجنود انني جبنت من حمل السلاح ، وامتنعت عن التدريبات لانني مترف ومنعم . واخبرني بذلك اخواني . وذهبت سريعا الى قائد الوحدة وقلت له : لقد اشعتم بين اخواني انني مترف ومنعم لتنالوا من رجولتي التي تعرفونها جيدا ، وتعلمون علم اليقين انني اعتز بها . سأقبل التدريبات ، ولكنك تعرف انني آخر من يحمل السلاح في وجه اخوتي . وهكذا دخلت التدريبات حتى وقع علي الاختيار . وكنت المتفوق وقد سبق وحدثتك عن ذلك ونجحت في امتحان العنف كما يزعم قائد الوحدة مثلما نجحت في امتحان الشعر .

وعملت في سلك التمريض ليس تطوعا كما قال درويش ((ولكن لانه كان لزاما علي ان اقضي هذه المدة ، مدة الخدمة ، ففضلت ان تكون في المستشفيات من ان احمل السلاح . وكثيرا ما استدعاني المحقق لمجابهتي بالادلة والقرائن التي تدينني ، الا وهي التأثير على نفسية الشباب ضد السلطة . وهذا فخر لي ولا يضيرني .

اما صورتي بالبزة العسكرية : فهي ليست للاعتزاز بالشعار الاسرائيلي كما يدعي محمود درويش وصاحبه معين الذي دخل اللعبة ، ولا ادري لماذا دخلها ؟ هل حبا في الظهور على سياسة خالف تعرف . لشيء في نفس يعقوب – وانما اخذت الصورة للتفكه والتندر والاستهزاء . فلبست البزة واخذت الصورة على سبيل السخرية ، واعطيت اصحابي صورا عنها . وانا اطلب منك ان تتوجه لرفاقي بالاستفسار عن هذا ان كان صحيحا أم مجافيا للحقيقة ؟ وكان من ضمن من اعطيتهم الصورة صديقي محمود الذي استغلها لهذه وضغينته لينشرها على الملأ .

وهناك نقطة يهاجمني فيها محمود درويش ومن دخل معه اللعبة غير المسؤولة، وهي اتهامي من ناحية الطائفية . وهو يعرف معرفة حقيقية نضالي في هذا المجال، ومقاومتي، لما فرضوا علينا اداء الخدمة الاجبارية . ويعلم ان اعدادا كبيرة من الشباب الدرزي في السجون يلاقون أقسى ماعرفته البشرية من عذاب واضطهاد ، لأنهم وجدوا متلبسين بأعمال تمس امن الدولة . كما تزعم اسرائيل . وانهم على اتصال مع رجال المقاومة والدول العربية المجاورة .

وقال لي : احب ان انبهك لقضية وهي، انني اورد بعض الاحيان — كما تعرف بين اشعاري الفاظا عبرية ، بل جملا واشعارا، لم اكن اضعها اعتزازا بها ، وانما للتفكه والتندر والسخرية . فليس غريبا ان يهاجمني فيها، على انني اعتز بالعبرية أو برأي آخر . كما فعل في مسرحيتي (كيف رد الرابي مندل ؟ حيث قال : ان سميح القاسم في مسرحية يثبت أن الصراع دائر بين حقين للعرب ولليهود . وانت تعرف، كما تناقشنا في الموضوع . انه صراع بين موقفين ، وليس بين حقين كما يدعي . اذن ليطالعنا درويش بصور اخرى في كل يوم يضر بقضيتنا ، وبعدالة موقفنا . ولكنني سأخبرك ماهو سر النزاع والخلاف بيننا) .

انها المنافسة . نعم ، اقول المنافسة : واشتدت هذه المنافسة بعد هروبه او جبنه ، وعدم عودته الى الارض . ولانه اعتبر نفسه قد انتهى ، والى الابد بمجرد ان وطأت اقدامه العالم الآخر ، وتخلى عن نضاله . واخبرك ان (محمود درويش) قد بعث برسائل الى الرفاق بالحزب عما يستطيعون فعله، اذا ماحاول العودة الى الوطن من بيروت . فكان ردهم، انه كان بامكانه الا يفعل الذي فعله ، وماعليه الا ان يبقى، لانهم لا يستطيعون في مثل هذه الظروف، فعل اي شيء ينقذ حتى حياته .

وعلى اية حال، ليس مافعله بغريب عني هنا في الداخل . كثيرا ما كان يعلن انه بجانبي في قضايا تمس حياتنا ، وحتى في علاقاتنا مع الحزب ، واذا به يتخلى عني . وليس هذا فقط . بل كان يدس علي بأقوال لتنال من كرامتي وسمعتي وشخصيتي بين الرفاق . ولقد جاء من يخبرني ان محمود درويش ، لم يلق ببطاقة الحزب كما وعدك (١) . وقبل هذه الاتهامات اخبرك شيئا آخر . لقد اخبر ابا سلمى الشاعر الفلسطيني المعروف، انني اعتزم مغادرة الوطن ، ونصحني بعدم ذلك . فلما عاد الى الوطن وجابهته بالحقيقة . نشر في الاتحاد، واخرج لي قصاصة من صحيفة الاتحاد

---

(١) سبق واشرت لهذه الظاهرة .

في تاريخ ١٩٦٩/٨/٢٩ — ماضمونه الى الشاعر العزيز ابي سلمى — واليك ماكتبه محمود بعد عودته .

نشرت مجلة الهلال القاهرية في عددها الصادر في تموز الماضي نص رسالة بعثها الشاعر الفلسطيني العزيز (ابوسلمى) الى صديقه الكاتب رجاء النقاش رئيس تحرير الهلال . وتروى الرسالة قصة لقاء موءتمر جرى في برلين بين ابى سلمي وبيني اثناء جولتي في اوروبا في ايار الماضي) ومن ضمن ماقال عن الزميل الشاعر سميح القاسم ، وعما كتبته الصحف الاسرائيلية عن نيته في مغادرة البلاد : قلت : ((ان الصحف قد نشرت هذا النبأ فعلا ، ولكني تركت سميح القاسم وانا وسائر الزملاء مقتنعون الان اكثر من اي وقت مضى بأن مكاننا يجب ان يكون في بلادنا رغم مانعانيه من اضطهاد . والجزء الكبير من اشعارنا يحارب فكرة الرحيل)) (١) . . . وهذا ماكتبه محمود درويش ، وبذلك يكون قد تراجع عن اقواله لابي سلمى .

وكتب سميح القاسم تحت النص السابق الذى كتبه محمود درويش وتحت عنوان (شكر وتصحيح مايلي : ((نشرت مجلة الهلال في عدد تموز سنة ١٩٦٩ رسالة للشاعر الفلسطيني الكبير (ابو سلمى) يتحدث فيها عن لقائه بصديقي ورفيقي محمود درويش في برلين واود ان اشير الى فقرتين من تلك الرسالة : الاول قول شاعرنا الكبير ان الأدباء العرب وجهوا من موءتمرهم في بغداد نداء الى كتاب العالم محتجين على سجني ، انها للفتة طيبة من اخوتنا الادباء العرب يستحق كل التقدير والاحترام . . . فمنذ عدوان حزيران اقدمت سلطات العدوان ، والاحتلال على اعتقالي اربع مرات والتحقيق الاستفزازى معي اكثر من خمس مرات بتهم شتى ، كما اعتقلت الكثيرين من زملائي ورفاقي ، وفرضت علينا الاوامر الادارية الموروثة عن الاستعمار البريطاني والمنافية لابسط حقوق الانسان ، وحرية الكلمة .

والفقرة الثانية : التي لفتت انتباهي . هي ماجاء على لسان محمود من انه سمعني اتحدث عن الخروج من اسرائيل الى البلاد العربية ، فطلب مني ان لا افعل ذلك قائلا : (ان قيمتنا ان نبقى هنا . .) لقد وقع هنا خطأ من شأنه ان يسيء الي ، فهذا الحديث لم يجر بيني ، وبين محمود مطلقا . . واذا كان المقصود هو مانشرته صحيفة (معريب) الصهيونية في ١٨—٤—١٩٦٩ من انني أنوي مغادرة البلاد نهائيا (دون الاشارة الى الاقطار العربية) فقد رددت في حينه على هذا الخبر الذى

---

(١) الاتحاد : بتاريخ ٢—٨—١٩٦٩ عم ٧ ص ؟ العدد ؟

نشرته الصحيفة للتشهير بي ،والتحريض علي ، مستغلة اعتقال السلطات لي ومصادرة ديواني الاخير (ويكون ان يأتي طائر الرعد ١) . . .

وقال لي سميح في الجلسة نفسها : هكذا كما تعلم لم تكن المرة الاولى التي يكذب فيها علي أو يتهمني . فان اتهمني اليوم بالعمل في الجيش الاسرائيلي، فقد اتهمني من قبل . من انني اعتزم الرحيل الى الدول العربية . وها انت من هذه القصاصة تقف على الحقيقة او بعضا منها .

واخبرني كذلك من ناحية اخرى : ان من عادة الكتاب العرب ان يتركوا لنا مقاعد رمزية ، وهذه ظاهرة تركت في نفوسنا ادباء الارض المحتلة اثرا حسنا وعظيما وكان محمود نفسه يستحسن ذلك . ولكن في المؤتمر الاخير للكتاب وقف محمود درويش لينتقد هذا الرمز من بعد استحسان : وقال : يجب ان ندافع عن كتاب الوطن العربي ؟ مما خلق انطباعا آخر ،واستغلته الصحف الاسرائيلية . فكتبت أحاديث محمود درويش في المؤتمر . وخلق بذلك انطباعا بان الكتاب في العالم العربي مضطهدون ، مما اعطى السلطات مادة دسمة هذا من ناحية .

والناحية الثانية : عندما غادر محمود وترك البلاد . أوقعنا في حيرة وبلبلة. فأوردت الصحف الاسرائيلية اشعار محمود درويش التي يعلن فيها تعلقه بالارض ، وانه لن يسافر وعلقت عليها بقولها : ومن ذلك سافر فاتصل بنا الشباب ليستوضحوا عن ذلك . وعن مواقفنا . وهل نحن مثل العجينة الرخوة اذا ماضغط علينا نلين بمثل مالان محمود . ولقد بعث سميح القاسم لمحمود درويش رسالة نشرت في مجلة الجديد . قال له فيها :

عزيزي محمود — القاهرة .

الحرج قائم — سواء كتبت اليك ام لم اكتب . وحتى لو كانت لدى طائرة فانتوم فانني لا استطيع تحميلها هذه الرسالة اليك . فالخوازيق الجوية المتربصة على ضفة القناة الغربية جعلت بريد الفانتوم في خطر شديد . ومن هنا فان الجديد سليلة الحلم الزاجل خير رسول اليك هناك في مصر الشجاعة واقعا واسطورة أرضا وبشرا) ماضيا وحاضرا (٢) . .

وبعد هذه المقدمة اخذ يناقشه في أقواله وتصريحاته . فمما قاله سميح القاسم :

---

(١) م • ن عم ٨

(٢) سميح القاسم : شهريات رسالة الى محمود درويش . الجديد العددان ١ ، ٢ سنة ١٩٧١ ص ٣

لا اريد تقريعك على فعل ماضٍ اصبح امرا واقعا . فمن اين لنا القدرة على اعادة الرصاصة المنطلقة الى فوهتها الام .. قلت على ما اذكر . ان العمل أصبح مستحيلا، اولا يطاق هناك (اي هنا) ثم وجهت تحية حارة الى الشيوعيين الذين يشنون نضالا بطوليا، وظهرهم الى الحائط . فكيف يمكن تفسير القول باستحالة العمل او كونه لا يطاق في آن ، ووجوده بصورة بطولية (١) ....

ويعلق بعد ذلك سميح القاسم في رسالته عن ظروف العمل الادبي السياسي للشيوعيين ، لا سيما العرب منهم في اسرائيل . ان القوى الوطنية والديمقراطية منها، ادركت ماترمي اليه السلطات الصهيونية من وراء الاضطهاد ، والقمع والارهاب . ادركت ان الشعار هو المزيد من الاراضي ، والاقل من العرب . ويبرز فيها كذلك، مخططات اسرائيل، لاسيما في السنوات الاخيرة . اذ شجعت ترحيل الشباب العربي الى كندا . ويذكره بزملائه الذين لاتغل القيود عن ايديهم ، وعن مصادرة اعمالهم الادبية . ويستشهد بمحاولات فيتنام ، وصمود جميع الشعوب المقهورة المغلوبة على امرها . ويسهب في وصف اعمال اسرائيل القمعية، وعن الوطن والقضية، ويختتم رسالته بقوله : (واخيرا اليك هذا النبأ الشخصي .. ديوانك الذي تركته في ذمتنا سيصدر قريبا في الناصره . ولن ارسل اليك نسختك مع الصليب الأحمر الدولي . سأحفظها لك هنا، حتى تعود ستعود (٢) ...).

هذا سميح القاسم مع اصدقائه ، وذلك همهمه، ولقد قال في موضع آخر عندما اجرت مجلة افكار الاردنية مقابلة مع سميح القاسم . قال لمندوبها الادبي رداً على سؤاله . لو وجهت رسالة الى الشاعر محمود درويش فماذا تقول فيها ؟ أجاب : (لو فعلت لحاكموني هنا بتهمة الاتصال بالعدو) اما القبلة، فقد تستطيع الافلات من شرك القوانين العسكرية . تبلوا محمود عني . واوثر ، ولعله يوثر أيضا، ان تفعل ذلك احدى حسان يعرب الرائعات . لا "حشرج) مثلك اذا انت ترى، اني امازحك . لابأس عليك ؛ واذا نحن لم ندافع عن الوطن حتى الموت . فلندافع عن ابتساماتنا .. ففي اعتقادي، ان الدفاع عن ابتساماتنا، هو جزء من الدفاع عن الوطن (٣) ..

رغم مافعل محمود درويش مع صديقه سميح القاسم، الا ان سميح القاسم الانسان . صاحب القلب الكبير، يحب صديقه ، ويتمنى له العودة والاستقامة والتمسك بقضيته التي اكتوى بنارها . وان يترفع عن الانانية ، والفوغائية التي لم تعد من صالح احد .

---

(١) م . ن ص ٣

(٢) سميح القاسم شهريات . رسالة الى محمود درويش . الجديد العددان ١ ، ٢ سنة ١٩٧١ ص ٤

(٣) مقابلة مع سميح القاسم عن مجلة افكار الاردنية . الجديد . العدد ٣ سنة ١٩٧٤ ص ١٣

مدى تأثره من بالأدباء شعراء وناثرين ، وتأثرهم به :

لم يكتف سميح القاسم بدراسته الابتدائية والثانوية . بل أخذ يغرف من مناهل العلم بشغف ونهم شديدين . بل مال الى الاثار الادبية يتأملها ، ويقارن بينهما ويردد النظر فيها . فاطلع على نتاج كبار المفكرين العرب والاجانب، مثل: المتنبي والمنفلوطي ، وعلي محمود طه ، وبأبي القاسم الشابي ، وروايات (ارسين لوبين) وشارلوك (وهوكمز) وبايرون) وشيلي) (وشكسبير) وبرتولد بريخت ، وهو لا يزال يطلع على معظم ماتخرجه المكتبات العربية . ففي اعدادي للبحث . ومن خلال زياراتي له . وجدت لديه كتبا لها صلة خاصة ببحثي عنه مهداة إليه من كبار الكتاب والمفكرين في العالم العربي . فهو على اطلاع دائم فيما يكتب عنه، وعن زملائه شعراء الارض المحتلة ، وعن الشعر العربي بشكل عام . وهو على اطلاع واسع على الاعمال الفنية من نثر وشعر ونقد .

ولقد ذكرت سابقا الأدباء والشعراء الذين قابلهم وتبادل معهم الرأي ووجهات النظر حول الموضوعات العامة والقضايا التي تمس الامة العربية . فكان يستفيد من ملحوظاتهم وتجاربهم الفنية ، لا سيما وانه بعيد عن المكابرة . ولا ابالغ ان قلت: انهم استفادوا كذلك من تجاربه النضالية ، ومعاملاته الحياتية . وتفاعله وتفانيه واتحاده في أعماله الفنية كاتحاد الصوفي بربه .

تأثر سميح القاسم بطليعة شعراء فلسطين: ابراهيم عبد الفتاح طوقان ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد الكريم ابو سلمى ، وبرهان الدين العبوشي ، وحسن البحيري " وبالشعراء المخضرمين رفاقه العاملين بالحزب الشيوعي الاسرائيلي: حنا ابو حنا ، عصام عباسي ، مؤيد ابراهيم ، جميل الخوري ، حبيب قهوجي ، والمعلم ناصر . واطلع على نتاج جمال قعوار ، وجورج خليل فهضم انتاجهم .

يعترف سميح لغيره بالريادة في المجال الذي سبقوه فيه فيقول :

(توفيق زياد، رائدنا في هذا الميدان، يعمل على احياء هذا التراث الشعبي الثمين، نظم الملاحم والقصص ، والبطولات الشعبية . عمل على اعادة صياغة الاشعار الشعبية التي كادت تتلاشى . نحن امتداد لتوفيق زياد في هذا المجال (١) ...

يعترف سميح القاسم بفضل توفيق زياد — رفيق دربه في النضال . في مجال الاغنية الشعبية .

---

(١) د . هاشم ياغي : حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين . ص ٢٣٢ — ٢٣٣

فسميح مقلد له في هذا المجال . ولهذا وردت في قصائده بعض هذه الاثار مثل : الثورة مغني الربابة (١) .. و (مغني الربابة على سطح من الطين (٢) .. في ديوان دخان البراكين ....

سميح لنفسه يقول : (في قصائد عديدة لي، استعملت كلمة الربابة، وانما مهما ، قصيدة ليلى المدنية (٣) .. في ديواني الأخير دخان البراكين . وضعتها على أساس القصيدة الشعبية التي يلقيها عادة مغني الربابة . يمكن ان تتهم هذه القصيدة بالمباشرة والنارية . فمثلا أقول : واليكم ايها الاخوان .. ليلى العدنية (٤))

ويقول سميح القاسم في موضع آخر : (راشد حسين الذى سبق جيلنا . وكان صلة الوصل بيننا وبين جيل عصام العباسي ، وحنا ابو حنا ، وحبيب قهوجي ، وكان هذا من اوائل من كتبوا الشعر الحديث ؛ نظم ايضا قصائد حسب انغام (على دلعونا) ونسج على (أوزان المواويل الشعبية نفسها) بلغة فصحى ومضمون ثوري . ولي عدة قصائد في هذه الاتجاه منها : قصيدة من شعر الفترة الاخيرة .

يا رائحين حلب ... معكم حبيبي راح (٥) ...

سميح القاسم في ديوانه (ارم) القصيدة الطويلة بعث ببطاقات الى ميادين المعركة ، ولا ادرى هل هو الاعجاب ؟ وان كانت الاشعار المهداة تؤكد ذلك ، وهل الاعجاب مآلة التأثر ؟ فسميح القاسم بعث ببطاقة الى (بول روبسن) والزعيم "فيدل كاسترو" والى الرجل الفرنسي المتحرر الذي وقف مع الجزائر لنيل استقلالها (جان بول سارتر) "وكسر يستوف غبانيا" والاسطول السيد ، ونجيب محفوظ ، والكاتب المصري والذي يدعوه فيها لان يكتب عن شحذ الهمة ليعبر عن أحلام الامة حيث قال (٦) ..

فاغرف من أعماق البئر العذراء ،
واسق العامل عن شحذ الهمّة ،
واكتب عن احلام الأمــــة ،
طوبى للحرف الشامخ في الليل منارة ،
والعار لابراج العاج المنهارة ،
وسبايا النبلاء .

---

(١) انظر دخان البراكين ، ص ٦٧
(٢) انظر دخان البراكين ، ص ٨٢
(٣) انظر دخان البراكين ، ص ٩
(٤) د هاشم ياغي : حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين ص ٢٣٤
(٥) م . ن ، ص ٢٣٣
(٦) ديوان سميح ارم ، ص ٤٠

اعجب بالشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري والذي التقى به في الخارج كما مر سابقا ، واهداه سميح بطاقة من بطاقاته المرسلة الى ميادين المعركة حيث قال (١)

عفوا ياعملاق الكلمه ان شابت الفاظي عجمه
عفوا فجراحي قاتلة والظلمة ،تخنقني الظلمة
عفوا ان اقلق منفيا منفي شاطره همة
لهفان يمد اليك يدا حمراء تلوّن في العتمة
في صوتك روعة تاريخ وببارق نصر ملتمة
فاقذفه على البغي شواظا وأسبكه ضياء للامة
فاعذر أن دوت كلماتي جشاء ،ممزقة الرحمة
اغلريب وجها ولسانا ويدا . . لايهدر بالنقمة

وكذلك تأثر بالشاعر العراقي،بدر شاكر السياب الذي انتقل الى الرفيق الاعلى في اواخر ١٩٦٤ ،فكان دائم الاطلاع على انتاجه.فهو شديد الاعجاب به مزهو بمواقفه ، وكانت له في قلبه منزلة خاصة . فقرأ قصائده وتأثر بها تأثرا شديدا ، ولعلّ خير دليل على مانقوله ، قصيدته التي رثاه فيها ،كاشفا فيها عن طبيعة عواطفه المتأججة والمتعلقة ببدر شاكر السياب الشاعر الشاب الموهوب . متأثرا بالقضايا الفكرية والفنية والحياتية حيث قال (٢) . .

من سبّل في الغربة جفنيه
من شد بمنديل الاموات يديه
من ودع آخر قطره زيت
من خط وصيته قبل الموت
من صلى ياناس ، عليه
مات غريبا يابغداد
قنديل الاحزان المشعل في مأساتك
فلينجب احرارك اولاد
يلهون بلا أحزان
في الضوء الغامر ساحاتك

---

(١) م . ن : ص ٤٥ — ٤٦
(٢) سميح القاسم : ديوان دمي على كفي ، ص ٧٥ — ٧٦

واذكر ياد جلة انســان ،
سالت من د مه قطرات في يفقلتك
يابعض الاخوة . . . يابدو
اغلق في وجهي بابــك ،
واهجر احبابـــك ،
لا لوم على أيوب العصــر ،
يابدرا
بالكلمــة احلف ، بالحب ،
أن أروّي طول حياتي أخبارك
ان احفظ اشمارك
عن غيـــب . . . .

يمتدح سميح القاسم الأدباء الذين يعجب بهم . يمتدح اقلامهم الجريئـــة ، يتعاطف مع من نكب مثله . ولكن لسميح القاسم رأي في تأثره بالادباء كما ورد فـــي مجلة افكار الأردنية فقال (. . . اذا كنت تساءل عن الموثرات الأدبيــة المهنية ، فلن يستطيع احد الاشارة الى شاعر بالذات تأثرت به بشكل خاص . منذ بواكيـــرى الاولى . وانا اوكد على تفردى بما يقارب الاعتداد بالنفس لدرجة الغرور . ذلــــك لانني أوثر ياصاحبي . أن اكون سميح القاسم الأول على أن أكون لوركا الثاني .

حتى اولئك الذين كتبوا عن تشابه بيني وبين الاسباني الشهير . أكدوا انــه تشابه في التجربة لا في وسائل التعبير من صور والفاظ وأشكال . لا تفهمن مـــــن هذا أنني أنفي وجودي داخل دائرة الموثرات الأدبية. حتى الحجر يتأثر ببيئتـــه وعالمه ومناخاته . غير ان هناك فرقا بيّنا بين التأثر وترسّم الخطى . أنا لا اترســـم إلا خطى حبيبي الغائب بين الذاكرة والاسلاك الشائكة (١) . . .

لقد تأثّر بسميح القاسم كثير من الأدباء الناشئين في داخل الأرض ممن يترسمون خطاه ، ويسيرون بهديه ، ويتبادلون معه الرأي ويسترشدون بآرائه وتوجيهاته ، ولقـد لمست ذلك من خلال زياراتي له . فكان كثير من طلبة الجامعات في اسرائيل يحضرون اليه ويبادلونه رأيا برأي . ولعلّ فيما شقته من قبل من شعراء أهدوه قصائد ، أو فـــي

---

(١) مقابلة مع سميح القاسم عن مجلة أفكار الاردنية مجلة الجديد، العدد ٣ سنة ١٩٧٤ ص ١٣

مجال النقد ممن تناولوه في اعماله الفنية، واتخذوها منبرا للمديح والثناء دليل على تأثرهم به، وتأثيره عليهم . فالشباب ممن يشقون طريقهم في مجال الشعر من طلبة جامعتي بيت لحم وبيرزيت الناشئين الذين دعوه اكثر من مرة لسماع اشعاره وندواته ومحاضراته ليحكم ويعطي رأيه في أشعارهم، دليل على تأثرهم به . ففي الانديـة والقاعات والمتنزهات، دعي سميح القاسم من قبل الشباب والأدباء ليستمعوا اليه . ولعل اشعاره الوطنية وتجاربه النضالية ،وشخصيته المحببة، هي السر وراء اقبال الشباب الناشيء على سميح وفنه اقبالا منقطع النظير ، ينقح اعمالهم قبل أن ينشرها في الاتحـاد والجديد .

أثر هذه الصور والملاقات في أدب سميح القاسم :

اثرت لقاءات سميح القاسم مع الادباء العرب والاجانب في الداخل والخارج في أدبه فوق الثرى الفلسطيني، وغذت تجربته النضالية ، وتحددت لديه مفاهيم قديمة، واستفاد من تجاربهم الادبية والنضالية في مصارعة الاعداء وحوارهم، فأفاد واستفاد . فلقاءاته ورحلاته انقذت ايديولوجيتـه ، وعمقت ايمانه بالاشتراكية، فاشتد صراعـه مع السلطة . واستفاد من اخطاء أصدقائه ،وقويت اشعاره لهيبا ونارا ضد الظلم والفساد والتخلف . ففي قصيدته (درب لينين عبر الحواس الخمس) (١) يشير الى نضال (لينين) ومفاوضته مع المانيا في الحرب العالمية الاولى، رغم معارضة الحزب ،ورغم ذلك فاوض، لان المانيا كانت آنذاك اقوى من روسيا ،ثم يرى مآل اليه (لينين) صانع الثورة الاشتراكية وشعبه من تقدم وسباق ،ليأخذ منه القوة والعزم والتصميم . يتألم سميح القاسم من حريته الضائعة، لانه لا يتقن العمل . هل العمل هو الكفاح ؟ أم المناورة ؟ أم ماذا ؟ هل يستطيع السير على درب لينين ؟

وفي قصيدة أخرى بعنوان (هرمون الاستروجين يحرك نخلتي) (٢) .. يصور فيها نمو وجوارح نخلته في الحزن والفوضى وسوء التغذية ،يصور فيها الوضع الفلسطيني وأثر الاحداث الدامية عليه . يدعو للخلاص .... وفي قصيدة : الوريث (٣) .... يصور الشعب الفلسطيني، والامه ،فالشعب يحمل الاسماء من لاجيء ونازح وغير ذلك

---

(١) انظر ديوان الموت الكبير لسميح القاسم ص ٤١ — ٥٠

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٢٠٤ — ٢٠٦

(٣) م ٠ ن ص ٢٠٦

كل هذه الاسماء القديمة عالقة في ذهنه ،وراسخة في ذاكرته،ولكنه سيرجع حاملا اسمه الجديد على مد الدماء الطاهرة بالثورة والكفاح ،بالتضحية والعطاء .. لابد انه راجع الى وطنه لينسى اسماءه القديمة من لاجيء ونازح ومشرد أو صامد ومنزوع راجع ليثبت على أرضه ،ولينعم من اخوته ، ليحمل اسمه الجديد ، وحقه الشرعي على أرض أجداده وآبائه عبر النضال الفلسطيني ، عبر المقاومة . فالا نساب يصنع غده يعبر بالكلمة المنطوقة عن حياته وطموحه وتطلعاته ... وسيبح انسان في عصره . هل انعكس تأثره بالعصر على حياته الادبية ؟

. . . .

. . . . . .

.

((الباب الثالث))

حياة

سميح القاسم

الأدبية

الفصـــــل الاوّل

آثـــار ســـميح القاســـم الادبيـــة

آثـــاره الشعريـــة

مراكب الشمس "١"

أولُ ديوان لسميح القاسم، صدر سنة ١٩٥٨، ضم قصائد ثورية ملتهبة . وكان التعبير فيها مباشراً، مما أفزع السلطات الاسرائيليـة ، لا سيما وان الشاعـر من أبناء الطائفة الدّرزيـة التي عملت السلطات جاهدة لاستقطابها حولهـا، ولتسير بركبها . فسارعت السلطات الصهيونية لمصادرة الديوان . وكان الشاعـر في التاسعة عشرة . وكان صدوره بعد تخرجـه من المدرسة الثانويـــة بســـنة واحـــدة .

يضم الديوان بعضا من قصائده التي ألقاها الشاعر في مهرجانـــات وامسيات شعرية، في المدن والقرى العربية . وبعض قصائده التي كتبها اثنـاء دراسته الثانويـة وبعدهـا . غلبت على القصائد المباشرة في التعبيـــر . وكان أقلّ دواوينه قيمة من الناحية الفنيـة . ومهما يكن من أمر، فقد عمـدت السلطات لمصادرة الديوان . وساقت صاحبه للخدمة العسكرية الاُجباريّـــة، فكان لهذا الحدث أهمية قصـوى وتأثير كبير على نفسية سميح القاسم .

أغانـــي الدروب "٢"

قصائد أغاني الدروب، هي المجموعة الشعرية الثانية . كتبت بين عامـــي ١٩٥٩ — ١٩٦٤ . وقد نثرت حول بعض قصائد الديوان لوحات فنية للرسامين عبد عابدي، واسماعيل شموط، ورسو ، وبيكاســو . وصدّر سميح القاسم الديوان بالآيات الكريمـة التاليـة :

---

١) مطبعة واوفست الحكيم — الناصرة، ١٩٥٨م

٢) مطبعة واوفست الحكيم، الناصرة، ١٩٦٤) ويحتوي على ثلاث وستين قصيدة او رباعيـــة احيانـــا .

" ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد *
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم من حديد "

واُهدى الشاعر الديوان، الى الذين سدّ لهواتهم غبارُ الدروب، لعلهم جمهرون. يشتمل الديوان على خمس وستين قصيدة، ومقطوعة، بين محذوفة وباقيــة . يكتشف القارئ للديوان آثار التخريب، والمراقبة، التي محت قصائد كاملة ، واجزاء من قصائد تظهر ملامح سميح القاسم في هذا الديوان . فذكر فيه المنابع التي استمد منها اغانيه . وادرك انه ابن الوطن . وواحد من افراده، وحياته مرتبطة بحياة مجتمعــه .

في هذا الديوان، يلمح المرء ملامح سميح القاسم الفنّية وتشكلها حتى بلغ فيه الكفاح ضد السلطات . فدعا للثورة والنضال . تحدث عن المأساة وجيلها ، عن الذين حفرت الفاجعة كهفها في قرارة قلوبهــم .

قصائد الديوان، حافلة بصور الظلم، والقسوة، والاستبداد التي تمارسها السلطات الصهيونيــة، ضد المواطنين العرب. تصور خنق الحريات، وشنق الرفاق، والرفيقات، وفساد المجتمع وانّحلالــه .

تمت ملامح سميح القاسـم الفنية في هذا الديوان . فأخذ يميل رويــدا رويدا للرمز للابتعاد عن المباشرة في التعبير . وما ان مضى في قصائده صعدا يتسلق سلّم الارتقاء، والتكوين الفني، حتى اشتد عودهُ وتحول الحـزن المستقر في اعماقه، الى غضب ملتهــب .

ومن هذا المنطلق، يميل سميح القاسم في قصائده الى التشاؤم ، ولا يؤمن بالفجر القريــب .

يستشهد في الديوان ، بل في قصائده بالحوادث التاريخيــة، والأساطير اليونانية ، ليبلور الهدف، وليختصر من طريق التعبير، ويغوص في الاعماق ، اعماق النفس الانسانية ويكسب تعاطفها . وقصائد الديوان علامة بارزة في صمـود سميح القاسم، وتحديه للسلطة . اذ معظم قصائده دعوة صريحة للغضب والصمود والكفاح الوطني مما حدا بالسلطة عن طريق يد رقيبها، تناول الديوان بالمسخ، والحذف، ومصادرته فيما بعد . وبعد شهور من اصدار الديوان . قام وزير المعارف بطرد سميح من سلك التدريس، ليشتغل عاملا يدويا بين صفوف أبناء الوطـن العاملين، وبذلك يكون سميح القاسم قد فقد وظيفته مرتين، بسبب ديوانه الاول، والثاني .

أرم "١"

أرم سريبة كما يحلو لسميح القاسم تسميتها . أوقصيدة طويلة في سبعة أناشيد، قدمها نادي النهضة في "أم الفحم". وطبعت سنة ١٩٦٥ في مطبعة الاتحاد التعاونية بحيفا .

يزجي سميح القاسم هذه السريبة، إلى الاحباء الذين يدأبون على تسمية ارم الفاضلة حبا وازارا . وإلى الموتى الذين يدأبون على بعث ارم الخاطئة شجبا وزجرا .

بعد تزجية سميح هذه على الصفحة الخامسة . يطالعنا على الصفحتين السادسة والسابعة بالتبيين الاتي :

" في الاساطير . ان "شداد بن عاد" عندما بسط سلطانه على الدنيا بأسرها حشد عباقرة المخططين . فنفذوا أمره بتشييد مدينة ذهبية، جدرانها مطلية بالمسك، والعنبر، ويحيط بها سور فضي مملوء بالذهب بحيث اصبحت غير مرئية من شدة وهج الضوء المنعكس عنها . ونهضت المدينة مؤلفة من مئة الف قصر ، اعمدتها زبرجد وياقوت . تجرى بينها أنهار حصاها من الجواهر وعلى حافاتها اشجار، جذوعها من الذهب . واوراقها وثمارها من اللآلىء . واطلقت بينها شتى الطيور تصدح، وتغرد . غرق أهل هذه المدينة أرم في نعمة لاتوصف، واستهوتهم شتى ضروب الملذات . فغاصوا في الرذائل يوم أرسل الله لهم من يعظهم لعلهم يرعوون تنكروا لله، وكفروا به ، وواصلوا ضلالهم " فغضب عليهم ربك صوت عذاب " وصاروا مثلا وعبرة " الم تركيف فعل ربك بعاد . أرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد ". هذه هي أرم التي ورد ذكرها في الاساطير، وفي القرآن الكريم. والتي كتب عنها، والف حولها الكثيرون من الكتاب، والشعراء . أما ارم التي احلم بها واكتب عنها فهي أرم جديدة ، ارم فاضلة . تحلم بها الإنسانية جمعاء . وتناضل من أجلها، مضحية في سبيلها الطويل الوعر، بجسام التضحيات، وغواليها ، مؤمنة بانها البديل الوحيد ، وواثقة بأنها البديل الأكيد بصعودية البشرية وفنائها الشامل .

---

(١) ارم : طبع في مطبعة الاتحاد التعاونية — حيفا سنة ١٩٦٥م .

النشيد الأول : نشيد الافتتاح . فالبشرية تقول أرما .. تريد القافلة . ماذا لديك ؟ والشاعر يجيب : ارم على أرض جديدة . لدي من أرم قصيدة ، وبعدها ينتقل الى النشيد الثاني "١" : نشيد الزهور الذى يدور حول البحث عن الجنة . بدأ فيه قلقا حائرا تائها يحاول عبثا ان يستقر . كتب عليه الضياع ، والتشرد ، والالام . حاول ان يصل الى الجنة ولكنه أخفق . وجد له رفاقا في المصير والدرب الموحش المظلم .

النشيد الثالث "٢" : نشيد الكهنة . يدور حول الخطيئة والوثن . بدأ باحشاء وانتهى برحلة ضياع . قطعان ضيعها الرعاة . ويمضي في سدر الرعاة الذين ضيعوا القطعان ، حتى يأتي على آخر لنشيد ليبدأ نشيدا اخر .

النشيد الرابع "٣" : نشيد الأبناء وابطال الراية . يبدأ نشيده الرابع . نشيد الابناء وابطال الراية . ويمضي معهم حتى يصل الى رسول العصر .

النشيد الخامس "٤" : نشيد الحرب ، نشيد عيروشيما . يبدأ نشيده الخامس ، نشيد عيروشيما ، من حيث تهيض أجنحة الغراب ، وتلف اذنابا من الخزى الكلاب يتساءل من اى اعماق البشر ؟ ... هكذا يسير بنا الشاعر على الدرب الطويل المرير ، الدرب الموحش لدرب الالام ، حتى تخلف كهوف الموت موحشة معذبة لنفوت الليل ، والاسلاك ، والحواجز ، والانقاض ، والقتلى ، لفصل الى الجنة السعيدة المنشودة .

النشيد السادس "٥" : يدور حول نشيد الانسان الجديد الذى يحمل عنوان بطاقات ، الى ميادين المعركة فالبطاقة الاولى : الى "بول (بول وبنسون) ينهل غناء "بول روبنسن" في بيت سمح من أقصى أطراف الدنيا ويرفرف في قلبه عصفور اسمر مغنيا : لماذا ينهل في بيته ؟ لانه فاضح جور الانسان على الانسان . والبطاقة الثانية كانت من نصيب الثائر "فيدل كاسترو" حاطم افلال الشعب لانه اول شعلة في ظلام امريكا .

---

١) ارم ص ١٢ — ١٦
٢) ارم ص ١٨ — ٢٢
٣) ارم ص ٢٤ — ٢٩
٤) ارم ص ٣٢ — ٣٤
٥) ارم ص ٣٦ — ٤٦

البطاقة الثالثة : الى "جان بول سارتر" المفكر الفرنسي الذى وقف معارضا السياسة الفرنسية نحو الجزائر وأيد الثورة الجزائرية .

البطاقة الرابعة : كانت من نصيب "نجيب محفوظ" يطلب منه ان يكتب للعامل والفران واطفال الحارة .

البطاقة الخامسة : كانت من نصيب شوإن فيتكونغ "ليفضح غارات الاوباش .

والبطاقة السادسة : الى "أوري ديفز" من احرار العالم، يمجده لانه في صف الشرفاء .

والبطاقة السابعة : كانت من نصيب الاسطى ستيباني السد العالي وصانع حلم الاجيال .

ثم كانت البطاقة الاخيرة من نصيب الشاعر العراقي "محمد مهدى الجواهرى" الملقب بأبي الفرات .

اما النشيد الاخير . نشيد الختام أو نشيد الطريق ، ليصل بنا الى الطريق الواضح ، والدرب السليم الذى يبصر فيه الضرير ، وفيه أمل نجاة الضرير . ليمين شباب الخفل الذى شاب فيه الجذع ، ليعيد الى لمسارها الصحيح . سائرا من مجاهل الطرقات . من الدرب الموحش الى درب — النور الى الطريق الصحيح — كما يراه سميح القاسم لينير امام الاجيال مستقبلها .

دمي على كفي "١"

كتب قصائده خلال الأعوام: ٦٤ ، ٦٥ ، ١٩٦٦ ، والناشر: مكتبة المحتسب للطباعة والنشر والتوزيع بالقدس. وكان قد طبع من قبل مطبعة الحكيم بالناصرة في عام ١٩٦٧م يتألف من مئة واربع وثلاثين صفحة بما فيه التصويب، والفهرست، وما صدر للشاعر . فجاء في الصفحة الخامسة اقوال من السيد المسيح عليه السلام .... قد أتت الساعة ليتمجد ابن الانسان .

" الحق الحق أقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن ان ماتت فهي تأتي بثمر كثير . هذه هي وصيتي ان تحبوا بعضكم بعضا كما احببتكم ليس لاحد حب أعظم من هذا ان يضع أحد نفسه لأجل أحبائه " ان كانوا قد اضطهدوني، فسيضطهدونكم ، وان كانوا قد حفظوا كلامي ، فسيحفظون كلامكم "

---

١) سميح القاسم : دمي على كفي ، الناشر : مكتبة المحتسب . القدس .

ولقد اختار الشاعر الديوان، من قصيدته الثانية "اشربوا" التي مطلعها :

بعض الاغاني صرخة لا تطرب فاذا استفزتكم أغاني فاغضبوا

هذا انا .. اسرجت كل متاعبي ودمي، على كفي يغني، فاشربوا

ويحتوي الديوان على اربعين قصيدة ومقطوعة . تبدأ بقصيدة " خطاب من سوق البطالة " وينتهي الديوان بقصيدة الى الشاعر السوفيتي "يفغيني يفتو شنكو " .

خطاب من سوق البطالة "١" تمثل الرفض والتحدي، والصمود. يعلن الشاعر فيها أنّه لن يساوم وسيقاوم حتى لو فقد كل شيء، ولو عمل أيّ شيء ولو احرقت أشعاره وكتبه، ولو أطعم لحمه الى الكلاب، سيقاوم ولن يساوم .

"اشربوا" : "٢" تحمل طابع الكفاح الوطني ضد الاحتلال . فيكافح الشاعر من اجل منزلق ، ومن اجل أعين أخوته ويمشي ويعطي الدرب ما يتطلب ودمه على كفه . ففي كفاحه ونضاله الوطني معرض من لا يدار دمه يبذل روحه ولكنه يرخص ذلك في سبيل حرية وطنه .

قميصنا البالي "٣" هذه القصيدة تصور الظروف التي املتها عليه المواجهة وظلمة الظروف القاسية للابن الباحث عن المعاش خارج رقعة بلاده ليحفظ حق الاسرة الضاربة جذورها في اعماق أرضها . ليصوّر آلام الأم بعد وفاة معيلها والامراض التي ناجمتها نتيجة الأحزان . يحاول ان يخفف عن امة آلام الفراق والوحشة . يصور البقاء على هذه الارض انتحارا . لكنه يعلن استقراره ورسوخه . لانّ قميصه البالي مادام يخفق في رياح الحزن والشدة ستظل تراوده العودة ويرى المذلة أن يبيع المرء ثرى ابيه ويرى ان اختلاج الروح في البذرة أقوى من الصخرة ... هكذا اصبح . جذوره ممتدة في اعماق ارضه مكافح صابر . رغم الشدائد .

---

١) دمي على كفي ص١ - ١١

٢) م . ن ص ١٢

٣) دمي على كفي ص ١٣ - ١٧

ليد ظلت تقاوم "١" : صرخة من صرخاته المدوية في وجه الاحتلال ، ووحشيته المتجسدة باعماله الاستفزازية ، والهمجية . يستحضر مذبحة "كفر قاسم" ، وما حل باخوته الفلسطينيين في هذه البلدة الامنة ، احدى قرى المثلث الجنوبي . والعدوان الثلاثي على "بور سعيد" ، ومصير البركان ، وسقوط الضحايا ، لأن الدم المهدور لايزال وما زال والشاعر يقاوم .

اليك هناك حيث تموت "٢" : رسالة من صديق له يدعى فؤاد . فمنها الشاعر فردت له طفولته بهمومها . ويدعو صاحبه فؤاد للعودة الى موطن الذكريات .

الجواد الجامح "٣" : تحمل طابع الخلاص والمقاومة . فعلى الجواد الجامح يمم القفار الجرد ، وجاز البيد . وكان الجواد حرارة المهماز ، والسوط . ووشاحه الملتف من كتفه الى بطنه هو الزاد . ووصية الميعاد ، وعليه يطوف المواصم . ويقسم الشاعر أنه لن ينس جراحاته ، ولن يبيعها ، ولن تبقى أرض مسبية على قلعة الاصبراطور "٤" : تمثل الكفاح الوطني والالتصاق بالارض رغم كل المعوقات . ربما ترفض الصحف كلماته ، ربما يحجم القراء عن دراسة أشعاره . ربما تكسد في الاسواق كتبه . ربما ينقلب أصدقاؤه الى اعداء ، ربما يبقى وحيدا ، والحزن دربه ، لكنه يقسم بالحرف الملبي ، بكتابة الذي ملك عليه كل شيء . أن يحوق النار في كل طريق . وعلى هذا النمط ، يسير سمح في أبيات القصيدة .

أعلنها "٥" : تحمل طابع الرفض والتحدى . أعظم ما عرفه الانسان الصبور المناضل ضد الوحشية والعنصرية . ما دامت له اشياء من أرضه . مادامت له زيتونة أوليمونة ، أوبئر وشجرة صبار ، وذكرى مكتبة صغيرة . مادامت في بلده عربية واغان شعبية . ما دام له تراثه العريق وحروب أجداده العرب الفاتحين في بلاد الرومان ، وفارس ، ما دامت له يداه ، وعيناه ، ونفسه ، فانه

---

١) م . ن : ص ١٨ — ٢١

٢) م . ن : ص ٢٢ — ٢٥

٣) م . ن : ص ٢٦ — ٢٨

٤) م . ن : ص ٢٩ — ٣١

٥) م . ن : ص ٣٢ — ٣٣

يحملنها في وجه الاعداد ،" حرباشعواء" باسم الاحرار الشرفاء من كل الفئـات ، طلابا ، وعمالا ، وشعراء . انه متحلن بالحياة متشبث بها، يناضل مع الشرفاء والاحرار ، يقف بجانب الثوار في كل مكان .

صـقر قريـش "١" : من الشعر العمودي التقليدي . تكشف عن شخصيـة قائلها ، الانسان الواعي ، رغم البعد ، ورغم الريح ، والنفي ، ورغم مرارة التشريد ، انـه يدرك الدرب والمسار السليم .

الارض من بعدي "٢" : تكشف التصاق الشاعر بالارض وكفاحـه من أجلها ، وتعلقه فيها . وتضحيتـه من أجلها ، لانه أمضى شبق حياته فيها .

لـو "٣" : يشارك فيها التاسم أحرار العالم في ثوراتهم ويفرح لنضالهم لا فـرق في نظره بين ثورة في النيل ، او الكونغو ، او فيتنـام . ويهيب بالأحياء في افريقيا واسيا الاموات في معركة الحياة ان يتحرروا ويكتبوا بالدم تاريخهم . ان يضحوا ويقدموا الفداء ، تكشف عن سميح الانسان المحب لبني الانسان والذي يكافـح من أجل الانسانية ، لتتحرر من الظلم والاستبداد .

دفـة الأجيال "٤" : تكشف عن وعي سميح القاسم القومي . يشفق من التراشـق بالكلمات والمهاترات ومن الانقسامات والضياع وتوالي المحن ، ويهيب بالعـرب ان ينتبهوا للخطر الداهم ، لان قراصنة البحار وهم كثر لا تغفو لهم عيـون يدعوهم للنضال وللفداء ، لان الزنابق والحياة لا تنمو دون دماء ، والقمح والزيتون والرمان تبقى خيالا . اذا لم تسمد بدم الشهداء .

من المدينـة "٥" : من الشعر العربي التقليدي ، تصور رسوخ اقدامه في اعمـاق الارض . لم تستطع المدينة المزدحمة ولا ليالي الضياع ان تمتص شكا ، لان وجهه الحزين وقلبه الزئبق في دوامة الاوجاع رغم التعسف والجبروت رغم اللهيب الذي

---

١) دمي على كفي ، ص ٣٤
٢) م . ن ، ص ٣٥ - ٣٧
٣) م . ن ، ص ٣٨ - ٤٠
٤) م . ن ، ص ٤١ - ٤٢
٥) م . ن ، ص ٤٣

بنصيب على الشاعر . فان نبرته تبقى مدوية ،وشبابه ،وامتعته واعرفه خير شاهد على صموده وتحديه ورفضه .

لن "١" : صرخة حق في وجه الظلم ،جهاد جرى في وجه الطغاة برغم المحن، وسقوط الضحايا ،فان فارس الريح عائد بالتبشير لارض بالاخضرار، ويهتف متسما: أنه لن يمين عن الوطن ،ولن يذهب دم ابناء الوطن هدرا .

هكذا "٢" : مقطوعة شعرية تمثل اشتمال جذوره القومية العربية في صدره .حيث ملكت عليه لبّه ،وقالبه .فالعروبة كنبض في قلبه ،مثلما تغرس في الصحراء نخلة .مثلما يهجّي لأخيه درس القراءة .كعودة العصفور الى العش ،كما يحمل التلميذ حقيبة . مثلما تعرف الصحراء خصوبة .

الى القارة المجهولة "٣" :تمثل النزعة الانسانية في نفس سميح القاسم . يشعر مع ثوار "فيتنام" الذين يقاسون الالآم من جراء القصف الامريكي . يشعر مع الزنوج في امريكا .المحرومين من حقوقهم الانسانية .يسخر من التقدّم التكنولوجي ، والوصول الى القمر، ومن ناطحات السحاب ،ويراها أكواخا حقيرة ،لأنها لم تحقق الانتعاش ولا الحرية للانسانية المعذبة على الأرض .

البيت الحزين "٤" : تنم عن شخصية القاسم الذى الالآم والأحزان — فكشفت امامه النور . وصاح بملء فيه :" انا هنا يامشعل المتمردين ." فيقطر ألما من غدر اخوانه المتخاذلين ، ولكنه ،رغم كثرة اللاجئين ،خرج للدرب المعبد بجماجم الشهداء وعظامهم وهتف بالجثث المعفرة الطريحة في الرغام الى الامام .

اختي صنعاء "٥" : لفتة انسانية وقومية يجذبها اعتزازه بالقومية العربية ، وأيمانه بالشعوب ،ومساندته لها ضد التخلف في كلّ مكان . يبارك ثورة اليمن المتفجرة ،بقيادة عبد الله السلال ، ويحيي نضال المكافحين من أبناء الصعيد

---

١) م . ن .ص ٤٤

٢) دمي على كفي ،ص ٤٥

٣) م .ن .ص ٤٨—٤٩

٤) م .ن .ص ٥٠—٥١

٥) م .ن .ص ٥٢—٥٣

المصري . وأبناء تموز ممن اختلطت دماؤهم الزكية من أجل الحرية، والكراسة، ضد التخلف، والجمود، رغم بعده عنهم، رغم المشانق المعلقة حوله، رغم الأبناء المشوهة، رغم البومة التي تنعق بكثرة القتلى، فانه يؤمن بالنصر، لان رجاله كثر، فالنصر اكيد .

الى جميع الرجال الانيقين في هيئة الامم المتحدة "١": فيها نقمة على المناقشات الدائرة في الامم المتحدة، لانها عديمة الفائدة، ويئس من وجودها، فقلبه انهار في وحل النذور . يصرخ، ان نقمته اكبر من صوته . لكنه يعيش عصر جبان، ولا يملك ما يكافح به .

من هنا تعبر النسور "٢": خطاب المكتئبة البيت القديمة التي فيها تثبت أحزانه فيها، تعلم انه صفر، وضيع فيها نعلم انه يخاف الحرية ... ان يقبل الظلم . فيها خطاب لأخوانه . يعدد ذكريات الطفولة، يحذر رغم من اليأس، من اغاني "أم كلثوم" "انها قصة حبي" فيقول : انها قصة حزني . انتقاد للأوضاع في المجتمع العربي الكبير ، ومشاركة في افراحه . . . . . .

وطن "٣": يصور الحرمان، والفقر، والخراب، وفساد الحالة الاجتماعية، ولكن جذوره حية . الى حارس فنارعكا "٤": يهيب بانقاذ الجار من الدمار ليعود للحياة من جديد، بعد قسوة الحرمان والعذاب والشقاء .

حتى الموت "٥": من قصائده الثورية التي تحمل طابع الغضب الثوري . لقد تعلم الثورة من القيد، والظلم، والتشرد . ويعود بذكرياته الى التاريخ، تاريخ أمته العربية، واجداده . وسيف الدولة الحمداني الى معارك العرب مع الفرس والروم، ليربط ماضيه بحاضره .

---

١) م . ن/ ص ٥٢-٥٣

٢) م . ن/ ص ٥٤- ٦١

٣) م . ن/ ص ٦٢-٦٤

٤) م . ن/ ص ٦٥

٥) دمي على كفي/ ص ٦٦ -٦٨

في القطار والميلاد "١" : يعود فيها للاساطير وللتاريخ ويضمن ابياته بعضا من أقوال الشعراء، مثل: الخطيئة، ويصف الغارات التي توالت على الساحة العربية منذ أقدم العصور، وما آلت اليه.

مرثية بدرشاكر الشياب "٢" : في الاثاء الشاعر العراقي "بدر" الذي وافته المنية في بلاد الغربة والمنفى، على أكفان أشعاري "٣" تحمل طابع التحدي والعنف الثوري ورسوخ جذوره في الماضي السحيق.

حوارية العار "٤" : فيها صفحة كاملة بيضاء لتدل على ما فعلته يد الرقيب، يجري فيها حوارا بين العبيد "أوزيريس" والشاعر والسلطان والسارق والقصم العصبية، ليجسد فيها الشاعر أعلام وانبل المثل الانسانية، ليصف من خلالها المنجزات التي حققتها الشعوب. ويفضح بائعي انفسهم بحال بخس. ينقد المجتمع ويبث الوعي صفة فنية رائعة ميل للشعر القصصي.

حوارية مع رجل يكرهني "٥" : ثورة، وغضب، وتحدي في وجه رجل يكرهه، شبهه "نيرون" روما. وعيدا في ليلة رأس السنة "٦" : يصف فيها كثرة الاجناس في وطنه وفرحته فيه. الناس من حوله في كافة البلدان يفرحون بأعيادهم. اما عوفالت لأن الاسلاك ملفوفة من حوله، وخيام اللاجئين ما زالت، ومآسي أبناء وطنه في ازدياد.

الحاصد الاول "٧" : تعلم من وطنه واشجاره، متى يكره، ومتى يعطي المعتدي سمه، حفر اسمه على القمة. بنى لعزته صخرة، نفض الحزن عن وجهه، وتحض الظلام من قلبه. ثائر، متمرد، يد يمدها للسلم، وأخرى للكفاح والنضال.

---

١) م ٠ن٠ص ٦٦ — ٧٤
٢) م ٠ ن٠ص ٧٥ — ٧٦
٣) م٠ن٠ص ٧٧ — ٧٩
٤) م ٠ن٠ص ٨٠ — ٨٤
٥) م ن٠ص ٨٥ — ٨٦
٦) م ٠ن٠ص ٨٧ — ٩٠
٧) م ٠ن٠ص ٩١ — ٩٢

ياقمرنا المفدور "١": يعود الشاعر سميح لأحداث عام ١٩٤٨ وما تحمله من ذكريات مؤلمة، ولكنه يؤمن بالعودة . يثور ضد الدماء المهدورة، والضحايا البريئة، ويرق للراعبات الثكل، ولليتامى الذين فقدوا الصم الحياة .
"اوزيريس" الجديد "٢": يلتصق بالوطن. يتحدى الظلم هو واياه في ظلمة أوسفرة لا تنتهي حتى تعود الحياة والمياه الى مجاريها الطبيعية، وتعود الحقوق الى أصحابها .

تناديك "٣": يدعو لنفض غبار الذل والتخلف. يدعو للثورة، للتحرر من الجمود والهزيمة .
"سينمراما" "٤" يظهر ثقته بالأنسان الفلسطيني، وبالانسانية، وأن الحق عائد ، ويصور فيها موقفين: موقف الشاعر صاحب الحق ، وموقف من لم يترك له مطلما يقال في هذا المجال .
لمن اعطيك "٥": يورد ذكريات الماضي، والطفولة. ويحار الشاعر فيمن يمنحه قلبه .

في ذكرى المعتصم "٦": تتألف من عدة مقطوعات بعنوانين: شيرة كالمبشر ، والزوجة والضوء . مدينة الردة، وآخر الجرحي .. ويوسف ، والرسول ، والعبد والجسر ، والصمود الثاني ، والوحدة الكبرى. ويختتمها بخاتمة
المبشر : انه يبشر القاتل بالقتل وسارق أرض الجياع وقمحهم بالمحل وهاتك الاعراض بالعار . وقاهر الايتام بالذل .. وقل للعقل ان هناك من يهزأ بالحمق وقل للبحر : ان هناك من يأس على الفريق، وقل للناس ان الظلم لن يبقى

---

١) م ٠ن ص ٩٣-٩٦
٢) م٠ن ص ٩٧-٩٨
٣) م٠ن ص ٩٩
٤) م٠ن ص١٠٠-١٠١
٥) ص ١٠٢-١٠٦
٦) م ٠ن ص١٠٧ — ١٢٢

الزوجـة : يحدثنا عن التضحية التي بذلها من اجل حبيبته (الارض) ، وانذا بالتتري (الغزو الصهيوني) يسبي حبيبتـه ، لايحزن للأطفال عندما يخطف الزوجـة الجميلة، ليوكد لنا ان المارد الجبار سوف يهشم القمم، وأنّ جذوره في الارض راسخة، وانّه يعشق الدنيا ويحب الحياة .

الضـوء : في الضوء يسير على طريق واضح، لينير الدرب من أجله، يسرح بالاحزان، ومن أجله يركب الاهوال .

مدينة الردة : تصميم على كسر الجمود ، والتخلف ، والقيود . ليثبت للمدينة انه نسر حقيقي ، يهزأ بالقمة ، وسجيل حياتها جحيما ، وسيشردها شوكـا سيحـــــرق في قراراتها اله الزيف، والخذلان والشـــرك .

آخر الجرحـــى : يجسد فيها النضال ، والعنفوان ، والتصميم على انتزاع الحق .

يوســـف : يصف يوسف الذى يحزن للآلام ، للمأساة ، للدماء النازفـة ، وليصـل الى ما يشـــربه وهو : العودة .

الرسول والعبـد : يشيد بما قام به الرسول المعظم ، وما حقق من منجزات ـ ويطالب المسير على دربه انه البشــرى .

الجســـر : هو التحدى ، والعبور للحقيقة ، والتغلب على الاحزان ، وتخلفات الماضي اجرانه احزانه ومماته .

اما الصعود الثاني : يصور فيه صعود القافلة عبر الانقاض ، ويتحدى فيـــــه اصدقاء السوء ، ويجتر زيف العالم الموبوء ، وكل قاتل وغد (يقتل القتيل ويمشي في جنازته)

الوحدة الكبرى : لم تعد الجماهير المريضة تقبل القدر بالتأخير . طـال انتظارها لثمرة الأحزان التي ثمرتها الوحدة الكبرى . ان الجماهير تترقـــب العيد الاكبر ، عيد الوحدة الكبرى بتلهف كبيـــر .

وامعتصماه : يبث من خلالها الحياة في الجماهير ، ليعيد لها الحياة ، ليذكرنا بصرخـة المرأة المسلمة ، مستغيثة بالخليفة العباسي "المعتصم" ليشحن الجماهـر بالقوة ، ليثير الحميّة والثورة في نفوسهم . ولكن الشاعر يبوح بما يلتقي . هل من معتصم ليوحـد مسيرتنا للعودة ويشق دربنا الى الارض والوطـن .

رسالة قد تصل الى الشاعر السوفيتي يفغيني يفتوشنكو [١] :

---

١) م . ن ، ص ١٢٣ — ١٢٦

في حديث جرى بين "يفتوشنكو" والأديبة العربية "عايدة مطرجي" ادريس" ونشرته مجلة الآداب البيروتية، قال يفتوشنكو : انه لايعرف الحقيقة عن القضية الفلسطينية، ومأساة اللاجئين "١" ردّ سميح القاسم بقصيدة وطنية وجهها للشاعر السوفيتي الذى ترك بلاده، وهاجر الى الولايات المتحدة ، وعاد لبلاده، وألقى قصيدته الشهيرة بابي يار، التي عبر فيها عن عدائه للّاسامية، وتضامنه مع الشعب اليهودي، وبأبي يار وادي الاتحاد السوفيتي ذبح فيه، زبانية الالاف من اليهود "٢" .

فرد سميح القاسم على الشاعر السوفيتي الذي القى قصيدة "بابي يار" ؛ برسالة شعرية يعرفه فيها بمأساة الشعب الفلسطيني التي يدعى جهالتها، ليذكره بماسي فلسطين في "دير ياسين" وكفر قاسم". ليذكره بالاضطهاد، والعنصرية التي مارستها، ولا زالت تمارسها السلطات الصهيونية ضد العرب على الارض الفلسطينية . ليصادف المواطن العربي اللعنات والبصقات . يذكره بدجل الغرب وزيفه واضاليله . يخبره القاسم انّ الدنيا امل وغضب ليذكر الشاعر السوفيتي بثورات العالم العربيّ ، ويخلصه من الامبريالية، يذكره بكل هذه الماسي لعل الذكرى تنفع .

وهذا نكون قد انهينا رحلتنا مع ديوان سميح القاسم؛ "دمي على كفي" لنلتقي مع ديوان اخر جديد .

دخان البراكين "٣"

طبع في مطبعة الحكيم بالناصرة، أصدرته، ووزعته، شركة المكتبة الشعبية ، ثم أُعيد طباعته مرة ثانية، وتولت نشر الطبعة منشورات مكتبة المحتسب القدس.

---

١) دمي على كفي ص ١٢٣ .

٢) م.ن ص ١٢٧

ملحوظة : لقد ورد في القصيدة قطعة موضوعة بين شولتين وهي مترجمة عن قصيدة الشاعر السوفيتي ليفتوسنكو "بابي يار" .

٣) دخان البراكين منشورات مكتبة المحتسب محمد موسى المحتسب القدس — شارع صلاح الدين رقم — ٢٠ —

وتدنشر حول قصائد الديوان لوحات فنية ولوحة الغلاف للرسام عبد بولـــص ويشتمل على أربع وأربعين قصيدة ، ومقطوعة . وجاء على الصفحة الخامسة من الديوان ما يلي :

" أسباب خارجة عن نطاق ارادتنا ، اخرت صدور دخان البراكين عن الموعد الذي اعلناه سابقا ، وهو اواخر اكتوبر ١٩٦٧م " وعلى الصفحة السابقة صدرها الشاعر بكلمات بريخت " حين يفرغ الحاكمون من كلامهم ، فسوف يتكلم المحكومون " .

عنوان الديوان يكشف لنا الجو العام الذي يسيطر على ما يحتويه من قصائد ، ومقطوعات لعلها ثورة جامحة تجرف كل ما يعترضها ، تحمل الشظايا ٦ وتقذف الحمم في وجه الظلم اينما كان ، وفي أية بقعة على المعمورة . دخان البراكين التي تتصاعد ممزوجة بالحمم ، تكشف عن الأصالة التاريخية للمعمورة ، وعن الصراع الداخلي للطبيعة . تدل على عظمة خالقها ، ومبدعها ، وبارئها ، ولعل دخان البراكين في الديوان ، تكشف لنا عن الأصالة التاريخية للشاعر ، عن شخصيته وميزاته النفسية والفنية لتكشف الصراع العنيف بين الانسان واخيه الانسان أو بين الانسان ، وصانع الالام . بين الانسانية المعذبة ، ومصاصي الدماء ، لتكون دخانا في وجوههم . لتكون ثورة شمـــوا ، تغطي امامهم الدرب . لعل الكتل النارية المتمثلة بالقصائد الثورية الملتهبة ، تنير الدرب لاصحاب الالام ، وتكشف جانبا من صراعهم مع اعداء الضمير ، واعداء الحرية في كل مكان . سنطوف سريعا مع قصائد الديوان لتكشف لنا جانبا من هذه الجوانب التاريخية ، والسياسية ، والانسانية للشاعر . لتعطي القارئ فكرة مبسطة عما يحويه الديوان بين دفتيه . وستكون اولى جولاتنا مع ليلى المدنية " ١ وهي اولى قصائد الديوان ومقسمة الى احدى عشرة فقرة ، قدم لها الشاعر بما يلي :

" قصيدة دم على ربابة شهدائنا " الى واحد من فدائيي الشمس في جنوبنا المقاتل .. واحد ... من الرجال الذين ارادوا الحرية فاخترقوا اليها الموت . الى الجندي الذي صنع من عظام اطفاله القتلى سكاكين ثأر ، ومناجل حصاد . ومن حجارة بيته المنسوف ، صنع تماثيل أطفال ، وتوارت

---

٦) دخان البراكين ، ص ٩ — ٢٨

ورد .. الى القوى مكاوي .. اخا ومعلما .

تصور القصيدة المقاتل اليماني ،وشجاعته، ومجابهته لقوى الظلم والشـــر، للجنود البريطانيين القذ دميين من بلا د الضباب، الذين قدموا لزرعوا الموت والدمار.. تمثل الناحية القومية التي تتصارع في نفس الشاعر. تصور المواقف الانسانية . حين يقبل المقاتل اليماني ،ويدعو أصحابه للصلاة على القتلـــى من كلا الفريقين . انه وصف حي لتربص الثوار بجنود الاحتلال . يصور حالـة ليلى بعد ان عاد الجواد دون صاحبه ،فأصبح كحلها البارود . بكـــــت دما وجمرا . لبى القوم نداءها استحالت الصحراء مغشارة رؤوس .. يصور قتـل ليلى وبكاء عدنان عليها لانه طالما منى نفسه بها بعرس وبيت وبنـــن .

من مفكرة ايوب "(١)": تحوي اثنى عشر لونا من مختلف الالوان، ففي جدول اعلال): يصف ما يفعله الشاعر في ساعات الصباح والمساء. وفي (التصديز) عند الشاعر من خير الله المصمم يصدرها . عنده اللعنات، واليتم ،والاحزان، والدين والغربة ، ومن كل الالوان عنده بالجملة للتصدير . يصورها حالات الغضـــب والعنف التي تعتريه . وفي (اشي) يصف اوضاع سكناته وحركاته . انـــــه رافع الهامة ،منصوب القامة ،في كفه قصفة زيتون، قلبه قمر أحمر، وبستان فيـــه الموسج والريحان . ونعشه على كتفيه. وفي (اندلسية) عودة الى زرياب، ولحنه الجميل في بلا د الاندلس، والذكريات الحلوة. وهي مظهر من مظاهر الحس ــ التاريخي عند الشاعر وفي (من اين) يسجل فيها خواطره وهواجســـه ، وفي (ماذا سأقول): يمتزج فيها الالم، والامل، الدمعة، والابتسامة ليكتب ــ والمختفي رؤيته . . ليصبغ الالم والمرارة بثورة الغضب والتصميم وقوة الارادة. وفي (احكي للعالم): يحكي الظلم والاضطهاد والاعمال التعسفية التي يقـوم بها الاحتلال. اما في (٥/٥/٦٧) يذكر تصريحات لزعماء اسرائيليـــــين وعرب سمعها في نشرة الاخبار في ذلك اليوم،وعن خسارة امريكا لاحدى قطـع الاسطول. وفي (معتاد) يتحدث عن ارتفاع القتلى في هايفونغ) وعـــن تهديد رئيس اركان الجيش الاسرائيلي لسورية. وفي ٧/٥/٦٧ لاشيء جديـــد ، وفي (١١ / ٥/٦٧) يطلب فيها من حبة القاتل ومأساته، وتاريخ يومياتـه. اما في ١٢ / ٥/٦٧) يذكر ان كل الاخبار تقول : انه ما خاصم الله فلماذا اتبعه بالوجع؟ فيطالب بارتفاع لعنة ايوب. ويختمها بملحوظة جاء فيها :

---

(١) م. ن ص ٢٩ — ٤٥

سادتي القراء: الصفحات الباقية من مفكرة أيوب غارقة في الحبر الاحمر وتتعذر قراءتها فمعذرة. الذى تقتل في المنفى كتب ألتي "١" يصور فيها الاضطهاد، والاعتقال، والصمود بشموخ أمام العدو .

مزامير "٢"؛ مزامير الجنرالات : يخاطب أسرائيل السائرة وراء واشنطن، كي تتوب، وتسمع نداء انبيائها (مزمور الفلسطينيين)، يصور احزان الفلسطينين، وترديد الصغار في القدس، راجعون ... راجعون، والموال الحزين الذى يشمل النكبة في كل خيام اللاجئين ، واندفاع آل صهيون الى حائط المبكى في القدس . (مزمور أطفال العالم) : يخاطب أله الانتقام ليعيد الى القدس السلام من أيدى من يصلب القدس (مزمور احفاد اشعيا)، يطلب من اشعياء بأن يصيح في تل ابيب بألف ويل لمن لا يطلب الرب وللذين يحملون الدمار والفناء للابرياء .

الطفل الذى ضحك لأمة المقتولة : "٣" يصور فيها المأساة، مأساة طفل يضحك لأمة المقتولة ولم يعرف ما بها .

الموت يشتهيني فتيا "٤"؛ يصور سقوط الفتى ، وغرقه في قاع المحيط، ومن حوله لكلاب البحر، والاخطبوط، ويعلم ان الموت يشتهيني فتيا .

زنابق المزهرية فيروز "٥"؛ يدور فيها حوار بين الشاعر وفيروز، ليسألها من اين حملت المزهرية ؟ والنظرة الشقية من القدس المنيفة؟ وبعد ان تفيض في وصف مارأت يقبل عليها ليروى ما شاهده في القدس من مآس والآم — واحزان واعمال بربرية .

ثورة مغني الربابة : "٦" يثور فيها مغني الربابة بعد أن غنى مرتجلا الف عام . ويستنهض همم العرب الكرام، ويشيد بما انجزه العرب في "شيراز" وما حققوه في "قرطاجنة". وفي انقاض اوروبا يصف العرب الذين بحثوا عن العلوم

---

١) دخان البراكين، ص ٤٦—٤٨

٢) م ٠ ن، ص ٤٩ — ٥٧

٣) م ٠ ن، ص ٥٨—٥٩

٤) م ٠ ن، ص ٦٠ —٦١

٥) م ٠ ن، ص ٦٢—٦٦

٦) م ٠ ن، ص ٦٧—٧٤

ويخاطب بغداد الرشيد والشام والكنانة ٠ ان العرب حققوا المنجزات بعيدا عن الارتجال ٠

طلب انتساب للحزب "١" : قدم لها الشاعر بهذه الكلمات ؛ الى مايرقلنر ٠٠ وشيوعيين لا اعرف اسماءهم من اسيوط، واللاذقية، وفولغوغراد، ومرسيليا، ونيويورك، وازمير، ومن جميع المدن، والقرى، واكواخ الصفيح، والعرائش المنتشرة بكوكبنا، بكرتنا الارضية " يذكر لنا أنه قدم طلب انتساب للحزب، لانه لم يعد يقوى باظافره على الوجوه المستعارة. فالنتوء الهمجية هرأت عظام اصابعه، ولان الافاعي لم تزل تنسل من افواه اعداء الحضارة من تجاويف العيون الجاهلية، ليأخذ مطرقة من منجم الحقده، لينسف ما ظل من اصنام ليأخذ من نار عينيه شرارة، علة يحرق جيفه ٠٠ كلها الم ومرارة وثورة ٠

اغنية مشوه حرب "٢" : يصور ما حملته الأعوام من مآسي ونكبات وويلات يصوت على لسان مشوه حرب، بترت ساقه، وفقئت عينه، وادخلت امه مستشفى المجاذيب الذي اعد لتكريم الامومة. مغني الربابة على سطح من الطين "٣" : ينقل عن مغني الربابة نداءه لاخوانه الغائبين مع اللحن الفلسطيني، فيؤدي اللحن في لغته الشعبية، وصورته الغنائية، وتراكيبه الفلسطينية ٠

انادي الموت "٤" : صراع عنيف بين الشاعر، ودواعي أحزانه. يشعر بالبكاء ٠ انه لا ينكر مأساته الطويلة، ولا يخادع نفسه ليخفي عذابه ٠ عندما يشتد عليه العذاب، وغلظة البركان، وهموم الاحزان ينادي الموت ٠

الى القديسات الخمس "٥" : يصور وحشية العدو الذي اقدم على قتل خمس صبايا، بل خمس نساء، بل خمس بقايا في ظروف مروعة مفزعة. في ليلة زغات مطر وبرق، ورعود، ومناجات رياح، وشجر. يصور احتشاد المدعوين لحضور مراسيم

---

١) م٠ن/ص ٧٥ — ٧٧

٢) دخان البراكين/ص ٧٨ — ٨١

٣) م٠ن/ص ٨٢ — ٨٤

٤) م ٠ن/ص ٨٧ — ٨٦

٥) م ٠ن/ ٨٥ — ٨٦

دفن القديسات الخمس في قاعة الخالدين، وهم يحتشدون على انغام النشيد الوطني، وكيف حرم الرجال الاربعة الذين يعرفون البغايا الخمس، من حفلة التكريس المتمة، وهي نقد اجتماعي، وسياسي، ليكشف زيف المجتمع الاسرائيلي، وتركيبه الغريب المفجع .

التماويد المضادة للطائرات "١": كلها تصوير لذكريات عام ١٩٤٨م، وما يحمله من مآس ، وتشريد ، وعذاب .

المذلة "٢": يصور لما آل اليه بيت المقدس، والاقصى الشريف.

التلق "٣": يصور تأهب جنود الاحتلال الاسرائيلي، لاطلاق النار على المارين في الطرقات .

المهدي بن بركة "٤": تدور حول ما يعانيه ابن بركة . وعن مصيره المجهول، ويشن هجوما على "اوفقير" الذليل .

عجيبة "٥": يصور الحرمان، والمراقيل المبثوثة حوله لتقيد حريته .

لو "٦": عودة للتاريخ القديم، ولذكريات الاجداد المسلمين ولكنه يؤمن بالبعث الجديد .

قال وهو يتشح على صدراته "٧" لما سبق عن افتخاره باجداده

عزيزي ايفان الكسيتفيتش كتوبر "٨": يصور فيها ، آلامه ، وغرقه في الدم . ولكنه الان يشعر بالارتياح ، لانه وجد اليد لتنشله الى القمة، لتمسح عن جبينه الوحل لتضمد ،

---

١) م . ن / ص . ٩٠ — ٩٤
٢) م . ن / ص ٩٥ — ٩٦
٣) م . ن / ص ٩٦
٤) م . ن / ص ٩٦ — ٩٧
٥) م . ن / ص ٩٧
٦) م . ن / ص ٩٨
٧) م . ن / ص ٩٩ .
٨) م . ن / ص ١٠٠ — ١١٢

جراحه ، ويمجد ثورة اكتوبر الروسية،وفيها تصوير للاجئين عندما يطلبون المدل تتنكرلهم وكالة الغوث،ويسرح بخياله لسلوبيلا د الثلج والاطفال والازعار والعمال ... يبكي على الضائعين، يدعو الأولياء الصالحين، فتجيب الاودية النداء... ويشتد به الغضب حين يقول : بكيت صوت . ناديت دعوت بكيت .. صليت، حتى جاءه معلمه الجوال من" الفولغا من ذرى الأورال، من الهند الصينية .من مصر، ولبنان،من بلاد الصين،من كوبا ،من الصومال، حتى اورق في ضميره الرمل، والصوان .. كلها تغان في الوطن . ذوبان في حضرته، كتفاني الصوفي في حضرة الله .

من يوميات "جوني جيتار" : "١" قدم سميح القاسم لها بما يلي :

" جوني شاب وهمي خلقته اغنية قديمة تنشدها امرأة تميمة .. ولبراعة جوني في العزف على الجيتار ، اطلقت عليه المغنية العاشقة اسم"جوني جيتار وما .زالت منذ سنوات بعيدة تغني لحبيبها الذى لم يكن له شبيه فى روعة عزفه . وجوني الذى لم يخلق للحرب، بل للحب والجيتار،جنده الرئيس الامريكي "جونسون" وساقه الى فيتنام . وهناك في خط النار يكتب جوني يومياته مناجيا فيها حبيبته التي تحصل لقمتها من العمل في مصنع للنابالم . وتنتظر عودة حبيبها جوني حبيبها جوني جيتار . "٢"

فيها ستة .مواقف، يتحدث فيها سميح عن جوني الذي يتقن العزف على الجيتار، ولا يتقن القتل، اجبر على القتل . يصور الشباب الزنوج ا في امريكا الذين يساقون للقتال في فيتنام، تحت اطماع امريكا، ليلاقوا الموت المحقق، وبالمقابل، تقذفهم في داخل الولايات المتحدة بأبشع اعمال العنف، والاضطهاد . يصور الجندى الامريكي الذى وقع في حب مقاتلة" فيتنامية.فجلب لنفسه ولاهله الهلاك. يفضح العنصرية، والوحشية في كل مكان .. انه يتأثر ويثأر للكرامة المهدورة، وللا نسانية لمبرعن انسانيته .

---

١) ــ دخان البراكين،ص ١١٢ــ ١١٨

٢) م .ن،ص ١١٣

انا وانــت "١" تصور الصمود والثبات على الارض، تمثل الكفاح الوطني الشامخ ، لو حززوه ليموته ستبقى الارض في صدره، لو نزفوا حتى العظام دمه ستبقى مخزونة في الاعصاب ، لو قتلـوا يديه فيصير بعض غبار زيتونة ، هذه المسحـــة الصوفية ، هذا التعلق الروحي بالارض بالصمود بالمنبت بالمسكن عبثا تشاد حواجز دونه وكل يد بينه وبينها الف مجنونـة ، هاهو التحدي والصمود ، والرفض والاتحاد والتفاني في الاعماق اعماق الأرض والمنبـت .

لاتطعميني "٢" يخاطب ابله عمه الدمشقية ، أنه ببابها جائع والجوع ينهشـــه ، عادت اليه جراحاته سيوقظ جراحاته لتطعم بثأرات في الشـــط .

صرخة في وجه الحراس "٣" يصور فيها هواجســه وتفعالاته وذكرياته الاليمة ، ذكريات بعيدة "٤" يصور فيها حق العرب في فلسطين وتصارع الامـــــم عليها منذ القدم من عهد نوح ، الفت الهلال بيوت الشعر، وكرم أهلها ، والربابـة من عهد نوح تحولت المضارب الى مادثـن .

ذكريات قريبـــة "٥" يصور الصهيونية التي سلبت أرضه يستشهد بالمثل الشعبي — الذي يقول : "بيت الضيق يتسع لالف صديق" ولكن الضيوف ابانوا عن نوايا هم السيئة ، عندما فضح الامـــر رواية صفيق الذي قال : بدو من الصحــــــــراء اعينهم ثقوب في الرمال ماذا اذا عادوا الى الجزيرة والمضارب ؟" والجمـــال .

الســـــار "٦" يغلي الشاعر غضبا وثورة فعينيه وشفتيه ورئتيه ، يقطـــران دما وناراً لم يعد يشفي مرض الشاعر الابلسات كف الحبيب في الغيـــــال ليعود يضرب في الدورب والرعاة والاسرى وقطاع الطريق ، هل مـــن صديق ليمين العاشق المذبوح من وطن الصليب وطفق يلوب ويلوب على حبيبـــه الذى اسر من عشرين عاما ولم يزل الشاعر سهران من عشرين عامــا

---

١) م ، ن ، ص ١١١ — ١٢٢
٢) م ، ن ، ص ١٢١ — ١٢٢
٣) م ، ن ، ص ١٢٣
٤) م ، ن ، ص ١٢٤ — ١٢٦
٥) م ، ن ، ص ١٢٦ — ١٢٨
٦) دخان البراكين ، ص ١٢٨ — ١٢٦

عودة الى الجواد العربي "(١) عاد الشاعر للجواد العربي، وكله ثقة، وامـــل يسحق الاعاجم • عاد كقطوف دالية مرحه على هزج المواسم، كحمائم بيضاء، ويقول: يا نار الاعاجم، افني ولا يرتد عرفي، ويفتخر بامته العربية، ومجدهـــا حين يقول : انا لم ازل في وجهك المجد •• يانار الاعاجـم ••• شعبنـــا يدافع عن حشاشـــته •• وتاريخنا يقـــاوم •

ها هوسميح، يبدأ الديوان بليلى المدنية المفجوعة بمقتل ولدها مرزوق لينهي الديوان بقلبه المذبوح، ليلوب على حبيبـــه المسلوب، منذ عشرين عاما • ولكنه كله امل وقـــوة وتصميم ورسوخ عقيدة ولان الحق يعلو، ولا يعلى عليـــه "(٢) ان امته، لا يزال الخير فيها • وان جوادها اعتاد خوض غمرات الحرب لخمـــد نار الاعاجم لتهر الاعداء انه يقاوم •

ويكون ان يأتي طائر الرعد "(٣)"

صدر في اذار سنة ١٩٦٩، عن دار الجليل للطباعة والنشر — عكا، عدد صفحات الديوان، اربع واربعون ومائة صفحة، من الحجم الصغير • ويتألف مـــن ست وخمسين قصيدة، ومقطوعة شعرية • تبدأ من الصفحة الخامسة، وتنتهـــي الى اخر الصفحة الرابعة والاربعين ومئة • ففي الصفحة الرابعة، كتب الشاعـر تحت عنوان" طائر الرعد" ما يلي : " وفي البلاد التي صار اسمها الولايات — المتحدة الامريكيـــة ما زالت تعيش قبيلة زوني • وقيل ان هذه القبيلة تنتظـــر طائرا مقدسا اما ان يدق جناحاه ابواق الافق، حتى يجلجل الرعد، ويتوهـــج البرق • الخير خبزا، وحرية، وورودا • وقيل ان ابناء قبيلة زوني يسمون — بشيرهم المنتظر طائر الرعد • وهم يطرزون صورته على صدورهم على اغلفـــة اطفالهم، وعلى مقابض رماحهـــم " •

---

١) م • ن • ص ١٣٠ — ١٣١
٣) دار الجليل للطباعة والنشر — عكا اذار ١٩٦٦)
٢) حديث نبوي شـــريف •

بهذه الكلمات، قدم سميح القاسم لديوانه طائر الرعد، وعو الهشير المنتظـــر. سقوط الاقنعـــة "١" اولى قصائد الديوان، في هذه القصيدة يكتشف الزيــف وتبقى الاصالة. تبقى رايته، وكأسه المترعة او جثته والزوجــة . سقط الزيـــف وسقطت تماثيل الرخام. اتضح له التباكي الزائف . سقطت أبراج الصقـــور بعد عشرين عاما. ويتساءل الشاعر : فلأي رب بعد هذا اليوم نلجأ؟ أى ربّ ؟ وكان الجواب : يأتيه بالملموس، سيبارك النابالم والنصل الممزق لحم شعبـــه ويخاطب عدو القدر والحرية والرخاء والنماء قائلا منذ ابيعك صك غفران — ونابك في ذراقي ويستمر في صرخاته العنيفة في وجه اعدائه اعداء الحرية والانسانية فيصمد الشاعر بعد تحركات عدوه المشبوهة في الظلام يصمد ويثبت ان الارادة العربية اقوى من كل التحركات وانه سيهتف باسم الحياة، الى الامام الى الامام الى الامام، وستبقى جبهته فوق الرغام . ويصرخ في وجه العدو غاضبـــا يريد الحياة، وبناء المدارس، يتغنى بالقومية العربية وبناء السد العالي . يوجــه خطابه الى مجلس الامن ليبثه احزانه التي مضى عليها عشرون عاما .

اصـــوات من مدن بعيدة "٢" تتألف من ثمانية مقاطع، الاولى يتغنى فيهـــا بالقومية العربية والبعث العربي واليقظة العربية، ينقل أحزانه وبثها في مختلف اقطار العالم العربي يهيب بهم ليعيدوا خاتمة الغضب . وفي المقطوعة الثانية يهيب بالقادمين، ويدعو لمشاركتهم في النضال ، الذين نهضوا من بين ركامـــات التخلف والاندحار . بعد دعوته للقتال لنفض الغبار عن عواتقهم ينتقـــل للمقطوعـــة الثالثة . فان السنين، وطول البقاء دفقت في عوقفـــه النار، ويدعـــو للكفـــاح ، وفي الرابعة، يتحدى، ويصمد، ويرفض ركم الافواه، وفي الخامسة : اراد ان يشهد العالم على صعوده من كهفه الذليل الشهد العالم انه قادم جيـــلا على اثار جيل . قدمه على الافعى ، وتفره بين ازهار الحقول، قادم ليحصـــد حنظلتـــه ليعيد تركيب فصوله قائلا : قومي اشهديني نازفاً في الباب جذلان الوصول وينتقل بعد ذلك للسادسة وقد قتله الشوق والانتظار، تدميه الخطوب وتشدوه الاماني بنتظر الركب .. الثوار ... الحياة وتجرى حوارا بين الثلاثة في مسيرهم للنور للحياة، عبروا الثلاثة فتية من عند احبابي، وثلاث طلقات —

---

١) ويكون ان يأتي طائر الرعد، ص ٥—١٢ .
٢) ويكون ان يأتي طائر الرعد، ص ١٣ — ٢٤

وفي المقطوعة السابعة : يطلب من الثلاثة ان يقفوا لان دمه عليهم أن مات مغتربا .

وفي الثامنة : لايشارك اهل الرقص رقصتهم ،ينشد الهدوء ،ليصغر الشوك على بعض التواريخ الهجينة .وليغني للبساتين الحزينة في زمان التحط موال الحزين . وفي آخر المقطوعات يثبت الشاعر ملحوظة جاء فيها ": هذه الاصوات مهداة الى عمال تنظيف الشوارع في مدينة عدن "

انا ضمير المتكلم الى التحم بالفعل الماضي الناقص "١" ونشرها في صحيفة الاتحاد، بتاريخ ٢٤/ ٥/ ١٩٦٨ ، يبحث فيها عن الحقيقة، حتى الماضي لم يكتمل بعد . يتقمص الوطن يتحدث على لسانه بضمير المتكلم انا . يكشف لنا ان الوطن عبرت عليه الحضارات كلها انه جسر العالم اضاءت فكرته احداق اوروبا البهيمةثم ينتقل الشاعر الى احداث ١٩٤٨، التي ما تنفك تراوده — تتمثل اليه بكل الصور الحزينة منادمي جبهتي عام وراء الاربعين .

الرعب "٢" يتحدث عن غربته في وطنه وعلى أرضه في حجرته يتعجب من الزمن وينكر ذلك .هكذا يريد دعاة الاحتلال .. في حجرتي يا وطن قالوا اكون الغريب....

البيت الاخير في القصيدة "٣" يتحدث فيها عن قدوم الشرطة لاعتقاله والتحقيق معه ،لانه في نظرهم عكر صفو الامن، وافسد العلاقات الطيبة المزعومة .

الخفافيش "٤" يتحدث عن السلطات التي تريدكم فمه وتشويه صورته عبر الصحف وفي الشوارع والطرقات تراقبه من مكان لاخر . خلف المقعد على واجهه الكتب في كل مكان .

قصة الفيجين "٥" انها في رثيته ذكرى ،وفي عينيه زينة، قالها في ١٨/ ١٩٦٧/٨/

---

١) م . ن/ ص ٢٥ — ٣١
٢) م . ن/ ص ٣٢ — ٣٣
٣)يكون ان يأتي طائر الرعد ص ٣٤ — ٣٥
٤) م . ن/ ص ٣٦ — ٣٧
٥) م . ن ص ٤٠

طائر الرعـــد "١" وباسمها سمي الديوان يتحدث عن القتل بالألوف في سينا ولكنه زمان الصبر لان طائر الرعد على القمـم.

الحلول "٢": عنوان القصيدة مستمد من صلب العقيدة الدرزية . فيه تحدٍ صارخ للظلم والعدوان يخرج الشاعر من كل مكان من البرق من الامطار في النسمة في الامطار في صدر جدار من عطش الآبار ، من القناطر الصامدة من نصبة لوز صامـــدة من توقيع الحاكم في ذيل التصريح . من ظل عصي الشرطة ، من محرمة لـــم تعرف غير الادمع من قلب الارض المسروقة ، من زحف مظاهرة حزينة من قذف زجاج وحجارة من لحم العدو ، من رغبة تريد ان يطلع في وجه الريح والنار ـ الوحشية . ويختتم قوله: بصرخة في وجـه العدو ، فبأي إله بعد اليوم تلوذ ؟

إذا كم "٣": كل شيء تافه اذا لم يخلق الرجـال .

اما القصائد والمقطوعات : خبز ، ووطن العجائب السبعين ، والى القمـــة ، وركض في الساحات والقطار العائد من الصعيد والمجهول "٤" انها تحمـــــل طابع التحدي والصمود وتصور البؤس والشقاء والفقر المدقع . تصور الرفـــض بصف فرحة الفلاحين من شعب وشبان بالسد في أسوان يفرح لفرحتهـــم يطلب الثأر يصف هدير العاصفة الصاعدة في عرين الرؤى الراعفة وهو عبرنا ـ يبرق في يد المارد .

اما القصائد التي تبدأ من تناسخ حتى تمالي لنرسم معًا قوس قزح "٥" كلها تمثل المنفوان يمثل الشاعر فيها النضال في كل مكان في اليونان الى الهنـد الى السودان . في الصين ، في لبنان ، ومصر والصومال ، في البلقان ، في كوبـــا ، في المكسيك .. يصف المأساة مأساة رجل ساقوه الى الحرب في ليلة زفافـــه ، فعاد على حمالة حمراء . يرى في العبير الدم فقلبه وديع مثل نسمة ووجهـــه نقي مثل غيمة . شفته تظل نظيفة وشريفة . قدمه من القرميد والفولاذ والـــدم والضباب يتحدث عن القادمين من بلاد الضباب ومن كل مكان على تابوت تاريخي وأجنحـــة الغراب فقاسمهم حزنه قد وارغفته ولكنه لن يشطر ابنه ، فيه تصوير للحرمان والقلق والالم ودفع الضريبة الدم وكم الافـــواه .

---

١) م.ن . ص ٤٠
٢) م.ن . ص ٤١ — ٤٢
٣) م.ن . ص ٤٣
٤) م.ن . ص ٤٤ — ٥٢
٥) م.ن . ص ٥٣ — ١٠٥

وتكبيل الحريات ، يهتف للعائد من كل مكان ، من كل العواصم المجهول وجهه من طمي بلاد الشاعر ، الذي لم يزل يرشح ماء، ويراعما ، يصمم على البقاء والكينونة ، وأنه سيكون ، يصف فلسطين القرط المتأرجح في اذن الكرة الارضية ، فتارة يصفها بالقرط ، وطورا بالمرأة التي تفتح فخذيها للريح الغريبة ، يصف صموده وتعذيبه ، وكفاحه الوطني ، وانه قادر على تحمل عبء المسؤولية والقيام بواجبه نحو الوطن ، يصف مأساة الشباب المناضل داخل اسرائيل ، فأينما حل يجد جوا رهيبا مليئا بالمخاطر ، ان امتداده الثوري يتمائم ليغني الجهات الست للكرة الارضية ، يؤمن بالعودة وان طال الطريق يأمل بالبعث من جديد ، وفي الحياة، وفي المستقبل، يتغنى بالوطن ، ان مشحون بالغضب والبغض ، استمد اغانيه من وطنه فتجاربه وتعاليمه استمدها من طبيعة الوطن ومن نخلاته ، ويؤمن ان جذوه المدوان ستخمد وستمضي وسيبقى للمدوان الذكريات والاحلام ، يتغنى بالبطولات في " برلين " التي نمت في ظل الشيوعية .

اما القصائد التي تبدأ بقصيدة : (أعدكم بان ترثوا اجسادا نفاثه "١" والتي قدم لها بكلمات وهي " . وقالوا ليتم اسماعيل وليذهب الى الشرق ويكون له بيت هناك في الصحراء فليس هنا بيت لاسماء " وتنتهي القصائد بطائر الرعد "٢" جاء فيها وصف للحضارة العربية العريقة التي بنت الجامعة وصنعت الراقصة ولم تدل طيلة الحياة ، لم يكن العرب غاضبين حتى يصل الى ذروة الغضب والتحدي والاتهام والانتقام ليسدد تاريخ بل تواريخ السلطات المليئة بالمخازى ليصف مأساة اللاجئين في الخيام الذين يتلقون الضربات ولكنهم عائدون .

سميح الانسان يمجد ثورة ارتيريا وكفاح شعبها ضد الاستعمار والقهر . ويردد مع صوت النضال ، ينشد الخلاص ، فالكفاح جسره الى الامل ، يأسى للتاريخ المغدور ، الذى ينزف دما ، يثور ويغضب على المحتل والمحتلين، يؤمن بالشمس والانسان ولهذا اختار المسار ، في الخامس من حزيران تكشفت فيه الحقائق، واتضح الطريق، وذهب القتلى جميعهم الى الامم المتحدة ، يأسف لتدفق آبار النفط العربية عبر الارض العربية لبلاد الريح الغريبة

---

١) ويكون ان يأتي طائر الرعد ص ١٠٩

٢) م ٠ ن ص ١١٤ تبدأ من ١٠٦ وتنتهي بـ ص ١٤٤

يصف ضياع الاحلام والاماني بالخلاص بعد حزيران ،يتحدى، يصمد امام التسمم السود، وانواء المصير، بدمه النازف وباحزانه بر توي . وصف القيصر الجديد الذى اطاح بكل الاعراف والتقاليـــد .

ينتظر سميح القاسم الطائر الذي يحمل البشائر، ينتظر المبشر بالحريـــة والاستقلال . هكذا ،سرنا مع سميح من اكتشاف الحقائق وسقوط الاقنعـــة الزائفة ، حتى وصل بنا الى الطائر المقدس ، الذي ما ان يدق جناحاه ابواب الافق ،حتى يجلجل الرعد ، ويتوهج البرق فتنهمر الغيمر خبزا وحرية وورودا . هكذا اراده الشاعر سميح . ليصل الى الخلاص الدامس الى الامل المرجـــو، الى الحياة ، الى السعة ، الى الحرية والطمأنينـــة ، ليعانق اخوته ،ليسير ليتغنى كالطائر المقدس، يصرخ ،يجلجل ،يغضب ليحقن . يكافح ليغيل — يصمد ليقهر ويفضح . يسير ليصل بنفث ليغيظ . ها هو سميح كما عرفناه . اتحد بالوطن وبالقضية . فاذا ما ذكرت اسم القضية، استحضرت شخصية القاسم ،واذا ما ذكرت شخصية القاسم، تمثلت لك القضية بكل ابعادها .

اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل "١"

=======================

يتألف هذا الديوان من شقين : الشق الاول يحمل عنوان : يرحـــل بزوجته باحثا .. والثاني " رحلة السراديب الوحشية" وكل شق يتألف من سبع مقطوعات . كتب على الصفحة الخامسة تحت عنوان البوابة ما يلي : الى احد ابناء اسكندرون اسير الشمال . الى الفتى المشطور ، الذي قابلته في الواقـــع فقالت لي عيناه : سلبوني ابي ولساني ،ثم التقينا في الحلم . فهدرت بفتنـــا الفصحى وترقرقت ،فعقدنا اقصى الرؤيا بأقصى الرؤية . وقطعنا على نفسينا العهد . وكانت بلجيبة الجزائر شاهدا علينا .

يبدأ الفصل الاول بمقطوعاته السبعة "٢" ففي المقطوعة الاولى : يبـــدأ جولته متلثما بالريح كاظما جرحه ويقول في ثقة لكل الاصدقاء ولوالدته العزيـــزة ان يوفروا مناديلهم وبكائهم لطقوس عودته القريبة ملتفا بخارطته الكريمـــة .

وفي الثانية — صمت يزعزعه وتركي سمين ضبطوه متلبسا البنك . انه مغامر

---

١) اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل : مطبعة واوفست الحكيم، الناصـــرة . شباط سنة ١٩٧٠ م

٢) م.ن ص ٦ — ٣٨

وقد يموت على النساء • يحب الشرب كالاسفنج يشرب ويجار بالغناء. وفي غمرة هذا الجو من الصخب يأتي دور العجوز لتسرد قصتها ،ليصغي اليها ،ليكشف عن سقوط لواء الاسكندرون • سقطت في ايدي الترك دون سابق انذار دون موافقتها بالتهر سقطت بالاغتصاب وجدت نفسها غارقة في ملجأ الايتام يصرخ الشاعر متأثرا للمآسي المتوالية على الشعب العربي في كل مكان• واخيرا يبكي الشاعر على الملك الذي اضاعوه ،ولم يستطيعوا الاحتفاظ به• باعوا اغاني الحاصدين بأم كلثوم العجيبة • باعوا صغارها بالسمال والفزر، والزهرى في أحضان عاهرة غريبة هذا العجز الفاضح جعل الشاعر يطلب البكاء ويذرف الدموع•••••

وفي المقطوعة الثالثة : تدق قدمه بلاط اوروبا، ووجهه في الرمال، ليتغنى بالجزائر المناضلة ليتحول فمه كفم بلال موءذن رسول الله عليه السلام ليوءذن في مآذن اليمن وليتزف دمه على جدار الكنانة ، ليظل سنبلة تهجي درسها لشهيد حقل في عدن ويشق صلصال العراق •

وفي المقطوعة الرابعة : يذكر الشاعر ان ابواب استطنبول تجهله اعرضت عنه المواخير الكئيبة والمآذن ،ابتعدت عن دربه الصبايا ،والمداخن ،والمقاهي، حتى المتال تخلى عنه• حل بأرضهم الاسطول، وعليه الجنود الشقر فالاشجار ترتفع، ويمضي يصور الحالة التي آل اليها أهل الاسكندرون من الضياع حتى انسان استطنبول يجهله• وينتقل الى المقطوعة الخامسة ،يذهب الى اثينا ،ويحمل تحية ابن رشد ،ويأسف للضياع الذي تعيشه • أصابتها الالام ،وتمزقت رئتاها ،وعشيت عيناها من طول البكاء••• ولما لم يجد في اثينا ما يواسيه ويحمل عنه الالام يلجأ في المقطوعة السادسة الى "برلين" ، لانها تعرفه وتذكر قامته ،ودمه ،وصوته• لانه كان شريكها في ليل بوخنفالد". واخيرا : وفي المقطوعة السابعة يحج الى حبه القديم ،الى جدته التي يظللها وتحليها حلة الافرنج ، ليجأ الى قرطبة ،الى مجد العرب التليد ، ليتسلى بالذكريات ليجأ اليها عندما شلت دمشق يديه• وعندما فقأت الكنانة بوءبوءيه ، وبغداد التي ضيعت صوته ، لم تسمع الصرخات ولا الانات •

اما الفصل الثاني "(١)" رحلة السراديب الوحشية ،يجسد فيها مأساته ،وسوء طالعه وفي المقطوعة الثانية : يشير الى تكاثر اللاجئين سكان الخيام الذين يعيشون

---

(١) اسكندرون في رحلة الخارج ا رحلة الداخل ،ص ٤١-٦٥

على كرتات الاعاشة باشراف وكالة الغوث الكريمة • وفي الثالثة يسخر بشكر وكالة الغوث السخرية • يسخر بما تقدمه من الصناديق المليئة بالدواء، والحزن، والسردين، والذل المقدد، والثياب، وبعض الاغطية •

وفي الرابعة : يثور ويهيب بكل حر ان يترك ملفات الامم المتحدة جانبا، ويثور ليصنع الحياة، ليعيد مجد التاريخ، لينسى القرابين الجديدة الحديثة •

وفي الخامسة : يذكر ان كل العوالم تختلف فيها الطقوس من عالم "النابالم" وما تحمله الانباء عن قتلى المارك، وكما سامر في اكثر من موضوع، يسخر من التقدم التكنولوجي الامريكي الذي لم يصل الى الحقيقة الانسانية ,لم يحفظ للانسانية كرامتها واحقيتها في الحياة •

وفي السادسة : يذكر تحضر الجنود، وما يحملون من ماسي وآلام للثكلى • يشير الى العائدين من الحدود، وعلامات الشدة وأتربة الخنادق ظاهرة على ملامحهم • يصور الجنود القتلى على الحدود، وما تحمله جيوبهم من حلي واقراط وصور لاسرهم، وزوجاتهم • لم تبق منهم سوى الاذرع او احذيتهم المعجونة بالدم والتراب • لم يبق منه غير انزيم ورتبته، ويسخر من الاوسمة الممنوحة من قائد الاركان، ومن الورد ورسائل الحبيب •

وفي السابعة : يخاطب باسم التراب والحنين الى الطفولة، والشباب، والشواهد، والاغاني، والياسمين، وشقائق النعمان، والزيتون و •• ان اسكندرون يريد زوجته ويبحث عن السلام •

يمثل اسكندرون في رحلة الخارج، ورحلة الداخل الطابع القومي لسميح القاسم والمشاركة الوجدانية لما اصاب الامة العربية • عبر سميح في هذا الديوان بمشاعره عن الجشع من قبل الاسرائيليين في فلسطين، والاتراك في الاسكندرون • الاحتلال واحد، وان تعددت الصور، والاشكال • الاسكندرون يطلب السلام، وفلسطين كذلك • اهالي الاسكندرون تشتتوا ما بين الاتراك، وسوريا، وأهالي فلسطين كذلك • فالاسكندرون وفلسطين في الهم شرق •

فلسطين والاسكندرون كل واحدة منهما مصممة على النصر، والحرية، وياسمينة الجزائر شاهدة عليهما ,الجزائر نالت الاستقلال بعد الكفاح المرير، وعلى جثث المليون شهيد • لابد من التضحية حتى تنالا الاستقلال والحرية، هكذا ارادها سميح القاسم، وكما يريدها كل عربي •

قـــرقـــاش "١"

==========

قرقـاش مسرحية شعرية، مؤلفة من أربع لوحات فنية . غدد الشاعـــر زمانها بكل زمان، ومكانها بكل مكان . وهي نقد اجتماعي وسياسي لاذع لانظمـــة الحكم الاسرائيلية في الاراضي الفلسطينية .. وهي تعبير ايحائي رمزي هادف به

وقرقاش هو المعتدى الاسرائيلي المتمثل بوزير دفاعه "موشيه دايان" — المتغطرس الذى سلب الحق الفلسطيني، واخذ ينفذ سياسته الهادفة لتقتـــل الشعب الفلسطيني خاصة والعربي عامة . ليطمئن أحكامه غير الشرعية، فأخـــذ يرسل طائراته وحمم قذائفه، ورجال مظلاته، وضفادعه البشرية، بلا شفقة ورحمـــة، على الابرياء الفلسطينيين في مخيماتهم، وليضرب اماكن متفرقة في العالم العربي تضم المسرحية امراء وفلاحين وعبيدا ونبلاء، وجنودا وجوقات اعدت للغنـــاء وللرقص للسيد قرقاش . وتشير المسرحية لوجود وزير سوء للسيد قرقـــاش، يرسم له السياســة العليا، وينفذ ما ضد الابرياء — العرب الفلسطينين — — اصحاب الحقوق الشرعيين .

ويتنبأ سميح القاسم بان قرقاش (الدولة الاسرائيلية، والمعتدى الاسرائيلي سيضعف امام وزيره، ويعلم ان الموت — نضال الشعب الاسرائيلي — لن يربح المعركة امام اصرار الشعب الفلسطيني لنيل حريته . يفتح الشعب الاسرائيلي عينيـه على حقيقة الاوضاع، فيتمرد على الاوامر القرقاشية، ويرفض تنفيذهـــا ضد الشعب الفلسطيني ، ويثور ضد قرقاش، ووزيره، واعوانه، ويُجهز عليهـــم ويقتلهم، ويصبح الشعب سيد مصيره، وتعود الحقوق الفلسطينية الى اهلهـــا، ويعيش الشعبان، العربي والبهودى في امن، وطمأنينـــة، وسلام، بعدما يتخلصان من عدوهما المشترك الذي ذبحهما تحت بروق مطامعه وجشعه، يدخل فـــي النهاية اللصوص، والدخلاء الذين جاؤا من مختلف انحاء الارض الى سكناهـــم، واراضيهم في الدول التي هاجروا منها، وليتنعم بالارض اصحابها الشرعيون مـــن عرب ويهود منذ القدم . وبذلك يحقق سميح القاسم الهدف الذى أراد ابرازه ويجـــد القـــارئ نفسه امام تحفة فنية . فهو امام حوار ينقله الى الحيـــاة وصراع يجعله يتمثل الاشخاص في ازمانهم، وصراعهم، كما يتمثل الافكار . وتشـــد

---

(١) قرقاش : طبعت في دار الاتحاد التعاونية، حيفا . الناشر المكتبة الشعبية، الناصـــرة . آذار سنة ١٩٧٠ م .

يتمثل الاشخاص في ازمانهم، وصراعهم .كما يتمثل الافكار ، وتشد القارئ العربي لانها ترتبط بحياته أشد ارتباط، ولانها تتصل بها اتصالا مباشرا ، وتعالج المشكلات التي وقعت أو تمثلت في نفسه .

قرآن الموت والياسمين "١"

هذا الديوان العاشر من أعمال سميح القاسم الشعرية ، وكتبت قصائده في الاعوام الاتية: ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ .وتقدم الشاعر لديوانه على الصفحة السادسة بما يلي :

" لتكن هذه القصائد اكليلا من الفولاذ ، والياسمين على رفات الجواد الجميل ، الذى مات متأثرا بجراحه في درجة الحرارة ٤٥ فوق الصفر على بقعة ما من حديقتي المتوحشة ،ولم يسمع أحد سوى كلماته الاخيرة .

يضم الديوان اربعا وثمانين قصيدة ، ومقطوعة شعرية .قسم كبير منها ، ورد في (الموت الكبير) .وانفرد (قران الموت والياسمين) باثنتين واربعين قصيدة ومقطوعة . وفي الديوانين ،قاسم مشترك ، وهو الموت في احدهما مناط بالقرآن ، والياسمين ، وفي الآخر ، متبوع بالكبير . ولعل القرآن والياسمين فيهما نفحات طيب تنشر على قصائده ، لتبارك خطواته في مسيرتها النضالية ،لكفاحها ضد الاحتلال ، ولتعطيها عبقا ، ورائحة ونفوذا كبيرا ، وواسعا في صدور الشباب الأحرار، ليكون خير غذاء ، وزادلهما في مقارعتهما ، وتحديهما ، وتصديهما للاعداء ، أعداء الشعوب ، ممن يسيطرون على مقدراتها ، وخيراتها ، لتكون كلمة حق في وجه سلطان جائر .استهل سميح ديوانه بقصيدة تحمل عنوان "لا تبكي علي يا امي" "٢" يصور فيها سوء الحالة التي آل اليها الشعب الفلسطيني ، والتصميم على نيل الحق ،عبر كل المآسي سينال حريته .

سيحرر ارضه . بدأ سميح خطابه لامّة الارض على لسان كل فلسطيني فوق المعمورة،يتجسدهم ،يتحد فيهم ، كالصوفي الفاني لنفسه في حضرة الله . ينطلق باسم المشردين عبر الخيام ،باسم المنزرعين الصامدين في ظل الاحتلال،باسم

---

١) قران الموت والياسمين ، الناشر ، مكتبة المحتسب ، القدس ، سنة ١٩٧١ م .
٢) م . ن ، ص ٨–٩ .

المشردين عبر الخيام، باسم المنزرعين الصامدين في ظل الاحتلال، باسم المكافحين في كل مكان من بين ابناء قضيته واحبابه.

ليليانا ديمتروفا "١" قدم لها بهذه العبارة، كانت بلغاريا غابة من اللهب تبتلع الآن الموت النازية، غابة من اللهب الاحمر، ولدت من شرارة اطلقها الانصار من جبال البلقان، واشعلت النار بين اعمال البطولة التي سجلت لراهبة وفلاحة، وممثلة وجندية وفتاة نار. ولكن البلغار عرفوا جيداً، أن هؤلاء النساء جميعا لم يكن سوى امرأة واحدة تتخفى في عدة ازياء، وهي ... ليليانا ديمترونا "٢"

فالفلاحة وفتاة البار، والراهبة، ماهي الا صور متعددة لامرأة واحدة، كما قدّم لها الشاعر. ظهرت بطولاتها عبر الحقول المزروعة في البار، تحولت الى اعصار في وجه النازية. في الدير، تفاجئ النازيين بزغات رصاص. زغات اصابع تنهّم ودموع تنتسم، حطمت ضلوع الدبابات، تغنى سميح ببطولة ليليانا ديمتروفا التي حطمت الفزارة، ليعيد الثقة بالنفس. انه بالامكان تحطيم السلب. ان ليليانا التي تقمص عدة شخصيات وقهرت النازيين الغزاة، فان باستطاعة الشعب الفلسطيني بمختلف طبقاته أن يفعل فعلها. ان يكافح كل واحد بالقدرة المتوفرة لديه.

أتحدى "٣" قصيدة تمثل التحدى باجلى مظاهره. يرغب الاعداء ويكبر شخصية صاحبها في نفوس العظماء من الرجال. يتحدى سميح السلطة بكل مايملك من ميراث جدّه، بما يفهمه من لغة الريح. من أسرار الثرى المندثرة، مواد بل الينابيع. ويبلغ التحدى درجة العنفوان، عندما يقطر بقرولا، وشهداء، عندما يثمر الالم لوزا، والمزامير وردا، يتحدى التهديد من قبل السلطة. بنفيه. يقطع رزقه بالتضييق عليه بالاصفاد، والزنزانة الغرقاء بمنفه، وحبمنة، واسنانه، سنان الاغاني، يتحدى القاسم. وان قتلوه، يتحدى بقتل الموت، ليأتيهم إليها يتحدى. يسير سميح القاسم على هذا المنوال في مقطوعاته الصغيرة آمنت "٤" والجسد "٥" وفي الهزيع الاخير "٦" اما: ما تيمنر من

١) م.ن.ص ٢٤-٣٢
٢) م.ن.ص ٢٤
٣) قران الموت والياسمين، ص ٥٣-٥٤
٤) م.ن.ص ٥٥
٥) م.ن.ص ٥٦
٦) م.ن.ص ٦٣-٦٤

سورة السلاسل "١" فانه يمشي على دقات قلبه في جلاجل الجبهة يتحدى الزنازين،ويتحول صمود الشاعر الى غضب ثوري حين يهتف . جدولي يرفض ان ينس لديكم منصه .

فسميح القاسم في : بعد اربعين قرنا من الروح "٢" يهب جسده للمنهمشة من الشرق .لان روحه ياسمينة ذابلة تنتظر لحظة الجسد.فطوبى للجسد .

وفي "هكذا قال لنا "٣" يرى ان الخوف من الموت والحفاظ على الحياة كلاهما ضعف وضياع للوقت. فبالعمل والعمل وحدة تتحقق المعجزات .

وفي : قادم من المذبحة "٤" يتحدث فيها عن مذبحة رهيبة في سونغ مي ذهب ضحيتها أطفال وشباب يكثر تعدادهم .

وفي : وجه في المشرين "٥". يصف الانتفاضة لغسل العار،والذل على وجه في المشرين .

وفي : الامانة "٦"؛ حديث عن الصوت القادم من الهيداء عبر بئر النفط .

وفي الانتظار "٧"؛ يرى ان خيل الأحباب،والاخوة قد ماتت على الدرب،ولم تصهل على الابواب،ولكن بنظارة يفتح الابواب .

وفي : الجواب "٨" ؛ نرى الشاعر يعرف فيها كل شيء. خبر الحياة،وصقلته التجارب، عرف البيت قبل الطريق ، والصوت قبل الفم ، والكف والوجه قبل الارادة .

مرثية الى محمد "٩" ؛ يظهر فيها اعتزازه بمحمد عليه السلام وتأثره بالدين الاسلامي . عندما جاء محمد ـ عليه السلام ـ بالدعوة،ونشرها الى العباد، أحب الناس فيه النور،وخافوا العالم الاخر:الحشر وناره . وعرفت الحضارة طريقها ، وبعد موته اتخذوا القشور،وتركوا الجواهر والنورانية. وكان فيما بعد سبب سقوطهم جهلوا الحقيقة لم يعبروا اغوارها .

---

١) م.ن.ص ٦٥ ـ٧٢
٢) م.ن.ص ٧٧ ـ٧٨
٣) م.ن.ص ٧٤
٤) م.ن.ص ٧٦ ـ٨١
٥) م.ن.ص ٨٢ ـ٨٤
٦) م.ن.ص ٩٧ ـ٩٨
٧) م.ن.ص ٩٩ ـ١٠٠
٨) م.ن.ص ١٠١ ـ١٠٢
٩) قران الموت والياسمين.ص ١٠٦ ـ ١٠٧

حب الوطن "١" : نلمس نموحب القاسم للوطن، مع الوان الزهر وانقاض الحائط.
صفقة "٢" : محاوره بين الشاعر وسيده، الذى حاوره، وعرض عليه شراء صوته، فأبى القاسم، واخيرا أقبل السيد ليبيع صوته، وغلب على امره.

" مقارب الساعات ما زالت بعيدة "٣" : يذكر فيها ما افجعه الغضب من تصعيدة عصماء وصغار النكبة الاموات، اما عودة المراثي والعاشق الفظ والرد.. ومزامير ٥-٦-٦٧ في الذكرى الاخيرة، وكذلك مزمور للزجال التافه، والفلاح الاحمق، والعمال المغرورين "٤". وبعد الشاعر المراثي على جبهته غائمة يوم اكتشف الجريمة، ونرى تعاظم حب سميح القاسم لوطنه، والتضحية في سبيل نيل العزة، وتهجمه على السلطات الصهيونية التي لم تكتفي بالارض، بل لا حقتهم لتقيم نقاط التفتيش والحواجز لتلاحقهم فوق أرضهم، ويدعو للثورة لتملأ بستان الارض خبزا وسلاما.

حوارية القنطرة والياسمينة "٥" : يتحدث فيها الشاعر عما ورثته الارض عن نفسها من سكون جنة الريح، وضعف بتران الضيم، واستيقاظ قلب الارض، لتستقبل الارض، عشاق المطر، وتتوجع الارض، من يفتح أبوابها لعشاقها؟ لقد شاخت وضعفت = وأضواها الانتظار، في الاعتصار يضغطها وهي ترفضه. انها تمسك في قصة الموت بأيدي ياسمينة جذرها ما زال في محتقن الاسرار صابرة. والياسمينة تصرخ بسقوط ورقها، منذ ليل الجزرة، والقنطرة يسرد حجرها تاريخ المدينة، ولكن صدرها اصبح ملجأ الضاحك، والباكي. ويحددها، يصور على لسان الياسمينة، ما تقوم به دوريات حرس الحدود الاسرائيلية في الازقة، الذين طاردوا ثائرا، وارسلوا خلفه كلابهم، فاحتضنته، ريثما يمير اعداء الحياة المستحيلة. فالقنطرة صامدة، والارض تنتظر الخلاص، وتشهد الارض أحزان الياسمينة، وعذاب القنطرة لما يصيب أهلها من قتل وتشريد على أيدى المغتصب.

لقد انتظرتم طويلا "٦" : يخاطب سميح القاسم الرجال، والنساء، والشيوخ، والحاخامين، والكرادلة، والممرضات، وعاملات النسيج، انهم قد انتظروا الخلاص طويلا؟ ولكن رسائل الخلاص لم تصل بعد. عليهم ان يصنعوا مطرعم بايديهم اينالوا الخلاص.

---

١) م.ن: ص ١٠٨
٢) م.ن: ص ١١٠
٣) م.ن: ص ١١٨-١١٩
٤) م.ن: ص ١١٩-١٢٥
٥) م.ن: ص ١٢٧-١٣٠، وكذلك الكبيرص ٢٦١-٢٦٥
٦) م.ن: ص ١٣٢-١٣٣

لو آذنت بمنفيها"١" : يخاطب فهد سادة الدموع والحناء .ان الارض قد احترقت، فالاشجار،والاجنحة الخضراء ،تسقط في وكالة الانباء . الايام جددت الاحـزان ، والوطن ذاق الغدر،وعادت الامطار تحرك التاريخ من اعماقه،لتوقظ الاشجـار باسم تمفار النفـي .

عودة عمر المختار"٢" يصف المنشدين في الوادي،وعلى السفح،فالمنشدون فـي اسفل الوادي يبكون ،وينشدون دوامات رمل الموت،وتجلدهم تماثيل للاشـكال، والمنشدون في السفح يبكون،وينشدون،وطعم المذلة في حناجرهم،ورايات القتال فوقهم ممزقة .. ويشتد به الغضب ليحمل على الملكية والسفراء، والضباط والوكلاء ، والخبراء ،وعلى الاسطول السادس في ليبيـا ،ويفرح للفاتح من سبتمبر، يفـرح الأسماء الشعب اعلى الأسماء الليبيــة .

بدأ سميح القاسم ديوانه "بالموت العابر،وعدم البكاء" وانتهى بأحلــــى أسماء الشعب بثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩م).بدأ الديوان بتصميم على النصر، والحرية. وينتهي بأن نال احد اجزاء الوطن الكبير حريته من التخلف،فالدرب طويل ،ولكن الانتظار يفتح الابواب "٣" ؛ بهذا يؤمن ،وعلى نهجه يسير،ويواصـل الاستمرارية في النضال،ومقارعته للسلطات الصهيونيـة.وفي سبيل ذلك سجـن ، وعذب ،وحرم ،واضطهد . من اجل هذا كله يثور ،ويغضب ،ويتحدى. ويلتصــق بالارض ،ويتعلق بالحيـاة ،والحرية ،والعيش الكريـم .

المـوت الكبيــــر"٤"

==============

طبع في بيروت ،منشورات الآداب ،سنة ١٩٧٢م)،واعيد طباعته في كتاب الجديد حيفـا ،كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣م).مطبعة غنقي ــ حيفـا .

اختار سميح القاسم تسمية ديوانه الموت الكبير،ربما لانه يعيش في ظل حكم غريب عنه ،اجنبي يسلط سيفه على رقاب سكان الارض الشرعيين .حكم يقاوم الحرية بالحديد والنار. وكفى المرء ضياعا ان يعيش في مثل هذا الجو الرهيب، وبما ان شاعرنا يعيش في مثل هذه الظروف ،فهو يعتبر ذلك موتا كبيرا. ولهذا

---

١) ثران الموت والياسمين ،ص ١٣٢ –١٣٧
٢) م.ن ،ص ١٣٨ –١٤٣
٣) م.ن ،ص ٩٩ –١٠٠
٤) ديوان ،الموت الكبير: الطبعة الثانية . كتاب الجديد ــ حيفا ــ كانون الثاني (يناير)١٩٧٣م) ،مطبعة غنقي ــ حيفـا .

ترددت في الديوان كلمة (موت) في خمسة عناوين، لقصائد مختلفة.
في الموت الكبير) ، عبّر الشاعر عن فلسفته، بصدق وواقعية، بعيدة عن الارتجالية في خبر الوقائع، فأراد لها حلا . ضرب الامثلة ليجد الخلاص . مدح ورثى بعض الزعماء، لانه يرى في دربهم الخلاص، ولانهم رمز القوة. . ردد ذكر الجواد الابيض في معظم قصائده في الديوان، لانّه رمز الخلاص.

نجد في الديوان، روحا من نفس سميح القاسم، عندما ينطق . فانه بذلك يجسد بعض ما كان له في حياته السابقة . لتخبره الروح بمعلوماتها عن دورها في الجيل السابق .

عندما تجد قصيدة تحمل طلقة واحدة تراه استمدها من تأثره بدين آبائه وأجداده لان الطلاق عندهم طلقة واحدة لا رجعة فيها .

سميح في ديوانه، فيلسوف معبر، وحكيم مدبر، وثائر يعرف الطريق، ومخطط واع يسير على درب طويل، شاق، ليصل الى ما يريد . وتظهر على سميح القاسم في ديوانه، بعض المسحات الصوفية . فهو الذي ينسى نفسه عندما يعبر عن قضيته . يتجسد القضية والشعب . تراه الوجه الحقيقي للوطن والوطنية والمرآة التي تنعكس عنها الرؤى، ويكتشف بها الزيف، والدجل محتوى ديوان سميح القاسم: على مئة قصيدة، وقطعة شعرية، طابعها الملام ما ذكرته ويغلب عليها اوزان بحر الرجز، والرمل، والبحر المديد، والكامل . وبعضها الاخر تحرر من الوزن، والقافية . وسنسير مع قصائد سميح سيرا سريعا لنعرف بها القارئ، كعادتنا لعلّ في ذلك ما يكشف لنا عن بعض ما يحتويه من خصائص فنية ونفسية وحياتية .

ما تيسر من سورة الموت تهليلة لاحمل الجياد " ١ " : يصور فيها خوفه من مرور الوقت، فالموت دمره . يخاطب الجواد، ماذا عليه ان يفعله ليتخلص من هذا الموت؟

مصارع الرجال " ٢ " يبكي فيها جمال عبد الناصر، ويعود فيها للتاريخ، ويتقصى الاحداث . ويشارك امته العربية افراحها واحزانها . يعود الى أحزانه ليبكي " جمال " في موطن الحرمان، وفي السجن، في المنفى، في الاقامة الجبرية

---

١) الموت الكبير، ص ٧ — ٨
٢) م . ن، ص ٨ — ١٤

ليصور صور الاحتلال التي تشوه الشخصيات، والاحداث، فيبكي جمالا ماسدك، وزاحفًا من المحيط للخليــج ٠

الدم الصهيل "١" يرثي فيها نفسه ٠ يخاطب أهله في بلاد العرب، ليصــور لهم أحداث أمته وما يصادفون من ظلم، واضطهاد ٠ يخاطب الراحل الى مصــر، ليقبل ضريح جمال، ليرفع من الدموع سيفا وقوس نصر ٠

الفصل قبل الاخيــر "٢" : يقول فيها: ابه آن الوقت للا نتقاضه واعداد الجواد — كفى تقاعسا ، توجوا الموت، ليقتلوه في اعالي الظهيرة "٣" يصف فيها مايعانيه الفلسطيني الصامد على أرضه في ظل الاحتلال، ويصور وحشية الصهيونية ويصور للتاريخ ليقص أحداثه، وللصوفية الرمزية مرة اخرى، ليتخذ من مقتل المسيح عليه السلام — رمزًا لشعب يذبح فوق أرضه ٠ يصور أحلامه، وامانية العذبة لنفسه، ولشعبه المحروم ٠ ربما يتحول الى ثائر في الجبال، شأنه شأن الثوار الاحرار الذيــن يسقطون في الجليل ٠ يرحب بالموت، لم يعد يخشاه في سبيل الحريــــة ٠ يعطي صورة حيّة للمقاتلين الذين يلقون بأنفسهم أمام جحافل الأعداء ٠ — استطاعت الثورة ان تغير صورة الشعب من لاجئين الى اصحاب حقوق ٠ ويشتعل الغضب ٠ ويصور كفاحــه، وثورته، واحتجاجه ضد السلطات التي تحاول محــو جنسيته الفلسطينية، يخاف على انسانيتــه ان يفترسها الليل، والظلام ٠ انتضيع بين الركام يبتهج بالثورة المنبعثة من بين أشلاء اللاجئيــن ٠

"حيث صار الموت عادة "٤" — قدم لها الشاعر بما يلي :

"بعد لقاء مع الاطفال الفلسطينين اللاجئيــن ، والاطفال الجرحــى من مدرسة بحر البقر، كان لقاؤنا في " بوتسدام ". وهناك تقاسمنا الدموع، والحلم ، القصيدة عبارة عن حوارية على لسان شاعر، وشاهد، وقائل ٠ يصف فيها المأســاة، والالام، ونزف الجروح ٠ ويصف غرف التحقيق، وكبت الحريات ، تغيرت المفاهيــم، فأصبحت القيمة للدبابات، والطائرات ممن يحملن الموت الزؤام للابرياء ٠ فالطبيعة رددت صدى صوته ٠ يعود للتاريخ الذي خبر عوائده، ومصائبه ٠ يصور رفضــه وكراهيتــه المتفجرة من الحقد، والموت، والظلم لابناء وطنه الفلسطينييــن ٠

الموت في الغربــة "٥" يصور الاعوام التي مضت لتغطي مأساة شعب فلسطين يعود للجواد، للثورة والغضب من الداخل في القرية النائبة ٠ وتمر الذكريــات

---

١) الموت الكبير ص ١٥—١٦

٢) م٠ن ص ١٧—١٨

٣) م٠ن ص ١٩—٢٧

٤) م٠ن ص ٢٨—٤١ ونشرة الاتحاد بتاريخ ٢٥/٩/١٩٧٥

٥) م٠ن ص ٤٢ — ٤٤

على الشاعر كشريط سينمائي .

"لامفـــر"١": صور فيها فترة الضياع التي عاشتها الامة العربية ،واستيقظت علــى أجراس الخطر ، وقد داهمتها بعد مضي خمس وعشرين عاما .

"درب لينين عبر الحواس الخمس"٢": يشيد بلينين،وثورته ،ومناوراته مــع الاعداد ،يتألم من ضياع حريته لانه لايحسن العمل . يدعو فيها للثورة والزحف فلينين زحف دائم .

هيبني قدرة الشهداء "٣": تصوير للغضب،والثورة وعودة لذكرى الانبياء ،لانها تريحــه. يطلب العمل على غرار الاجداد،"خديجة تنتظر حبيبها العائد بالمهر"٤" جعل من خديجة رمزا لفلسطين ،والحبيب العائد،رمزا لشبابها الثائر العائـد ببشائر النصر ، وأسراب الشحارير الخبيثة رمزا لسلطات الاحتلال برجالهـــا . فشباب فلسطين يمثلون الصمود والابتعاد عن المساومة ... أنا لن ابيع الكرم مهما كان درب الكفاح والنضـال .

"الجواد الابيض يصهل على التل"٥": يشير الى المهاجرين اليهود عبـر البحار الى أرض الميعاد ،لتحقيق الحلم الصهيوني بالحق الالهي الموروث، ولكنه يستبشر ببشائر النصر ، ويخاطب المقاتل ان يأخذ حذره ، لانه لم يهدد له غيره . يصور الشهيد برصاص الخيانة من قبل دوريات العدو ، ويصـــور الارهاب الذي يعيشه الفلسطيني على أرضه في ظل الاحتلال يسخر من قادة اسرائيل بما يمنّون به أنفسهم بشراء الضمائر،وسحق الحريات بالحديد والنار.

المنـــارة "٦": يشيد بالشهداء الذين يموتون دفاعا عن حقوقهم ويفضح زيــف السلطات الصهيونية وصحتها .

طلقة واحدة "٧": يعود الاحداث سنة ١٩٤٨ وتشريد الشعب الفلسطيني في كل انحاء العالم ، ولكن الجواد يصهل للعودة .

---

١) م.ن:ص ٤٥
٢) م.ن:ص ٤٢-٥١
٣) م.ن:ص ٥١-٥٣
٤) م.ن:ص ٥٦-٥٨
٥) م.ن:ص ٥٩-٦٥
٦) الموت الكبير:ص ٦٦-٦٧
٧) م.ن:ص ٦٨-٧١

محاولة لتركيب صور قديمة ممزقة "١" : مكونة من ستة فصول ، يصور فيها الشاعر ذكرياته ، واسباب غضبه ، ولماذا السلطة تشكوه ؟ يصور رباطة جأشه ، وعدم جزعه من الاعمال الوحشية .

حوارية السنبلة وشوكة القندول "٢" : يجري فيها حورا بين السنبلة وشوكة القندول ، فمهمة الشوكة ، القتل بالمجان ، مع العلم ان السنبلة تخاطبها بأن في الحقل متسع (الفلسطيني السنبلة واليهودى شوكة القندول)

غـــزة "٣" : يعود للاساطير والخرافات ، للغول والعنقاء ، والخل الوفي الذى حفظ ملامحهم ، والموت كذلك حفظ كل شيء . ويشيد ببطولة غزة ورفضها للاحتلال وللمعاناة ، التي تقاسيها من تجبر السلطات وتعنتهم .

ريبورتاج عن حزيران عابر "٤" : التقى الشاعر بالموت والتحم معه . خاطب الراعي الذي تجسد الشعب ليخبره عن اعمال السلطات الوحشية . بدأت تخاف الشبح الفلسطيني الزاحف . تطلق النار جزافا على الرعاة ، وتتهمهم بالتسلل ، وانهم عناصر تخريب ، لتبرير جريمتها . فالشاعر تجرع علقم التاريخ كله . " احساسك الكثيرة : مجبولة في جسدي يا زوجتي الفقيرة " ينتظر المعجزات لتحقيـــق الامنيات .. ويصور الشاعر النار المفتوحة ، ودمه النازف ، وصيحته الغضبـــى فغضبه يعرف من يشعله ، فألف هو لاكو اغرقتهم في ظلماته .

ويتنقل ليصف اللا جئيـــن ، وكرتات الاعاشة ، ولكن الحق لن يضيع ، لان كل حق سيناله صاحبه . فشعبه أقوى من الجنرالات والدبابات ، والنفاثات ، والغواصات ، والرادارات . كف الانسان على مقبض منجل .

"طانيوس شاهيـــن "٥" اول عربي نظم في التاريخ الحديث ، ثورة فلا حيـــة على الاقطاع في لبنان "٦" يخاطب الشاعر الارزة ، الخلود ، ويدعوها للثورة لتكـــون نعش اشباح القلاع ، وان تشعل النار على كل الجبـــال .

اما القصائد الاتيـــة : مقابلة مع المدير ، والحب على الطريقة الاسرائيليـــة ، وحوارية مع الوطن ، وسيد الموقـــف ...

---

١) م ٠ ن ، ص ٧٢ — ٧٧
٢) م ٠ ن ، ص ٧٨ — ٨٠
٣) م ٠ ن ، ص ٨١ — ٨٥
٤) م ٠ ن ، ص ٨٦ — ١٠٢
٥) م ٠ ن ، ص ١٠٣ — ١٠٦
٦) م ٠ ن ، ص ١٠٣ .

والاثنان الواحد "١": كلها سخرية واستهتار بالاسرائيليين: ضباطا، وجنودا، وبكل الرتب . يصور الغضب والرسوخ في اعماق الارض.

اطفال رفح "٢": يصور وحشية الاحتلال، ويشيد ببطولة أطفال رفح الذين التوا المناشير، وطرزوا الشعارات، وضموا على الكفاح . يصف ابواب رفح ، وقد ختمت ا بالشمع الاحمر فخيم عليها الحزن للجريح العائد نصف الليل، الذى صدته اعين الغرباء، وفوهات المدافع . القصيدة مليئة بالحركة المفاجئة بين أهالي رفح، ودوريات الاحتلال .

اما القصائد التي تبدأ بالزبانية، والسفير، وتنتهي بقصيدة "للذى يطلب حبيبي"٣ فهي تسجيل لهواجس وخواطر الشاعر نحو الوطن وقوميته .

احلام تطردها وكالة الانباء "٤": لفتة انسانية كريمة ، انه يود، ويحلم ان يرى القاذفة المقاتلة مقصورة للنوم، تجتذب السياح، وبالصاووخ ، تمثالا ، وبالقذيفة مزهرية ، وبالالغام قواعد للجرار .

قريبا "٥": قصيدة قديمة، يرى ان الخلاص قد قرب . وستصبح بزة الجنرالات مزقا لتلميع الاحذية، وتكشف كذلك عن اعمال المصادرة .

ابن نايوبي الاخير "٦"، قدم لها الشاعر بما يلي : "وحين سمعت نايوبي ملكة طيبة بمصرع ابنائها السبعة، وبناتها السبع، واغرقت في النحيب، حتى رثى لحالها نفس كبير الالهة، وجعلها تمثالاً من الصخر، تسحّ من عينيه الدموع . ويواصل شاعر الربابة هذه الحكاية، فيروى ان ابن نايوبي السابع، كان قد جرح ولم يمت ، وحين استعاد عافيته نذر نفسه للكفاح ضد الغزاة المعتدين حتى ترضى عنه الالهة جميعا، وتعود الحياة الى امه، وتجف دموعها الى الابد. يصوّر في هذه القصيدة يقظته، ويقظة الشعب الفلسطيني . فكل زمان له ريح ونبي. فقد سقطت كل الأسانيد التي تزعم موته . فجواده، وتاريخه التليد يناديان — أبناءهما ! اقبلوا . ورغم كل الاسماء التي حملها شعبه نتيجة التشرد، والحرمان ، فوطنه ثابت، اسمه وطن، انما كان جريحا فالتأم جراحة .

---

١) م . ن : ص ١٠٧ — ١١٤
٢) م . ن : ص ١١٥ — ١٢٥
٣) م . ن : ص ١٢٦ — ١٣١
٤) الموت الكبير : ص ١٣٢ — ١٣٤
٥) م . ن : ص ١٣٥ — ١٣٦
٦) م . ن : ص ١٤٠ — ١٤٧ .

اما القصائد الآتية : تذكره سفر الى الالزاس، ولواء اسكندرون ، مارش ، القاء القبض، زسكتش ، حلم عبد الناصر ، القلب المشطور ، حين بكت طفله سمراء قصة مدينة ، بعث ، المعراج الارضي ، مهرجان ، همس قبل ان يلفظ أنفاسه الاخيرة ، حرمان ، الموت مع سبق لاصرار ، عذاب ، وظيفة للموت التخلي اعتراف في عز الظهيرة ، الشيخوخة ، الخيبة ، قياسه ، ادراك "١"

فهي صور من خواطر سميح القاسم ، فالقتل يبعث الحياة ، أبقى قلبه مع الاحرار ، يدعو للانبعاث تصوير لوحشية العدو المحتل الذى جاء ليلقي القبض عليه ، وصف للذهول الذى أصاب الناس في حزيران سنة ١٩٦٧ ، وصف للمدينة التي تفتح صدرها للاجانب واخرى تكرههم . يدعو للانطلاق ، يعبر عن محبته للحياة وللحرية ، والطمأنينة . فانبعاث الثورة ، والنضال التماعة البرق على شعار السيوف ليشق في العالم المخسوف .

في ساعات الليل المتأخرة "٢" : مكونة من ست حركات . وهي وصف ملئ بالحركة والحيوية والانبعاث للرجال القادمين بالحياة والحرية لابناء الوطن من الجليل. انتفضت الثورة من بعد ركود .

ماء واحد "٣" : وصف للملاحقات والمطارادات البوليسية للشاعر وللاحرار داخل اسرائيل .

نرجسية ايوب "٤" سميح القاسم في هذه القصيدة تطالعه صورته في كل مكان التحم بالقضية اتحد بها . فاذا نظرت اليه طالعتك القضية بكل ابعادها . بهذا الحلول اكتشف سميح صورته في الصحراء في سر الماء في القرون كلها . فالقضية هي سميح ، وسميح هو القضية .

اما مجموعة القصائد التي تقع ما بين باطل واواخر اذا نسيت القدس "٥" : انها تصور التحدى والرفض والتعلق بالحياة الحرة . يصف الملاحقات البوليسية والاعتداءات المتكررة من السلطة على الحريات . جراحات القاسم وأغانيه .

---

١) م . ن . ص ١٤٨-١٨٨

٢) م . ن . ص ١٧٧ - ١٨٣

٣) م . ن . ص ١٨٤ - ١٨٧

٤) م . ن . ص ١٨٨ - ١٨٦

٥) الموت الكبير ص ١٦٠ - ٢٦٠ .

تنمو في الحزن، والفوضى، وسوء التغذية. ليكشف جانبا من سوء الحياة التي آلت اليها الاوضاع داخل اسرائيل . والشاعر سيّد المستقبل . يدعو للتضحيـــة والشول، لان الغلاص معه والزاد معه ، ومفتاح المدينة والنصر معه ، وتهاليل الاحفاد معه . بكل الاسماء القديمة التي لم تزل راسخة في ذهنه سيرجـــع محمولا على مد الدماء ومعه اسمه الجديد . يشكو من محاكم التفتيش . وفي وسط هذا الزحام عاد سميح بمصر من جديد . يسخط على الآباء ، الذين لـــم يعلموا أبناءهم فنون القتال ، لأنهم بذلك خسروا اولادهم، والوطن . يتمرد على الاوضاع والتقاليد الاجتماعية . فعريس الياسمين، اتهل في الليل كزوجـــة خرافيّة من الصحراء . كل شيء جفّ الاصبعات القدر . يغضب وسط التخلفـات والزحام يرفض ان تنهار حديقته ، فالأحداث والأهوال تجعل من القلب حجـرا ومن الوتر خنجـرا . يعلن مواصلة الكفاح ليعيد الحياة الى الارض . يدعو للصمود يواسي نفسه . ان قلب الشرق حيّ، وهو يحمل النور في طياته . يأسف للضياع والتمزق المسيطر على العالم العربيّ . فتغلب عليه قوميتـه ، فقلبه المصـــري لن ينهض ووجهه السوري، لن يشرق . وساقه السودانية لن تبلغ مالم تسعفها ساقة اللبنانية ، بالوحدة والتجمع يتحقق الهدف المنشود .

يخرج على صهوة الموت . يخاطب مدن الحزن وترى المذلة . ان الحمية تجرشه جرشا ، فلتنفلر المنابع الخفية ، ولتغضب في محاور العيون المخضلة بالادمـع المحتلة . يقطر الشاعر حميّة، وتضحية، وكفاحاً ، فنومه ليس انتحارا . سيحفـــر الجدار بالظفر، وتحت ابطه الفأس، والدولاب . كل شيء انهار . المدينة، والحـي، والشارع، والساحة، والمنزل، والحائط . ولكن بقيت ساعة الحائط . فالارادة والتصميـم باقيـة . جامي امتطى صهوة جواده فليستقبلوه بالنيران، وليسرجوا جيادهم، وليعلنوا ولاءهم للفارس الهمام جامي الوحيد الذى استطاع ان يفر من بين الحوت والجزيرة . وان ينقذ الاميرة . رغم القرون الهمجية ، رغم يد البطش التي عملت جاهدة لتغيير حقيقة الارض ، وأهلها فانها انبعثت من جديد باسمها العربي الاصيل . يحكي سميح المجد الضائع مجد الاباء، والاجداد، منذ ان احيل، كل من الزبير، وابن نافع، وخالد على الزوبعة . يعلن سميح تمسكه بالارض، يغضب ، يثور، يتحدى، يصرخ في وجه العدو . لن ابيع أرضي بأندلس ثانية . ويهتف ـ سميح قائلا : اذا نسيت القدس فليسف يميني ، ولتخلد على جبهتي وصمـة حقد الموت والجنون ، ولتنس وجهي الشمس .

"حوارية القنطرة والياسمينة"(١) وتعديل على قصيدة احترقت يكشف الشاعر عن لعبر من خلالها عن سخطه . ينطق الجمادات، ويبث فيها الحياة، وبذلك يعبر عن سخطه ورفضه للاحتلال واعماله الوحشية . يدعو فيها للثورة، للانتفاضة الجماهيرية . فالجمادات تصرخ من أعمال المحتل . فمن باب اولى ان يصرخ الانسان . فمن العار على الانسان ان يبقى جاهلا بما يدور حوله من احداث، تزعزع القلوب، وتخجل الانسانية . فاذا الحروب تطحن برحاها الارض، فتشهد الارض حزن الياسمينة، وعذاب القنطرة، فما بالك وموقفك ايها الانسان ؟ يامن حرمت حق الحياة فوق أرضك بعد هذا الشقاء والمذلة والمهانة. يرى في الشعلة انبعاث الحق والثورة والغضب في وجه هذا التخلف والتمرد، على كل القيود، واعمال البطش .

سميح في ديوانه الموت الكبير بدأ قصائده بتهليلة لأجمل الجهاد — للخلاص، لللانبعاث وختمها بالانبعاث، الذي يريده وبالتصميم والعودة والكفاح من قبل أبناء فلسطين .

مراثي سميح القاسم"٢"

===============

قطع سميح القاسم في حياته مراحل نضال مريرة، مع اشرس قوى عرفتها الانسانية. تأثر للاحداث الجسام التي مرت بها قضيته، ووطنه العربي الكبير، استطاع ان يجسّم غضب الجماهير المقاومة للاحتلال، وللاضطهاد القومي الذى شنته، وتشنه العنصرية الصهيونية ضد الجماهير العربية على أرضها الفلسطينية .

اراد سميح القاسم ان يترفع عن الندب والبكاء والعويل. كيف لا ؟ ونحن خبرناه في أشعاره انسانا عميقا . يصرخ، ويثور، ويغضب. لكنه لم يهن ولم يضعف، لم يعرف شعره التفاؤل . واجه الاحداث بوعي . حمل القضية بكل ابعادها، يشتاق للخلاص . عندما يخاطب الرئة المثقوبة برصاص القاتل والغربة . والابواب

---

١) الموت الكبير، ص ٢٦١—٢٦٨ وراجع ص٢٧٦ من هذه الرسالة .
٢) مراثي سميح القاسم، بيروت . دار الاداب، سنة ١٩٧٣، وكذلك راجع الجديد، الاعداد الثلاثة الاخيرة لسنة ١٩٧٢، لانها قامت بنشرها قبل طباعتها في بيروت .

المختومة بالشمع الأحمر . عندما يخاطب الاشجار والامطار ، والآبار ، والأزهار والوديان، والكثبان، والايدي والصحف والسيارات، والالات، بان تنتظر الغلام . فانه بذلك يعبر عن الايمان الشديد بعدالة قضيته ويساله أبناء شعبه في القدرة على انتزاع الحق من أيدي المغتصبين .

سميح القاسم في مراثيه، يحاور الرب، ويشتد في محاورته له . يلجأ الى الرب ليعبر ما في نفسه . يقصد بالرب، زعماء الحركة الصهيونية، زعماء السلطات الاسرائيلية — ممن نصبوا انفسهم اربابا على الحقوق الفلسطينية ومقدرات شعب انتهكت حرماته . شعب شرد في بلاد الله الواسعة . هؤلاء القادة يختلقون أتفه الاسباب والمبررات لاحتلالهم البغيض، وعدوانهم المستمر على فلسطين والشعوب العربية . فمن المحاورة يكشف سميح هؤلاء القادة والحكام الذين يدعون استلهام مبادئهم وتعاليمهم وفلسفاتهم من التوراة .

استشهد سميح القاسم في مراثيه بنصوص توراتية نثرها بين أشعاره . فالقطعة التي تبدأ بـ . . . ها أنذا يانافخ الأرواح " نثر فيها سميح استشهادين من نصوص التوراة، جاء في أحدهما ؛ " اصعدوا الى أمة مطمئنة . . وتكون جمالهم نهبا، وكثرة ماشيتهم غنيمة" ففي هذا الاستشهاد وسيلة للشاعر ليصور ظلم الاحتلال .

اما الاستشهاد الثاني " آه ياسيف الرب، حتى متى لا تستريح . . كان وسيلة لايقاف العدوان واغماد جذوته . ولقد اختتم الشاعر تلك المقطوعة بقوله :

آن لهذا الفارس الصغير
ان يترجل
عن جواد الموت . . . .

ومهما يكن، فان حوار سميح القاسم مع الرب، غلب عليه التلون بالصوفية . فاستخدم الاستشهادات التوراتية، ممزوجة بالشعر ليصل الى غايته .

سميح حين ينشد — في رثاء الطريق
وقال الوطن
ايها الاخوة المواطنون
من احبني منكم
فليأكل التفاحة وليقذف بالحجر

فانه بذلك يغاليه الرمز ، ويدعو للمعرفة والأخذ بهـا .
قصائد سميح القاسم من مراثيه ثورة وغضب ونقمة على اعمال العدو الغاصب
حين ينشد :

ايتها الرئة المثقوبـة
برصاص القاتل والغربة
ايتها الابواب المختومة بالشمع

ويعبر فيها عن حبه لوطنه ، وتعلقه بكل ذرة من ذرات ترابه . ففي رثائـه السيد " الكسندر بن أبان " الشاعر اليهودى التقدمي ، فهو يعبر عن حبه لوطنه ، لان هذا الميت كان يقف بجانب الحق العربي واخواته المناضلين ، ولهـذا سميح ينفي عنه الموت . ويخاطبه العربي بألم عينيه ما فعله اخوته ليرى بهجتهم بموته (اسرائيل)، رغم معاداته للسلطة فانها لم تجد قرارا من ان تعترف بشاعريته وانسانيته . والبكاء عليه .
تظاهرات بندبة و ... . وسأثبت القصيدة في الملحق —
والبكاء عليه

===============

الهي ، الهي ، لماذا قتلتني ؟ "١"

"السربية"

قصيدة طويلة سماها سربية ، لانها - كما يقول - : " تسمية مجازية للقصيدة الطويلة ، ولعل هذه التسمية المستحدثة توحي شكليا بالتداعيات والتنقلات والسرب داخل الاطار العام الواحد ، وهي السمات المميزة للقصائد الطوال . واذا كنا تجنبنا تسمية المطولة فذلك لانها توحي بالعمد والتصميم المسبق ، والميل الواعي الى التطويل ، وهي امور نراها منافية لروح الشعر غريبة عن الابداع الفني"٢". تضم السربية خمس عشرة نقلة، تنتهي كل منها بصرخة من سميح : " الهي ، الهي لماذا قتلتني "؟ وأخرى لماذا تخليت عني"؟، وتارة تركتني؟ وطورا "لماذا زنحتني"؟ ولماذا نبذتني ؟ وسقتني ؟ وهجرتني ؟ وهكذا ...

تبدأ السربية من صفحة رقم خمسة وتنتهي بصفحة اثنتين وخمسين. والصفحات التالية لها، أثبت فيها الشاعر مختارات من اقوال أدباء ونقاد عرب، تحدثوا عن التجربة الشعرية والبناء الفني في أعمال الشاعر سميح القاسم تنتهي بالصفحة الحادية والستين .

يتميز سميح القاسم في سربيته بالحدة والجرأة والغضب والتحدي والالتصاق بالارض، لانه ابن النكبة ذاق مرارتها واكتوى نارها ،فخرجت كلماته معبرة عن نفسه الشجاعة . والقى الينا تحفة شعرية تحمل الينا الرمز والحقيقة، الواقعية والخبرة والحنكة والثورة الصاخبة . يخلق في آفاق متسعة رحبة من سماء الخيال الفسيح . يصول ويجول تتوارد الخواطر وتتلاحق المضامين ،يتمرد ويغضب . يسخر ويتهكم . ينتقد فيؤلم . السربية كلها تدور حول هذه المضامين . حتى سميح في سربيته لم يكفه التمرد والغضب على العدو المغتصب ، بل تمرد على اسلوب البيان مرات . ففي الإملاء يكتب ما يريد فالتاء المربوطة

---

١) الهي ، الهي ، لماذا قتلتني ؟ حيفا ، مطبعة الاتحاد التعاونية، نيسان ١٩٧٤ ونشرت في مجلة الجديد ، سنة ١٩٧٤م العدد الاول، ص ٣٦-٤٣، والعدد الثاني ص ٣١-٣٤ .

٢) الهي ، الهي لماذا قتلتني ، ص ٥٣ وكذلك مجلة الجديد ، العدد الاول ، ص ٤٣، سنة ١٩٧٤

يكتبها مفتوحة . يكتب العامية، ويستعملها بكل فخر " ولو قطعية تقطعها المعيشة".
لم يقلها لان التعبير خانة ، انما قالها لتعطي الجرس ، الذى يريد خوفا من ان تفقد مدلولها الحيوي . استعمل الكلمة العبرية في شعره بلفظهما، فكلمة " نرغ " مأخوذة من " زنج " ومعناها مدح . وكذلك استعمل كلمات اخرى غيرها مثل: (توتو هعر بيم بوتو بيوم يشون) .
يورد في سربيته ما يتدحرج به الصغار في الحارات، والازقة، والشوارع، في العابهم ومرحهم يا طالع الشجرة .. "هات لي معك بقرة .. شكره بكره ، قال لي ربي عدّ العشرة وهذا " غيض من فيض " في سربيته .

يسخر، ويتهكم من مبدأ المفاوضات غير المتكافئة ، ثوري، غضوب، لا يقبل الذل، ولا الخنوع، يسوءه ان يرى العدوان ينمو بمطرة التام، شديد الحساسية والتأثر بما يجول حوله ، يتحدى ويصمد حين ينشد "[1] لم اكن لاختيار غيرك بيا مواجهة ثلوج العصر ."

ثابت رزين، لا يمكن استمالته . يفضح زيف اسرائيل، واعمالها الوحشية. فيتهكم ، ويسخر، ويصف اعمالها البربرية "[2]. يكره الاعمال الوحشية ، وقصف الطائرات، يكره البربرية والعدوان، في كل مكان . في فيتنام، ونوادى نيويورك "[3]. ويغضب سميح القاسم على ما وصفه بالخزى المطلي بالذهب، يتهكم وينفر من المدينة الزائبنة التي شهدت مشوهي الحرب، والاطفال الايتام الذين وضعوا اكاليل الزهور على اضرحة ابائهم . يكره المدينة التي شهدت رجال الحرب الخنازير الانلاط، يتحدى السلطة يتحدى السلطة ويخاطبها موجها نقده اللاذع وانتقاده المرير الذى لا يقدر عليه القابعون في الصالونات الادبية، والدوائر الحكومية ، خوفا على مناصبهم التشيلية. ويصفهم بالشحاذين المتسكعين كالبراغيث في بيرق الشور. وقميص الكلمة يطالبها بالتراجع عن اعمالها القذرة، بتقديم استقالتها ووضع الحق في نصابه العادل "[4]. يصف ما يعانيه واضرابه الاحرار من مهانة في غرف التحقيق . انه دائم التطلع الى اعلى ، رافع الرأس، يتهكم ممن يقيمون الحفلات في البيت الابيض، ويذهبون للتآمر على الشعوب، لمن يشاركهم مؤتمراتهم لانه مشغول بالعمل المثمر الجاد .

---

١) الهي الهي لماذا قتلتني، ص ٥–٦
٢) م . ن . ص ٧ ، ٨ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦
٣) م . ن . ص ١٠ ، ١٢–١٣
٤) م . ن . ص ١٤

يذكّر "ايدن" رئيس وزراء بريطانيا السابق ، الذى حاك المؤامرات من قبل وفشل . يشيد بأبطال المقاومة الذين ذهبوا ضحية الغدر الصهيوني على الارض اللبنانيـة : كمال ناصر ، عدوان ، وغسان كنفاني ، وغيرهم . انفجر التحـدى ، والغضب من كل مكان في جسده ، لم يعد يخشى ، او يرهب أعداء ، لان العالم كله اصبح مشوها ، لم يعد يعرف الحقيقة سوى البلطجـة وسحق النفوس ، والضمائر "١" . يغلي غضبا ، وحماسة ، وتحديا ، وثورة حين ينشـد "٢"

وهكذا استمرئ التسكع في الموت .
والموت قبل الاوان ،
في الموت افقـد الوزن ،
واسبح في شمولية فضاء الموت ،
بين الشهوة اللاغطة بالديماغوجيـا ،
وثبـات الروح الخـارق ،
وانهار يوم انهيـار
نيازك مشتعلـة ،
على شيخوخة العالم المأخوذ بالسمار=
بعد كل ذلك ، ليبقى ميراث الاحفاد .
تبقى صورتي في عز الشباب ..
يوم تفجرت ذراعاي من صدغـي
كفرني وعـل بـدوى ،
ودفدغت حبيبتي قدمي النافرتين من خاصرتي ،
بينما انتصب عضوى التناسلي من جبهتي ،
كسلة فـلاح نشـيط ،
كقـرن وحيـد القـرن ،
كمئـذنـة .
كصاروخ فوق جثـة العالم القديـم .
أو كجندي الحراسـة بباب الامم المتحدة ...

---

١) م ٠ن ٠س ٠ ٢٠ — ٢٢
٢) م ٠ن ٠س ٠ ٢٠ — ٢١

سميح القاسم ثائر، لأن البندقية هي الوحيدة التي تريد ان تفهم الفنية، بعد ان عجز العالم عن فهمه لها . لم يعد زجاجا يتحطم في ايدى الاعداء متى ضغطوه ، أنما اصبح عنفوانا يجاهر بثورته ، امام العالم المتخاذل، يوجه انتقادا لاذعا للتطاول في البنيان، والعمران، والحضارة الزائفة، التي لم تعد تنفع اهلها ، ولم تعد توجههم للحياة الحرة .

يفضح اعمال الصهيونية الرامية لتغييرعقلية الاطفال العرب، لينسوا تراثهم، يكشف اضاليل اسرائيل ، واكاذيبها ، عندما تضرب تصرخ ان العرب ضربوا اهدافا مدنية ، وعندما تضرب اهدافا مدنية، تصور ذلك أنها قامت بضرب اهداف عسكرية ؛ لم يعد فارسا من الفسيفساء يطأة السياح في طريقهم الى قصر عشام، او حيوانا جريحا يطن حوله النمل والذباب . بل لم يعد ذلك كذلك . منذ بدايات لاحصر لها . يتكرر الاصيل والسحر على غربة اهل الوطن الذين حرموا نعمته، بينما العدو الغاصب يتمادى في غيّه ، وعنجهيته . ويتطاول تلك النكبة الكأداء التي . هزت مشاعر الشاعر، واثارت خلجات نفسه، تلك التي لم تغادر ذهنه ولو للحظة يسيرة ، لم يجد الشاعر خيارا من ان يجابه الاعاصير بجلد بدمه ، بروحه ، وان يقف شامخا ، مثلما تقف عكا شامخة امام هدير البحر الصاخب . لقد آن الاوان للاعتراف، وللوقوف على الاحداث . لم يعد ذلك الانسان الذى تكفيه اللقمة والقمتان .

سميح ثائر مناضل يؤلم العدو ، ويفسد عليه احلامه، وامانيه ، ايمانا منه بعدالة قضيته التي من اجلها ضحى ، ولا يزال يناضل ليؤدى طقوس الوفاء امام المعبودة الام ؛ القضية والارض .

هكذا استولى هنرى على المطعم الذى كان يديره رضوان وشلومو
وحوله الى دكان لتجارة المعلبات[١]

==============

هكذا استولى هنرى على المطعم، مسرحية شعرية ، للشاعر سميح القاسم ، مكونة من أربع حركات فنية . مثلت في حيفا ، بتاريخ ١٦/٢/١٩٧٠ وهي مسرحية انتقادية ، تصف وضع السكان العرب داخل اسرائيل . وابطال المسرحية رضوان شلومو ، وشاعر الربابة ، وهنرى الذى استولى على المطعم .

---

(١) سميح القاسم : مجلة الجديد . العدد ٤ ، نيسان ، ١٩٧٠م ، ص ٢٧ – ٣٤

رضوان ، وشلومو شركاء في المطعم، يتقاسمان الارباح فيما بينهما • ولكن شلومو، يطمح ان يستأثر بالارباح ، مستغلا غفلة وسذاجة شريكه رضوان • كانت ترتفع اصوات شاعر الربابة من حين لاخر، محذرة من مثل هذه الشراكة لانها طاف الاصقاع جميعها، فلم يرثيها الذئاب تصادق الحملان • واستغرب من الصداقة القائمة بين رضوان ،وشلومو ،وحذر منها • ومن خلال هذه المحاورة ؟ كان الشاعر على لسان ابطال المسرحية ؟ يشير الى ارتفاع الاسعار، والاستغلال ، وتردي الاوضاع وكثرة الضرائب • ويشير الى الاستغلال البشع، استغلال العمال العرب من قبل البرجوازية المريضة، والاسرائيلية على أرض فلسطين • وحدث ما توقعه شاعر الربابة (صوت الحق المقلاء) اذ ، لايمكن ان يتصادق الذئب والحمل • فكان شلومو يطمع في المطعم (الارض الفلسطينية) ليستأثر به •

جاء الدخيل هنري :(الصهيونية العالمية المدعومة بالدول الرأسمالية) واستطاع ان يوقع بين الشريكين، رضوان ، وشلومو • فعقد هنري شراكة مع شلومو، وتحالفا ضد رضوان • وامد هنري شلومو بالسلاح ، وخرج شلومو ليأتي بمسدس حتى يقتل شريكه رضوان • وبالمقابل ،عندما عاد رضوان الى المطعم، استطاع هنري ان ينفـذ الى اعماق رضوان، والبه على شلومو، وامده بمديه، فتقابلا في المطعم، وتأهب كل منهما للانقضاض على شريكه، ولكن شلومو مسلح بمسدس، وبأحدث الاسلحة، ورضوان امسكين بسلاح قديم • فتعارك رضوان ،وشلومو، وانتهت المعركة بمقتل رضوان ،والقائه خارج المطعم، وتم " شالومو " ما كانت تمنيه به نفسه •

ولكي تتم اللعبة ،كان لابد من تغيير معالم المطعم (الارض الفلسطينية) • لان الرضوانيين لن يكفوا عن مهاجمة هنري، وشلومو ،ما دامت معالم المطعم كما هي، لابد من تحويله الى حانوت معلبات حتى يجنوا ربحا اعظم، فامر هنري شلومو ان يغير معالم المطعم، فعمل بما امره به، وتمت لهنري السيطرة الكاملة على المطعم ،بعد ان اجرى التغييرات • واستيقظ شاعر الربابة واذا برضوان قد انتهى .والمطعم قد تغير • فأنشد وانشد ، ولكن لم يسمع له صوت • فالمارشات العسكرية غطت على صوته، وصوت ربابته • وبذلك يكون قد اوقع بين سكان الارض الفلسطينيين الشرعيين من عرب، ويهود ، وجاء الدخيل فأفسد عليهما شراكتهما ، وذهب عرب فلسطين ضحية الغدر والمكر ونمت والشراكة بين اليهود القدماء والجدد على الاض الفلسطينية • واظهر الشاعر مخاوف ،هؤلاء من عودة الرضوانيين الى ارضهم • وبهذه المسرحية استطاع الشاعر ان يكشف سوء الحالة التي كان عليها عرب فلسطين ،وعدم تسليحهم

بالسلاح الكامل ،ومقابل ذلك ،كان الاسرائيليون مسلحين ،ويسيرون وفـــق خـط مرسومة ومجهزة من قبـل .

واليك جزءا مما جاء في الحركة الرابعة على لسان شاعر الربابة وشلومو وعنري"(١)"

شـــاعر الربابة : مفترق الـدروب ،
والليل نصل خنجـــر ،
والمعبد المســـور
ترصـــده الذنوب .
يا سادتي الافاضل !
هل تصبح الضحيـة
مقتولة وقاتل ؟
في الغابة الوحشية ؟
النار في السنابل ،
يا سادتي الافاضل !
والريح .. وهم باطل ،
يزحف بالمنيـــــة ،
من يوقف المصـارع
في حرمة الطعام ؟
فالموت في الشوارع

شلومو (غاضبا) يخاطب الرجلين اللذين يرتديان اللباس العسكري وينتظران اوامـــره .
ماذا تنتظران ؟
حتى نتخلص من ثمر الاشجار المر
لابد لنا من ان نقتلع الجذور
فليطرد كل الرضوانيين
من هذا المطعـم ،
المطعم لي .. لي وحدي .
فليسمع قلب العالم .. وليفهم . . . .

---

(١) مجلة الجديد . العدد ٤ نيسان سنة ١٩٧٠ ص ٣٣—٣٤

وسط الموسيقى العسكرية الصاخبة،يتقدم هنرى نحوشلومو الذى تبدو عليه ملامح التوتر ، ويربت على ظهره مبتسما.شلومو (بلهجة متعبة) :

قضي الامـــر .

هنــــرى	وماذا بعد.؟

شلومو (بدهشة) ماذا بعـــد ؟

هـــنرى	مادام هذا المطعم مطعما .

فلن يكفّ الراهوانيون عن مضايقتنا ،

وستنهال علينا حجارتهم الحاقدة ؟

كلما شاهدوا هذه اللافتة ،

وكلما سمعوا او قرأوا كلمة مطعم ،

ولقد قررت ان اتصرف بما تقتضيه الضرورة ،

وللضرورة احكامها ،ايها الصديق ،

وللديون الثقيلة ، احكامها ايضا

تعرف ايها الصديق .. انني املك مصنعا للمعلبات وما دمت تبيع الطعام لزبائنك الكرام... لتربح مرة واحدة فلماذا لا تبيعه لهم في العلب الانيقة .. لتربح مرتيـــن ؟

شلومو	ماذا تعني

هنرى	اعني ان هذا المطعم

لا يستطيع ان يظل مطعما بعد اليوم .. لابد له ان يصبح دكانا لتجارة المعلبات ومن اجل هذا ... اعددت لك مفاجأة سعيدة.

خــذ هذه الكرسي ... ايها الصديق ،

وأنزل تلك اللافتة التي يخنقها الغبار .

هنرى (الى شلومو) والآن ، اقرأ معي، أيها الصديق العزيز (يقرأ هنرى بصوت عال فخور)

" هنرى وشركاه ليميتـــد " .

" دكان لتجارة المعلبات "...

آثـــــاره النثريـــــة

سميح القاسم له كتابات نثريات ،طبع احدهما في بيروت ، والاخرفي عكا •

الكتاب الاول — عن الموقف والفن [١]: سجل فيه سميح القاسم آراوه النقدية التي اثارفيه الى خصوره الندوات الشعرية لكتاب وشعراء عبريين • ففي احدى الامسيات الشعرية التي احياها الكتاب والشعراء العبريون باحد النوادى الثقافية في حيفا ، طلب عريف الحفل من سميح القاسم ان يبدي رأيه في الشعر الذى سمعه ،ونهض سميح القاسم بعيدا عن اصول المجاملة ،"والاتيكيت" المعودة من قبل المأجورين وناقش صاحب الشعر الذى القى الجرة على الشارع فانكسرالشارع ولم تنكسر الجرة • وفي موضع اخر يحدثنا عن تناوله لديوان (الدرج المؤدى الى اغوارنا) للشاعر"ميشيل حداد" ، وتحدث عن الشعر الشعبي واسبقيـــة توفيق زياد، وراشد حسين في هذا المجال • وفي موضع اخر تحدث عن الجمهور والفن ،والالتزام وعن شكل الشعر الذى يتقبله الجمهور ، وجملة القـــول : سجل الكاتب سميح في كتابه مواقفه النقدية • وهذا ماتعرضت اليه عندما تناولـــت سميح القاسم الناقد ولا مجال للاعادة مرة اخرى •

اما الكتاب الثاني : فهو من فطك ادينـــك [٢]

وهو عبارة عن قراءات في وثائق صهيونية ، منشورات عربسك • ويشتمل — الكتاب على سبعة مواضيع وهـــي :

١) دولةيهودية برعاية هتلر وموسليني [٣]
٢) مجزرة ديرياسين — بين الاخلاق والتكتيك العسكرى [٤]
٣) من أحلام غوريون الرهيبـــة [٥]
٤) كيف صمموا دور اسرائيل في العدوان الثلاثي ؟ [٦]
٥) " الفساد " وحتمية التاريخ — حرب ٦ اكتوبر ٩٧٣ ١ [٧]
٦) المعرفة والموت [٨]

---

١) عن الموقف والفن : بيروت — دار الاداب ٩٧٠ ١م
٢) من فطك ادينك — قراءات في وثائق صهيونية — عكا — منشورات عربسك، ٩٧٤ ١م
٣) م•ن:ص ٦ — ١٦
٤) م •ن:ص ١٧ — ٢٦
٥) م•ن:ص ٣١ — ٤٠
٦) م•ن:ص ٤١ — ٨٦
٧) م•ن:ص ٩١ — ١٤٦
٨) م•ن:ص ١٥١ — ١٦٣

٧) مدرسة للقتــل "(١)"

يعتبر هذا الكتاب الاول من نوعه في اسرائيل ، وعنوانه لاكبر دليـــل على اهميته " من فمك ادينك " وهي سابقة تبشر ببوادر سليمة ،وواعية في سبيل فضح ، وكشف اعمال الصهيونية على الارض الفلسطينية .

استمد المؤلف مادة كتابة من ألسنة واقلام أعدائه الصهاينة (فاستطاع سميح القاسم في هذا الكتاب ، ان يجمع مجموعة من شهادات الادانة ضـــد الصهيونية في النظرية والتطبيق . واكتسبت الشهادات ،والوثائق اهميتها ؛ لانهـــا مأخوذة من مصادرها الاصلية.اعني المصادر الصهيونيـــة ". مما يصعب على الدعاية الصهيونية اتهامها باللاّ سامية او تفنيدها بحججهم الباطلة التي يلجأون - اليها في دفاعهم الواهي ليبرروا اخطاء هــم .

استقى سميح القاسم هذه الافادات والوثائق ،من اللغة العبرية ،والمطبوعات الاسرائيليـــة المباشرة ،مما اكسبته اهمية عظيمة . لانه سلاح ثقافي لـــــه اهميته لكل عربي يجد نفسه في حوار مع مزيّفي التاريخ ، الذين يحاولـــون جاهدين ،تشويه حركة التحرر العربية ، والمقاومة الفلسطينية . فان اتهمـــوا المقاومة بالتدمير والتخريب فانهم قد سبقوها في هذه الاعمال ، فاستقى هـــذا الرافد من ذلك النبع الخبير بوسائل الاجرام والتصفية الجسدية والنفسية - والتسمم الفكـــريّ .

ففي الموضوع الاول : دولة يهودية برعاية هتلر وموسليني . كشف سميح القاسم النقاب عن تعاون الزعيم الصهيوني " ابراهام-شتيرن " الذى كان يحمل الاسم التنظيمي " يئيـــر " وكان يقف في طليعة منظمة "ايتســل" (ارغون تسفئي ليئومي) اي المنظمة العسكرية القومية - مع النازية الالمانية ،والفاشية الايطاليــة في سبيل اقامة الدولة اليهودية في فلسطين . وبدأ هذا التعاون مع اعـــلان بريطانيا ،الحرب على المانيا " الفوهرر" والنازى "هتلر" .فقد ساورته الشكوك ،بان انتصار بريطانيا في الحرب ،قد يأتي على حلم اليهود بالاستقلال في فلسطين . ولهذا وجه انتقادا حالا الى " جبو تنسكي " قائد الجناح العسكرى للمنظمـــــة ، لان الحكمة في رأي شتيرن بعدم التحيز لايّ من الطرفين ، الامقابل وعود واضحـــة ، من هنا ارتأى" شتيرن ان يجس النبض لدى دول المحور) لمعرفة موقفها مــــن

---

(١) م . ن ، ص ١٦٥-١٦٨

المطالب القومية اليهودية في فلسطين •

في الموضوع الثاني : — يكشف سميح القاسم عما جاء في الملحق الاسبوعي لصحيفة هارتس في ٣٠ آب ١٩٦٨) والذى كتبه "اورى ميلشتاين". اذ كتب المذكور مقالا ضافيا حول عملية دير ياسين. فأورد سميح القاسم ماجاء في التقرير مع التعليق، فوصف المجزرة، وموقف الهجانا، ومنظمة "ايتسل"، ورجالاتها وتعليقاتهم على الجزرة الرهيبة •

وفي الموضوع الثالث — : كشف سميح القاسم النقاب عن مذكرات "بن غوريون" الرهيبة التي نشرت في الصحف المصرية على فترات متقطعة ، فكشف اهداف "بن غوريون"، ومخططاته التوسعية لضرب سوريا، ولبنان، وشرقي الاردن • وتطرق لملابسات، وظروف الهدنة التي عقدها ، وتوقيعها بين العرب واسرائيل •

وفي الموضوع الرابع : — وصف تواطوء فرنسا وانجلترا مع قادة اسرائيل والتحركات المريبة ، ووصف كيفية تصميم دور اسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر • فذكر الاجتماعات، والتحركات في فرنسا بين الدول الثلاث بسرية تامة، وكتمان شديدين • وتتطرق لموقف (ايزنهاور) الرئيس الامريكي الاسبق الذى كان على أهواب انتخابات جديدة ، ورأى من مصلحة الا يزج الولايات المتحدة في عدوان جديد في الشرق الاوسط • وطالب بانسحاب اسرائيل ووقف العدوان •

وفي الموضوع الخامس : — تحدث عن حرب رمضان ٦ اكتوبر ١٩٧٣ • فنقل المقابلات الصحفية التي جرت مع ضباط اسرائيليين من سلاح المدرعات على هضبة الجولان ، وتذمرهم من الحروب، وما جرته عليهم من ويلات، ونكسات زعزعتهم من اعماق نفوسهم •

وفي الموضوع السادس : — ذكر المرارة التي أصابت المؤلفين في اسرائيل ، فالرقابة لاتسمح للجمهور الاسرائيلي، الابمعرفة المكاسب التي حققتها اسرائيل •• اما الخسائر فلا نصح معرفتها • وتناول تعليقات المراقبين عن وضع الجيش السورى والمصرى ، وانواع الاسلحة المستعملة في حرب رمضان ، التي فتكت بطائرات العدو •

اما في الموضوع السابع والأخير : — فقد تناول الاوصاف التي تطلقها الصهيونية على العرب ، ويعلل ذلك بأن ماجاء في علم النفس • ان يحاول الانسان

تطهير عقده،ودخائله من العيوب، وقذف الآخرين بها . وهكذا اسرائيـــل المتمثلة بالدعاية الصهيونية، التي تصف العربي، كما جاء في كتاب سميح القاسم بما يلـــي :

" رجل اشعث، حاد النظرات، غدار، يخفي في ثيابه خنجرا رهيبـــا، لاتكاد تدير تدير ظهرك حتى ينقض عليك بطعنة نجلاء . متخلف، قاس همجي غوايته القتل ، سادي ، قاتل اطفال ، جبان ، رعديد، كذاب ، منافق ، قذر فظ ، ساخط ، لئيم ، حقود .. الى اخره من هذه الاوصاف"١"

ثم قام سميح القاسم بنقل تعليمات قادة اسرائيل لجنودهم فكتب يقول :

" مجلة هعولام هزية" الاسرائيلية الليبرالية نشرت في ١٥-٥-١٩٧٤ — مقالا(بل) فضيحة يثبت أن القيادة الدينية (الرابانوت) للجيش الاسرائيلي اصدرت كراسا توجيهيا، يحض الجنود الاسرائيليين على قتل "الغوييم"(غيراليهود) وقتل العرب عسكريين، ومدنيين على السواء ... ولوجه الدقة ، فان الكـــراس يدعو الى قتل المدنيين في حالة الاشتباه، بانهم قد يلحقون الضرر بالجيـــش الاسرائيلي في غزواته، وهجماته ... اما هذا التحفظ، فانه يلتغي كلية حيـــن يؤكد الكراس السماوي الالهي الديني : انه لا يمكن الثقة بالعربي ابدا، واياكان ونسبت المجلة الى تلك الكراســـة الرسمية الفقرات التاليـــة :

ــ حين تلتقي قواتنا بمدنيين في حرب، او مطاردة، او غزوة، فانه مالم يكـــن هناك تقدير ملموس، بأن هؤلاء المدنيين لا يستطيعون الحاق الضرر بقواتنا، يصبح من المسموح به ، بل من الواجب حسب الشريعة، قتل هؤلاء المدنيين .

ــ لا يجوز في اية حال من الاحوال، وضع الثقة في عربي، حتى ولو خلـــق انطباعا بأنه متحضر .

ــ حكم الذي يساعد العدو، او المخرب، هو حكم العدو، او المخرب نفسه"٢"

ولعل في هذا القدر من التعريف بالكتاب وما يشتمله من مواضيع يعطي المرء الانطباع لأهميه الكتاب واعتزاز صاحبه، لانه يعتبره بالغ الاهمية في مجال الرد على الدعاية الصهيونية، وطريقة مثلى لادانتهم، ودمغهم بالحقيقـــة الدالـــة على ان الصهيونية قتلة، ومصاصي دمـــاء .

---

١) من فمك ادينك ص ١٦٦
٢) م.ن.ص ١٦٦ — ١٦٧

لسميح القاسم مقالات، واعمال مسرحية اخرى نشرها في مجلة الجديـــــد، والصحف التي عمل بها . فكتب مقالات عديدة تحت عنوان "برج بابل" في اعداد مختلفة من الجديد . ولقد جاء تحت باب "برج بابل" "(١)".

عنوان فرعي "النونة المكتوبة بالدم" وصف فيها العلاقات القائمة بين العرب واسرائيل ، وعن المشرفين على برامج التعليم . فوجه اليهم انتقادا لاذعا ،ووجه انتقادا مماثلا لاغاني العرب في اسرائيل، والتي تحمل تهكمات على الرؤساء ،والملوك العرب مثل : ناصر ينتظر"رابين" .. اى باي باى . فلينتظر ولا يتحرك لان "رابين" سيأتي مئة بالمئة .. باى وكذلك ياحسين، يامجنون، اذهب الآن ،وكل بصلا . يا ناصر، يا مجنون، اين رجالك الذين تحدثت عنهم"(٢)،ويجرى مقارنة بين موقف العرب، والاسرائيليين .فالعرب قامت من بينهم عناصر تتاجر مثل هذه الاغاني ، اما اسرائيل لم تحرك ساكنا . وسجل فيها انطباعاته عن فيلم سينمائي للفنان "انتوني كوين" فحزن اشد الحزن للانتقاد الموجه لدور روسيا في الحرب العالمية الثانية ، وشن هجوما على "لندن جونسون" والصحافــــــة الامريكية ، لانها ترتكب جريمة التضليل المنهجي في محاولة منها لضمان الهدوء، وفرصة العمل المريح للرأسمالي، وللاحتكارات، ولانها تشوه حقيقة الثورة الزنجيــة، وتصفها بأنها سلسلة من الظواهر البدائية، والفوغائية، وتشوه ، وجه العرب الاصيل في بلاد الاندلس، وتصفهم بالقتلة، واصحاب اضطهاد . اذ اضطهدوا اليهــــود . فيدافع سميح عن العرب ويبرر دورهم المشرف نشلوا اوروبا من ظلام العصــــور الوسطــى .

وفي عدد آخر ،تحت باب برج بابل"(٣)" كتب تعليقا عن المسرحية الامريكيــــة التي اثارت ضجة عالمية، وعنوانها "ليدى ماكبيرد" ومؤلفتها شابة في الخامسة والعشرين . ويرى فيها نقدا لاذعا للنظام الامريكي، وسياسته العدوانية، وهي لائحة اتهام ضد "ليندون جونسون" وتشير اليه بانه القاتل . قاتل "جون كندى"

ويرى سميح القاسم: ان كل عبارة في المسرحية، تحتوى على نقد لاذع للاوضاع في الولايات المتحدة الامريكيــة ، ويرى كذلك انها صرخة مادة يطلقها الامريكي

---

١) سميح القاسم برج بابل الجديد العدد ١٠ سنة ١٩٦٧ ص ٣٤–٣٥

٢) سميح القاسم برج بابل مجلة الجديد . العدد ١٠ سنة ١٩٦٧ ص ٣٤–٣٩،٤٠

٣) سميح القاسم برج بابل مجلة الجديد العدد ١١ سنة ١٩٦٧ ص ٢٥–٢٦

المادي في وجه النظام الذي يحول لبناء الولايات المتحدة، الى شعب من الاغنام.

وله كتابات نثرية تحت باب " حديث الشهر " (١) سجل فيها انطباعاته عن المؤتمر الرابع والعشرين لنقابة الادباء المصريين. ووجه انتقادا لاذعا للصحف التي تقف موقف المعاداة من الحقيقة ومن الشعراء التقدميين من العرب، واليهود على حد سواء، فنقل اقوال الادباء المصريين مثل: "موشيه دور" الذي حذر من العنصرية. والشاعر "اندادلدن" الذي حذر النقابة من الاكراه الديني. فسجل النقاش الحاد الذي ساد جو المؤتمر، وتطرق الى المسألة، التي نوقشت بتوجيه الدعوة للادباء التقدميين، لدخول النقابة، وتوجيه نداء الى مفكري العالم، ومن ضمنهم رجال الفكر، والادب في العالم العربي، لرفع الاصوات من اجل السلام الدائم، والعادل، في حدود امنة، ومعترف بها. ويرى في هذا النداء تجاوزا للمألوف، لانه متنكر لتجاهله قرارات الامم المتحدة، ومجلس الامن. وابرز موقف الشاعر التقدمي "دافيد افيدان" الذي دعا لحل النقابة، لانها ليست سوى وسيط بين اموال الجمهور، والمصادر المالية الاخرى، وبين اعضائها.

وفي موضع ثان، وتحت باب: حديث الشهر "٢" تحدث عن الاجراءات الامنية الخاصة التي اتخذتها السلطة في اعقاب الانفجارات المتكررة داخل اسرائيل، من قبل رجال المقاومة العرب، فوصف التفتيش الجسدي، والتعسفي الذي تعرض له سميح القاسم - وهو - في طريقه الى بلدته الرامة، لزيارة اهله بعد ان انعمت عليه السلطة بتصريح لزيارة اهله، واصدقائه، وسجل في هذا الباب آراءه حول عطا الله منصور، والاغنية الفيروزية، ورسالته الى محمود درويش. وقد مر ذكرها جميعها سابقا.

بلاد الصمت"٣"

============

مجد سميح القاسم الاتحاد السوفييتي وتحدث عن عيد النصر على النازية،

---

١) سميح القاسم: حديث الشهر: مجلة الجديد العدد ٤ سنة ١٩٧٠ ص ٣-٥

٢) سميح القاسم حديث الشهر مجلة الجديد العددان ١، ٢ سنة ١٩٧١ ص ١-٤

٣) سميح القاسم بلاد الصمت مجلة الجديد العددان ٧، ٨ سنة ١٩٧١، ص ١-٢١

وعن اعجابه " كاريشيف " احد ابطال الحرب العالمية الثانية ، الذى رفض ان يستسلم للنازية، او يسلمها الاسرار الثمينة عن الجيش الاحمر ، بالاضافة الى انطباعات اخرى حول زيارته للاتحاد السوفيتي .

ليكن واضحا

لسميح القاسم كتابات نثرية اخرى تحت عنوان ليكن واضحا ، وجه فيها انتقادا لليسار المتطرف، ولليمين المتطرف في العالم العربي ، ورأى ان كل واحد منهما قد ساهم في نكسة حزيران . ثم تحدث عن مفهومه للثورة وللثقافة "١" وابرز دور الحزب الشيوعي الاسرائيلي الثقافي ، وعن نشاطه في تنظيم العديد من لقاءات الحوار بين مفكرين عرب ويهود في "تل ابيب" والناصرة، وحيفا ، ايمانا منه باهمية اللقاءات "٢"

وفي موضع ثان : تحدث عن حركة الاستشهاد الفلسطينية، لمقتل غسان كنفاني، وقادة المنظمات في بيروت على ايدى الصهيونية ، وعملائها وشن هجوما عنيفا على الكتاب، والزعماء العرب ، الذين يرتمون في احضان امريكيا حتى الاستسلام المميت، ممن يسيرون وراء سياسة " عدم مناطحة امريكا " ويرى في ذلك استسلاما مقيتا "٣"

وفي موضع ثالث : كتب تحت الباب نفسه مقالات متعددة عن ايلول ٩٧٠، وايلول ٩٧٢ على الساحة العربية ، وتناول مشروع روجرز، واهدافه الخبيثة، وانه استطاع ان ينجح في ضرب المقاومة الفلسطينية بعد ان حاول ان يظهرها على انها العنصر الوحيد المعوق في سبيل التسوية ، ولكن بعد ضرب المقاومة. ماذا فعلت امريكا ؟ وتطرق الى نايف سليم الشاعر التقدمي، وعضو مجلس محلي البقيعة الجليلية ، الذى تلقى امرا بالاقامة الجبرية، وتحديد حرية الحركة "٤" وفي موضع رابع : ركز حديثه عن ثورة اكتوبر العظمى، وانجازاتها، واعجابه "بلينين" واهمية الثورة الروسية لكل حركة ثورية في العالم "٥".

١) ~~راجع معتقدات سميح القاسم السياسية من هذه الرسالة~~

٢) ليكن واضحا مجلة الجديد ، العددان ٤و٥ سنة ٩٧٢ ص ٣٠-٦

٣) سميح القاسم ليكن واضحا مجلة الجديد العددان ٧و٨ ص ٣-٧

٤) م.ن العدد ٩ - سنة ٩٧٢ ص ٣-٦

٥) م.ن العدد ١٠ سنة ٩٧٢ ص ٣-٥

وفي موضع خامس ، تناول مشروع كهانا الداعي لترحيل العرب عن اراضيهم ، فبعث كهانا برسائل الى رجال يعتبرون انفسهم اصدقاء للسلطة، مما سبب استياء بين الطوائف الاسلامية سنيين ودروز ، وبين مسيحيين كذلك . واشار الى مسرحية " عاموس كينان " التي اوقفت السلطات الاسرائيلية عرضها ، لانها تطعن في صميم الايمان المسيحي ، روجت لها الصحف الاسرائيلية والمشوهة وبثت سمومها المدسوسة ، والمشوهة . مما اثار الاخوان المسيحيين ، لأنهم استندوا على ما روجته تلك الصحف . فكتب سميح القاسم مدافعا عن المسرحية ، وصاحبها ، لان " عاموس كينان " كاتب تقدمي ديمقراطي معاد للاضطهاد القومي الذى يتعرض له العرب ، ومعارضا للعسكرية الاسرائيلية ، فعدد سميح القاسم اعمال " كينان " الفنية التي تثبت ما قاله سميح القاسم . ويتابع سميح القاسم قوله : ان خطيئة " عاموس كينان " هي انه استعمل المسيح والصليب رمزا للانسان المعذب ، وليست هذه الخطيئة غريبة علينا . فنحن نذكر الحملة التي شنها بعض نقادنا الرجعيين على بدر شاكر السياب ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد الوهاب البياتي ، وشعراء آخرين ، لانهم استعملوا الصليب رمزاً في اعمالهم . ويتابع سميح قوله : ان يسوع المسيح الذى تدور حوله المسرحية مسرحية " عاموس كينان " والذى يعبر عن نكبته بقسوة مهينة احيانا ، ليس سوى " عاموس كينان " نفسه المواطن الاسرائيلي الذى يحمل بطاقة هوية زرقاء ، ويحمل في صدره قلبا حيا ، وضميرا حيا ، فيتعذب ، وهو يشاهد مايدور حوله وعليه من موبقات (١)

وفي عدد آخر ، كتب سميح القاسم مقالا مطولاً عن أدباء مصر ، وموقفهم من الهزة الطلابية المؤسفة في المرحلة الحرجة من تاريخ العرب الحديث . ويرى ان أدباء مصر ، لن يتخلوا عن مواقفهم ، ويشير الى الخصوم : اليمين المتطرف ، واليسار المتطرف ، الذى يسعى لاحتواء الحركة الطلابية ، ويذكر وسائل التحريض غير النبيلة ، وغير الشريفة ، وغير الوطنية ، التي لجأت اليها الدول الرأسمالية ، والمؤسسات الحاكمة فيها ، وفي العالم الثالث ، لتشويه الحركات المعارضة (٢)

---

١) سميح القاسم : ليكن واضحا . مجلة الجديد ، العدد ١ سنة ٩٧٣ ص ٤ — ٧

٢) م . ن العدد ٢ سنة ١٩٧٣ ص ٤ — ٥

وفي موضع سابع ناقش الاقتراح الذى طرحه لالغاء نقابة الأدباء المصريين وبناء تنظيم جديد، يكون مفتوحا امام جميع الكتاب في البلاد، بغض النظر عن قوميتهم ، واللغة التي يبدعون فيها . واشار الى الشعراء والكتاب التقدميين الاسرائيليين الذين تبنوا اقتراحه .ووصف المناقشات الحادة في المؤتمر الخامس والعشرين للنقابة (١).

وفي موضع ثامن : تحدث عن حضارة الاغتيال ، وهو نثر سياسي استشهد بابيات لكمال ناصر ، الذى طرته السلطات من بلدته عام ١٩٦٨ — ولحقت به في بيروت حتى اجهزت عليه .ووصف مقتل يوسف نجار مع زوجته التي اكبت عليه ، لتتمنع عنه الرصاص ،وكيف سقط كمال عدوان، وهو يحاول الوصول الى سلاحه ؟ ووصف قهقهة الجنرال "العازار" رئيس الاركان السابق ، الذى تحدث عن طهارة سلاح شبابه ، وعن العلم الصهيوني "(٢).

وفي موضع تاسع : ــ وصف الحالة ،التي يتعرض لها المواطن العربي في اسرائيل ، ليخاطب الفاشيين العرب، ليطلعهم على حقيقة ما يعانيه المواطن من مهانة ، وشتم ، وتحقير ، وتعذيب ، على ايدى القادمين الجدد من المسطوطنين اليهود ،دون ان يعير العالم العربي انتباهه ، لما يجرى على الارض فلسطين واعطى صور كثيرة من تلك الصور"(٣)

وفي موضع عاشر : تحدث عن الظلم الذى لحق بالكتاب التقدميين من السكان العرب .وطالب برفع الاقامة الجبرية المفروضة عليهم . واشار الى مشاركة اليهود للعرب في مظاهراتهم الاحتجاجية ،ضد سلطات الاحتلال امثال : الشاعر اليهودي التقدمي " مردخاى ابي شاؤول " الذى أجاب مراسل اذاعة اسرائيل عن سبب اشتراكه في المظاهرة قائلا : " هل تستطيع ان تقول لي من هؤلاء اليهودي ؟ ومن هم العربي ؟ اني لا ارى هنا عربا ويهودا .. أرى بشرا يعانون من الاضطهاد والقمع"(٤).

---

١) سميح القاسم : ليكن واضحا . مجلة الجديد ،العدد ٤ سنة ١٩٧٣ ص ٤-٥
٢) م.ن العدد ٤ سنة ١٩٧٣ ص ٤-٥
٣) م.ن العدد ٥ سنة ١٩٧٣ص ٤-٥
٤) م.ن العدد ٦ سنة ١٩٧٣ ص ٥

وفي موضع آخر : وصف المضللين من اليهود — المستوطنين الجدد — من قبل الدعاية الصهيونية ، فما ان تطأ قدم المستوطن أرض الميعاد المزعومـــة ، حتى يستيقظ على صفارات الانذار، وحالة الفزع المسيطرة على المجتمع اليهـــودي في اسرائيل ووصف كذلك محاولات "كهانا" لترحيل الشباب العربي الى الخارج "(١)

وفي موضع آخر : وصف العامل العربي الذي يصادف المهانة، والتحقير من قبل صاحب العمل الاسرائيلي، فيجبر العمال العرب على المبيت داخل الافران، والمطاعم، والاقبية، وتوصد عليهم الابواب، مما سبب هلاك كثير منهم. ووجـه انتقادا لاذعا لبعض الادباء، والنقاد الذين اشرفوا على مهرجان الغناء العربي فــي اسرائيل، مع العلم بانهم لا يملكون مؤهلات تخولهم حق الاشراف على مثـــل تلك المهرجانات. ووصفهم بالمرتزقة الذين رموا انفسهم في احضان السلطة"٢"

وفي موضع اخر كذلك : وصف السلطة التي تغذي ابناءها بسموم الفكـر القاتلة، وصورت لهم العرب على انهم شعب ضعيف اتكالي، خامل، لا يحسب لـــه حساب. فقادتهم الى معارك عديدة مع الامة العربية. بدءا من عام ١٩٤٨ وانتهاء بحرب اكتوبر ١٩٧٣. وكان وبال هذه السياسة، فساد نظريتها، فجلبت لشعبها الوبال، وبلبلت خطاه، وقادته الى المأزق الحرج الراهن • ووصف موقف السلطة المتعنت من الاعتراف بالحقوق الشرعية لعرب فلسطين، فتقمع كل من يدعو لذلك، وتعتبره خائنا. فكل داعي سلام خائن يهدد أمن اسرائيل، ومستقبله • ويفسد علـى الصهيونية حلمها • ووصف العزلة الفاضحة التي أصابت اسرائيل في افريقيـــا القارة السوداء، والى التحول العظيم في قدرة الشعوب العربية على انتزاع النصر وتطرق لما نشرته الصحف الاسرائيلية عن الجنود المصريين الاسرى في ١٩٦٧ لتصفهم بالعاميين والعمال، ليذكر بما نشرته الصحف اللاسرائيلية انفسها) والصحف العالمية عن الجنود المصريين في حرب اكتوبر ١٩٧٣ ما مفاده: ان قرابة الخمسين بالمئة من الجنود المصريين هم من االاكاديميين. وتحدث عن التطور الهائل فـي الاعلام العربي، والتحول الايجابي، وبالمقابل التقهقر، والتخلف، والعجز الفاضـــح الذي أصاب الاعلام الاسرائيلي في حرب اكتوبر ١٩٧٣. ويستشهد سميح القاسـم

---

(١) سميح القاسم ليكن واضحا الجديد العدد ٧ سنة ٩٧٣ ص ٤—٦

٢) — سميح القاسم ليكن واضحا الجديد العددان ٨و٩ سنة ٩٧٣ ص ٧—١٠

بما قاله المعلقون الاسرائيليون .حيث قالوا : تعلم العرب منا كيف يشنون حربا ناجحة،ونحن تعلمنا منهم كيف ندير اعلاما فاشلا . ووصف الأعمال الوحشية التي قام بها جيش اسرائيل نحو الاسرى السوريين في حرب اكتوبر١٩٧٣.واشار الى مانشرته صحيفة "معريب" بتاريخ ٢٩/١٠/١٩٧٣)والذى نقلته عن"لوموند"الفرنسية ومفاده:ان الجنود الاسرائيليين اجبروا الجنود السوريين السير على الالغام ليفتحوا طريقا امام الوحدات الاسرائيلية .وشن هجوما من جديد على نقابة الكتاب العبريين،ووصفها بالعنصرية،والموالية للسلطة،والناطقة بما تمليه عليها"(١) هذه المضامين التي دارت حولها كتابات سميح القاسم النثرية في مجلة الجديد .

أعمال سميح القاسم المسرحية

===============

قدم سميح القاسم الى المدنيين والعسكريين من كل الاعمار مسرحية نثرية ذات اربع حركات مدروسة جيدا ،وحركة خامسة حتمية ،وهي :الموسسة الوطنية للجنون ـ م.و.ج"(٢)

شخوصها : رجل صنايعي ،وموزع،وموظفوا ادارة ،ورئيس الوزراء ،ووزير الدفاع، ووزير المالية،واصوات من الخارج تتطفل عليهم حبل افكارهم . الاصوات الحرة التي لم تنخدع بكذب ،ودنس الصهيونية ممن اختاروا مكانهم في صفوف الشعب الشرفاء. فالرجل الصنايعي صاحب الابحاث السيكولوجية ،يخطط لابحاثه ،وافكاره الجهنمية ، ويعرضها على الوزراء. فكل وزير يتصل بوزير اخر . والقصد من ذلك ،ليخدم سميح القاسم غرضه المنشود ، وهو اظهار الحكم الاسرائيلي بمختلف وزرائه ،وقطاعاته، وكأنها موسسة واحدة تسعى لهدف واحد ،وهو:خدمة الموسسة العسكرية موسسة الجنون والغطرسة العسكرية الذى يسعى الرجل الصنايعي لخدمتها .فكشف النقاب عن اللقاءات التي تمت بين الصنايعي الذى تشرف بزيارة من قبل رئيس الوزراء، وكل من وزير الدفاع ،ووزير المالية.ويجرى سميح القاسم بين الاربعة حوارا تتقلب في النهاية شخصية وزير الدفاع على رئيس الوزراء ،فيوافق رئيس الوزراء على كل مخططات وزير الدفاع ،ويقبل بأن يكون على رأس كل وزارة جنرال من العسكريين ممن اجتازوا دورات في خصائص الجنون ،وفوائده.واكد

---

١) سميح القاسم ليكن واضحا مجلة الجديد العددان ١٠و١١ سنة ١٩٧٣ ، ص٤ـ٨ ، ٦٦

٢) سميح القاسم الموسسة الوطنية للجنون من الجديد العددان ٩ و١٠ سنة ١٩٧٠ ،ص٢٧ـ٣٨

واكد وزير الدفاع لرئيسه:ان الشعب واع،ومستعد لاطلاق النار في اللحظة التي يطلب منه فيها ان يطلق النار.وهناك من يقدم لنا السلاح بالاسعار التي يختارها الوزير.

استطاع الصنايعي ،وموزعه ،واعضاء مجلس الادارة -اى الصهيونية العالمية- ان تضلل جمهرة اليهود، وتستقطبهم مقابل الرخاء المزيف، والمال من اجل الحياة، فدخلوا الموسسة الوطنية للجنون التي اعدتها السلطة لخدمة مطامعها التوسعية، وكان بالمقابل اصوات شريفة تحذر ،وتنذر من مغبة هذا العمل الطائش، ولكن حب السيطرة، تغلب على العقل، والواقع، فاتفق الصنايعي صاحب فكرة الموسسة ،ورئيس الوزراء ،ووزير الدفاع ، ووزير المالية على الاجتماع السرى المكتوم، لضرب المجانين الذين يرفضون الخدمات التي عرضتها عليهم الموسسة الموترة موسسة الامراض العقلية للجنون باشراف الصنايعي (الحركة الصهيونية) وقرروا ضربهم ليطلبوا بالامر الواقع وينفذوا خططهم .فاستيقظ المضللون ممن دخلوا الموسسة الوطنية للجنون على هول الصدمة ،وكثرة القتلى ، والدماء المراقة . فأرادوا الخروج من الموسسة العسكرية تلك ، الى الحياة، ليعودوا الى بلادهم بعد تضليلهم ،ولكنهم لم يستطيعوا • رفعوا امرهم للعدل، واذا بالقضاة يقبلون الرشوة ،ويقرون بعدل الموسسة وموقفها •

فوجيء الصنايعي بارتفاع عدد الضحايا، لاسيما وان الدول العربية ممن رفضت خدمات الموسسة، ولم تغرلها بالتفوق التكنولوجي المزعوم، ولم تسلم بالامر الواقع ازدادت قوة وتكاتفا ،واتحادا ما اذهل الصنايعي – الحركة الصهيونية العالمية والسلطة الحاكمة في اسرائيل المنفذة لمخططات الحركة الصهيونية وازدادت مقاومة المتطوعين لخدمة الموسسة، وصمموا على هجرها الى الابد ، ورفضها ، فتدخلت كل القوى التابعة للموسسة من شرطة ، وجنود ، لايقاف التظاهرة الاحتجاجية دون جدوى . فصمم المتظاهرون على الحياة . اكتفوا بالمال، وبدفع ضريبة الدم • استيقظوا على اطماع سادتهم زعماء الصهيونية ومخططيها ومنفذيها • يريدون العيش بسلام وحرية، لا يريدون التضحية اكثر، ولا يريدون دفع ضريبة دم اكثر ، لان الحق وراءه مطالب، لن يسكت صاحب الحق عن حقه، ولن تقبل الموسسة الوطنية واعمالها الارتجالية الغوغائية •سيقاوم، وسيقاوم، لينتزع حقه من يد الغاصب. لن يغمض له جفن ما دام الوطن، والكرامة ،والحرية مفقودة حتى من تطوع لخدمة

ملحوظة : مثلت المسرحية الموسسة الوطنية للجنون م٠ في حيفا بتاريخ ٣٠ / ٥ / ٩٧٠

المؤسسة الوطنية في جحيم مستمر ، مادامت هناك قضية شعب مظلــــوم.

كيف رد السرابي مندل على تلاميذه"[١]

كيف رد السرابي مندل على تلاميذه ،مسرحية نثرية لسميح القاسم فـــي ست حالات، والسرابي مندل كما جاء في مسرحية سميح القاسم — رجل عميــق الحكمة بعيد النظر ،كان يعيش في " كوتســك ". هذا الحكيم سأل تلاميــذه ذات يوم اين يسكن الله؟ فجاء جواب التلاميذ :ان الله يسكن العالم كلــه ، ولكن السرابي أجاب تلاميذه:ان الله لا يسكن الا في المكان الذى يســـمح له فيه بالدخول . جاء بذلك سميح القاسم ،ليفند مزاعم السلطات الصهيونيـــة التي تدعي بان لها في الارض الفلسطينية حق الهي موروث، ولكن الشـــعب الفلسطيني لم يسمح للاله بدخول أرضه ،وبالتالي لن يسمح بالصهيونيـــــة دخول ارضه ،فقرارها باطل كما قال السرابي مندل،— سواء ادركت الصهيونيـــة هذه الحقيقة ام لم تدرك .

يدور الحوار في المسرحية بين رضوان ، وشلومو ،والسيد عالم، والشرطي، رضوان المواطن الفلسطيني الذى سلبت ارضه ، وشلومو المستوطن اليهودى — القادم من بلاد اجنبية، ليسكن ارض فلسطين ،ليستولي على حديقة رضـــوان فكل منهما متعلق ومتمسك بالحديقة .ولكن شتان بين موقف صاحب الحق ،وبين موقف الدخيل المستبد . وعلى اية حال ، تمثل المسرحية ،صراعا بين موقفين متباينين ، وليس بين حقيــن .

فالمسرحية انتقادية ساخرة لاذعة نرى من خلالها التغلغل في الارض ومدى ارتباط المواطن العربي الفلسطيني والتصاقه بأرضه فهو يدعو لترميــم حديقته المغتصبة ،وللكفاح متمســك بأرضه ،لانه صاحب حق ، يريد التضحية في سبيلـــه .

تصور المسرحية الاغتصاب .فبرزت من خلال اشخاصها التفنن من قبل العدو في صنع السلاسل لتقييد الشعوب . فالصهيونية تتقن المناورة ،و تتقن الاستفادة من المآسي التي مرت على اليهود .فاستغلت المعتقل النازى في "بوخنفالد "

---

١) سميح القاسم كيف رد السرابي مندل على تلاميذه : مجلة الجديد ،العدد ٣ ســـنة ١٩٧٣ . ص ١٩ —٢٧

لانتزاع الحق الفلسطيني، وكسب تأييد، واستعطاف العالم.

تظهر السخرية بوضوح في المسرحية، عندما يعلن شلومو تمسكه بالحديقة بشدة، وعنف، ويعتبرها حقه منذ الازل. ويهدد رضوان صاحب الحديقة الشرعي بطرده من الحقل باسم قوانين الامم المتحدة، ليتدخل فيما بعد السيد عالم حتى يفصل بينهما ويفض النزاع. ويرى في تعاركهما على الحقل امرا تافها فيحتجان عليه بعنف. ويزداد العراك بين شلومو، ورضوان، ويهدد كل منهما الاخر باستقطاب الاعوان من اصدقاء، واخوان. ولما رأ السيد عالم منهما الاصرار على العارك؛ لم يجد بدا من ان يستغل هذا العراك لصالحه ... عليهما خدماته الجديدة، ليمدها بالسلاح، فيتسابق كل من رضوان، وشلومو على شراء السكاكين. بيع ممتلكاتهم، ليدفعوا للسيد عالم سعر السلاح بالسعر المناسب وهو الوحيد الذى يقدر الثمن.

ومن خلال المحاورة بين رضوان، شلومو استطاع سميح القاسم ان يكشف النقاب عما اصاب عرب فلسطين سنة ١٩٤٨. فكشف عن المذابح الداخلية في القرى الفلسطينية، وقصف الطائرات لها، وفرار الناس في كل مكان من النازى الجديد واستطاع كشف النقاب عن زيف ودجل الدعاية الصهيونية، وعنصريتها التي تشحن بها القادمين الجدد، وتصف فيها العرب بالهمجية، والتخلف، والتاخر كما اس استطاع ان ينفي احقية اليهود في امتلاك الارض - فلسطين - لأن الشعب الفلسطيني لم يسمح لاحد دخول ارضه، وبالتالي فحقهم الالهي المزعوم، ما هو الاهراء. كما جاء على لسان رضوان في محاوراته لشلومو.

يستغل سميح القاسم الوضع والاحداث في المسرحية، ليثبت انه لا يكره اليهودى كعنصر، وانما يكره الصهيونية، يكره كل من يحمل السلاح لمواجهته. فمثلاً جاء على لسان رضوان انه يكره "دافيد" الشرطي واستثنى "دافيد" الاخر الذى تضامن معه في العمل والذى قال :

"لا يوجد هنا يهودي وعرب يوجد حمالون مغبونون"(١)

---

(١) سميح القاسم كيف رد السرابي مندل على تلاميذه العدد ٣ سنة ٩٧٣ ص ٢٤
ملحوظة : لقد ورد في المسرحية كلمات عبرية استعملها باللفظ العربي مثل : "بوكرطوف" اي صباح الخير "زل عتسيور" اى الى العصفورة واورد اشعارا بالعبرية على لسان شلومو من وضع سميح القاسم، واثبت ترجمتها بالعربية في اخر المسرحية. وقال : انه لا يتحمل مسؤوليتها الا في اطار النص المسرحي، لانها ليست من وضع "بياليك" او "تشلونسكي" او "تشلبو نيخو نسكي".

وجه سميح القاسم في مسرحيته نقدا لاذعا للأعمال البوليسية التي تقوم بها السلطات الاسرائيلية اتجاه الفلسطينيين، للبحث عن الهويات، والتدقيق، والتفتيش، والمضايقات التي يتعرض لها المواطن العربي داخل اسرائيل، لان السلطات تشك بكل مواطن على انه مخرب يهدد أمن الدولة.

كشف القاسم النقاب على ان العربي الفلسطيني، لاسامي لمجرد، انه يرفض سحنة، ولغة، وحضارة المستوطن اليهودي. فالشرطي اتهم رضوان باللاسامية ولكن عندما انشده من اشعار "بياليك" هتف من اعماقه "برافو" يزعمون انك لاسامي لا والله، انك سامي.

كشف النقاب عن سياسة اسرائيل الخبيثة في التعليم، ومناهجه، عندما قال رضوان للشرطي: اعرف "حاييم نحمان بياليك" اكثر مما اعرف ابا الطيب المتنبي.

يرى الشاعر في هذا الصراع، على انه صراع بين موقفين وليس بين حقين فرضوان يخاطب شلومو قائلا: لماذا لا تعيش معي؟ وشلومو يخاطب رضوان قائلا: لماذا لاتعيش عندي؟ أوضح سميح القاسم من خلال المسرحية، موقف صاحب الارض الشرعي، وموقف الدخيل الذي جاء ليفسد على أهل الارض — احلامهم. صاحب الارض الشرعي يحب السلام. والمستوطن يحب السلطة، ويحب القتل لذات القتل، لانه يرى في قتل غيره حياة له. وبذلك استطاع سميح القاسم ان يكشف السادية التي يتمتع بها المستوطن الدخيل.

الابن (١)

مسرحية رمزية انتقادية، تتكون من اربع حالات. ابطالها طفل، وطفلة، وعجوز، وشيخ، ونا طور، وشاب، ورجال، ونساء. يهديها الشاعر الى بيرزيت التي هي الرامة عزاء واملا، والى كل قرانا التي هي بيرزيت.

تصور المسرحية حالة الفزع، والظلم، والرعب التي سيطرت على عرب فلسطين منذ سنة ١٩٤٨ حتى يومنا هذا، حيث انتشر الناس في كل مكان، وغادروا اماكنهم بلا انتظام، ولم يجدوا منفذا سوى الفرار، ولم يبق منهم سوى القسم القليل، الذي بقي منزرعا في أرضه، واما الذى هاجر خارج ارضه لم يهجرها اختيارا، وانما اجبر على الهجرة تحت الضغط الصهيوني وبفعل القتل.

(١) سميح القاسم: الابن، مجلة الجديد، العددان (٩و١٠) سنة ١٩٧٤، ص ٩-٢٧

صور القاسم الفارين الذين القوا بامتعتهم في البحر، والبر، ليستطيعوا النجاة بأنفسهم قبل ان تلحق بهم جحافل الاعداء، ويأتي الشاعر ليصل الى الحوار الذي دار بين الذين بقوا صامدين ليلوموا انفسهم، لماذا لم يغادروا الوطن ؟ لان العدو سيتفرغ اليهم بعد ان يفرغ من ملاحقة اخوانهم، ولكن قسما كبيرا منهم، يخالف هذا الرأي، والاعتقاد، وصمموا على الثبات، لان فيه الخلاص، والامل. وسيأتي اليهم من ينقذهم، الا وهم ابناؤهم ممن هاجروا ديارهم، ولم ينسوا ارضهم. ويسير بنا القاسم حثيثا حتى يحدثنا عن المنقذ فيحدثنا عن الشاب الذي دخل ساحة القرية، وهو يمتطي صهوة جواده، واخذ يطلق النار في كل مكان، ليخرس أصوات العدو وطلقاتهم، ليعيد الحياة الى أهله في الأرض، فيستبشر الاهل خيرا. ويدور حوار بين الرجال والنساء كل يدعي ان هذا الشاب ابنه، وابن زوجته، فيأتي شيخ مسن ليفهمهم انه ابن القرية جميعها التي اعاد اليها الحياة من جديد، بعد ان اسكت أصوات الكلاب النابحة التي نهشت لحوم ابناء القرية.

فسميح القاسم : يتصور الخلاص على ايدى الشباب الثورى ابناء فلسطين، ممن امتطوا صهوات جيادهم، وحملوا بنادقهم، وقلوبهم عامرة، تنبض حيوية ونشاطا، معبأين بالايمان الصادق، والتصميم الحي، لانقاذ الوطن من الضياع، فلم تعد تنبيهات الناعور، اوغيره ذات فائدة امام التخدير سيقطع هؤلاء الشباب كل امل للعدو الغاصب في البقاء على أرض الوطن التي طالما دنسوها — بأفعالهم البربرية من قتل للابرياء، وتدنيس الاماكن المقدسة، وانتهاك للحرمات وحصد للارواح بالات الدمار، وصب الفزع في نفوس الاطفال، والشيوخ والنساء.

ولقد عمد سميح القاسم اثناء الحوار في المسرحية الاستشهاد بالمدائح والاناشيد الشعبية التي اعتاد اطفالنا انشادها في العابهم، مثال ذلك: شتي، شتي وزيدى ... بيتنا حديدى، عمي عبد الله . كسر الجرة، وهكذا، وسأختار الحوار الذي دار بين ابطال المسرحية في الحالة الرابعة، لأعطي فكرة عن المسرحية وصاحبها.

الحالــة الرابعـــة (١)

=============

الساحة نفسها ،وقد تم تنظيفها ،وترميم المنازل المحيطة بها . الجدران مطلية بالابيض الساطع ،والابواب والنوافذ مطلية بالاحمر الفاقع.على عتبة منـزل العجوزين أبريق ماء جديد . في مقدمة المسرح ـ الساحة-باقات من الزهور، وفي مدخل الزقاق الايسر قوس نصر من أغصان الزيتون والسنديان . اذا امكـن الامـر فانه ينبغي أن توضع باقات الزهور ويبني قوس النصر امام عيون الجمهور) وان يدخل المثلون بالاغصان ،والازهار من بين النظارة،وان يطلبوا من بعـض الناس المساعدة في انجاز العمل . الطفل والطفلة يندفعان معا الى الساحة في قفزات ،وصيحات مرحة يجلسان متقاربين جـدا هذه المرة،وينشـدان بالعامية :

الطفل : شتيّ شتيّ وزيدى
بيتنا حديـــدي
عمي عبد اللـــه
كســـر الجـــره
ضربـــه ســـيده
بيتو بـــــرة .

الطفلة : عمي عبد الله ... كسر الجرة . اجت بنتو زهور ....
لملمت لكســور .. واجا ابنووليد .. جبّرها من جديـد
الله يسلم ايدو.. ورضى عليه سيدو

الطفلان معا : زعرتولوا النـاس
وعملوا عرُس عراس
وصـار عنا عيــد
أسمو عيـد وليـــد
وشتيّ وشتي وزيدي
بيتنا حديدى

(يكركران بالضحك ،ثم يصمتان فجأة ، وينظران عبر قوس النصـــر)

الطفلة : هل تراه ؟ انه هناك/انظر ياه ما أجملـه !

---

(١) سميح القاسم الابن مجلة الجديد . العددان ٩و ١٠ سنة١٩٧٤ص٢٦-٢٧

الطفــل . . اجل ، اراه ، على ذلك السفح الاخضر ، انه مستند الى جذع سنديانة كبيـــرة . انظرى كم يشبه جذع السنديانة اياه . لا اعرف اى منهمـا الجذع ؟ واى هو وليد ؟

الطفلة : وها هو حصانه الابيض ، انه في بياض تلك الغيمة وما أصعب ان — اعرف ايهمـا الحصان ، وايهما الغيمـــة .

الطفلان معا : انه يتحرك . ينزل إلينا . يأتي الينا . (يصفقان ويقفزان فرحا) سيأتي ، سنراه (يسمعان وقع خطى من الخارج فيلتفتان مستطلعين . يدخل الشيخ والعجوز في ثياب جديدة جميلة ومرتبة ، مغمورين بشعور طافح من السعادة والحيوية) .

الشـــيخ : آها ايها الوالدان الجميلان ، هل رأيتما عريس الزيتون .

الطفلة (بحماس) رأيناه . وليد ، عريس الزيتون . اجل رأيناه .

الطفـــل : رأيناه هناك (مشيرا الى السفح) ، ثم اتى الينا عبر هذا القـوس . وحين وصل الينا هنا سلم علينا وقبلنا .

الطفلـــة : اعطانا عصفورا حيا ، ورغيفا . اطلقنا العصفور . و ... الرغيف .

العجوز (بالهفة) الم يقل اى شيء آخر ؟ الم يترك لي رسالة ، اوياسمينة .

الطفل (بلهجة متمذرة) لم يقل اى شيء آخر .

الطفلة : وواصل السير حتى اختفى بين الناس (مشيرة الى الجمهور) . اختفى فيهم (متفحصـــة وجوه الجمهور) انهم يشبهونه كثيرا .. يشبهونه كثيرا ..

الطفـل : وكان من حوله ثلاثون فارسا . في يد كل واحد تفاحـــة حمراء ، وعلى كتفـه طائر احمر .

الطفلـة : وكانت رؤوسهم مكللة بالحبـــق والنعنـــاع .

(يسمع وقع خطر من جانبي المسرح ، ثم يدخل بعض الناس رجال ، نسـاء ، واطفال يتكون جو احتفال اوعيــد)

رجل (١) هل رايتمـــوه ؟

الطفلان : رأيناه ثم اختفى ، هناك (يشير ان الى الجمهور) .

رجل (١) بل هو ابني انا .

ملحوظـة : لقد ... الحديث عن سربية جديدة لسميح القاسم موضوعها ثالث اكسيد الكربون في الملحق ص ٣٢٣ — ٣٤٣ وكذلك مسرحية موضوعهـا — المغتصبة وهي من الاعمال المستجدة للشاعر ص ٣٤٤ — ٣٤٦

العجوز : لقد قال : انه ابني هو نفسه قال ذلك.
الشيخ : لا تختصموا ، انه ابننا جميعا . ابن هذه القرية التي اعاد اليهـــا الحيــاة.
الطفلان (مستذكرين) آه صحيح نذكر ذلك .. نذكر حين سلم علينا وقبلنا وقال : " انا ابن قريتكم ابن هذه القرية " ثم ودعنا ، واختفى هناك بين الناس.

" ستـــار "

أضيف الى الرسالة لوحة تبين فيها تسلل مؤلفات سميح القاسم تاريخيًا في نهاية الفصل الخاص بآثاره وسأبدأ بالآثار الشعرية ثم بالنثرية .

الاثـــار الشعريـــة :

١) مواكب الشمس : واوفست الحكيم/ الناصرة سنة ١٩٥٨ .وهو الديوان الاول للشاعر.
٢) اغاني الدروب : الحكيم/الناصرة سـنة ١٩٦٤ م.
٣) ارم : حيفا / مطبعة الاتحاد التعاونية سنة ١٩٦٥م
٤) دمي على كفي : مكتبة المحتسب القدس سنة ١٩٧٣ ، وكان قد صدر سنة ١٩٦٧
٥) دخان البراكين : منشورات مكتبة المحتسب/القدس سنة ١٩٧٤ ، وكان قد صدر بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧
٦) ويكون ان يأتي طائر الرعد : دار الجليل للطباعة والنشر ، عكا ١٩٦٩
٧) اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل : واوفست الحكيم/ الناصرة ١٩٧٠
٨) قرقاش — مسرحية شعرية : دار الاتحاد التعاونية حيفا ١٩٧٠
٩) قرآن الموت والياسمين : مكتبة المحتسب/القدس ١٩٧١
١٠) الموت الكبير : منشورات الكتاب الجديد ط ٢ حيفا ١٩٧٣ ، وكانت طبعتــه الاولى في بيروت : منشورات الآداب ١٩٧٢
١١) مراثي سميح القاسم دار الاداب بيروت ١٩٧٣
١٢) الهي الهي لماذا قتلتني (سربية) : مطبعة الاتحاد التعاونية حيفا ١٩٧٤

أما آثاره الشعرية كما جاء في الجديد كان ترتيبها كالآتي :

١) كيف استولى هنري على المطعم (مسرحية شعرية) : مجلة الجديـــد الرابع ١٩٧٠ ص ٢٧—٣٤
٢) مجموعة من الاشعار المعادية للحرب : مجلة الجديد/العددان الثالث والرابع ١٩٧١ ص ٣٤— ٣٦ .

٣) يوسف واخوته — قصيدة من مراثي سميح : مجلة الجديد : العدد العاشـــر سنـة ١٩٧٢ ، ص ٣٠٥
٤) الكرنفال الدموى — قصيدة — مجلة الجديد ، العددان الرابـــع والخامس ، سنة ١٩٧٤ ، ص ٤٥
٥) جناز في ثلاثاء الرماد — قصيدة — مجلة الجديد ، العدد ، الحادى عشـــر ستة ١٩٧٤ ص ٥—٦
٦) الوصول الى جبل النار قصيدة — مجلة الجديد ; العدد ، الحادى عشـر سـنة ١٩٧٤ ص ٧
٧) مقطع من ثالث اكسيد الكربون سيرة بريطافور قصيدة العددان الاول — والثاني سنة ١٩٧٥ ص ٦—٧
٨) مقطع اخر من ثالث اكسيد الكربون من سيرة بريطافور العدد الثالـــث سنة ١٩٧٥ ص ٦—٩
٩) مقطع من ثالث اكسيد الكربون — سيرة بنعون — العدد ، السادس سنة ١٩٧٥ ص ٢٨—٣٤

اما آثاره النثرية فقد جاءت كالآتـــي :

١— عن الموقف والفن : دار الاداب ، بيروت ، سنة ١٩٧٠
٢— من فمك ادينك : عكا ، منشورات عربستك ، مطبعة الناصرة ، سنة ١٩٧٤
٣— هموم الاسناء و لاحسناء : الاتحاد . العدد ، ٣٥ / (٣١) بتاريخ ١٢/٩/٧٤ ص ٤ رقم عم ٩ ، ٢
٤— هموم : وقفة صحيفة الاتحاد : العدد ، ٣٩ / (٣١) بتاريخ ٢٧/٩/٧٤ ص ٤ عم ٧ ، ٨

اما كما جاء في مجلة الجديد فكان كالاتـــي :

١— كثع كونغ : الجديد . العدد ، الاول سنة ١٩٦٦ ص ٢١— ٢٢ ، ٣٣
٢— الى انباء كفر قاسم (ترجمة في العبرية) : الجديد . العدد ، العاشر سنة ٩٦٦ ص ٢٥
٣— قاية الطفولة : الجديد . العدد ، الاول سنة ١٩٦٧ ص ١٨—٢١ .
٤— برج بابل : الجديد ، العددان ٧ و٨ سنة ٩٦٧ ، ص ٣١—٣٢—٣٤ .
٥— برج بابل : الجديد . العدد ، العاشر سنة ١٩٦٧ ، ص ٣٤— ٣٥—٣٩—٤٠
٦— برج بابل : الجديد . العدد ، الحادى عشر ١٩٦٧ ص ٢٥—٢٦

٨ــ حديث الشهر : الجديد ، العددان ٢ و٣ سنة ١٩٧٠ ص ٣-٦
٩ــ حديث الشهر : الجديد العدد ، الرابع سنة ١٩٧٠ ، ص ٣-٥
١٠ــ ثالثة الاثافي : الجديد ، العدد ، الخامس سنة ١٩٧٠ ، ص ٣
١١ــ لقاء مع سميح القاسم شهر امتد ثلاثة اشهر — الجديد ، العدد ، الثامن سنة ١٩٧٠ ص ٢١=٢٤
١٢ــ الموءسسة الوطنية للجنون (مسرحية نثرية) : الجديد ة ، العددان التاسع والعاشر ص ٢٧-٢٨
١٣ــ شهريات : الجديد ، العددان ، الاول والثاني سنة ١٩٧١ ص ١-٤
١٤ــ بلاد الصمت : الجديد ، العددان ، السابع والثامن سنة ١٩٧١ ص ٨ — ١١
١٥ــ الثورة الثقافية : تجربتان وحصيلتان : العددان ، التاسع والعاشر سنة ١٩٧١ ص ٨-١١
١٦ــ ليكن واضحا : الجديد ، العددان ، الرابع والخامس سنة ١٩٧٢ ص ٣-٦
١٧ــ = = : الجديد ، العدد ، السادس سنة ١٩٧٢ ص ٣-٦
١٨ــ = = : الجديد ، العددان ، السابع والثامن سنة ١٩٧٢ ص ٣-٧ — ٦٢
١٩ــ ليكن واضحا : الجديد العدد التاسع سنة ١٩٧٢ ص ٣-٩
٢٠ــ ليكن واضحا : العدد ، العاشر سنة ١٩٧٢ ص ٣-٥
٢١ــ ليكن واضحا : الجديد ، العدد ٢ الثاني ، سنة ١٩٧٣ ص ٤-٥ ، ٤٧
٢٢ــ ليكن واضحا : الجديد ، العدد الثالث سنة ١٩٧٣ ، ص ٤
٢٣ــ كيف رد الراى مندل على تلاميذه مسرحية نثرية ، الجديد ، العدد ، الثالث سنة ١٩٧٣ ص ١٩-٢٧
٢٤ــ ليكن واضحا : الجديد ، العدد ، الرابع سنة ١٩٧٣ ص ٤-٥ ، ٤٧
٢٥ــ ليكن واضحا : الجديد ، العدد ، الخامس سنة ١٩٧٣ ص ٤-٥
٢٦ــ ليكن واضحا ، الجديد ، العدد ، السادس سنة ١٩٧٣ ص ٥
٢٧ــ ليكن واضحا : العدد ، السابع سنة ١٩٧٣ ص ٤-٦
٢٨ــ ليكن واضحا : الجديد ، العددان ، الثامن والتاسع سنة ١٩٧٣ ص ٧-١٠
٢٩ــ ليكن واضحا : العددات ، العاشر والحادى عشر سنة ١٩٧٣ ص ٤-٨ ، ٦٦
٣٠ــ مقابلة مع سميح القاسم عن مجلة افكار الاردنية : الجديد ، العدد الثالث سنة ١٩٧٤ ص ١٢ — ١٤

٣١ - الابن مسرحية: نشرية الجديد، العددان/ التاسع والعاشر سنة ١٩٧٤
ص ١١ - ١٢ - ٣٨
٣٢- المفتصبة (مسرحية نشرية - الجديد - العدد، الرابع سنة ١٩٧٥ -
ص ٨-١٣ •
٣٣- تعقيب من سميح القاسم على كلمة عطا الله : الجديد. العدد الثامن/
سنة ١٩٧٦ ص ٧٧-٧٨ •
بالاضافة الى حديث سميح القاسم للغدير عن تجربته في النضال والصمود
الغدير : العدد الاول/تشرين الاول - سنة ١٩٧٢ ص ١ رقم ٢
(١ ، ٤) •

الفصــل الثانـــي

المؤثرات الخاصة والعامة على سميح القاسم منعكسة في شعره

لسميح القاسم، حياة ادبية خاصة به ، تخضع لمؤثرات خاصة وعامة. تأثر بأحداث لها صلة وثيقة بحياته في عصره ادبه ادب مقاومة، ورفض، وتحد . التزم بهذه المواقف، من اجل نصرة القضية ونشرها على الملأ .... فكيف تجلت هذه الحياة الادبية بوجهيها : الخاص والعام في ادب سميح ؟ — وكيف تسربت ملامحها الى تجربته الشعرية والنثرية وآرائه النقدية ؟

سأجيب عن هذه الاسئلة، من خلال الاركان الستة التي تؤطر هذا البـــاب .

المؤثـــرات الخاصة :

لعبت اسرة سميح الواسعة علما، وثقافة، دورا مهما في تثقيفه وتأديبه وتوجيهه . فقد تلقى علومه الدينية عن جده : لامة، العالم بأمور الطائفة الدينية. ووقف والده يوجهه، ويناصره في كل ما يكتب عبر ايام حياته المصيرية، وكان له بهذا، فضل على سميح ، بان لا يهجر الاوزان الشعرية التقليدية، كغيره من غالبية شعراء الأرض المحتلة "١" كما عاش بين الوفاق في الرأي الفكري والادبي مع اشقائه وشقيقاته، حينا، والاختلاف حينا اخر "٢"

حياة سميح: مليئة بالاسفار المتصلة التي تركت في نفسه ابعادا مختلفة ، لانها صادفت عقلا صافيا، وقلبا واعيا، وشعورا قويا سريعا . فأسفاره مكنته من الاطلاع على أحوال الشرق والغرب، ومكنته الاتصال باجزار العالمين العربي والاجنبي ، ومكنته من التزود بالثقافة الاوربية الحديثة "٣"

---

١) عرفت ذلك من سميح في مقابلة شخصية معه في بيته، بشارع عباس، بمدينة حيفا . بتاريخ ٢٧/٩/١٩٧٤

٢— عرفت ذلك من سميح في مقابلة شخصية معه في بيته بشارع عباس بمدينة حيفا بتاريخ ١٣/٩/٧٤ واكدهلي في لقاء اخر في حيفا بتاريخ ١٨/٣/١٩٧٥

٣) راجع اتصالات سميح القاسم الداخلية والخارجية والموتمرات التي اشترك فيها .

تأثر سميح القاسم بالحوادث التاريخية التي جرت في زمنه ، ابتداء من حرب ١٩٤٨ (عام النكبة)، وانتهاء بحرب اكتوبر، عام ١٩٧٣ والاحداث المستمرة الى يومنا هذا "(١). فثقافته الواسعة ومنادمته لرجال العلم ، والفكر، والفن، والادب، على اختلاف نحلهم ومذاهبهم ، وصفاته الشخصية والنفسية وطبيعة نفسه الحساسة، كلها انعكست آثارها في شعره.

بلدته الرامة قرية رجال الفكر والادب، هي التي انجبت الشاعر "ناصر جريس عيسى" الذى اشتهر بلقب المعلم ناصر، والذى هجر موطنه في عصر نكبة الشعب الفلسطيني، ولجأ مع من لجأ الى لبنان، حتى وافته المنية وهو في الثمانين من عمره، فأسهم في تأسيس الرابطة العربية في عكا ، حيث شن حملة شعواء على الطائفية والعائلية، داعيا للوحدة القومية، لمواجهة الخطر الداهم . واشترك مع الكاتبة أسمى طوبى في ندوة ادبية حول تحرير المرأة في حيفا . والقى قصيدة طويلة "يستنهض بها الشاعر فتاة العرب للنضال الى جانب الرجل ويذكرها بماضي المرأة العربية المجيد . مستعيدا اسماء النساء العربيات الرائدات.

---

(١) راجع الحياة السياسية على الارض الفلسطينية وخارجها من هذه الرسالة .

(٢) راجع الجديد : من طارق التراث، المعلم ناصر — شاعر من الرامة، العددان ٤—٥، سنة ٧٤، ص ٤٦ — ٤٦

وما جاء في القصيدة قوله

فتاة العرب عذرك ان تهدت ... بروق الشعر اوقصفت رعود

فأختك في رمال البيد كانت ... بأنفاس الصبا ابدا تجود

كما وجه المعلم ناصر قصيدة الى الشاعرة فدوى طوقان بعد وفاة شقيقها الشاعر ابراهيم طوقان قائلا :

ودعته بلوعة واكتئاب ... حرة النفس والحجا والاهاب

والقى في حيفا قصيدة امام جمهور من شبيبة الحركة الكشفية في المدينة مطلعها

سيروا فقد وضح الطريق ... والليل اعقبه الشروق

في ٢٢/٣/١٩٤٥، عقد الاجتماع العام الاول لتأسيس رابطة الشبيبة الرامية التي وجدت في صفها خيرة ابناء الرامة من مختلف الطوائف ومن قصيدة القاها المعلم ناصر في تلك المناسبة قوله :

لرامتي يا انت الاجنة ... مرتع للاسد ، ورد للظبيا

في عكا، وفي عام ١٩٤٥ اقيم احتفال في ذكر المولد النبوى الشريف القى الاستاذ ناصر قصيدة مطلعها :

هذى الاهازيج ملء السهل والوادى ... هي البشائر يوم المولد الهادى

كل هذه الظروف بالاضافة الى حياة سميح على الارض الفلسطينية المغتصبة حياته الادبية والصحفية والانتاجية ، ومواهبه الفطرية ، وارتقاؤه في الطبقة العليا من الناحية الفكرية والاجتماعية وبيئته في المدرسة وعمله في سلك التدريس المدني والعسكري وحياته بين الجنود في وحدة الاقليات ، وعمله عاملا يدويا في المنطقة الصناعية بحيفا ... استطاع من خلالها ان يلفت انظار كثيرين من اذكياء الشباب والشيوخ ، فاتخذ منهم بطانة من المحبين والمعجبين ، والمناصرين للحقوق ، فانعكست آثارها بوضوح على حياته الادبية "١"

فهو ينضح غيظا وحقدا على السلطة ، لن ينسى افعالها ، لن ينخدع باراجيفها واباطيلها ، سيبقى الحزن مخيما على قلبه . فالحرية ، والثورة ، والضحايا البريئة ، ستجذب وجهه ، ستجذبه بالنداءات الخفية . سميح ينادي الموت لا يرهبه يرى فيه الحياة والبعث "٢" ليشيد قصوره عبر المآسي ، والاحزان ، عبر الحوادث الجسام التي حلت بشعبه المنكوب ، ويعود للتاريخ الحديث ليكشف عن ثقافته الدينية ، لتظهر واضحة جلية متأثرة بثقافة اسرته .. فيأخذ من قصص القرآن الكريم نبراسا لهدايته نحو ما يبقى ليحقق ما يريد ، ليصل لنجاح مقصده "٣"

المؤثرات العامة :

ترعرع القاسم في فلسطين ، قضى فيها طفولته وعذابه والأمه وآماله . فيها ذكريات الطفولة المشحونة بالمرح والعبث واللهو والشقاوة ، وحنين الام ، وشفقة الاب وحنو عما ، فيها عاش ، ومنها تغذى ، وهي موطن العلماء ، وموئل الادباء ، ومحط رجال الوافدين من رجال الفكر والثورات والفتوحات وملتقى نزعات فكرية جمة منذ اقدم العصور حتى يومنا . وهي قلب العالم العربي النابض بالحيوية والنشاط وموطن الديانات السماوية الثلاث : الاسلامية ، اليهودية ، والمسيحية ، ومحج اهل الاديان . تهفو اليها الافئدة ترنو اليها الانظار ، وتتعلق بها المشاعر . تصارعت عليها قوى الظلم والجبروت على مر العصور . داهمها الغزو الهستيري المتمثل بالاستيطان اليهودي العنصري ، وانتزع اهلها بمعاونة الامبريالية العالمية .

---

١) راجع ادباء معاصرون رجاء النقاش ص ٢٦٧ — ٢٦٨ وتعليقه على رفض القاسم للاخوة بينه وبين الاسرائيليين ... الخ

٢) انظر الى قصيدة انادي الموت ديوان البراكين سميح القاسم ص ٨٥

٣) م . ن : ص ٨٦

فلسطين نقطة الصراع في منطقة الشرق الاوسط،تمتاز بجمالها الذى يأسر القلوب،وموانئها ومرافئها الجميلة ، وشواطئها الدافئة بأشعة الشمس الذهبية ، ومناخها العذب ، ومياهها الصافية،وبحيراتها الرقراقة،وجبالها الشامخة ، رمز الخلود . منها انطلقت ضربات الثوار للغزاة .

شهد سكانها انقلابا عاما في مختلف نواحي الحياة،بسبب تبدل الحكم ، وتصارع القوميات،والامم عليها . فامتزجت المذاهب،واختلط الحابل بالنابل "(١)" وطغى نفوذ الصهيونية ،فعم الفساد،والتشرد ،والحرمان ... وظهرت الثورات ضد التخلف ،والجمود،مطالبة بالحرية،والعدل ،والطمأنينة ،والمساواة . كل ذلك اوجد مجتمعا مضطربا،تتباين نظرات اهله الى العبثواللهو،والمتع،والالام ــ والشقاء ،والعذاب،والامال المرجوة على اقدار متفاوتة من الاحتشام،والتشرد ، والمجسون ،والتبذل . جوبهوا في عاداتهم،وتقاليدهم ،وتمالبهمطمس معالم حضارتهم،ونسخ تراثهم التليد ،لابعادهم عن قوميتهم الاصلية ،واستبدالها ــ بقومية زائفة تروج لها السلطات الصهيونية تدعمها الامبرالية العالمية ، لحفظ مصالحها ،وترسيخ اقدامها ،فشهدت البيئة،اضطرابا في الحياة السياسية ، والاجتماعية ،والثقافية ،والعقلية ،في غمرة هذه الاحداث تفتحت عيني سميح القاسم على بلاده فلسطين،وعي تماني آلام الاحتلال ،والتشرد ،والابتزاز ، والقهر ــ والجبروت،والترحيل ، وذل السلطة المستبدة . رأى فلسطين وشعبها ــ ترزح تحت اعباء الجهل،وخرافات السلطة في تعمدها لكسب جماهير الدروز في صفها ، ولاضعاف موقفهم في البلاد المرهبة . فتح عينيه ، ليشهد على الطبيعة،ما تبذله الصهيونية لمناصرة التأخر،والجمود ومحاربة التحرر،والثقافة،ليرى سماسرة الضمائر الذين يحاولون التغطية على اعمال ــ السلطة،واحتلالها ، حفاظا على مناصبهم التشكيلية ،يعملون جاهدين لترضية ابنائهم،واخوانهم ،للمثول امام السلطة ،كالعجزة المستضعفين ،ولقبول الامر الواقع.عاصر هؤلاء الاذناب،من دعاة الجهل،والجمود،والتعصب والخرافات ، سميح ، يعيش نضال شعبه الذى ارخص النفوس في سبيل نيل حريته واستقلاله ، ولا يزال يعيش هذه الفترة من حياة شعبه المريق في صراعه المحتدم مع الاحتلال . يرى الانتفاضة الفلسطينية بثورتها الرائدة التي تزعزع ثقة اسرائيل وأمنها . يرى الصراع المتمثل بين الذل والعبودية وبين الحياة

---

(١) العبارة متداولة بين الجمهور يستشهدون بها عندما تختلط عليهم الامور

والموت ، وبين النور والظلام . وعى سميح القاسم هذا الدور البطولي لشعبه ، وتشله ، وهضمه . فاذا هو روح الشعب الفلسطيني المقاتل من اجل الحرية والحياة الحرة والعيش الكريم . سميح يتذكر ذكريات شعبه ، والآلام المعهودة . يتذكر عهد فلسطين مع كل القوميات ، والامم التي سكنتها وتصارعت عليها لسلبها من اعلها . سميح في " ذكريات بعيدة "[1] يرى فلسطين ، الوطن الاصلي التي خبرت وجوعنا منذ القدم من عهد نوح امنت بوجوعنا هكذا تصارعت عليها القبائل . من عهد نوح رضيت برواد القبائل ورضيت بخرقوة الجلاجل ، وهكذا يكسر الجديد المستحدث ، ويشيخ بسرعة ، وتبقى الشباب والحيوية للاصلي ، للحق الخالد . فالدوالي كبرت ، واللوز شاخ ، وبقي القديم الحقيقي خالداً ، فالزيتون خالد معمر ، والحق خالد ، واصحابه خالدون .

فسميح القاسم في غمرة القتل ، والخنق ، والسجن ، والارهاب ، والاعتقال ، والهدم ، نشأ ، وبذلك صرخ ، ومن اجله ضحى بالعمل ، بالعيش ، بالحياة ، يصرخ سميح ملء فيه موجها خطابه للاحرار في كل مكان من المعمورة ، في قصيدته " أحكي للعالم " يحكي فيها عن الظلم ، والتخلف ، والفساد ، ويعرض ما يعانيه الشعب الفلسطيني من الاضطهاد ، والتخلف من جراء اعمال السلطة ينتقل ، ليتحدث عن الدمية (أسرائيل) ، صنيعة الاستعمار ، ويوجه حديثه لابنته الجارة (فلسطين) التي اهملتها واتهمتها العربيات ، لم تستطع زيارتها وانقاذها .

في هذا الجو العاصف نشأ سميح ، وترعرع .. فاعتصرته القضية . وتغذى بلبنها ، حتى الفطم .. فأصبحت فلسطين ربابته ، ومعبودته .. عليها يعزف ، وبها يتغنى ، ولها يثور ، وبها يهدأ ، ويطمئن .. اشعاره صورة صادقة من نفسه ، واحساسه العميقين فالوطن ، والوطنية تتراءى له من بين قضبان السجن الرهيب المفروض على كل مواطن شريف ، المحاصر بكل القيود . ماذا عمل سميح للخروج منه لاسماع صوته ؟ هل استطاع ان يبلغ صوته للاخرين ؟ وعل طبع شعره بطابع الالم ، والحزم ؟ كيف شق طريقه الشعري ؟ وما هو الارتباط بين البيئة والتجربة الشعرية ؟

---

(١) سميح القاسم ، دخان البراكين ص ١٢٤ — ١٢٦ .

الفصـــل الثالـــث

تجربـة سميح القاسم الشعرية الاولـى :

سميح القاسم إنسان، والانسان هو الانسان مهما تغيرت الظـروف وتحولت المقادير والمعايير، فهو دائما يحاول الحفاظ على موقعه الانساني، يحافظ على انسانيته الحقّة، ولكن الانسانية متطورة، نظرا لتطور الظروف والاحوال، وهي ظاهرة طبيعيّة تكشف عن اصالة حقيقته تكشف عن صاحبها، وعن تحوله بالتجربات احداث العصر، والحياة الادبية المعاشة، فالانسان لا يعيش في برج عاجي بمنعزل عن الاحداث، والا يكون بذلك قد حكم على نفسه وعمله الادبي بالموت، وهو على قيد الحياة، فالانسان العامل، من يثبت وجوده، ويخدم انسانيته من خلال خدمة الانسان، اينما كان، في نصرته له، وللحق ومعاداته لكل باطل، وطبيعي ان يتغير الانسان، وان يصعد قدما مسايرا ركب التطور الحضاري، والانساني ... وان يصعد سلم المجد بما يفعله، والقاسم مثلٌ حي لهذه الشخصية المتطورة، في تجربته الشعرية، ونضوجها منعكسة على آثاره، مما ساهم مساهمة قوية وجادة لإسماع العالم صوت الضمير الانساني نحو فلسطين .. لينظروا الى الاوضاع، والاحوال المعاشة على الساحة الفلسطينية ....

فتح سميح عينيه على صورة المأساة التي امتزجت بدمه ولحمه، مأساة شعبه العربي الفلسطيني سنة ١٩٤٨، يتذكر دائما، ملامح الرعب التي كانت تملأ وجوه الجنود، والضباط العرب الهاربين الى الشمال والشرق بلا نظام، امام الغزو الصهيوني، كانت المنابع الاولى لحياته الشعرية، حكايات الجدة، والاناشيد الحربية، والشعبية، بالاضافة الى الروايات، والقراءات الدينية.

وما غذّى تجربته الشعرية الاولى، اطلاعه على أدب الرعيل الاول من شعراء فلسطين، أدب ابراهيم طوقان، وعبد الرحيم محمود، وبرهان الدين العبوشي، وحسن البحيري، وعبد الكريم ابى سلمى، والمعلم ناصر، وغيرهم، ومن شعر هؤلاء، وضع يده على مأساة الشعب، وعلى دائه وسره، وتطورت، حتى اصبحت فلسطين زاده، ومعاده، وروحه، ونبضه، وحياته الادبية "١".

(١) عبد الحليم الهلالي : الرسالة الخاطئة ، ١٩٩٠م .

تمثلت تجربته الشعرية الاولى بديوانه الاول " مواكب الشمس ". اذ جاءت قصائده كلها حسب النظام الكلاسيكي – الشعر العمودي – فكتب عن الحرب والعامل، والمطر، وكان التعبير فيها واضحا، بعيدا عن الرمز، مما سبب له عنتا ومضايقة من السلطة الاسرائيلية، فصادرت ديوانه، وساقته للخدمة الاجبارية، وطردته من سلك التدريس المدني، وبانتهاء هذه المرحلة، بدأ القاسم مرحلة جديدة، مرحلة النضوج الادبي والشعري .

نضوجه الشعري :

مر القاسم في تجارب كثيرة ومتعددة نتيجة لاعماله المختلفة وعلاقاته الشخصية. فأمدت سميح القاسم بخبرات واسعة في مقارعة الاحتلال والتصدي له، وكشفت لعينيه زوايا، وامورا كانت خافية، فوضع يده على بيت الداء، واتصل بالاحرار، والمفكرين، من بين الشعبين العربي، والاسرائيلي . وبدأ نضاله المرير مع السلطات، وانعكس نضاله على شعره ، فقصائده كلها مليئة بالتحدي، والصمود .

تأثر سميح القاسم وادب بيرون وشيللي ، وبودلير "١" وتأثر بأدب الواقعية الاشتراكية، والتزمه منهاجا، وعملا، لاسيما وانه ماركسي يساري لينيني ، واطلع القاسم على الادب العبري من منبعه، بالاضافة الى قراءاته ومطالعاته الخارجية، لاسيما الانكليزية منها .

واجه القاسم فئات مختلفة في المجتمع الاسرائيلي منها : عناصر حاقدة على العرب، وعناصر حيادية، وعناصر مناصرة للحق العربي، فتركت هذه العناصر ومواجهتها اليومية والحياتية، تأثيرها على فكره، ونفسيته، وظهرت آثارها واضحة على شعره وادبه .

دفعت الاحداث في العالم العربي عامة، وفي الساحة الفلسطينية خاصة، وعلى وجه التحديد، احداث حزيران ١٩٦٧ سميح القاسم، الى الاشتراكية العلمية "٢" وبذلك، وصل سميح الى مرحلة جديدة في النضال، ودخل القاسم مرحلة التوحيد الجسدي، والعقلي والنفسي، والشعوري والعفوي، والعقيدي، في قضية شعبه ووطنه فلسطين "٣" .

---

١) راجع ص ٢٢٨، حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين، د . هاشم ياغي .
٢) راجع لغته وثقافة وقراءاته، ص ٧٤، حيث اخبر في ذلك في مقالة له في بيته بحيفا بتاريخ ٢٨/٢/١٩٧٥

...

اكتمل في هذه الفترة البناء الفني ، شكلا وصورة ، وغرضا ، وموسيقى ، واسلوبـــا ، وروحا ، وجسدا ، ومضمونا وموضوعا . خبر العبرية وفهمها . ادرك ما يطلبه الجمهور وما يرفضه . احب فنه ، واخلص له الوفاء . ازداد تعلق سميح القاسم بالانسان والحرية ، والالتصاق بالارض يتمرس بمقارعة ومنازلة اعداء الامة العربية ، من اجل فلسطين احب ومن اجلها كره ، يهاجم الاصدقاء قبل الاعـــداء اذا ما انحرفوا عن طريق النضال ، وانزلقوا وراء المناصب التمثيلية واللقمة المغمسة بدنس الصهيونية والممرغة بشرف وكرامة الشعب العربي والفلسطيني المظلوم . يقابل الموت بنفس شجاعة لا يخشى المنية في سبيل الحرية رأى ان قدر الامة العربية والشعب الفلسطيني العظيم المكافح الموت الكبير في ظـل التراجعات الدولية استطاع من خلال قدرته الفنية في اعماله الادبية النفـاذ الى اعماق الشباب يدغدغ احلامهم وينمي روح المحبة ، والالتصاق بالوطـــن ، يزينه في اعينهم يعلمهم دروب التضحية ، والوفاء والشجاعة ، باسلوبه الايحائي الجميل ، فكان يلجأ الى الاسطورة ، والرمز ، والمثل فيوصله الى التعقيـــد .

لم يلجأ القاسم للاسطورة والحكايات الشعبية عبثا ، كان همه كسب ثقة الجماهير والمستمعين والنفاذ الى اعماقهم ... هدفنا ان تصل الى قلوب الناس بأساليبنا الجديدة ، وباستخدام ما ابدعه الشعب من انغام وصياغات شعرية "١"

...

لجأ القاسم للرمز ليفلت من الرقابة بعد ما ضيقت عليه الخناق ، ولعـــله بالحكاية ، والمثل ، يربط العربي بتراثه التليد ، انه شاعر الوطن ، والجماهيـــر ، يشعره ينبض حيوية ، وحركة وايحاء ، ويشع نورا ، وريحانا ، ويقذف نيرانا ، وغساقا في وجه الظلم ، والجمود ، المتمثل بالسلطة ، والاحتلال البغيض .

شديد التغني بالوطن وتاريخه ، وجهاد رجالها العرب ضد الغزاة . فالوطن يعرف وجه ابنائه العرب منذ عهد نوح . فسميح يهتف قائلا من عهـد نوح ، امنت بوجوهنا "٢" يشير بذلك الى الحق التاريخي لابناء فلسطين فـي وطنهم المغتصب وظهرت ملامحه وتجربته الادبية الناضجة بوضوح في اعماله

---

١) هاشم يافي : حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين ، ص ٢٣٢
٢) سميح القاسم : دخان البراكين - قصيدة ذكريات بعيدة - ص ١٢٤-١٣٦

الادبية والفنية المتأخرة مثل : الموت الكبير ، مسرحية قرقاش ، الهي الهي لماذا قتلتني ، وغيرها اكتسبها من ممارسته وحياته الادبية ، والنضالية والعربية، والصحافية ،ممزوجة بنفس اصحابه، ورفاقه في النضال، والعمل .. بهم يقوى، وبه يشمخون ، بهم يحتمي، وبه يفاخرون ، فصرخ القاسم متألما للمذابح الدموية في العالم في كل مكان واسف للكرامة المهدورة، والإنسانية المذبوحة(١).

ونظرة عميقة فاحصة الى الاثار الشعرية التي اتحف بها القاسم المكتبة العربية ،والقصائد المتنوعة التي ملأت صفحات جرائدنا، ومجلاتنا المحلية الادبية، والتي استاثرت باهتمام الادباء، والنقاد على حد سواء، في العالمين: العربي، والاجنبي ،ترينا مدى ماوصل اليه القاسم من نضوج في الشعر: منهجا وغرضا، واسلوبا ، حيث اصبح ذا فن شعري رفيع، يحسد عليه من شعرائنا العرب، في العالم العربي الكبير. ومن هذه الاثار الشعرية .

مواكب الشمس، اغاني الدروب ،ارم ،دمي على كفي ،دخان البراكين ، ويكون ان يأتي طائر الرعد ، اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل، قران الموت والياسمين ،قرقاش ، الموت الكبير ، مراثي سميح القاسم، الهي الهي لماذا قتلتني ؟ كيف استولى عنترى على الملحم؟ مسرحية شعرية ، مجموعة من الاشعار المعادية للحرب، يوسف واخوانه قصيدة الكرنفال الدموى ،جنازثلاثاء الرماد — قصيدة الوصول الى جبل النار، قصيدة مقطع من ثالث اكسيد الكربون ، سيرة بريطافور — قصيدة مقطع اخر من سيرة بريطا فور — من ثالث اكسيد الكربون مقطع ثالث اكسيد الكربون، سيرة بنون .

اغراضه الشعرية :

من خلال رحلتنا ، وعرضنا ،وتناولنا لاثار سميح القاسم الادبية، واخص الدواوين الشعرية بالذات، يتضح لنا اغراض سميح القاسم ومعانيه الشعرية التي تنحصر في، تحديه للمحتلين، وافساد مخططاتهم العنصرية، والتصفوية . ورفضه لوجودهم على الارض العربية الفلسطينية، وصموده رغم كل المحاولات، محاولات القمع، والارعاب، والاعتقال ،والسجن، والتمنيي والحرمان، والتعسف التي تجريها سلطات الاحتلال على المقاومين لوجودها على ارضهم، بجانب ثبات سميح القاسم كالطود الشامخ ،وتعلقه بأرضه فكل ذرة من ذرات

---

١) راجع الباب الرابع : الانسانية في ادب القاسم .

ترابها ، وحصاصبها ،والتاريخ العربي ، مع الصور الحية النابضة لشاهد الكفاح الوطني له ،والاخوانه المقاومين العرب داخل فلسطين وخارجها ، كما يتضح للقارئ "مدى ما في شعره من مشاركة للشعوب ،والامم المغلوبة على امرها "(١)

افكاره ومعانيه الحزينة في شعره :

عاش سميح القاسم في زمن كان غريبا عنه في مجتمع يناصبه العداء تمثلت بالمضايقات ، والملاحقات ،والسجن ،والاعتقال وكبت الحرية .

عاش سميح القاسم في اجواء مصطنعة لم يألفها ولم يرد لها ، ان تنتشر لاسيما محاولة السلطات فصل ابناء الطائفة الدرزية عن الشعب العربي عامة ،وعن الفلسطينيين خاصة ،فهب مدافعا عن ابناء طائفته ، محذرا الشباب من مغبة الانصياع وراء هذه السياسة الخطرة" وبما ان السلطة تفرض حدودا وعقوبات قاسية على كلّ من يعترض سياستها ،وتمنع نشر الكلمة الجريئة وتعاقب من يحاول نشرها . وجد سميح القاسم نفسه في حيرة لا يدري ماذا يعمل ؟ وماذا عليه ان يفعل ،حتى يحطم الروتين ، فلابد له من ان يتخلص من هذه الاجواء المصطنعة . فلم يجد امامه سوى الانتساب الى الحزب الشيوعي الاسرائيلي ،ليستطيع نشر اعماله الادبية ، وليستطيع ان يوصل كلمة الحق الى اخوانه العرب ، في الداخل ، ليؤدي الرسالة النبيلة التي يمارسها ، لان الحزب ورفاقه فيه ، كفيلون بالدفاع على شخصيته .فمن اجل حقوق ابناء طائفته الدرزية ،وحقوق ابناء شعبه الفلسطينيين ، انضم الى طليعة المكافحين ضد القوى الظالمة ،فدخل الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، وقدم ورقة الانتساب اليه ،وهو في السجن، في حزيران سنة ١٩٦٧ ،ولعل رفيقه الدكتور اميل توما يصور ذلك حين يقول :"وجاء انتسابه الى الشيوعية ،حصيلة خبرة حياتية ، فكان اثره نمو جدلية داخلية ،كان من الطبيعي ان تغني مضمونه السياسي ، والفكري، ولعل من الصدق القول ان محطات سميح القاسم اقترنت بتطوراته السياسية ، والاجتماعية ،ولنضوج استنتاجاته من خبرته الحياتية ، وانفعاله باحداث البلاد ،والاقطار العربية ،والعالم ،وفي الوقت ذاته كان اختياره ادواته الهيكلية :القصيدة وشبه الملحمة ، والمسرحية ،تعبيرا عن محطات او وقفات

---

(١) انظر في الملحق تلاحظ فيه الاشعار التي تمثل اغراض القاسم الشعرية .

اراد ان يؤكد فيها الشاعر رأياما، او اتجاها "(١)، بعد هذه المقدمة ندلف لنتحدث عن افكار الشاعر، ومعانيه الحزينة في اشعاره، لما لها من علاقة مهمة في تجربته الفنية، لاسيما الشعرية منها .

فرضت الواقعية الاشتراكية على سميح القاسم مفهوما، يرى من خلاله ان المجتمع وعاء لتجربته الشعرية ، يكتسب منها تقاليده الادبية ويأخذ عمقها الخاص . يرى في تجربته الحياة ما دامت مطابقة للواقع ، ذات عطاء سخي ، تعطي محتوى جديدا، واشكالا فنية جديدة .

يعيش سميح القاسم داخل اسرائيل، بين مجتمع طبقي حاد، ومن هنا جاءت دعوته للنضال، واكتسبت كلمته الشعرية فعلها الثوري السافر، والنضالي الرائع للاضطهاد ، والحصار الثقافي، والمعاشي الذي يطوق الفلسطيني داخل اسرائيـــل .

تعمقت افكار سميح القاسم بعد الخامس من حزيران سنة (١٩٦٧)، واستمدت واقعيتها من التقاليد الثورية التي تتبناها الاشتراكية اللينينيـة، بالاضافة الى المنبع الاصيل، والمورد العذب النقي — اعني التقاليد الأدبية العربيـة في فلسطين، والوطن العربي الكبيــر .

سميح القاسم رجل يساري لينيني"، شاب طموح ، يؤمن بالعمل ، والعمل وحده فيه الخلاص ، يؤمن بالعطاء ، يؤمن بأهمية تأثيره الخاص والواسع على القطاعات الجماهيرية في المجتمع الاسرائيلي وخارجه .

ففلسفة سميح القاسم وفكرته في جوهرها استمدها من الفلسفة الماركسية اللينينيـة، يسترشد بالثورة اللينينية، بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية، يؤمن بالعطاء، والبذل السخين التي قدمتها لشعوب جمهوريات الاتحاد السوفيتي، والشعوب المتحررة في العالم. تعرس بالنضال. من هنا طبع شعره النضالي بطابع الالتصاق بالارض، والتحدي، والعنفوان، والقدرة على تكون الصـور وتنوعها ، لتكون التجارب النضالية وتنوعها في حياة سميح القاسم . وجاء — الحوار من مبدأ المراوغة للاستفادة من تجارب السابقين، وخبراتهم، جاء الابداع الشعري فتخلص من المباشرة في التعبير، ازداد تعلقه بالارض والانسان — والانسانيـة .

---

(١) د. اميل توما : مراثي سميح القاسم مرحلة هامة في اعمال الشاعر، الجديد، العدد ٢ ، سنة ١٩٧٣ ، السنة ٣ ، ص ١٧ .

شعر سميح القاسم، يشعر مقاوم، مغموس بالالم، والمرارة، يوشحه النضـال الثوري، والاحتكاك اليومي مع عناصر مختلفة الاتجاهات، والميول، والطباع ، فاكتسب شعره عمقا ايديولوجيا ، ولهذا، سارع ا . . للشعر الحر من بعد تعصب للشعر الكلاسيكي ، آمن بالالتزام، والفن من بعد معاوضته له ردحا من الزمن ، هكذا تغيرت التجربة، وتلونت، لان الاشتراكية العلمية التي يؤمن بها الشاعر، تؤمن بحركة التغيير، والتحولات اليسارية في العالم. وتضمضع قوى الظلم امامها ، فأذهلت الشباب الطامح لنيل العزة، والكرامة. فوجد فيها طريقة للخلاص ، حين يكتب سميح القاسم الشعر ، فانه يعبر بذلك عن روحه الوثابة، ويساريته المقاومة، شكلا ومضمونا .

ولعل خصائص شعر سميح القاسم ، داخل اسرائيل، تعكس افكاره — ومعانية الهزيمة المستمدة من تأثره بالاحداث العالمية، والسياسة العربية ، التي هي جزء من حياته النضالية اليومية التي يخوضها مع المعتدى ، ربما الحرمان من الوطن، والنفي، والفقر ، ومصادرة الاراضي، وكبت الحريات، والعنصرية والاضطهاد، والتضييق، واحكام الخناق على المواطنين الفلسطينيين، والتي انعكست في اشعار سميح القاسم، ودواوينه، خاصة مابعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، ماثلها لفكره اليساري النشيط .

فسميح القاسم، قلب الشعب العربي الفلسطيني النابض، والمحرك ، في مقاومته للسلطة، وفضحه لمؤامراتها الدنيئة الرامية لطمس معالم، وتراث شعب عريق .

هذه المبادئ ، لم تغير من وجه سميح القاسم القومي، لم تؤثر على تجاربه الفنية بصورة مغايرة لواقعة الاليم، بل زادته تمسكا بوجهه القومي .

ففي قصيدته لقاء المدينة "(١)" حينما يقسم برمل بلاده في جنوب اليمن ، عندما يصور بطولة المقاتلين ضد الدخلاء، عندما يصور وحشية وفظاظة الغازي، فانه بذلك يعبر عن وجهه القومي ، ويستمد منها القوة، والنضال ، والبطولة، والصمود في تجربته الفنية والالتصاق بحرارة الكلمة، وجاذبيتها، وبالارض التي امدته بغذائها الدسم الثمين، واثرها الفعال في التجربة

---

(١) سميح القاسم : دخان البراكين، ص ٢٨ .

والاثارة ,وفي النضال، والمقاومة، في التضامن والكفاح .

سميح القاسم مادي متمسك بواقعة المادي، يفضح الاضطهاد ' والعنصرية البغيضة,ومن الحس الطبقي ؛ كشف عن التناقضات في المجتمع الذي يحياه .

ومن القصائد التي تعكس بصدق وواقعية، الافكار، والمعاني ، والاخيلة القاسمية في ٥ حزيران "١" ولبيليانا بعتروفا "٢" الراعية "٣" . ودرب لينين عبر الحواس الخمس "٤" واناديالموت "٥" وهي تمثل الصمود في تجربته الفنية . والالتصاق بحرارة الكلمة، وارجها الفعال في الاثارة ,ليلى المدنية "٦"، التي تمثل الطابع القومي ، ولعلّ في بعض ما استشهدت من اعمال الشاعر الشعرية ، دليلا على افكاره ،ومعانيه ،ووحدته الفنية المتكاملة ،بعيدة عن التجزئة، بل صورة متكاملة ،كأنها لوحة فنية تفرّتها بد فنان بارع متمرس في انتزاع الصور الخيالية، ليحيلها الى حقيقة او شبه حقيقة.فهو سميح القاسم اليساري المرتبط بتراث اجداده ،وتشده اليها بعنف، وقوة، مما مكنه الثبات ، وعدم المغالاة للتنكر لمبادئه ، ومبادئ اجداده المسلمين . هذه تجربة سميح الشعرية.فما هي تجربته النثرية ؟ وما هي الفنون النثرية التي كتب فيها القاسم؟ وهل تمثل الصدق الحقيقي للتجربة الشعرية؟ .

---

١) سميح القاسم، ويكون ان يأتي طائر الرعد، ص ١٢٩–١٣٠
٢) سميح القاسم ; قرآن الموت والياسمين، ص ٢٤–٢٥
٣) سميح القاسم ; قرآن الموت والياسمين، ص ٣٠–٣١–٣٢
٤) سميح القاسم ; الموت الكبير ص ٥٠
٥) سميح القاسم ; دخان البراكين ص ٨٦
٦) سميح القاسم ; دخان البراكين ص ٢٨

الفصـــل الرابــــــع

سميح القاسم الناشــر

تجربتــه النثريـــة :

عرفنا سميح القاسم شاعرا ، ولابد من ان نعرفه اديبا ناشرا ،فتجربــــة سميح القاسم النثرية، لاتقل عن تجربته الشعرية ،فله يد طولى في هذا المجال. كتب في الفنون النثرية المختلفة من مقال وخاطرة ومسرحية ومحاضرة وبحث ولاقت — استحسان الادباء والنقاد، مثلما لاقت قصائده الشعرية. مثلما كان النضـال رفيق دربه في اشعاره فانه رافقه كذلك في اعماله النثرية . فجاءت اعمالــه النثرية صورة اصيلة تحكي لنا شخصية صاحبها .

عمل سميح القاسم في الصحافة في مجلة الجديد، والغد، والاتحـــاد، فاكسبته مهارات فنية، وممارسات فعالة في مجال المناورة، والمحاورة، ودرء الحدود بالشبهات.فاذا ما أمسك القلم اوجع، واذا انتقد وهاجم افحم، اصحابــــه عرفوا فيه الصراحة ،ووضوح الرؤيا، يحترمون رأيه، ويمطونه بــــه .

عرف سميح القاسم اساليب الصهيونية في معالجتها للقضايا التي تمــس المواطن، لاسيما وانه عمل في مجلة اسرائيلية ناطقة بالعربية في تل ابيــب (هذا العالم) برفقـة "اوروى افنيرى" صاحب المجلة وكان له فيها مقالا ت رئيسية يبدى فيها رأيه بصراحة ،ويدافع فيها عن القضايا الجوهرية والمصيرية. يهاجم المتطفلين ،ويمتدح الاحرار اصحاب الدعوات، والحركات النضاليـــــة . هاجم عبد القادر الجزائرى الداعية للسلام، الذى حضر لاسرائيل ١٩٦٦ ،ليصف مثاليتها، فهاجمه بعنف، وقوة، وحذر الجمهور العربي داخل اسرائيل من هـذا الناطق، والمعبر عن آمال الاحتلال . فجاءت كلمته راسخة في الاذهـــان، ولها مدلولاتها العميقة ،لاسيما وان صرخته من مجلة صهيونية، مما سارع في اتساع شقة الخلاف بين سميح ،وصاحب المجلة، انتهت بفسخ عقد العمل — بينهمـــا "١"

---

١) راجع ص ٢٤٥ من هـذه الرسالـــــة .

عرفت الصحافة مقالات سميح القاسم الجرئية، منذ سنة ١٩٥٨، عندما كتب مقالا مطولا، ابدى فيه رأيه بصراحة ووضوح، من الخلاف الدائر بين الناصر بين والشيوعيين في الداخل. حذرا وانذار فيه المواطنين، أن المستفيد الوحيد من هذه الخلافات هي، السلطة الجاثمة على اغلى ما يملك المواطن العربي الاصيل، ولا يزال قلمه السيال، يتحف المواطنين بأحسن المقالات، والخواطر، والمسرحيات، ولا يزال يكافح، ويناضل ضد الدعوات المشبوهة. فكتب اخيرا مقالا عن سناء حسن / الصحفية المصرية، التي زارت اسرائيل، لتروج فكرتها الداعية للاتزان والمعقولية بعيدا عن العواطف، والانفعالات. فهب سميح القاسم مهاجما اياها، ومحذرا الجمهور من الداعي الجديد. ومذكرهم بداعية السلام السابق "١" وله رسائل كثيرة في الاتحاد، والجديد. يرد فيها على عناصر يهودية تتهمه فيها بالتحريض، ليجيبهم على رسائلهم، ويكشف لهم الحقيقة المرة أنهم اغتصبوا حقوقا لم تكن لهم في الاصل، وشردوا شعبنا بريئا لا ذنب له، وجربتهم تكبر مع الايام والسنين، فتلا حق الشيوخ والاطفال في مخيماتهم، وحقولهم، تطاردهم الطائرات، والدوريات المسلحة، لتسحقهم، فهو من هذا المنطلق يهاجم السلطة ويدعو لتعريتها امام الرأى العام العالمي، وامام الجمهور الاسرائيلي المضلل، الذى ساقته الدعاية الصهيونية المفرضة من بلاد بعيدة، ليربض على حق ليس له.

فنونه النثرية "٢" تنوعت روافد كتاباته النثرية لتشمل المقال، والخاطرة، والمسرحية، والمحاضرة.

المقال: له فيه كتابات فنية عالج في مقالاته بعض الجوانب، التي يتصل بموضوع اهتمام الجماهير في الداخل. وكان يقدمها الى قارئيه بطريقة مشوقة. ظهرت فيها مهارته الفنية، وحذقه، وحرصه الشديد في اختيار المادة التحصيلية المتصلة بموضوعة الذى تناوله لمعالجته.

تعتمد مقالات سميح القاسم على الحكاية، والمثل، والاشارة الى جانب المادة التحصيلية ومن خلال قراءتي لمقالاته اتضح لي، انها شملت معظم

---

١) ورد ذلك في صحيفة الاتحاد تحت عنوان الاستاذ ولا حسن بقلم سميح القاسم العدد ٣٥ / ١٣٣١ ايلول سنة ١٩٧٤ ص ٤ عم ١، ٢ وسأعرض المقال في الملحق.

٢) سأستشهد بأمثلة لفنونه النثرية في الملحق.

الميزات الفنية التي يختص بها المقال • واتضح لي ان صاحبها لم يكـــن يكتبها الا بعد اعتمال، واختمار في ذهنه، تتغذى من ملحوظاته ومن قراءاتـــه المختلفة النواحي ، ومن خبراته الشخصية. فكانت مقالاته تجلو الفكرة الواحدة التي تدور حولها من جميع جوانبها • كان شديد الحرص على تماسكها وقوتها وعلى اقناع قارئة • تحدثنا مقالات سميح القاسم من شخصيته بمقدار ما تحدثنا من الموضوع ذاته ، وتبرز شخصيته في اسلوبه، وفي طريقة تناوله للموضوع وعرضه له، بالاضافة الى العنصر الذاتي، الذى يضيفه سميح من خبرته الشخصيـــة، وممارســته للحيــاة •

القصــة القصــيرة :
===========

من خلال مطالعاتي الكثيرة، ودراستي العميقة المتواصلة، لآثـــار سميـــح القاسم النثرية ،لم اتمكن من العثور على نتاج قصصي، لا طويل، ولا قصير، سميح القاســم • ولما سألته محاولا التعرف على ماذا كان لسميح نتاج قصصــــي، اجابني بقولــــه : " لا اذكر هذا كان لي اثر قصصي نثرى ، وانما كانـت لي رغبة حققتها في شعرى ،فالاسلوب القصصي جلي ، واضح في كثيـــــر من قصائدى الطويلة ، اذكر لك على سبيل المثال سربية ارم ، واسكندرون — في رحلة الخارج ورحلة الداخل، وحوارية العار، في دمي على كفي، وحواريـة مع رجل يكرهني، وهكذا "(١)

...

المسرحيـــة :
========

قدم سميح القاسم للمواطن العربي مسرحيتين نثريتيـــن كانت ترد في احداها بعض المقاطع الشعرية على لسان احد اشخاصهمـــا جاءت مسرحياته لتحمل النقص ،والفراغ في العمل المسرحي على الساحــــة الفلسطينية، فتشمل الحادثة، والشخصية ،والتعبير، ويجعلها الحوار المظهر الجسمي للمسرحية — والصراع — المظهر المعنوى •

اهتم سميح القاسم بالمسرح، لايمانه الشديد باهميته العطـــاء، والبذل والكفاح، لانارة الدرب للاجيال الصاعدة من ناحية، ولمعرفته معرفة تامـــة لا يشوبها غموض.ان للمسرح أهمية قصوى في حياة الشعوب، لانه يرتبـــط بالحياة اشد ارتباط ،ويتصل بها اتصالا مباشرا من الناحية الثانية ، لانه مــن

---

١) كان سؤالي له اثناء مقابلة لي معه يوم الجمعة في ٢٥/٤/١٩٧٥ بحيفـــا •

خلالها يعالج مشكلات الناس الحياتيــة والسياسية ،والاجتماعية، وما يصادفهــا من امور يومية ، او ما يتمثل في النفس الانسانية . فمن خلال مسرحيات سميح القاسم يستطيع القارئ ان يتمثل الاشخاص في ازماتهم وامالهم وازماتهــــم ، وصراعهم كما يتمثل افكارهــم .

المحاضــرة : قام سميح القاسم بالقاء المحاضرات في الجامعات التي زارها، والاتحادات النقابية ، والمؤتمرات التي اشترك فيها ، وفي لقائه مع الطلبــة ، والعمال العرب ، في الدول الاوربيــة ، والاشتراكيــة ، والرأسمالية . كان خلالها يحسن العرض ، والبحث والتحليل ، والدراسة . تناول من خلالها مختلف المواضيع التي تشغل المواطن العربي . تناول الموضوعات العلمية ، والادبية ، والاجتماعيــة ، والسياسية . صادفت محاضراته استحسان الجمهور ، لانها حظيت بالاحاطـــة والشمول والعمق مع البساطة .

الخاطــرة : لـ " سميح القاسم " كتابات تدور حول لمحة عابرة نحو فكرة خاطفة تعرض له بمناسبة حادثة اهاجت مشاعره ، لا تتجاوز عمودا في مجلــة اوصحيفــة ، اولنصف عمود . وعدف سميح القاسم من وراءها لفت نظر القــارئ الى الاشياء الصغيرة التي لها دلالات كبيرة في الحياة الانسانية ، والــــذي يطالع الجديد ، والاتحاد ، يرى من هذا الضرب الوانا كثيرة .

هذه التجربة تمثل العمق الحقيقي لتجربة القاسم الشعرية ، وهي امتداد طبيعي وحســي لها ، لانها تمدها بروافــد المعرفة ، وتقومها وتصميمهـــــا لتقيلها من عثراتها . . فالمعرفة بحر متنوع الروافد ، كلها تصب فيه ، لتؤلـــف منه الشكل المألوف له ، وتحافظ على بقائه فتجربة سميح النثرية بفنونها المتنوعة تخدم تجربته الشعرية ، وتسير بها قدما نحو التطور والانطلاق ، لمجالات ارحب وجملة القول : بلغ القاسم في اعماله النثرية مبلغا متقدما في التعبيــــر الفني الذي يحتوى الجرس المنغوم في الفاظ تصور التهتفات الروحية ، والهزات القلبية الحالمة لما تمتع به من تجارب سياسية ، واجتماعية في حياته وعــي ؛ المعالم الواضحة التي تشير الى امتيازه الفني في عالم الشعر ، والنثر ، ولمـــا يتمتع به ادبه من لون عاطفي تنضح بصدق الاحساس والتصوير الواقعـــي والشكوى ، والتألم مما اصاب الاهل ، والوطن في فلسطين . فجاءت اعمالـــــه الادبية بمثابة براكين من المواطف الثائرة ، لما يتصف به من الجرأة وسعــة

البطولة وحب الحرية والتغني بالالم والتضحية، والكفاح . فهو رجل الالم والجهاد في سبيل الحرية والاصالة .

والاصالة عند القاسم هي القاعدة الجذرية في جوهر انتاجه الفني . انساني يسمو فكره الى القيم والبحث عن غوامض الامور، ومحبة التعرف على اسرار الحياة، واستنطاق المادة الخرساء، ليستجلي المعاني الجميلة التي تكمن وراءها . كل ذلك هدفه تلمس المعرفة ورغبة في التزود . بمعلومات جديدة يدفعه اليها حب الاستطلاع والاستمتاع بفهم ما يدور حوله من احداث يلفها الغموض مما نحا جانبا وعرا في اسلوبه وعو الميل الى السرد المحكم، والاسلوب الانيق، والتعابير الجديدة، ممزوجة بحرارة لاذعة، وفيها انسانية تلمس القلب، وتحوى نقدا ادبيا يلم بالموضوعات العربية على الساحتين الداخلية والخارجية، وبالرجوع الى آثار القاسم النثرية التي اتحف بها المكتبة العربية، والابحاث النقدية المتنوعة التي ملأت صفحات جرائدنا، ومجلاتنا المحلية، والادبية، ترينا مدى ما وصل اليه القاسم من نضوج نثرى منهجا، وغرضا، واسلوبا، حيث تسنم مكانته الادبية بين ادباء العربية في العالم العربي الكبير ومن هذه الاشارة .

عن الموقف والفن، من فمك ادينك، عموم لاسناء ولاحسناء، وقفه وضانة، حديث سميح القاسم للغدير عن تجربته في النضال والصمود، كتغ كونغ، الى ابناء كفرقاسم ترجمها عن العبرية، غاية الطفولة، برج بابل، صفحات من مفكرة، حديث شهر، لقاء مع سميح القاسم امتد ثلاثة اشهر ، الموسسة الوطنية للجنون مسرحية نثرية، ثالثة الاثافي، شهريات، بلاد الصمت ، الثورة الثقافية تجربتان وحصيلتان، ليكن واضحا، كيف رد الربيمندل على تلاميذه مسرحية نثرية مقابلة مع سميح القاسم عن مجلة افكار الاردنية الا بن — مسرحية نثرية) المغتصبة — مسرحية نثرية —، تعقيب من سميح القاسم على كلمة الياس عطا الله بعد هذا القدر من تجربة سميح النثرية. تنتقل للحديث عن القاسم الناقد فما هي صلة النثر بالنقد ؟ وهل هناك ارتباط بين النقد والنثر ؟

الفصـــــل الخامـــــس

سميح القاســـم الناقـــــد

عرفنا القاسم شاعرا ،وناثرا. واننا الان نقف في هذا الفصل على جانـب من جوانب الادب فيه ـ اعني النقد . وسأبرز فيه المواقف النقدية القاسمية التي تناول خلالها ادباء مختلفين ،وقضايا شعرية على جانب من الاهميـة، ومفهومة لها .. لنقف على ثقافته المتنوعة الروافد، ولنتعرف من خلالها على مواقفه الوطنية اتجاه الاعمال الادبية ،وصلتها بالجمهور ،فما هو مـــــدى تأثير ذلك على الجمهور والحياة الادبية القاسميـة ؟

رأى القاسم في نزار كشـاعر :

تناول سميح القاسم نزار قباني في معرض اجابته عن سؤال وجهـه اليه مندوب صحيفة الغدير الادبي، عن رأيه في نزار كشاعر فقال :
" نزار من احسن شعراء البرجوازية العربية، وهو صائغ كلمات ممتـاز، من احسن صاغة الكلمة في التاريخ العربي. اما من الناحية الفكرية، فهو شاعر برجوازي. وهو ينكر ذلك، وطبيعي، ان الفكر البرجوازي ينعكس في شعره "١" ويعلل القاسم رأيه قائلا " كان طوال الوقت منشغلا لهموم البرجوازية، كالمرأة، والحب. اما هموم الجماهير، فلم ترد بفكره ابدا "٢" من هذه الزاوية يرى القاسـم في نزار شاعرا برجوازيا، لانه اعتنى بشؤون المرأة، ولم يعتن بشؤون الجماهير. شاعر لطبقة معينة. بعيد عن القضايا الجوهرية التي تمس المواطن العربي .

لم يغفل سميح القاسم ماذهب اليه نزار اخيرا، بعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧، عندما صب جام غضبه، وحقده على الانظمة العربية بشكل عـام، وعلى العرب كشعب. وتقدير سميح لهذا الموقف كما جاء على لسانه هو : ((بعد هزيمة سنة ١٩٦٧، خلقت عند البرجوازية العربية نوعا من عدم التصديق، ونوعا من الشعور، بانها تزول، لذلك كان من الطبيعي، ان يكون رد الفعـل عندها عنيفا جدا . لقد صب نزار حقده وغضبه على الانظمة العربية بشـكل

---

١) الغدير العدد الاول تشرين الاول ١٩٧٢، ص ٥
٢) م.ن ص ٥

عام /وعلى العرب كشعب))[١]" وتناول سميح القاسم عبارة نزار التي يقول فيها :
«نحن تافهون كقشرة البطيخ ، تافهون» معلقا عليها، ومبديا رأيه، ومخالفا فيها
نزار قباني قائـــلا :
" هذا منطلق غير قومي/ لاننا لا يجب ان نحمل الشعب كل المسؤولية.
فالمسؤول الاول الصهيونية ،والاستعمار ،والرجعية العربية، والتخلف العربـــي،
ولا يجوز ان نحمل كل العرب
ونقول : انهم تافهون .وان لا امل هناك حتى يكبر الاطفال العرب ، لان
الاطفال امتداد لابائهم/فاذا كان الاب ذليلا سيربى طفلة على المذلـــة.
هذه نظرة ميتا فيزيقيــة/لا ترى وحدة الاشياء والتفاعل بين الشعوب))[٢]".
ومن هذا المنطلق لايوافق القاسم " القباني " على رأيه باننا تافهون
كقشرة البطيخ .فالقا فيه في نظر سميح ،سينجب تافها ،لان الصغار يرضعون
لبان الكبار، بالاضافة الى بعض الظروف التي سببت هذه الويلات للامـــة
العربية ،لاننا لا نستطيع تقطيعها من اوصالها قبل البحث في مضامينهـــا
ومنابعها الاصليـــة .

رأى القاسم في معين بسيسو ككاتب وشاعر :
==============================

مدح القاسم معين بسيسو ككاتب ،وشاعر .ووصفه بالانسان الموهوب/والذكي
وانه عرفه شخصيا. ولكن القاسم يتعرض لمأساة معين في شعره قائلا :((معين
بسيســو انسان ذكي وموهوب لقد عرفته شخصيًا وربما يكون ذكاء معين هو
مأساته، فشعره تغلب عليه النثرية والعقلانية))[٣]".

ويأخذ القاسم مآخذ على افكار معين/ ويصفها بقوله " افكاره جميلـــة
ولكنها ،توضع في قوالب نثرية) وقلت لمعين :هذا الكلام شخصيًا، وتقبله الى حـــد
معيـــن "[٤]"
ويأخذ عليه كذلك اهمال الجانب الموسيقي ،والوجداني/ والابعاد العاطفية
في القصيدة.يقول القاسم في معرض ذلك:" هناك شبه كبير بين نثره/ وشعره
ايضا، فنثره مبني على طرافة التعبير اكثر مما هو مبني على عمق الفكــــرة.

---

١) الغدير : العدد الاول تشرين الاول ١٩٧٢ (ص ٥ عمـ ١
٢) الغدير العدد الاول تشرين الاول سنة١٩٧٢ ص ٥
٣) م.ن ص ٥

فهو يركز على الفكرة ،ويهمل الجانب الموسيقي ،والوجداني ،والابعاد العاطفية في القصيدة. والمقصود ليس شعره حتى ديوانه فلسطين في القلب وانما بعد ذلك» [١]

رأي القاسم في غسان كنفاني كمناضل واديب :

«وغسان كنفاني احمل له شعورا خاصا ،ليس لانه فلسطيني، او كمفكر، وانما ،لانه كان من اكثر المتحمسين لشعرنا في العالم العربي، الف كتابين عن شعرنا في الارض المحتلة ،ونشعر بتقارب شديد بين ادبه وادبنا » [٢] ويتحدث القاسم عن علاقته بغسان قائلا :

" وكان (غسان) يرسل لنا تحيات مسجلة على اشرطة، بواسطة صحيفتين اجانب ، وقد اوجد ذلك نوعا من العلاقة الشخصية ،واصبحنا نعتبره كأخ لنا ،وصديق حميم ، وليس رفيق نضال فقط» [٣].

اما رأيه في غسان كقصاص فقال : «انا اعتبره كأحسن قصاص فلسطيني، وادبه ثوري ملتزم، وممتاز من الناحية الفنية » [٤] ولكنه كان يحاذر ويخشى ان يسقط غسان في الخطابية ، والاسلوب الصحفي في الادب، ويقول في معرض ذلك :«عندما أصدر كتابه الاخير الرجال والبنادق، ارسلت له بان يحذر السقوط في الخطابية، والاسلوب الصحفي في الادب» [٥].

رأى القاسم في بعض الشعراء العرب داخل اسرائيل وفي الشعر المنثور :

رأى سميح في ديوان "ميشيل حداد" الاول وهو الدرج المؤدى الى افوارنا ،يقول فيه : " اليوم وبعد سنوات ـ كما قلت ـ أجد بين يدى مجموعة من قصائد الصديق "ميشيل حداد" في ديوانه الأول، الدرج المؤدى الى افوارنا ـ وحين اقول : ديوانه، فهذا يعني : انني اعتبر قصائد "ميشيل حداد" المنثورة شعرا ، بعد ان كنت، وفي نقاشنا التليد، قد اعربت عن رفضي لقصيدة

١) م٠ن ص ٥ ع ١٥ >
٢) م٠ن ص ٥ ع ٢٢ >
٣) م٠ن ص ٥ ع ١
٤) صحيفة الغدير العدد الاول تشرين الاول ١٩٧٢ ص ٥ ع >
٥) م٠ن ص ٥ ع ٢٢

النثر . لم يكن هذا التحول عندي اعتباطا، فقد اتيح لي خلال السنوات الاخيرة، ان اقرأ الكثير من نماذج الشعر المنثور، فبهرت بأصالة بعضه وعالتني صفاقة بعضه الاخر. واتضح لي، انني اخطأت حين وضعت الشعر المنثور في مواجهة الشعر الموزون. فالاصالة والزيف قائمان " هنا "، والاصالة والزيف قائمان " هناك " وبانتفاء الحدود النقدية بين الشكلين وباستتباب الامن والتعايش السلمي بينهما، تطرح القضية قشورها، ولا يبقى سوى مسألة الاصالة

والحذلقة ويتابع قوله: صحيح ان لديوان "ميشيل حداد" اهمية تاريخية، باعتباره اول مجموعة من الشعر المنثور تصدر في بلادنا، كما تقول: طوطئة طه محمد علي، والدكتور "شموئيل موريه". ولكن له اهمية اخرى، باعتباره نموذجا جيدا، لوضع الاصبع على مناطق الاصالة، ومناطق الحذلقة، ضمن غلاف واحد ولدى شاعر واحد. ويتساءل الناقد سومخ: وكيف كان ذلك؟ فيجب في قصيدته الاولى، (الاعداد ونزول المطر) يقول ميشيل حداد :

وحين تفتح ما نشاء،
نجد الحر لا يستدين افكارا .
يقبع الى جانب الشجيرات القصار،
يتملك عينيه ويبكي،
الى ان تكتمل الاعداد، وينزل المطر .

وفي قصيدة اخرى :
(لو اخطودون اغماء) يقول شاعرنا :
على كاهلنا عبء من التعابير
لو اخطودون اغماء؛
لنقضت المدينة من اساسها .
وفتحت في سياج الغابة بابا للفرج .

وفي قصيدة ثالثة :
أما انا ايها الترابُ الجاثم على لساني،
اذا قلت كل شيء، لطموني على اذناي
يدحرجوني على جدران الكتب،
ويطلبونا مني أن أكون أوروبيا

وفي المقطوعات الثلاث صوت واحد . فالشاعر يعيش أزمة معينة، ولكنه يوثر الا يستدين أفكارا — كما يعتقد — ولذا، يقبع الى جانب الشجيرات القصار ، وينتظر سقوط المطر ، ولأنه اختار الصمت ازاء ازمته، فانه يحس بعبء من التعابير على كاهله ، ويذوق طعم التراب الجاثم على لسانه . ويدرك الشاعر انه لو حطا دون اغماء، لاصبح قادرا على نقض المدينة من اساسها ، ولكنه يخشى أن يلطموه على أنيائه، فيقلص، وينكص على عقبيه، متوغلا في ذاته، مكتفيا بنجار القضية ، لا عن قناعة ورضى ، بل عن وجل وتهيب . ان الهروب في حد ذاته عالم خصب المشعر، ولكنه يصبح خطرا للغاية، اذا رفض صاحبه الاعتراف. وتشتد خطورته اكثر، فاكثر كلما حاول صاحبه تبريره، وتزيينه بفلسفة جميلة، تكتسب احيانا طابع النبوة المعذبة. و"ميشيل حداد" في مجموعته هذه شخصية مزدوجة فمن جهة يعترف بعجزه وهروبه .

من يصدمني بالحقيقة ؟
فاخر على شرار البلوط . .
لا أريد ان اشمّ رائحته
حتى لا احمل فوق طاقتي

ومن جهة اخرى ، تتجلى عن جرأة الاعتراف ، او تتخلى هي عنه ، فيكابر، ويزعم ان لا يَدَ له في الازمة ، وكل ما في الامر، ان عالمه الموضوعي هو المسؤول

" حينما احفر الارض، وانبش السماد ،
لابحث عن حقيقة ما ،
ارتطم باليأس الذى لا يجارى
بالباطل وبالمحتوم
هباء . هو الظلام والنور "

وفي قصيدته (الآمال وقمة الهوة) يعلن :

يامكبرى الاعراس
لينشد المطربون لحجارة الدار
جميعنا نجلس على الموائد
نحتسي النسيان، ونمضغ الحصير
عبدّوا الطريق واعقدوا الرايات
فالآمال الكبار لن تخفي قمة الهوة

وهنا ايضاً نصطدم بالمؤامرة التي يديرها الشاعر مع نفسه في محاولة يائسة لانقاذ عروبة او تبريره، ومنحه فرمانا شرعيا . ويتابع سميح القول : لا مجال هنا للاتيان بمزيد من نماذج الاصالة ، ونماذج الحذلقة ، ولكنني اود ان اؤكد على الفارق الملموس جيدا بين التجربة الاصلية ، والتجربة المفتعلة ، بحيث جاءت قصائد (الدرج المؤدى الى اغوارنا) متفاوتة الى مدى بعيد في قيمتها . واود أن اؤكد ايضا أن الحذلقة لا تقتصر على المضمون ، فهي تتعداه الى الشكل ، وتفرض نفسها عليه في جملة من قصائد المجموعة "١" .

ويقول ايضا عن ميشيل حداد :

" واذا كان الشاعر ميشيل حداد قد تورط في اكثر من قصيدة، لوقوعه تحت ضغط اكثر من شاعر واكثر من اتجاه ، فان اصالته العميقة ، والقوية في القطاع الاكبر من ديوانه اكسبت قصائده زخما عاطفيا وفنيا ، نرجو له ان يعلو ويفرض نفسه وتجرف جميع المعوقات المتناثرة في مجراه "٢". وستأتي تكملة حديث سميح القاسم عن ديوان ميشيل حداد عندما نتحدث عن حديث القاسم للادب الموجه والفن .

سميح القاسم ينصح صديقه لطفي مشعور :

================================

في معرض تناوله لكتاب لطفي (لكم انتم الجنة) تطرق سميح القاسم لصديقه لطفي مشعور في نقده لكتاب لطفي (لكم انتم الجنة)

---

١) محمد دكروب : عن الموقف والفن، حياتي وقضيتي وشعري صدر عن دار المودة في بيروت سنة ١٩٧٠ ، ص ٨٦-٩١
د . هاشم ياغي : حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين (قسم البحوث الادبية واللغوية - جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧٣) ص ٢٣٩ - ٢٤٣ .

٢) محمد دكروب : عن الموقف والفن ، ص ١٢-١٣
د . هاشم ياغي : حركة النقد الادبي الحديث ص ٢٤٣

فطالبة فيها ,ان يعمد الى توضيح رؤيته للحياة ،ووضوح الفكر، لان صديقه لم يلتزم اسلوبا معينا في نضاله ،وهو حين (دخل دكان المذاهب)،اصيب بخيبة امل من كل ما وجد فيه،ويعلق سميح القاسم على قول صديقه "الثوب الاحمر "،وما يعنيه فيه قائلا:" ولكنه كما قال لي لم يقصد (بالثوب الاحمر) المذهب الشيوعي ، بل قصد العنف ، ولكل امرئ ما نوى ، ولكن ،توضيح للطفي لخيبة امله ،لا يفضحني ،ولا يعفيه من قولي له : اذا اردت ان تكون مناضلا قويا وصلبا . واذا اردت أن يؤتي نضالك ثمرة ،فلا محيد لك عن عريقنا ،طريق الاشتراكية العلمية ،قيمة النضال الانساني في العالم اجمع ، وحتى الكتاب القادم ،اقول للطفي بكل محبة وبكل اخلاص:موفق "(١) .

ولقد مر ذكر الشاعر"نايف سليم" ،ورأي القاسم فيه ،والذى اعتبره فيه ،شاعر الفقراء والمسحوقين ،وانه متمرس في منازلة الاستبداد "٢" فلا مجال لاعادته مرةثانية

موقف القاسم من أعمال شعراء عرب ويهود داخل اسرائيل

من كلام سميح القاسم عن الفن والموقف،يتضح لنا رأيه في شعر الشعراء المبرزين . لقد حضر في حيفا امسية شعرية احياها احد النوادى الثقافية في المدينة ،وحين فرغ الشعراء من مهتهم . توجه عريف الحفل او الامسية يطلب من سميح القاسم ان يبدى رأيه فيما سمع ،وعلى رؤوس الاشهاد . فأبدى رأيه بعيدا عن اصول "الاتيكيت ،وسميح نفسه يقول:" فقد رحت رؤوس الاشهاد، وخسرت قلوب اولئك الشعراء "٣" . وتوجه سميح القاسم الى احد الشعراء قائلا : سيدى،قلت في احدى قصائدك:اسقطت الجره على الشارع،ولم تنكسر الجرة — ولكن الشارع هو الذى انكسر ،وانا اؤمن ياسيدى،بأن العمل الشعرى يتحمل مسؤولية ما ، وهي تحريك الملتقى عاطفيا وذهنيا ،وادخاله الى وضع نفسي ما لع ،ومثل هذه المهمة،تستوجب في القصيدة ان تكون اغنية عاقلة ، اوفكرة غنائيه ،ويؤسفني ان ارفض قصيدتك المذكورة،لانها فشلت في اداء هذه المهمة

---

١) د . هاشم يافي ،النقد الادبي الحديث في فلسطين ، ص ٢٥٤ — ٢٥٤
٢) راجع الفصل الرابع ،من الباب الثاني ص من هذه الرسالة.
٣) د . هاشم يافي ،النقد الادبي الحديث في فلسطين ص ٢٣٧

بالنسبة لي على الاقل ،ولا يظن احد اننا نتورط هنا في مسألة تمتّ الى المهقرية والابداع الخارق ،فنحن أمام :عملية ابتزاز واحتيال ،سرعان ما يفتضح امرها ،اذا واجهت قارئا جريئا لاتنقصه الثقة بالنفس،ولكنها قد تبلبل الملتقى المهزوز،الذى لايقف على ساقين قويتين ،وتدخله في محنة الشعور بالنقص تجاه هذا العمل الكبير،الذي عجز من الالتحام به ،والتغلغل فيه"١"

ويتابع سميح قوله : " وأذكر،انني عنفت الشاعر الذى كسرت جرته الشارع فقلت : هذه القصيدة تستحق مصيرا من اثنين ، الاعدام الادبي، أو السرير الجلدى في عيادة طبيب نفساني "٢"، ويخبرنا القاسم عن موقف صاحب القصيدة

الذي نهض وخاطبه يقول،" القصيدة رسالة توضع في زجاجة،وتلقى في البحر ، لتحملها الامواج الى عنوان ما،وقد تصل ، وقد لا تصل "٣"، ولكن سميح القاسم،هل اقتنع بهذا الجواب؟ لنرى ما يقوله سميح : " جواب جميل حقا ، وشاعريّ حقا ، ولكنه كزهرة الشمع لم يقنعني "٤" وما هو سبب عدم اقتناعه؟ الجواب على لسان سميح القاسم"٥"، ووجدتني فيما بعد اواجه جملة من الاسئلة تدور في نهاية الامر حول محور واحد ، هل ترتفع قيمة الفن بقدر تخلصه من جذور الواقع ، وانتمائه الى العالم الاخر ، عالم اللاّوعي ؟ وهل تقتصر مهمة الشعر،على اقتناص الهواجس الباطنية المتهخرة من القضية المطروسة، دون الوقوف على ارضها الصلبة ذهنيا ؟ وهل القصيدة حقًا ،رسالة توضع في زجاجة ،وتلقى في البحر،لتحملها الامواج الى عنوان ما ؟ وكيف نتجنب الازمة التي يواجهها شاعر القضية والجماهير،ممن يحس بالتناقض بين رغبته في تطوير تكتيكه الشعري ،وبين مستوى الاستيعاب الفني لدى المنوان الذى يكتب له ؟ وهل هناك أى تناقض عميق بين الفن والضمير،في العمل الشعري ؟ كل هذه التساؤلات ،نجد لها حلا كما مر معنا في حديثه عن ديوان ميشيل حداد،" الدرج المؤدى الى اغوارنا) .

---

١) م ،ن،ص ٢٣٧—٢٣٨

٢) د ، هاشم ياغي ، حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين ص٢٣٨

٣) م ،ن،ص ٢٣٨

٤) م ،ن،ص ٢٣٨

٥) م ،ن،ص ٢٣٨— ٢٣٩

موقف القاسم من اتهامات محمود عباسي والدكتور "شموئيل موريه" الموجهه اليه ولاخوانه . . . .

تعرض سميح للاتهامات الموجهة اليه، ولاخوانه الشعراء التقدميين، من الاديب "محمود عباسي" النائب الهستدروتي، ومن زميله الدكتور "شموئيل موريه"، ويرى سميح "ان محمود عباسي، قد انزلق الى مواقع لا يستطيع العودة منها، ويرد على تصنيفهما قائلا: اما المعتدلون = على حد الزعم — فهم اضراب محمود عباسي الذين يتهمهم القراء — كما قال عباسي نفسه — بانهم خونة وعملاء. واما القوميون المتطرفون، فهم اولئك الذين يجدون لهم منبرا في الجديد، والاتحاد، والغد، وهي للذى يعلم ولا يعلم صحف الحزب الشيوعي الاسرائيلي، القائمة الشيوعية الجديدة "١". ثم يتعرض لتحريض محمود عباسي وزميله شموئيل موريه بقوله:

" وامعانا في التحريض، يتأفف المذكور من كون العالم العربي يهتم بشعراء وادباء الفريق الاخر (القومي المتطرف)، ويترجم اعمالهم الى لغات شتى — بهدف الدعاية. ولقد وقع الاثنان في خطأين جذريين. فادباء العربية في اسرائيل، لا يصنفون الى معتدلين، وقوميين متطرفين، بل الى ادباء شعب يتبنون قضاياه، ويتكلمون بصوته، وادباء سلطة يزيفون واقع الشعب، ويكذبون، مقابل اجره تافهة "٢" ويعلل سميح موقف هؤلاء في تبرير خيانتهم الادبية برجوعهم في استنادهم الى حماية السلطة، وتضييق الخناق على مناوئيها. وبعد ذلك ينتقل القاسم ليوضح الخطأ الثاني "والخطأ الثاني، يتعلق بمسألة اهتمام العالم العربي بالادب التقدمي الانساني الذى ينتجه الشعراء والكتاب الشيوعيون هنا والوطنيون الديمقراطيون في اسرائيل. فقد اثبتت التجربة العالمية، والمحلية، ان الادب، لا تكتسب ملامحه الانسانية الاعمية التي تمنحه حق الانتشار بلغات شتى، الا اذا انطلق من قاعدة الجماهير الواسعة، حاملا عمومها وتشوقاتها الى العالم الاجمل والانقى "٣"

---

١) م٠ن٠ص ٢٥٥

٢) د ٠ هاشم ياغي : حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين، ص٢٥٥

٣) م٠ن٠ص ٢٥٥ ،

قضية النخل والتمر :

عمل مشترك لشاعرين: احدهما عربي، وهو: راشد حسين، والاخر عبري، وهو: "ناتان". وجه سميح القاسم انتقاده للعمل، لانه صدر في عصبية ولان القارئ العبري يستفيد من هذا العمل الممسوخ بفعل يد الرقابة، و[illegible] ولا يتكافئ مع النضال المرير، والعويل، للشعب الفلسطيني البطل، والذي عبر عنه الشعب، بأروع الاناشيد، والقصائد الشعبية. ومصدر انتقاد القاسم لهذا العمل، هو ما فعلته دار النشر "دفير" العبرية، من حذف، وتحريف، مما ابعد الاغاني الشعبية عن عفويتها التعبيرية، ويورد القاسم اعتذار الشاعر راشد حسين" بأنه فوجئ بالعمل، لان تغييرا كبيرا حدث، وحتى اخبار الكتاب لم تكن تصله بعد ان سافر للخارج "[1]. من هذا المنطلق، كان نقد القاسم لزميله، وصديقه الشاعر، راشد حسين. وللغفلة التي وقع فيها.

موقف القاسم مما يقال عن المدرسة الشعرية التي تضمه مع زميله توفيق زياد ومحمود درويش :

يبدي سميح القاسم تحفظه من هذه النظرية القائلة بذلك، فيقول: ". لا شك ان هناك ملامح مشتركة عديدة بيني وبين محمود درويش، وتوفيق زياد، غير انني لا اوافق على اعتبارنا مدرسة قائمة بذاتها، فنحن ننتمي الى اتجاه عريض، هو اتجاه الادب الثوري الانساني.

الذي اتفق على تسميته بأدب الواقعية الاشتراكية، وهي ليست مدرسة فنية بل اتجاه فكري، ينعكس بعمق، على اعمال اصحابه، اضافة الى ذلك، فنحن ننتمي الى حزب واحد ، ونمارس نشاطا مشتركا، واكثر من ذلك، لعلي لا ابالغ اذا قلت: اننا قرأنا الكتب والمراجع المحدودة نفسها التي كانت تتوفر لدينا "[1]، ويرى

١) م.ن.ص ٢٥٦ — ٢٦٢ .في هذا المصدر الحديث مفصل من سميح القاسم حول القضية.

٢) صحيفة الفجر، مقابلة مع مندوبها الادبي . العدد ٢٦ تاريخ ٣٠-٩-٩٧٢/

توفي في الاسبوع الاول من شباط في باريس اثر حادث اغتيال دبر له، ودفن في بلدته "مصمص" بتاريخ ١٠/٢/١٩٧٧ . وكان سميح القاسم احد الخطباء الذين رثوه وعددوا مناقبه.

سميح اسبابا اخرى جعلت النقاد ليتمسكوا بنظرية المدرسة المشتركة. ويعلل ذلك بقوله :

" بطبيعة الحال، فان العلاقات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية التي نشأت بعد سنة ١٩٤٨ من اهمها مثلا : المواجهة المباشرة واليومية مع مختلف العناصر الاسرائيلية، ودراستنا للغة العبرية، كل هذه الامور تركت تأثيرا معينا على فكرنا ونفسيتنا، ومن ثم، على شعرنا. فنحن نجاور شكلا علاميا، بل جاورنا بشرا بينهم الكثير من الامور المشتركة، او بينهم ايضا الكثير من التفاوت "(١). ويفلسف القاسم فكرته بقوله : فقد تعاملنا مع الانسان الاسرائيلي، سواء كان ممثلا لنظام الحكم، او ممثلا للمسحوقين تحت نير الصهيونية "(٢)

ويرى سميح القاسم اسبابا اخرى جعلت تشابها ملحوظا في شعر الشعراء الثلاثة منها : استمرار المأساة، واستمرار القضية الفلسطينية، ويقول في معرض ذلك :

" واستمرار القضية الفلسطينية، واستمرار المأساة، يجعل من قصائد الشعر او الفلسطينيين من الرعيل الاول، نماذج صالحة ليومنا هذا في معظمها، ونستطيع العثور على عناصر مشتركة بين قصائد ابراهيم طوقان، على سبيل المثال من "السماسرة" و"بيع الاراضي"، وبين قصائد شعرائنا الان. ولكن، لاشك في ان القضية اصبحت اكثر تعقيدا، والظروف المحلية، والعربية، هي الاخرى، اصبحت اكثر تعقيــدا "(٣)

ويرى سميح، ان هذه الظروف، انعكست على اعمالهم، وجعلتهم امتدادا للشعر الفلسطيني، بل لمجموع الشعر العربي، يقول القاسم "; وهذا ينعكس على اعمالنا، ويجعلنا — بطبيعة الحال — امتدادا ليس فقط للشعر الفلسطيني، بل لمجموع الشعر العربي . الصراع اليوم ، اصبح اكثر شمولا ، هو ينعكس في مجموع الادب العربي من خلال رؤية الاديب، القائمة على انتمائه الفكري على موقفه الجغرافي الاجتماعي. والمقصود، البلد الذي ينتمي اليه الشاعر، وموقعه الاجتماعي فيــه "(٤).

---

١) م ٠ ن ، ص ٤

٢) م ٠ ن ، ص ٤

٣) م ٠ ن ، ص ٤

٤) م ٠ ن ، ص ٤

نستشف من حديث القاسم ؟ ان قراءة الكتب المشتركة ، والظروف السياسية ، والاقتصادية، والاجتماعية ،ومقارعة الاحتلال ،والاحتكاك بالعناصر اليهودية المختلفة ، ودراسة اللغة العبرية، والانتماء الفكري ، والعقائدي ، واستمرار القضية الفلسطينية ، والمأساة ، جعلت من شعرهم تقاربا في الاتجاه العريض الذي ينحونه في مقارعتهم للسلطة ،بل لعله امتداد لشعراء الامة العربية ممن كتوى وأتهار الظلم ،والتخلف والعدوان ، ولعل القاسم يرى ان الاختلاف بينهما ،هو في طريقه التعبير ، والالتزام ، والالتصاق ، والتفرغ ،وصب الالفاظ في قوالبها الفكرية ،والتعبيرية .

رأى سميح القاسم في الادب الفلسطيني داخل اسرائيل :

ابدى سميح القاسم رأيه في الادب الفلسطيني ،واعتبره قائما ، وحقيقة واقعة ، وابدى، تحفظا نحو بعض الادباء ،والشعراء الذين يكتبون في الصحف المحلية التي تمولها السلطات الاسرائيلية .فهؤلاء ليس لهم اى اتجاه ليميزهم ، وهم ظاهرة هامشية ، ليس لهم .نفوذ ادبي يذكر في الحياة الادبية الفلسطينية . ففي معرض هذا يقول القاسم : " الادب الفلسطيني حقيقة واقعة .ولكن الى اى مدى هو مستقبل ؟ هذا يتوقف على مدى تأثر الشاعر وثقافته العامة لدينا على سبيل المثال شعراء ليس لديهم اى اتجاه يجعلهم مميزين .ونقرأ نماذج كثيرة لهم في الصحف المحلية ،ولاسيما التي تمولها ،وتدعمها السلطات الاسرائيلية . ولكن هؤلاء الشعراء ،ظاهرة هامشية ،ليس لهم اى نفوذ ادبي مهم في الحياة الادبية الفلسطينية "(١)

ويشير سميح القاسم الى ظاهرة بارزة ،وهي وجود ملامح مشتركة بين اعمال الشعراء العرب التقدميين في اسرائيل ،واعمال شعراء عرب خارج الوطن — الفلسطيني من شعراء الامة العربية ،امثال،نزار قباني ، والبياتي ، وغيرهم يقول سميح : بالمقابل ،نستطيع ان نلاحظ ان هناك ملامح مشتركة بين اعمالنا الشعرية ،واعمال الشعراء العرب مثل : البياتي ،ونزار القباني ، ومحمد الفيتوري وعبد الصبور "(٢)

وينبه القاسم الى قضية جوهرية ،وهي ؟ هل تتوفر حدود واضحة وحادة في المجال الادبي ؟ .وتعلق سميح القاسم خير دليل على هذا التساؤل .

---

١) صحيفة الفجر، العدد ٢٦ ،تاريخ ٣٠/٩/١٩٧٢م، ص٤ ، ع ١ ، ٢ ، ٢ .

٢) م ٠ ن ، ص ٤

اذ يقول : واريد التأكيد انه ليس هناك حدود واضحة، وحادة في المجال الادبي، ومهما تكن ملامح وسمات مميزة لنا ، فنحن نبقى جزءا من الحركة الشعرية العربية في الوطن العربي كله "١"

موقف القاسم من مفهوم ادب المقاومة :

لمست من سميح، اثناء مقابلتي له "٢" عن سؤال وجهته اليه، حول رأيه في أدب المقاومة، وهل أدب المقاومة بعد سنة ١٩٤٨ هو امتداد للأدب الفلسطيني السابق؟ فكان جواب القاسم، الرفض، فهو يرفض النظرية القائلة : بذلك، ويعلل رفضه، بأن الانقطاع الذي حدث في حياة بقية الشعب الفلسطيني المقيم على ارض الوطن داخل اسرائيل، لم يكن انقطاعا سياسيا فحسب، بل كان انقطاعا ثقافيا ايضا . وهو يقول ايضا: انه يحب ادباء فلسطين وشعراءها السابقين ولكنه، يعتبر الادب الفلسطيني مابعد النكبة، امتدادا للتجربة الادبية العربية كلها، ثم ان هذا الادب لايخلو من موثرات اجنبية واضحة المعالم، ك ...

وهو يقول ايضا : " ان اتساع حركة الترجمة والنشر، وتطور وسائل الاتصال في الوطن العربي، محت معظم الحدود بين فصائل الادب العربي ، وهو يرى في ذلك طمحا وحدويا مهما "٣" .

ويقول القاسم في مكان آخر: " ويزعم اعداء الثورة والانسان، انّ الادب العربي الثوري في اسرائيل، هو ثوري في مضمونه، ولكنه غير ثوري في شكله، مرة اخرى الشكل والمضمون، انهم يرون القصيدة، والقصة دلوا من الزنك تملأه نائرة ترابا، وطورا ماء، ويبقى دلوا من الزنك، حسنا، نتكلم كمعلمي المدرسة الابتدائية، العمل الادبي وحدة عضوية انه الانسان وجلده، فلماذا يحاولون استبدال جلد الانسان بجلد حصان ؟ "٤"

---

١) م ٠ ن ، ص ٤
٢) كانت المقابلة بتاريخ ٤ / ١٠ / ١٩٧٤
٣) م ٠ ن
٤) سميح القاسم : لكن واضحا، افكار على شاشة الرادار، الحزيراني، الجديد، العددان : ٤ و ٥، سنة ١٩٧٢، ص ٥ .

الأعمال الثورية في نظر سميح القاسم :

فالأعمال الادبية الثورية في نظر سميح القاسم، هي التي تسهم في تغيير الواقع البعيد عن تزييف الواقع الانساني، والحلم الانساني. وسميح يقول في معرض ذلك :

" ما دامت الأعمال الادبية التي يبدعها عندنا الشيوعيون وأصدقاؤهم الوطنيون التقدميون، تسهم في تغيير واقعنا ، فهي أعمال ثورية شكلا ومضمونا وهي هي : الفن الصافي الحقيقي ، لان الصفاء في الفن، هو الصفاء من تزييف الواقع الانساني، والحلم الانساني، وليس الصفاء من السياسة "(١).

الالتزام والفن في نظر القاسم :

كان سميح القاسم في بداية حياته الأدبية، يرى من المناسب ان لا يشارك الشعراء في العمل السياسي اليومي . بل كان يرفض ذلك بحماس شديد. ولنقف مع أقوال القاسم لتتضح لنا الحقيقة، ومفهومه في هذا المجال . فكتب في الجديد ما يلي " قبل ست سنوات بقدر ما تسعفني الذاكرة، كتبت في الاتحاد مقالاً تحت عنوان: شعراء الادبلوماسيون. ناقشت فيه فكرة اسهام الشعراء في العمل السياسي اليومي، وأعلنت رفضها بنزق وحماس شديدين . ومنذ ذلك الوقت اوصلتني التجارب الى عكس ما ذهبت اليه انذاك، واصبح واضحا لي، ان الشاعر الملتزم، لاسيما العربي الذي يعيش في اسرائيل بالذات، لايستطيع صرف النظر عما يدور من حوله، ولصق جلده واعصابه، وبالتالي: فانه لايستطيع الا أن يكون شاعراً ودبلوماسيا في الوقت نفسه . يكتب قصيدته، أو يخرج الى خصومة مدافعا عن كلمته، داعيا لما ترفعه من مضمون، ومؤديا ما تختزنه من حرارة. باختصار، لاتستطيع ان تقول كلمتك وتمشي، ينبغي ان تصحبها الى حيث تطمئن، الى انها تكن بذرة على صخرة"(٢). ووفق هذا المفهوم سار سميح القاسم في آرائه السياسية، وهو ما لمسناه بوضوح في آرائه، ومفهومه السياسي، كما مر معنا سابقا(٣)

١) مقابلتي له بتاريخ ٢٥/٤/١٩٧٥

٢) سميح القاسم: شهريات شعراء ودبلوماسيون. الجديد. العددان ١ و٢ سنة ١٩٧١ ص١

٣) راجع الالتزام والفن في حديثي عن ارائه السياسية ومفهومه السياسي ص١٥٠-١٦٩ من هذه الرسالة.

شغلت قضية الالتزام ومفهومها سميح القاسم ، وأجاب عن تساؤلات عديدة وكثيرة حول ذلك . ويجيب سميح عن ذلك بقوله " قضية الالتزام، يخيل لي أحيانا، ان تعبير الالتزام ما زال عندنا من غموض كثير ، يتساءلون : هل هو الالتزام بخط حزبي ؟ أم هو الالتزام بايديولوجيا عريضة؟ أم هو موقف انساني وجداني ؟ وجوابي : هو ان الالتزام ليس واحدا من هذه الامور . هو هذه الأمور جميعا ، ليس الالتزام معادلة رياضية اوشكلا هندسيا محددا، لكنه ليس كذلك بحرا بلا ضفاف، ان الالتزام هو الاهتمام الوجداني والعقلاني بقضايا الانسان والبيئة والعمل على تحويل هذا الاهتمام الى فعل . اداة المادة الفنية الابداعية ووجهته، تحويل الواقع واستبداله بأفضل منه . على ان تقرر أفضليته المقاييس العلمية الثورية التي تنسجم مع حتمية التغير التاريخية "(١) .

يجيب القاسم عما يتطلبه الالتزام بقوله : ((يتطلب الالتزام مضمونا ثوريا، وشكلا ثوريا في آن واحد، علما بأن هناك ارتباطا وثيقا بين الشكل والمضمون))(٢)

هل الالتزام طارئ ام قديم؟ وما هو موقف الادباء من أعمال عظماء الأدباء قبل انتشار مفهوم الالتزام؟ ويجيب عن ذلك بقوله : ((ان تعبير الالتزام، تعبير جديد جدا بالنسبة للشعراء الصعاليك العرب، وبالنسبة "لشكسبير وتولستوي". فهل نعتبر أعمال هؤلاء رديئة، لانها سبقت تعبير الالتزام؟ انه لمن السخف ان نتخذ مثل هذا الموقف، ويظل اعجابنا بهؤلاء منسجما مع فهمنا للالتزام باعتبارهم بين اولئك الذين وظفوا الاداة الفنية في خدمة الانسان من اجل كشف مواقع الشر، ومواقع الخير في نفسه ، ومن ثم الانتقال الى مهمة ترسيخ نزعة الخير ، ورغبة التغيير الى الافضل . ويتحتم علينا ان نرى التفاوت بين مبدع واخر في اطار الالتزام ذاته، فلا كل الملتزمين يقفون على مستوى واحد، ولا كل الخارجين عن نطاق الالتزام يقفون على مستوى واحد "(٢)) .

بعد هذه الوقفة سميح ومفهومه للالتزام، نريد التعرف على وجهة نظره في قضية اخرى . وهي : هل يتعارض الابداع مع عدم الالتزام؟ فيجيب القاسم عن ذلك بقوله : " ثم ان هناك مبدعين غير ملتزمين، غير اننا نفضل الابداع الشعر المغير على الابداع الذي لا يتجاوز المتعة الحسية والابداع

---

١) م.ن ص ٧٧

٢) سميح القاسم : تعقيب من سميح القاسم ، الجديد . العدد ٨ آب سنة ١٩٧٦ ص ٧٧

الذي يشوش على رغبة الانسان وعمله من اجل تجميل حياته ، وافنائهـــــا ، من هنا ، نفضل "اراغون" على "ايليون" ونفضل "لوركا" على "باوند" ، ونفضل "شولو خوف" على "جويس" ، ونفضل "بيكاسو" على "سلفادور دالي" [١] .

يرفض سميح القاسم رفضا عنيفا لجميع اباطيل ما يسمى الفن النقي ، او الفن الصافي الذي يرفض الواقع المادي رفضا قاطعا ، رغم انه هو نفسه رد فعـــــل سلبي لتناقضات الواقع المادي ، وهروب من مسؤولية مواجهته ، ومحاولة ضبطـــه وتسييره في الاتجاه الذي يخدم نضال الانسان في سبيل المستقبل الاجمل [٢]

موقف القاسم من الايدلوجيـــة والفن والرمز :

تطرق سميح القاسم ، لهذه الظواهر في معرض حديثه عن ديوان "ميشيـــل حداد" السالف الذكر ، واحاول هنا قدر الامكان ، ان اقتطف بعضا مما جاء في كتاب الدكتور هاشم ياغي لاجلو هذه الحقيقـــة .

يرى سميح ، انهم يعيشون في داخل اسرائيل ، في مجتمع يسيطر عليه الفكـــر البرجوازي ، والذوق البرجوازي ، وفي مثل هذه الظروف ، يتعرض الفن الانسانـــي الحقيقي الى حملة تشكيك ارهابيـــة . ويفند القاسم الآراء التي تقول : ان — العقائديه والسياسية يفسدان الفن ، ويفرضان عليه المباشرة والخطابية وهدفهم الترويج ، للا نهزامية والانطوائية في الفن ، ليفصل الفن عن الجماهير ، وبالتالي يفقد قيمته كمحرك ، وكعنصر ايجابي خلاق في مسيرة الشعوب . يقتصر دوره على تلهية النقاد البرجوازيين ، وملء فراغهم ، ثم يذكر الأدباء الذين تعرضـوا لمثل هذه الحملة امثال : "برتولد بريخت" "وبابلو انيرودا" وآخرين من كبار الادبـــاء الانسانيين . ولكن هؤلاء حطموا النظرية وفرضوا أنفسهم [٣] ويتابع القاســـم قوله برهنوا ، ان الايدلوجيا من شأنها ، ان تمنح العمل الفني حرارة وتوهجا هائليـــن [٤] . ويتحدث عن ميشيل حداد في هذا الصدد قائـــلا :

---

١) م . ن ص ٧٧

٢) د . هاشم ياغي ، حركة النقد الأدبي الحديث سنة١٩٧٣ (قسم البحوث والدراسات الادبية اللغوية) ص ٢٣٩

٣) د . هاشم ياغي - حركة النقد الادبي الحديث ص ٢٤٤

ويتحدث عن "ميشيل حداد" في هذا الصدد قائلاً: ولذا ففي اعتقادي انه اذا اختار الصديق الشاعر "ميشيل حداد" الوقوف الى جانب الاشجار العاليـــة، واذا اختار قذفه التراب الجاثم على لسانه، واذا هزم الخوف من ان يلطمــوا عليه ابناؤه فانه، وبالرصيد الضخم من الاصالة المتكدس في ديوانه، وفي قصائد طفولته على وجه الخصوص، سيكشف اغوارا اعمق، وافاقا أرحب، وتكتسب تجاربه مجالات خصبة من الابداع والخلق ولكن هذه الملاحظات، يجب الاتنفي الحقيقة الاساسية وهي: ان جرد الحساب النهائي لديوان (الدرج المؤدي الى اغوارنا) يؤكد: ان ميشيل حداد رائد ومغامر. توفر لديه الكثير من ادوات التعبيـــر، ومقومات القصيدة الجيدة، ولذا يكفي: ان تهز نخلته هزا دقيقا حتى تساقـــط رطبا جنيـا "(١)".

ويعلل القاسم اللجوء الى الرمز، بما لضحالة الفكرة واسفا فيها، او لكبرها إذ يقول: " أحيانا يتضح، ان فكرة الشاعر كانت ضئيلة جدا. فلجأ الى تقديس الألوان والرموز المبتذلة، ليضلل القارئ ويلخمه، او ان الفكرة كانت كبيرة جدا، ولكنه عجز عن انشادها بالصوت المناسب، وعلى المقام المناسب، فخرجت، وهي أشبه بالفصفصة الشلوطلة، وأحيانا يستخف شاعر معين رصيده (الضخـم) لدى القارئ "فيستخف به ويحاول النيل منه، وفي مثل هذه الحالة، فاما إن يفتضح أمره فيخسر شيئا من رصيده، او ان تنجح الخدعة فيكسـب مزيدا من الاعجاب"(٢).

ويشير القاسم الى تضارب اراء النقاد "ازرابا ونـد" لعل ما مر ذكـــره هو السبب "(٣)"

أبدى سميح القاسم رأيه في شعر الرمز بوضوح في معرض رده على رسالة قارئ " من باقة الغاصرة، ونشرها في جريدة الاتحاد، ونقلها يافي في كتابــه (حركة النقد الادبي الحديث" عن كتاب "عن" الموقف والفن قضيتي

---

١) م.ن ص ٢٤٤ — ٢٤٥
٢) م.ن ص ٢٤٥
٣) انظر كتاب حركة النقد الادبي الحديث د. هاشم يافي، ص ٢٤٥ —٢٤٦

لمحمد دكروب جاء في رد القاسم "القضية التي تطرحها امامنا هذه الرسالة ليست جديدة، وليست اعتباطية. اقول: ليست جديدة، لأن موقف رفيقنا القارئ في رسالته هذه سبعة ان واجهنا به قراءآخرون، وأكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة، واقول: انها ليست اعتباطية، لان حيرة القارئ ازاء التطور الشعرى عندنا، لايمكن اعتبارها افتعالاً صادرا عن موقف ذاتي، هو من شأن صاحب الرسالة وحده. فقد صادفنا هذه الحيرة على أفواه جمهرة من أخوتنا القراء، كما اصطدمت بها شخصيا في جملة من حالات محاسبة النفس.. فيكفي أن نماشي حركتنا الشعرية من مطالع الستينات حتى يومنا هذا، لتكشف أن تحولات بعيدة المدى، وسمت هذه الحركة" ومن هذه التحولات ما هو أصيل وراسخ، ومنها ماهو مقحم ومتضعضع "(١). ويواصل القاسم حديثه عن أهمية الشعر الفلسطيني في الدوائر العربية، ويرجعه لسببين.

الاول: التحامه بقضايا الجماهير اليومية والقومية، وكشف تطلعات هذه الجماهير في مواجهتها الحادة مع عناصر المعادي، قوميا وطبقيا.

والسبب الثاني: فيما اكتسبه الشعر الفلسطيني الثوري من تقدير فهو مجرد كونه، كتب في اسرائيل، فهذه الحقيقة منحته في الخارج اعتبارا خاصا، وصل أحيانا درجة التقديس. ويتحدث عن بعض المواقف غير النبيلة التي يقفها النقاد العرب المتعرضين لشعرهم، حين يحاولون تجاهل العناصر الحقيقية التي نمت في تربتها زهوه واشواكه، ويكره اطلاق الاحكام التعسفية دون هضم ما يتلقونه من أعمال أدبية، ويخشى القاسم. من ان اهتمام الادباء، والنقاد باشعارهم داخل اسرائيل، يؤدي الى احدى نتيجتين لدى شعراء عرب اسرائيل. اما الشعور بمزيد من المسؤولية نحو العمل المارس، ونحو الملتقى، او الشعور بالتحلل من هذه المسؤولية والانصراف الى الاهداف الذاتية المنفصمة عن مهمة الرسالة الفكرية والوجدانية والجمالية التي يحملها العمل الشعرى..

وتحدث القاسم عن تاريخ النقد الفني في اى قطر من الاقطار، الذى يؤكد بطلا يدع مجالا للشك، ان الصراع سيظل قائما بين القواعد والاشكال المألوفة، وبين مغامرة الابداع الفني، باعتبار عملية الخلق ثورة دائمة على كل ما هوقائم، ودعوة مستمرة لخلق جديد، وهذه الثورة من وجهة النظر الاشتراكية

---

(١) د. هاشم ياغي. حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين ص ٢٤٨–٢٤٩

العلمية على الاقل، يجب الا تفقد توازنها ،والا تخرج من منطقة جذب الموقف الفكري والاجتماعي، والافانها تتحول إلى ثورة اناركية (الفوضوية بأقرب ترجمة) فيهدم جموحها أكثر مما يبني .ومثل هذه الثورة تفقد حتما الخط الثوري — الحقيقي .ويذكر القاسم أن الاديب او الشاعر لا يستطيع ان يكون ثوريًا واناركيا فنيا . واذا ألمت هذه الازدواجية بفنان، فانها تسيء إلى فنه بلاشك "[١]

وينتقل القاسم، ليتحدث عن حالة الضعف الانساني التي تعتريه أحيانا لوجود بعض التناقض بين الموقف الذي عرضه هنا ، وبين بعض أعماله الشعرية، ويقول :((بعد اعترافي بحالات من الضعف الانساني، تعتريني أحيانا أو (ان الفت نظر القارىء الحائر، الى ان هذه القضية غير واردة، وانا اتكلم هنا بالاصالة عن نفسي الى درجة الخطورة)، واعتقد انني يقظ الى مدى بعيد لما يكتب وما يقال عن شعرنا محليًا وعربيا))"[٢] ويواصل حديثه عن الناقد اللبناني الكبير الذي أصابه بخيبة أمل كبيرة، عندما تعرض لقصيدتين من أعمال الشاعر التي تردد كثيرا في نشرهما، لأنهما في نظر القاسم، أقرب إلى أن تكونا موضوعا لتسلية النقاد الغير جرائريين، من أن تكون فنا حقيقيًا .وخيبة الامل التي — أصابت القاسم ، لأن تجارة الدجل، ما زالت رائجة ورابحة بصورة مخزية ومخربة في آن واحد كما قال القاسم))"[٣] ويختتم حديثه في مناقشة القارىء الحائر الذي شكا من طغيان الاسلوب الرمزي في أعمال الشعراء الثوريين بقوله :

" ولكن هذا الشعور لن يبلغ درجة اليأس لأن ثقتي الكبيرة بأن واقعيتنا الاشتراكية ستفرض نفسها في نهاية الامر على الجماليات الفارغة، وعلى القوالب والمخططات في آن واحد ، كما ستفرض نفسها على أخطائنا نحن، وعلى — انحرافاتنا التي قد تسقط في أغراضها من قصيدة الى أخرى "[٤])) .

رأي القاسم بشأن الفترات الزمنية التي مرَّ بها الادب الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن :

يقسّم الشاعر الناقد سميح القاسم الفترات الزمنية الى أربع مراحل، بل إلى اربع فئات، حسب الشعراء الذين ينتمون لكلّ مرحلة .

---

١) د . هاشم ياغي : حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين ص٢٤٩—٢٥١

٢) م.ن ص (٢٥١ — ٢٥٢

٣) م.ن ص ٢٥٢

٤) م.ن ص ٢٥٢

فالمرحلة الاولى او الفئة الاولى وهي فئة الشعراء المخضرمين. وهم في نظر القاسم كما يقول: "عاش شعرنا الفلسطيني مراحل، وتشكلت فيه فئات على سبيل المثال هناك الشعراء المخضرمين والمقصود، هم اولئك الذين بدأوا قبل ١٩٤٨ واستمروا بعدها، مثل "حنا ابو حنا" وعصام عباسي وموسى ابراهيم وجميل الخوري وآخرين "(١) .

ثم ينتقل سميح للحديث عن المرحلة الثانية، الذين عايشوا المرحلة الاسرائيلية الاولى - فيقول : "ثم كانت المرحلة الاسرائيلية الاولى متمثلة في شعر جمال قعوار، وجورج خليل وآخرين "(٢) وينتقل القاسم ليحدثنا عن المرحلة الثالثة ليوضحها بقوله :

"ثم كانت مرحلتنا نحن توفيق زياد ، ومحمود درويش ، وسالم جبران وانا "(٣). ويشير الى مرحلة رابعة منفصلة عن المراحل الثلاث، وهي فئة الشعراء اليهود الذين قدموا من البلدان العربية، وواصلوا الكتابة في اسرائيل فيقول :

" وهناك فئة أخرى طريفة هي فئة الشعراء اليهود الذين قدموا من البلدان العربية، وواصلوا الكتابة. الطرافة هنا هي محاولتهم اتخاذ موقف الموافقة او التوافق بين انتمائهم الديني والحضاري، وانتمائهم الاسرائيلي الجديد. بعضهم بحث عن افراضه في صفوف الحزب الشيوعي، لكن المجتمع المصري اليهودى كان يشدهم اليه بعنف وبقوة وهكذا الصراع خلق لديهم صراعا داخليا نفسانيا انعكس في شعرهم، فمعظمهم ان لم يكونوا جميعا اتخذوا مواقف الدعوة للاخوة والسلام ولكن عن طريق طرح شعارات فضفاضة واسعة دون الخوض في التفاصيل، ويجوز القول انهم تهربوا من مواجهة حقيقة المأساة الفلسطينية، ولكنهم لم يتخلوا عن املهم بحلول سلام بصورة مثالية، وللأسف لم نعد نقرأ لهم نتاجا جديدا . اضافة الى كونهم، قد تركوا صفوفهم، ومنهم "ابراهام عوباديا" عراقي صدرت له عدة دواوين بالعراق باسم ابراهيم اسحق عوبادبا، ومنهم سليم شعشوع - عراقي ودافيد صيمح "وساسون سوميخ" وشموئيل موريه" الذى صدرت له في بيروت قبل ١٩٤٨ مجموعة من الدواوين باسم سليم معلم، وكلمة موريه تعني بالعبرية معلم "(٣) هذا هو رأي القاسم في الفترات الزمنية التي مرّ بها

---

١) صحيفة الفجر، العدد، ٢٦ تاريخ ٣٠/٩/١٩٧٢، ص ٤
٢) م.ن. ص ٤
٣) م.ن. ص ٤

الأدب الفلسطيني داخل اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى يومنا هذا •

رأى القاسم في المعوقات التي تقف في طريق تقدم، وازدهار الفن، والأدب الفلسطيني :

حدثنا سميح القاسم، إن اسرائيل استخدمت كلَّ الوسائل، لتضع المراقيل والمعوقات ضد الادب الملتزم بقضايا القومية والطبقية، اذ لجأت السلطات إلى الارهاب والعنف بشتى الصور والاشكال • بل ازدادت عنفا وشراسة حينما لجأت السلطات الاسرائيلية الى التضييق المعيشي والاقتصادى والاجتماعي وتقليل فرص العمل امام الشبيبة العربية، لاسيما الشعراء التقدمين، بالاضافة الى أزمة دور النشر • فالحكومة والهستدروت اسستا دور النشر، لتشجيع الادب — الهارب من الساحة الوطنية، وتقفلت ابوابها امام النتاج الثوري الملتزم. وسميح القاسم بلور ذلك في حديثه لمندوب الفجر الادبي الذي شرح له فيها هذه المعوقات قائلا: "طيلة اربعة وعشرين عاما • جهدت الصهيونية لطمس ملامح الشعب الفلسطيني، واثاره، ورفضت الاعتراف به كشعب، فقد حاولت تطبيق هذه السياسة ايضا ببرامج التعليم بالمدارس العربية، ومن الطبيعي ان تلجأ الى الارهاب والعنف ضد اي أدب فلسطيني ملتزم بمأساة شعب، او في استرداد حقوقه الشرعية، بالمقابل، فان الشعراء الفلسطينيين في اسرائيل، التصقوا بشعبهم وعاشوا الامه وتطلعاته، وجدوا الطريق في اتجاه الادب الملتزم بقضايا القومية والطبقية، ومن هنا، فقد تعرضوا لضغط، بصفتهم عربا، وبصفتهم من الطبقات — المستغلة (بفتح الغين) داخل اسرائيل نفسها، وهناك أيضا التضييق الاقتصادى المعيشي والاجتماعي على الادباء الملتزمين بقضايا شعبهم، وكلهم طردوا من أعمالهم، أوسُدّت في وجوههم السبل إلى الاعمال التي تناسب مؤهلاتهم وقدرتهم • وهناك أيضا، مشكلة النشر فالحكومة والهستدروت تؤسس دور النشر لتشجيع الأدب الهارب من الساحة الوطنية بينما يجد الشعراء والكتاب — التقدميون صعوبة في نشر أعمالهم"[1].

رأى سميح القاسم في العلاقة القائمة بين الشعراء العرب في إسرائيل قبل ١٩٤٨ والشعراء العرب في الضفة والقطاع • وفي العالم العربي عامة •

---

١) صحيفة الفجر، العدد، ٢٦ تاريخ ٣٠/٩/١٩٧٢، ص ٤

يرحب سميح القاسم باجراء حوار مع الشعراء العرب حملة لواء الكلمة في الضفة المحتلة والقطاع والهضبة السورية، ولكنه يواجه وزملاؤه مشكلات، وهي موقفهم من الاحتلال، لأن المحتلين يسعون جاهدين لخلق انطباع، بأنهم وحدوا الشعب الفلسطيني، وانهم أصبحوا الأوصياء الشرعيين عليه. بينما الشعراء العرب التقدميون [1] في الداخل لا يعترفون بالاحتلال، ويرفضون العمل المشترك، مهما كان نوعه تحت راية الاحتلال.

يقول سميح القاسم: «لا اخفي عنك إنني أشعر بانني أسقط في تناقض هنا، فمن جهة أتمنى أن أواجه ليس الشعراء فقط من المناطق المحتلة، بل الجماهير الواسعة، وأتمنى ان أقرأ شعري في كل بقعة من أرضنا المحتلة، لعله يكون قادرا على منح الناس والتراب والاشجار شيئاً من الأمل، وشيئا من القدرة على الصمود، بينما في الوقت نفسه، احس بقلق من ان يفسر ظهوري في الخليل أو نابلس او القدس مثلا، وكأنه اعتراف برسوخ الاحتلال» [2].

هذه المخاوف وهذا التناقض سببت للقاسم أزمة فكرية وعاطفية، وهو حيران في شأن ذلك، ولا يعرف الخروج منها، وعلى الرغم من ذلك، جرى بين القاسم وبين شعراء الضفة اكثر من لقاء. وهو نفسه يذكر لقاء تم بينه، وبين الشاعرة فدوى طوقان إذ يقول:

«انني أواجه هنا أزمة فكرية وعاطفية ولا أعرف لها مخرجا حتى الآن؟ رغم ذلك، جرى بعض اللقاءات بيني، وبين الشعراء الفلسطينيين بالضفة الغربية مثل: فدوى طوقان واعتقد بأن اللقاء كان مثمراً للغاية» [3].

---

١) أعني بالشعراء التقدميين: هم حملة لواء الكلمة الحرة الشريفة ممن يعارضون الاحتلال الاسرائيلي ويرفضون وجوده على الأرض العربية كواقع مفروض بعد عام ١٩٦٧ وأخص بالذكر الشعراء الذين انتسبوا للحزب الشيوعي العربي الاسرائيلي على الارض الفلسطينية قبل عام ١٩٦٧ مثل توفيق زياد وسميح القاسم وعصام عباسي وغيرهم ومن الناثرين حنا ابراهيم والدكتور اميل توما واميل حبيبي وصليبا خميس

٢) صحيفة الفجر. العدد ٢٦ تاريخ ٣٠/٩/١٩٧٢ ص٤

٣) م.ن ص٤

في احدى مقابلاتي له "١" كان احد شعراء المناطق المحتلة "٢" ينتقد ظهور سميح القاسم في مدينة نابلس .فأكد سميح القاسم ما ذكره سابقا؛ لعله يكون قادرا على منح الناس والتراب والأشجار شيئا ،ولا نستطيع ان تمتزل — الناس اكثر،لاننا في مواجهة ساخنة.علينا ان نثبت ونحرك،لو انني أعرف،ان احدا على استعداد للسماع والعطاء لوقفت بفي وسط الدوار "٣" القي أشعارى ولما لم يجد الشاعر المحتج ما يقوله ،قال : لا اعتراض على ظهورك في المدينة لاجل الظهور،وانما لان الحفل لم يكن منظما ،واقتصر على فئات معينة "٤" وكان جواب سميح القاسم،أنني مدعو،وعلي ان البي،وعليكم انتم الترتيبات ،وكـــان الحضارون باعداد كبيرة "٥"

اما عن العلاقة القائمة بين الشعراء والأدباء العرب داخل اسرائيـــل والشعراء والادباء العرب في الخارج،فان ادباء الداخل استطاعوا اللقـــاء بادباء الخارج -ان جاز هذا التعبير- عبر المؤتمرات والمهرجانات الدوليـــة التي يحضرها الأدباء والشعراء من مختلف انحاء العالم •
يقول القاسم :"في أثناء رحلاتي بالخارج إلتقيت بعدد من الشعراء العرب، لا سيما في رحلتي الأخيرة للاتحاد السوفيتي ،وفي اطار مؤتمر الكتاب السوفيت

---

١) مقابلتي له بتاريخ ٢٠/١٠/٩٧٤
٢) الشاعر عبد اللطيف عقل احد العاملين في حقل التربية والتعليم في الضفة ومن يكتبون في الصحف المحلية في المجالات الادبية.
٣) دوار الحسين في نابلس،في وسط المدينة ،ويتفرع منه شارع فلسطين الـــى الغرب ،وشارع الى الشمال،يتجـــه نحو المستشفى الوطني في المدينـــة الذي يؤدي الى شارع فيصل على خط القدس.وشارع نحو الشرق يتجــه للسوق التجارى في المدينة ،وفي الجنوب ازقة تؤدى الى الحي القديم في المدينة
٤) الحفل الذي اقامته الجمعيات النسائية جمعية اتحاد المرأة العاملة في نابلس. وكان مقر اللقاء في المنتزة البلدى،غربي مدينة نابلس بالقرب من رفيديا. وحضره مجموعة من الأطباء والمهندسين ورجال الفكر بالاضافة الى العامــلات ولقد مر ذكر اللقاء سابقا ،والذي قدمت فيه الشاعرة فدوى طوقان الشاعـر سميح القاسم بكلمات مؤثرة اشرت اليها اثناء حديثي عن اللقاءات — والندوات التي حضرها القاسم ،ومما يجدر ذكره ان حكم الشاعر المحتج كان اعتباطيا الانه لم يشاهد الحفل ،بل سمع من آخرين على حد تعبيره
٥) هذا ما أكده سميح القاسم في اللقاء السابق كما اثبتـــه •

منهم : عبد الرحمن الشرقاوي، ويوسف السباعي ، ومعين بسيسو، وسهيل ادريس، وصلاح جاهين، وقد تبادلنا وجهات النظر حول مختلف القضايا التي تهم الشعب العربي أينما كان "١" .

رأي القاسم في تجاربه الشعرية :

سنة ٥٤ — ١٩٥٥ فوجيء سميح القاسم بالاستاذ يلفت نظره إلى بعض مقاطع قيل له انها شعر ، فدهش، وسهر، ففشل. فأكب على قراءة الشعر ، ويتحدث سميح القاسم عن بداياته الشعرية قائلاً :كانت بداياتي الشعرية تختلف عن بدايات غيري . فمن عادة الشباب أن يقولوا الشعر العربي، اما انا فقد كتبت عن الحرب ، وعن العامل، والمطر ، والجو العام كان متفائلا ، اعتبر نفسي أنني لم اكتب الغزل "٢"، وينتقل سميح ليتحدث عن" محمود درويش، وبداياته الشعرية قائلا: أول قصائد محمود درويش، كانت غزلا . حسياً ,كان يصوّر المرأة كواقع حسي وليس كحلم رومنتيكي ، انه اشبه بنزار قباني . وينتقل ليحدثنا عن المضمون — السياسي لشعرهم في تلك الفترة فيقول : في تلك الفترة كان المضمون السياسي لشعرنا غامضا في أعماقه ، كان شعرا واقعيا ،ولكن دون وعي بهذا ، من قصائدي في تلك الفترة ،قصيدة عن لبنان مثلاً ، وعن الجزائر .. ثم يستطرد ليذكرنا :انه ينتسب للطائفة الدرزية .فلذلك وجد لزامًا عليه ان يلجأ للتعبير المباشر في أشعاره، ضد ظاهرة التمييز ،وان يطرح شعارات وتصريحات كثيرة .ان ظاهرة الطائفية هذه كانت عبئا آخر في المعركة إلى جانب اعباء المعركة القومية والاجتماعية .فكان ملزما بكتابة هذا النوع من الشعر اليومي "٣" هذا ما قاله عن تجربته الشعرية وعن الجو العام لشعره .

( ) الفجر ،العدد (٦) ص ٤

٢) ٣) ٤) (٣) محمد كروب : عن الموقف والفن حياتي وقضيتي وشعري ص٣٧ — ٣٨ د . هاشم ياغي ،حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين ص ٢٢٤ — ٢٢٥ الجديد : العددان ٤ و ٥، سنة ١٩٦٩ ،ص ٢٣

(٢) من خلال قراءتي لاعمال سميح القاسم الشعرية لم أعثر على أية مقطوعة غزلية بالمعنى الحسي كما يراه (وهو رؤية المرأة كواقع حسي وليس كواقع رومنتيكي) .

رأي سميح القاسم في بعض دواوينه الشعرية :

تحدث سميح القاسم عن ديوانه مواكب الشمس الذي صدر ١٩٥٨، وهو الديوان الأول، وعن ديوانه الثاني "اغاني الدروب" الذي صدر سنة ١٩٦٤، فقال : "ولابد ان أشير هنا إلى الفرق الواضح بين ديواني الأول، وديواني الثاني، ففي هذا الاخير، انطلاق الى مجالات أوسع، ووضوح سياسي أكثر، من حيث — التعبير عن الترابط بين حركة التحرر العربية، والحركة الثورية العالميـــة. وقد قيل: انه يشكل قفزة بالنسبة للديوان الاول، وينعكس فيه تأثرى الفني بالكتب الدينية: القرآن، والتوراة، وانا بالفعل اتذوق هذه الكتب كأعمال فنيـــة. ويضيف القاسم قائلاً: من ناحية الشكل في ديوانية مواكب الشمس واغاني الدروب اكثر قصائد الديوان الأول صيغت في شكل الشعر العمودي. اما قصائد الديوان الثاني، فقد صيغت كلها بالشكل الحديث للاوزان في الشعر العربي. ولكن طبيعة أوضاعنا، ومهماتنا، كانت تفرض علينا عفويا ان تحافظ في شعرنا الحديث، على الايقاع، والاوزان ذات التأثير الجماهيري. ويضيف قائـــلا : هذه الاشكال، كانت أشعارنا تصل إلى الشعب وتؤدي دورها "١"

ارم وموقف سميح منها :

يقول سميح : في عام ١٩٦٥ أصدرت قصيدة طويلة بعنوان: "ارم" التي اتخذتها رمزا للكدح في سبيل السعادة بالنشيد الاول في القصيدة، يدعـــو لبناء ارم فاضلة، ولكن باسلوب جديد، وبمضمون جديد.
النشيد الثاني : وصف لعبة الهدم البناء الفني ونشيد للنبي الجديد، وهناك — اربعة اناشيد اخرى. واعتبر هذه القصيدة الطويلة علامة كبيرة في تطوري. والاوزان فيها جعلتها حسب كل مقطع بما يتناسب مع سرعة او بطء هذا المحتوى نفســه. وقد اعتبرت هذه القصيدة، احدى العلامات الاولى في شعرنا للقصائد الطويلة التي تدور حول موضوع متكامل. وقد وضح عندي اتجـاه لكتابـه القصـــــة الشعرية "٢"

---

١) محمد دكروب: عن الموقف والفن حياتي وقضيتي وشعري ص ٤٠-٤١
د. هاشم ياغي: حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين ص ٢٢٥
الجديد: لقاء مع سميح القاسم، حياتي وقضيتي وشعري العددان ٤ و ٥ سنة ١٩٦٩ ص ٢٥

٢) محمد دكروب: عن الموقف والفن ص ٤٢-٤٣
د. هاشم ياغي: حركة النقد الادبي الحديث ص ٢٢٦
الجديد : العددان ٤ و ٥ سنة ١٩٦٩ ص ٢٥

موقف سميح القاسم من ديوانيه دمي على كفي ودخان البراكين :

تحدث سميح القاسم عن ديوانه دمي على كفي قائـــلا :

في مطلع عام ١٩٦٧، صدر ديواني دمي على كفي، ولعلّ المسافة الفنية بيـــن مجموعاتي الشعرية واضحة. فانا أحاول قدر الامكان ان اضع قصائـــد متجانســة فنيــا في المجموعة الواحـــدة، بحيث تشكل خطوة جديدة في شعري، وفي هـــذا الديوان، ميل إلى القصائد المركبة المتعددة الاصوات، اشبه بالقصص اوالمسرحيات هذا الميل الذي تركز اكثر في ديواني دخان البراكين، هذا الديوان الأخيـــر، صدر بعد حرب سنة ١٩٦٧. ولابد ان اشير هنا الى ما يميز شعرنا بعد حزيران، لقد خرجنا من السجن بعد اسبوعين من الاحداث الفاجعة. كتبنا قصائد فيهـــا مرارة، والم، والى جانب قصائد الصمود في دخان البراكين، هناك قصائـــــد تتضمن نقدا ذاتياً مرّا، منها : مثلاً، قصيدة التعاويذ المضادة للطائرات "١"، وهي ليست عن أحداث (٥ حزيران) مباشرة، بل عودة الى ذكريات عام ١٩٤٨، وقصيدة ثانية لي بعنوان "الرجل الذى زار الموت "٢"، تصور المناضلين الفدائيين، وهي الوجه الآخر المشرق للمرارة، ولقد منعت الرقابة نشر هذه المجموعــــــة. كانت هذه الحرب بالنسبة لنا، بمثابة محطة للنقد الذاتي، والاندفاع الى الامام، وليس لإشاعة الانهزاميـــة. واحبُّ ان أشير هنا الى انني اتضايق جدا عندمـــا اسمع قصائد الحماس الاجوف، واطرب لشعر النقد الذاتي، للفلفل على الجرح، للشعر الذي يقلق ويثير. ومن ناحية ثانية ليس صحيحـــاً الاكتفاء على الجرح بالقول مثلا : نحن تافهون كقشرة البطيخ، بل لابد من القول: كيف نعمل حتى لانبقى تافهيـــــن "٣" ؟ . . . .

---

١) دخان البراكين ص ٩٠

٢) لم ترد في الديوان لان يد الرقيب حذفتها .

٣) عن الموقف والفن ص ٤٤ — ٤٥ محمد كروب .

د . هاشم ياغي حركة النقد الادبي الحديث ص ٢٥ — ٢٦

الجديد : العددان ٤ و ٥ سنة ١٩٦٩ ص ٢٥ — ٢٦

والعبارة قالها نزار قباني بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧.

وبضرورة موسيقى معينة، وايقاع معين، لتوصيل المضمون. ان طبيعة موسيقى المضمون نفسه، كانت تفترض في القصيدة نفسها صياغة فقرات أخرى بالشكل الحديث ولست ارى مانعا من استخدام عدة اوزان في القصيدة الواحدة اذا اقتضى جو القصيدة.

في ديواني الاخير دخان البراكين، قصيدة بعنوان القديسات الخمس "١" وصلت في مقطع من هذه القصيدة الى ضرورة وضع نبأ أخباري فلم أشعر بضرورة صياغة هذا الخبر شعرا، فضمنته كما هو بشكل صحفي نثري. اي كما يجب ان يكون "٢" ويواصل القاسم حديثه قائلا: وفي قصيدة الرجل الذي زار الموت "٣" قصة لاجئ فلسطيني يزور قريته. في الطريق ترتفع نحوه صرخة "ميشام" بالعبرية ومعناها بالعربية (من هناك) وقد وضعتها هكذا

ميشام
وافرغت البنادق حقدها

ميشام
وضم السفح ساقا تنحني
شحوبة ويصيح يا انت أصدى ..

شعرت بضرورة وضعها بالعبرية، لتدل على قائلها، ولكن الرقابة منعت هذه الكلمة بالذات، فوضعت مكانها (من ذا؟) الامر الذي أزعجني جدا، وافقد القصيده وهجا، وفكرة معينة. وخلاصة القول، انني من ناحية الشكل ضد كل تزمت، ومع البحث عن أشكال جديدة "٤".

رأي القاسم في ضرورة مواجهة الشاعر للجماهير :

أجاب القاسم عن سؤال وجه اليه : هل تعتقد أن تحول الشعر العربي من شعر يلقى الى شعر يقرأ، سيمارس تأثيره في التخلي عن أي ارتباط

---

١) انظر ص ٨٧ من دخان البراكين .
٢) محمود كروب، عن الموقف والفن، ص ٥٠ د. هاشم ياغي، حركة النقد الادبي الحديث ص ٢٣٠، الجديد، العددان ٤ و ٥، سنة ١٩٦٩، ص ٢٧
٣) لم اعثر على القصيدة في ديوانه (دخان البراكين) ، لان يد الرقيب حذفتها
٤) د. هاشم ياغي، النقد الادبي الحديث ص ٢٣٠-٢٣١

رأي سميح القاسم في الشكل الحديث للشعر :

لم يقف سميح القاسم جامدا ،ولم يعارض سنه التطور ،لأن الحياة في تطور مستمرة والتطور ظاهرة حتمية. ولابد من أن تجارى الكلمة الشعرية تطور الحياة شكلا ومضمونا . ولكن القاسم ضد أي اختيار مفتعل او تعصب ضيق في هذا المجال. فالقاسم نفسه قد وقف في فترة من حياته ضد ظاهرة الشعر المنثور، ولكنه بعد ممارسته لهذا النوع قراءة وبحثا ، اكتشف القدرة التي يمتاز بها الشعر المنثور في استيعاب التجارب الجديدة. وكانت بعض المواقف تقتضي منه ان يستعمل النبأ الصحفي بصيغته النثرية الاخبارية دون صياغتها شعرًا، وهو نفسه يؤكد هذه الظاهرة بقولـه •

" البحث عن أشكال جديدة في الشعر، وفي الادب عموما، ظاهرة حتمية تبعا لتطور الحياة نفسها . ونحن نعتبر انفسنا بالطبع ،جزءًا من عملية التطور هذه . في الشعر العربي ،اعتقد ان الاوزان التقليدية أحيانا تجد أشكالا معينة تفرض هي شكلها وايقاعاتها ودنيها لذلك فان اختيار الاشكال الشعرية الحديثة ،لا يعني التخلي عن الاشكال القديمة ،انا ضد الاختيار المفتعل . أمّا هذا، واما ذاك، وانا ضد التعصب الضيّق في هذا الميدان . ويعلل القاسم أجابته قائلاً : مثلاً ،قبل مدة كنت اتخذ موقفا عدائيا قاطعًا من ظاهرة الشعر المنثور، ثم قرأت نماذج من هذا النوع الشعري ،كانت رائعة ، فخلقت عندي نوعاً من اعادة النظر في موقفي السابق • فأنا مقتنع بأن هذه النماذج ،هي أيضاً شعر، ولكني أنا شخصيا ، لا اشعر بحاجة الى كتابة هذا النوع وأرى انه في إطار الاوزان والقوافي في الشكل الجديد ، يمكن استيعاب مختلف التجارب الجديدة إلى اقصى الحدود " [١] .

ويواصل حديثه قائلاً : لقد وضعت عدة قصائد استعملت فيها الاسلوبين القديم والحديث معًا . وفي ديواني (دمي على كفي) ، قصيدة من هذا النوع بعنوان : حوارية العار " [٢] ، اتجاه فقرات معينة كنت أشعر بضرورة الوزن الكلاسيكي

---

١) محمد دكروب : عن الموقف والفن .ص ٤٩ — ٥٠
د • هاشم ياغي : حركة النقد الأدبي الحديث .ص ٢٢٨ — ٢٢٦
الجديد ، العددان ٤ و ٥ ، سنة ١٩٦٩ ،ص ٢٦ — ٢٧

٢) انظر ديوان دمي على كفي : ص ٨٠ — ٨٥

بالشكل القديم؟ ام ان الاذن المربية تظل حتى عن طريق العين تحتاج الى الوزن والايقاع ؟ وكيف كان الجمهور يتلقى مثلاً : اشعاركم المصوغة بالشكل الجديد ؟ فأجاب سميح :

" وانا لا أحبُّ التنبوء في هذه القضايا . يمكننا ان نقول ببساطة : ان اشكال الشعر في المستقبل، سوف تكون كذا ، مثلا، ثم يفرض المستقبل شيئا اخر . ولكني احب ان اتحدث عن الوضع الحالي، عن التجربة التي عشناها ، فنحن ملزمون ان نلقي الشعر امام الجماهير، وأن نسمعه ، هذا ما تفرضه علينا ظروفنا النضالية / وجمهورنا متعود على الايقاع في الشعر، الايقاع نفسه يصل اكثر الى قلوب الجموع، يهزها، يفعل فيها . فلابد اذن، من الموسيقى، والاوزان، حتى لا تنفصل العلاقة بيننا - كشعراء، وبين الجمهور، وهذا خطر جدا ، اذا حصل ، فان تطور شعرنا من حيث اوزانه ، كان يجرى تدريجيا وظللنا نحافظ على الاوزان والقوافي . ولكن باشكال وصيغ متنوعة جدا . فظلت علاقتنا وطيدة بالجمهور .

بعض القصائد التي ذهبت الى مرحلة أبعد في الشكل الجديد . — القيتها ، وامام الجمهور ، وانا قلق متشكك ، فوجدت ان الجمهور تقبلها، مسيرتنا كانت مع هذا الجمهور، هي ارتباط سياسي نضالي، وبالتالي شعري . وخلال عملية التطوير التدريجي هذه للأوزان والقوافي ، لم نشعر ان هناك انفصالا يحدث بيننا وبين الجمهور ، وأنا متأكد من ذلك، بأن الجمهور يغفر لنا محاولاتنا الجريئة في هذا المجال ".[1]

رأي سميح القاسم من ضرورة القاء الشعر :

يحب سميح القاسم ان يتجول في القرى، وان يلقي اشعاره امام الجمهور، لان الجمهور لا يزال يحب سماع الشعر ، وينفعل به ، ويشعر بضرورته ، لاسيما في أوضاعنا الراهنة . وسميح القاسم شخصيا لا يحب القاء الشعر ، ولو كان في مكان اخر غير فلسطين في ظل الاحتلال ، لما ألقى شعرا . ولكن الضرورة هي التي تدفعه لالقاء الشعر، إذ يقول :

---

١) د . هاشم ياغي ، النقد الادبي الحديث في فلسطين ، ص ٢٣١ — ٢٣٢

"نحن نلقي الشعر باستمرار. نتجول في القرى، وجمهورنا لا يزال يحب سماع الشعر، وينفعل به، ويشعر بضرورته في أوضاعنا الحاضرة، خصوصا وانـــا شخصيا لا اميل الى القاء الشعر، ولو كنت في لبنان، أو سوريا، فانني أرفض القاء الشعر، ولكننا حيث نحن، لابد من القاء الشعر، انه ضرورة حياة" [1]

للقاسم مواقف نقدية أخرى، منها: سياسية، ومنها للاعلام كما عرفت من خلال قراءاتي له، وكان تعليقه عليها نابعا من التضليل الذي تحتمله الاقلام... والهجوم على الاشتراكيـة التي ينتسب اليها، ولانها معادية للانسانيـــة، للملونيــن في الولايات المتحدة. وله مواقف نقدية أخرى من الاغاني العربيـة الحماسية، والتصريحات غير المسؤولة، التي تخدم الدعاية الصهيونيـة، وقد مـرّ ذكرها في معالجتي لمواقفه السياسية. وكذلك موقفه من الاحداث العالمية.

ولعلّ فيما عرضته يكشف لنا جانبا من شخصية سميح القاسم الناقـــد، وثقافته الادبية، والفنية، وذوقــه السليم، ولعلها تكشف لنا بعض المواقف الـــتي يلتزمها الفنان سميح القاسم، فمن خلال عرضنا لمواقف القاسم النقدية، تعرفنــا على مواقفــه ومفهومه من قضايا كثيرة تخدم الشعر وقضاياه، وتخدم المجتمـــع الذي يرتبط بالتراث الخالد خلود الرواســـي، عرفنا النقد جانبا من جوانب النثر يقوم الشعر ويقيمه، ليصبح مساره، ليسهل تذوقــه وهضمه ... عرفنـا فيه الانسان الذي تناول اعماله الادبية بموضوعية، مبيّنا اوجه النقص فيها. كل واحدة منهما تخدم الاخرى وتؤيد فعلا في مسارها السليم. ووضح لنا التلاحم بين النثر والشعر.

وعلى ضوء هذا، وبعد التدرج في مراحل حياة القاسم الأدبية، فمن الطبيعـــي أن ندلف للحديث عن منزلته الادبية موضحين خصائصها الفنية وكيفية تكيف امتزجت هذه العوامل بحياته الأدبيـة؟

---

(١) د. هاشم ياغي: حركة النقد الأدبي الحديث في فلسطين، ص ٢٣٢

الفصـــــل الســـادس

منزلـــة سميح القاســم الادبيـــة

أسبابهـــا :

احتل سميح القاسم مكانته الادبية المرموقة بين أدباء المقاومة الفلسطينية خاصة، وأدباء الوطن العربي الكبير عامة، وأصبح له مكانة المرموق في نظر كثير من أدباء العربية في البحر الواسع من عالمنا . تناولوا سميح القاسم بالثناء والمديح والنصح، لانه قلعة من قلاع الامة العربية الخالدة، يقف بشموخ، واعتزاز بين انقاض، وركامات من الجهالة التي تضيقها السلطة، فجاء سميح القاسم تجسيدا — لوحدة النضال العربي المشترك، ليذر الرماد في العيون، عيون أعداء الانسانية .

ولقد تظافرت عوامل كثيرة، مكنت سميح القاسم من احتلال منزلته الأدبية المرموقة بين أدباء الامة العربية، منها : ما يرجع للنضال المرير والقاسي الذي يخوضه شاعرنا مع قوى الظلم، والشر، والفساد، متمثلة بالسلطة الاسرائيلية الحاقدة، واحتكاكه اليومي والحياتي مع عناصر مختلفة، وفئات اجتماعية غريبة التركيب، قلما تتوفر في شعب، مثلما هي متوفرة في اسرائيل، متباينة الافكار، والامزجة، والعادات، والمعاملات، والعلاقات الشخصية، نظرا لاختلاف نظراتهم للحياة، ولاختلاف مواقفهم من نظام الحكم داخل اسرائيل .

والسبب الآخر، هو استمرار القضية الفلسطينية، مع ما تحمله من خلفيات لها أبعادها الحياتية، والعلاقات بين أفراد الناس الذين يعيشون في ظل المجتمع الاسرائيلي الذى تفرض على ساكنيه ابشع انواع الكبت وسحق للانسانية المعذبة، وللملاحقات البوليسية، والتعقيب، والتفتيش والمطاردات والتصفية الجسدية والنفسية، مما غذت تجربة الشاعر النضالية والادبية .

وسبب ثالث : يرجع لاطلاع سميح القاسم على آداب اللغة العبرية وأساليبها الخبيثة في التزوير والتضليل، وطريقتها في مخاطبة الجماهير المريضة لتسمم أفكارها وتعميها عن الحق والحقيقة فعرف سميح القاسم الهداية التي ينطلق منها، والهدف الذي يركز سهمه عليه . عرف التحدي طريقة والعنفوان مسلكه والشموخ عزتـــه .

وسبب رابع : يعود لانتمائه للأدب الثوري الانساني ،الذي اتفق على تسميته أدب الواقعية الاشتراكية ,وهو اتجاه تنعكس آثاره على اصحابه وطرائقهم وأساليبهم الخاصة ،في المعاملات الانسانية .

وسبب خامس : ينتمي سميح القاسم للحزب الشيوعي العربي الاسرائيلي ، وهو الحزب الوحيد المرخص والمعترف به من قبل السلطة ،والذي يستطيع المنتمي إليه ،ان يأخذ بعضا من الحرية في التعبير عبر صحفه ومجلاته الناطقة بلسان حزبه . بالاضافة الى التجارب النضالية التي اكتسبها الشاعر من رجالات حزبه العريض وخبراتهم الفنية غذته بها الندوات والمؤتمرات الحزبية والدورات التي حضرها .

وسبب سادس : يرجع للصراع الحاد القائم بين العلاقات الانسانية على المعمورة كلها ،وموقف القوى العالمية من هذا الصراع ،ومدى الصلاحيات الممنوحة للطاقة البشرية والانسانية ،في الحد من مثل هذا الصراع. فمنهم من يغذيه لهدف غير نبيل ،ومنهم من يحاول التهدئة ،ومنهم من يقف على الحياد ، وآخر ليس من مصلحته النزاع ،ويريد انهاءه بأسرع ما يمكن ،لكنه لا يستطيع ايقافه أو الحد منه .فانعكس هذا على نفسية شاعرنا ،لانه يحمل في طياته مظالم شبيهة بالمظالم التي يعانيها شاعرنا سميح القاسم فوق أرضه وبين أهله .

الخصائص الفنية لمنزلة سميح القاسم الأدبيـــة :

ينتسب سميح القاسم للمدرسة الواقعية الاشتراكية التي تأتم بالنظرية المادية والتاريخية في تفسير الحياة والكون ، ولها موقفها الخاص من الانسان التي — تؤمن بقدراته الخلاقة والابداعية • وتؤمن ايمانا لا يشوبه غموض في قدرته علـى صـــنع مصيره في أضواء من عالم الشهـــــادة • تؤمن بالعمل والكفاح • فالطبقة العاملة ، هي المفضلة في نظر هذه المدرسة ، ولا ترى مانعًا في — التعاون بينها وبين غيرها من الطبقات غير المستغلة في المجتمع ، لتتيح فرصا أحسن للتساوي بين مختلف الطبقات • وتؤمن كذلك بالطبيعة والكون وللحياة ممزوجة بجهود الانسان وقدراته البناءة ، وبالالتحام والارتباط الوثيق بينها لصالح الانسان والمجتمعات عامة ، ليجنبها الويلات والمحن • • • •

((وتؤمن بالفن ، وترى فيه صورة عليمـــا من صور العلاقات الأنتاجيـــــــة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمـــــع)) • (١)

والفن شكلاً ومضمونا كل متحد لا يقبل التجزئة كالروح والجســـــد ، ويجب ان يتســـامى عن الدعايات الرخيصة مع الاهتمام باللفظ والسلامة في التعبير ، لئلا يكون بعيدا عن مفاهيم الجماهير • والقيم الاجتماعية • ولقد سقت هذه المقدمة لأهميتها ودلالتها فيما سأعرضـــه من خصائص فنية تحلّى بها — سميـــــح القاسم ، واصطبغت بها مواضيعه الأدبية لارتباطها الوثيق بنفسيته وشخصيته وعلاقته النضالية ، ومضمونه ومفهومه للجماهير المكبوتة • فتغلب على سميح القاسم الخصائص الآتيـــــــة :

النقـــد الذاتي :

ـ الذي يسير بالانسانية إلى الأمام ويوفّر لها الفرص الكفيلة لحياة فضلى ، وليس ليعيدها الى التخلف ، والتقهقر مما يسيء إلى العلاقة الانسانية — التي طالما تغنى بها سميح القاسم • وهتف بملء فيه ، واهتزت لها مشاعره ، فثـــــار على الظلم ، وثأر لكرامته ، لينـــــال حريته •

---

(١) د • هاشم ياغي : حركة النقد الأدبي الحديث في فلسطين • ص٢٧

تعدد الأوزان :

تظهر في أعماله الشعرية وفي القصيدة الواحدة تعدد الاوزان لايمانه بالقدرة الانسانية على التغيير •

الألفاظ العامية والاسلوب النثري :

يلجأ سميح القاسم احياناً في قصائده إلى استعمال الالفاظ العامية ، والاسلوب النثري بين أشعاره، وهي ميزة من الميزات التي تحتضنها الواقعية الاشتراكية، وتظهر واضحة في سربية "الهي الهي لماذا قتلتني ؟" وفي قصيدته " القديسات الخمس "[١] وغيرها من أعماله الفنية ليضفي على عمله الفني الصفة المثالية، ليطبع بها نفوس جماهيرة من الدارسين، لينفذ إلى اعماقهم، ولعلها التحدي نفسه د . للنقاد ورجال الادب كتعبير معين من تعابير الرفض•

انتزاع الصور والالوان من واقع الحياة :

من خصائصه الفنية القدرة الهائلة على انتزاع الصور، والألوان من واقع الحياة، وصبغها بلونه، وطابعه الخاص فهو يثير، ويحرك، يغير ويبدل• ولعل الحركة التي تظهر بوضوح في أعماله القصصية الشعرية، والمسرحية كالحوارية "٢" في الموت الكبير، وفي مسرحياته، لاكبر دليل على إيمانه بالحركة والعطاء، والتقدم، والالتحام • والارتباط الوثيق بين سميح القاسم الانسان، وعناصر الطبيعة، الكون والحياة•

الرفض :

بما ان سميح القاسم يؤمن بالفرص المتكافئة والتعاون بين الطبقات غير المستغلة، فانه يرفض بعنف، وبشدة، العلاقة القائمة بين العرب داخل اسرائيل والاسرائيليين، في ظلام الحكم الصهيوني •

---

١) انظر ص ٨٧ دخان البراكين •

٢) الموت الكبير، ص٧٨ حوارية النملة وشوكة القندول ص١١٠ حوارية مع الوطن ص ٢٦١ ، حوارية القنطرة، والياسمينة وغيرها ، دمي على كفي، ص٨٠، حوارية العار ص ٨٥، حوارية مع رجل يكرهني •

الظلـم والرعـب :

جاءت اعمال سميح القاسم الفنية مليئة بصور الظلم والرعب، نتيجـة لما أصاب الشعب الفلسطيني على أرضه وخارجها، لما شاهده في حياته من صور الظلـم والفساد والقسوة من فعل اسرائيل واعمالها الوحشية، ولما ينتظر أبناء الشعب الفلسطيني العائدين إلى الوطن ان آجلاً أو عاجلاً. ولقد جاء في قصيدتـه الرعب الذي زار الموت "١" تجسيد حي لما ينزع إليه سميح القاسم، إذ يصـور فيها عائداً فلسطينيا في جنح الظلام، واذا بصرخة يهودية تدوي "هشام" (من هناك) لتعترض عودته، وتنغّص عليه هناءه وحلمه المرجو.

الغضب الثوري المحرك "٢"

من كل ماسبق امتلاء شعره بالغضب الثوري المحرك الصاخب ليجلجـل ويزلزل الارض من تحت أقدام الصهيونية، وليفسد عليها أحلامها وأمانيهـا مثلما أفسدت على الفلسطيني العائد أحلامه وأمانيهُ باحتلال أرضه وملاحقته خارجها، لتقذفه بالقنابل، ولتشعل النار في خيامه، لترعب أطفاله، لتمحو صورتـه الفلسطينية، لتفقده ثقته بنفسه بأبناء أمته العربية •

التحدّي "٣"

ومن هذا المنطلق، يأتي التحدّي. تحدّى سميح القاسم للسلطة، واعلانها مدوية، ليسمع صوت الحق والانسان المدثر بركام من التخلفات والترسبات للعالم، يفضح أعمال الصهيونية وقوى الاستعمار المتواطئة معها • ليعرف بوجود شعب مصمم على انتزاع الحق، مهما كانت الاهوال والاهوال، ومهما كانت الضربات والطائـرات المرسلة ، ممن يشهدون أنفسهم، أنهم يحرصون على الانسان والانسانية، ممـن تقف على أرضه رمز الصفاء والتفاهـم •

---

١) لم ترد في ديوانه دخان البراكين منشورات مكتبة المحتسب شارع صلاح الدين رقم ٢٠ القدس ت ٨٢١٢٢ أواخر اكتوبر ١٩٦٧
٢) راجع الموت الكبير ص ٢٢٣ الغضب يشذب حديقتنا المتوحشة
٣) انظر الموت الكبير، ص ١٤٠–١٤٧، قرآن الموت الياسمين، ص ٤٣، دخان البراكين، ص ٤٤، ودمي على كفي، ص ٣٢ ، ٣٣ •

النزعة الانسانيـة "١"

تظهر في فن سميح القاسم، نزعة انسانية شاملة، استمدها من حسه التاريخي العميق، من تنفسه عبر الاجيال، من اتحاده الجسدي والروحي مع ابناء أمته، من تقمصه لاحداث أمته الفلسطينية والعربية، من انتقال روحه عبر أجساد مختلفة، لتستقر في نفسه الشجاعة. وقد اكتسبت نفسه وروحه من أعماق التاريخ والحياة انسانيته، ليحيل بها النعيم الصهيوني المزيف الى جمر تكتوى به جلودهم فيخاطب الاشجار ليحدث الجواد "٢"، الأمل بالخلاص ليهمزه بسوط التاريخ. ليتمثل معارك الاحرار في جنوب اليمن في فيتنام في ابطال العالم "هوتشي من" "لينين" في أبطال التاريخ العربي "محمد" "خالد" "صلاح الدين" "المعز" باني مجد القاهرة، ليرفض نفساً شريرة تضمر له الشر، وتحفر له الخندق العميق لتضمه في قعره.

الصوفيـة :

من هذا المنطلق، نرى بعض ملامح الصوفية، في أشعاره، ممزوجة بعرفانه التاريخي، حلول الكون في الذات وحلول الذات في الكون. نرى التوارنيه والكشف مبدأ وحدة الكون، ووحدة المصير، عندما يصرخ للألم وللا نسانية المهدورة في كلّ مكان وزمان.

الاساطيـر :

معرفة سميح القاسم، للقصص التاريخية والدينية في القرآن الكريم، والتوراة والاساطير، تحمل له مشعل نور، ليرى من خلالها، ان ما أصابه، أصاب آخرين. ولكن من كان له اليوم فغداً عليه. ما أصاب وطنه، ليس النهاية. ولكن هناك بداية تنتظره، متمثلة بأبنائه، وركبهم السائر عبر المعوقات والحواجز.

الالتصاق بالارض

من هذا الامل وهذا المعتقد، الذي سبق ذكره، جاء تعلق سميح القاسم وتمرغه والتصاقه بذرّات ترابه. فابنته اسرائيل سينهار شأنها شأن ارم. (٣)

---

١) انظر دمي على كفي ص ٤٦ — الموت الكبير ص ١٣٣، ١٥٦، ص ٢٠٩ — ٢٣٠
٢) دمي على كفي ص ٢٦ الجواد الجامع ديوان دخان البراكين ص ١٣٠، عودة الى الجواد العربي.
٣) ارجع للديوان.

ويسيل دمها ، ويكون موتها الكبير، ولعلَّ في ذكرى المعتصم "١" مغـزى، لما ذهبت إليه من أن الحق سيعود، مثلما عاد سيدنا يوسف ـ عليه السلام لوالده وقد فشلت جهود أخوته في تبديده وسحقه ..

هذه الخصائص، خرجت بها ، من خلال صحبتي لسميح الشخصية أثناء اعدادي للبحث ومن خلال صحبتي لأعماله وعلاقاته مع رفاق دربه ومصيره في مقارقته للسلطة واعوانها ، في تقصيه الحقائق والغوص وراء أعماقها ، وسبر أغوار الكلمة الناطق بها ، ورجوعه للأحداث ليحسن الاستشهاد بها .

بعد هذا العرض لمنزلة سميح القاسم الأدبية، سنتعرف على آثاره الأدبية ليتحسس القارئ مواطن الاثارة في أعمال سميح، لنتعرف مقدار مطابقتها لخصائصه الفنية التي عرضناها، ولمنزلته الادبية فما هي ماهية أعماله؟ وما هو مقدار انسجام هذا الاطار مع الحياة الأدبية القاسمية؟

---

(١) انظر في ديوان دمي على كفي ص ١٠٧

البــاب الرابـــع

الانســانية في أدب القاســـم

تمهيـــــد

إنسانيةُ الأديب لاتوصف ، ولا تحدد ، ولا تنظم بقرارات ، ونصوص ، وأوامر . أننا نفهم أن يكون الأديب إنسانا ، عميق الشعور بانسانيته ، هــذه الإنسانية التي لاتعرف حدود الزمان والمكان في الحياة .

ومن هنا نتساءل : ماهو مدى الارتباط الوثيق بين الانسانية والحياة؟ وهل كما يقال : ان الانسانية ليس لها منطق من الحياة التي يعيشهـــا الانسان نفسه ؟ .

ان انسانية الانسان ، لاتعرف العبثية ، ولا الهبائية ، ولا العدميه . فالمعرفة طبقات ، والانسانية مراتب ، لها ارض وسماء ، وسماء الانسانية التي ينطلق اليها الانساني يجب أن تكون لها أرض وتراب وحياة ، وألا انقلـــب السحر على الساحر ، وأصبحت الانسانية فوضوية فكر ، ومثالية هباء وفراغ .

وأمامنا اليوم أديب انسان بكل ما تحمله الانسانية من معنى في أدبـــه شعرا ونثراً . أنه سميح القاسم ، الانسان الكبير ، الذى حمل ولا يزال يحمل للانسانية أحلى أمانيها ، يهتز ، وينتفض للظلم الواقع عليها ، يفرح بانتصاراتها وانجازاتها ، ويبارك خطواتها الثورية المظفرة .

فما هي مظاهر الانسانية ومعانيها وصورها في أدب القاسم ؟ .

الفصـــل الاول

مظاهر الانسانية ومعانيها في أدب القاسم

من خلال معايشتي لسميح القاسم الاديب ، اتضح لي بأنَّهُ يتصف بالانسانية في أسمى مظاهرها ومعانيها .

والإنسانية ، ليست أمثولة نلقنها ، أو نصفها ، ونضبط معناها مهما تكن حاجتنا ماسة الى الاديب العربي المتصف بالإنسانية ، فمن الضـــلال ان نقول له : ماهي انسانيته ؟ ألا يكفيه تهمة ومجد مسؤولية انه عربي في ظـــروف عصيبة ؟ وانه أديب في مجتمع يكن له العداء أو الرفض لوجوده وانسانيته ؟ .

إنَّ عروبة سميح القاسم تعرِّف أدبه . وأدبه يعرِّف عروبته ، وعروبته هي التي امدته وغذت انسانيته من واقعه ، وحلمه ، وسماحة مايتصف به العربـــي من سمات جمالية خلاّقة ، ولا أدري كيف يمكن ان يكون غير ذلك ؟ .

وانسانية سميح تتجسد بمقدار ما استطاع ان يقدمه للبشرية من خدمـــات فكرية أو حضارية أو انشائية . وسلاح سميح في ذلك الكلمة الشعرية ، والنثرية ، استطاع من خلالها ان يصل الى ماوراء حدود وطنه وشعبه (١) .

ولنترك لسميح شيئاً من أسباب نمو انسانيته مع نمو أدبه وحياته ، وهـــي حريته في ظل نظام . وأي نظام هذا ؟ وأي حكم ؟ . ولندعه لمجتمعه . وأي مجتمع ؟ ولتناقضات زمانه . وأيّ تناقض .

إنه في مجتمع له ميّزات وظروف خاصّة (٢) طبع به ، فانطبع سميح بها وتأثّر بها في شعره .

جعل سميح القاسم للشعر الانساني طعم الشهادة ، وخاض مع المحتـــل أقسى ألوان التجارب ، وخرج أشد ما يكون صلابة ، وإدراكاً لدوره الثوري فـــي المقاومة ، ومعنى بالحركة الشعرية في الارض المحتلة الى أعمق جذورها ،وانطلق

---

(١) راجع الباب الخامس : سميح القاسم في رأي النقاد العرب والاجانب .

(٢) راجع الباب الأول : سميح القاسم في عصره .

بها إلى أفسح آفاقها ، وجعلها تحمل الظلال الإنسانية التحررية الرائعة ، وجعلها توهّج الجراح ونبض العواصف ومشاعل الشموس .

سميح « انسان التاريخ » التزم بخط السير التاريخي السياسي قبل أن يغدو شاعراً كبيراً (١) . ومن هنا تحوّل الى عدم المباشرة في التعبير الفني ، بل تمت الاحداث الفنية بين يديه من الداخل ، وتشاكلت على نحو تعبيري غير مباشر . وكان بعيدا عن العفوية ، لأنه يعمل العقل والحسّ والشعور ، والوجدان في تخطيط اروع عمل فني يصور موقف الانسان العربي من أخطر القضايا المصيرية التي تواجه الانسان الحديث ، لما لها من آثار عميقة ، ومريحة تكبر فيه حبّه وكرامته ، ودوره الإنساني في تاريخه ، وتاريخ البشرية .

ومن هنا جاء حب القاسم للارض ، وللانسان والناس ، ومحبته كل طرف من التركيب الاجتماعي المشدود إلى وطنه وعروبته . فكان حبًا عميق الجذور يشده القاسم الى التركيب الاجتماعي ، ومن هنا وجد نفسه انسان التزام مع المواقف الكريمة التي يقفها من قضايا الانسان العربي .

ومن هنا جاءت أعماله الفنية مترابطة بينها وبين الانسان ، ومواقف الإنسان .

فانسانيته امتزجت بواقعيته الغنائية ، فتحولت من حالتها الانفرادية الى " كورس " جماعي ترددها الحناجر في الوطن العربي ، وتتدفق انسانيته من ألحانه الغنائية التي لاتلبث أن تتحول في روحها الى هدير الملاحم (٢) . ومنها ينبوع الاسلوب لينتقل إلى رحاب الدراما ، وما تقتضيه من تنويع في الاسلوب ، ومنولوج داخلي ، وتصوير للشخوص ، وتركيز في المواقف ، وتلوين للاحداث ، ونمو وتطوير يقوم به الحوار ، وتشكيل للحدث من الداخل .

فانسانيته ، تتجلى في عمق الأنتماء والتعلّق والاتحاد بالمكان ، وابعاده ، والزمان وأبعاده ، وانسان المكان ، وحب الوطن ، والايمان الراسخ بالحق

---

(١) راجع الباب الخامس : عبد الرحمن ياغي ، ورجاء النقاش . في حديثهما عن الحس التاريخي في شعر سميح القاسم .

(٢) مراثي سميح القاسم ، اسكندرون في رحلة الداخل والخارج ، ارم وغيرها من أعمال الشاعر .

والعدل والجمال والترقب ليل نهار .

وهكذا كان القاسم في أعماله الأدبية في غنائياته جياشًا بالعواطف الإنسانية وفي روحه الملحمية هديرا الجماعة المناضلة في وطنه والعالم من أجل الحرية والانسانية المعذبة (١) . وفي دراميته صورًا من التخطيط المتمهل المدرك للسبل المؤدية إلى الغاية المرجوة . فكانت أعماله صورة مشرقة ، وناهضة بالحياة لنفسه ولوطنه ولامته ، ولانسانيته ، وهو يقوم بحركتها الاجتماعية بسائر فئاتها . فلا غرابة ان يلتصق بالوطن ، وان يتحد به اتحاد الصوفي بربه .

فأدبُ سميح القاسم ، أغنيات في الحاضر المناضل ، والمستقبل المتفتح المنتصر ، يحملها في جناحيه نسر مزهو ، ينطلق بها من الوطن الأسير ، إلى ديار الغربة ، ليزرع بها أنوار المحبة ، والايمان والتعلّق بالارض والانسان . فاندمجت بالنفس الانسانية ، وعلقت بها أسماعنا ، واختلطت بها قلوبنا فجاءت تتحدى بما تحمله من صفات إنسانية نبيلة قوى الطغيان ، ولا تخاف أظافر الفاشية المطبقة على الاعناق . ولا ترهب الشر الهائج ، بل تؤمن بالانتصار على ذئاب الغابات البشرية (٢) .

لقد جعل قضية فلسطين ، قضية الانسان العربي المتحرر في كل مكان ، وقضية الحرية ، والسلام ، لتزيل الطرق المعوقة للحياة الفتية القادرة على العمل والكشف ، والابداع . فدعا لتمزيق الخوف من القلوب ، وإزالة الرهبة ، وليكن نموذجًا حيًا لإنسان هذه الحركة الايحائي ، فارتفع بالإنسان العادي الى مستوى الإنسان الجاد ، فغدا الانسان العادي بطل هذه الحركة ، مكّن الانسان العادي من أن يصبح انسانًا بطلا ماردًا ، مقاومًا متحديا ، مؤمنا بقضيته ، يعي اهدافه ، ويمضي بارادة منظمة ومصممه ، لتخلق فيه قوى متحدة من جوانب متباينة لتتشابك تلك القوى ، وتتلاحم في الإنسان العاديّ قوة الساعد ، وقوة القلب ، والعقل ، وارادة الحياة الحرة ، حتى غدا الانسان العادي ماردًا لا يعرف الخوف ، فعلم الانسان العربي بمواقفه الانسانية الا يخاف (٣) .

---

(١) انظر مسرحية قرقاش .

(٢) راجع ديوان دمي على كفي ص ٩ — ١٢ .

(٣) راجع: قرآن الموت والياسمين : اتحدى ص ٥٣—٥٤ ، أغنيه لشيخ ساخط على العالم ص ٦٢ ، ٦٣ دخان البراكين ص ٨٥—٨٦ الموت الكبير: ص ١٧٢ اعتراف في عز الظهيرة .

وكما رفع الانسان العادي إلى مستوى المارد ، رفع كذلك الفن المعبر عن حركة التعبير الهادف إلى مستويات الفن الشعري بما تحمله من شفافية وقدسية على درب الفن الخالص ، فهو يكتب شعرا ونثرا يشعُّ كل منهما بالحيوية والنشاط ، ويحدو للكفاح من أجل انسانية متحررة تؤمن بالأرض والانسان ، ورسالة الانسانية .

وهذه الحقائق لا يمكن أن تصدر إلا عن إنسان هذا الحاضر المتحرر من تشنجات الماضي ومقوماته ، انسان معاصر لزماننا الحاضر ، فلم يستسلم إلى فهم الحاضر من خلال الكتب والحصص الخاضعة لقيود المحاضرات الزمنية والمكانية ، أو تركيبات وأشكال جاهزة ، ولم يركن إلى فهم الحاضر من خلال الدوريات كذلك بل بالمعايشة والمقايضة ، فكان شعاره تنوير الجمهور للكشف عن الواقع ، بكشف مواضع الضربات القاتلة في عدوه (١) . وانما تدفعه إلى مقارعة الامواج العاتية بقوة ساعده ، وعضله ، وعقله ، وحسّه ، وفي المواجهة اليومية التي تحرك فيه قوى عجيبة ، وطاقات انسانية رائعة فيصمت حين يلزم الصمت ، فيكون موجعاً متحدياً للعدو ، ويميل الى الحكمة الموجعة المؤلمة حينما يقتضي الموقف ذلك ، فتفعل فعلها الساحر العجيب في العدو فيتأهب بكل قواه منتصراً بعد أن يقهر عدوه بالحكمة الحرة (٢) .

٥ ❖ ٥

فإيمانه بالانسان ، وانسانية الانسان لا يوهن من عزيمته ، أو يضعف من شوكته بحيث يستسلم لقوى الظلم والعدوان ، فمحبته للانسان ، لا يحول دون ضراوته في مواجهة مغتصبيه (٣) .

ولهذا لم تكن الكلمة البسيطة أحياناً لدى القاسم تدنياً بالفن ، بل ، كانت ثمرة التركيب الاجتماعي الجديد الذي بطله الانسان البسيط في مواقفه البسيطة ، وفي تعبيراته البسيطة التي تنمو وتتجه في خط سير يخدم الحق ، والخير ، والعدل دون أن تفقد الكلمة شيئا من معناها الرفيع . ومن هنا تعلق بأقدس شجرة من أشجار وطنه ، هي شجرة الزيتون (٤) .

---

(١) راجع من فمك أدينك قراءات في وثائق صهيونيه .
(٢) راجع سربية سميح القاسم الهي الهي لماذا قتلتني ص ٣٧–٥٢ .
(٣) دمي على كفي ص ٩ –١٢ ، ص ٢٢ – ٢٥
(٤) انظر اسكندرون في رحلة الخارج الداخل ص ٦٤–٦٥ ، دخان البراكين ص ١١٩ ، دمي على كفي ص ٨ ، الموت الكبير ص ٨٨ .

ومن أجل هذا كان اختياره لها التي ينتمي اليها انسان بلاده البسيط الذي يحمل على كاهله العبء النضالي دون ان يرتخي او يكلّ .

• • •

والذي يقرأ آثار القاسم الادبية من دواوين شعرية ، ومجموعات شعرية في الدوريات المحلية ، ومسرحيات ، ومقالات ، وخواطر ، يتضح له ما فيها من نزعة انسانية متنوعة الجوانب ، والاتجاهات الخيرة ، مفعمة بانواع العواطف ، وألوان الانفعالات والاحاسيس المنبثقة من قلب سميح الانسان .

تظهر نزعته الانسانية واضحة في أدبه ، في نهوضه للدفاع عن انسانيته ، لانقاذها من الموت في مثل تلك الفترات العنيفة العصيبة التي هددت انسانيته بافدح الاخطار عندما انفجر العلم ، وتقدمت الشعوب في العالم ، وتعاظمت مسيرتها الثقافية والحضارية ، وانفجرت أخاديد الظلم ، وتكشفت أساريرالعدوان على الارض الفلسطينية التي يقدسها شاعرنا ، حيث اصبحت زاده ومعاده (١) .

كما تبرز انسانيته بجلاء مدوية وصارخة في تحديه للمحتل ، ومقاومته لسلبه حقوقه ، عندما تجد القاسم متشبثا ومتعلقا بأنبل تراث انسانيته . فأدبه من انقى ميزات أدب المقاومة الذي هو تعبير عن رفض الامر الواقع بقوة ومرارة ، ودعوة حادة لتغييره باحساس عميق ، ووعي يقيني ثابت (٢) .

اما ايمانه الشديد ، والوثيق بامكانية التغيير فهو مبدأ الظهور الحق لانسانيته العميقة ، فشعره ونثره صورة مثلى من صور الانسانية التي تمثل الغضب والرفض ، والاحتجاج ، وتعبر عن الالم والظلم ، والمرارة ، وقساوة المعتدى . وصرخة القاسم في الظروف العصيبة التي رانت على قلبه ، وقلب كل فلسطيني مقيّد على ثرى حقه المسلوب هي صرخة انسانية واعية ، تخصّ الانسان والانسانية في كلّ زمان ومكان .

أما ينبوع انسانيته فهو رفضه الصريح لصور الظلم ، والسجن ، والاعتقال ،

---

(١) راجع سربية القاسم : ألهي ألهي لماذا قتلتني .

(٢) هذه النزعة بارزة بوضوح في دواوينه دمي على كفي ودخان البراكين .

والاضطهاد ، والحجز والتي تعتبر كلها موءشرًا خطيرًا في حياة البشرية والانسانية ، والتي لاتختصّ بحدود جغرافية ، أو زمانية معيّنة ، بل تعتبر شاملة للاحداث والأماكن كلها . فمقاومة هذه الصور من أنبل الجهود الانسانية (١) .

يتمتع أدب القاسم بحساسية شديدة نحو التاريخ ، لأنّ التاريخ جزء من الرسوخ والتغلغل في الأعماق . تعين الانسان والإنسانية على الصمود ، والتضحية والثبات ، وتبريره ، ويدعو لاحتقار الظلم الطارىء على التاريخ الهادف كتزويره ، ومسخه . ففن سميح القاسم أصيل ينزع لهذا التجلي ، وصرخة احتجاج على كلّ مايعرقل مسيرة الانسان نحو التملّك ، والحفاظ على إنسانيته من الضياع في هذا الخضمّ من التشويه والمسخ (٢) .

فالذي يملك مثل هذه المقومات ، والقدرات الفنية التي تبرز دعوة الانسان للتحرر والرسوخ ، والثورة في وجه أعدائه ، وفي الوقت نفسه تحرره من عدائه السابق للعلاقات غير الانسانية في المجتمع ، هي من أهم وأنبل الأعمال والجهود الانسانية .

فاهتمام سميح القاسم بالارض وأشجارها ، وحقولها ، وجبالها ، بزيتونها ، وتينها ، وعنبها ، بقثائها وليمونها ، وبكلّ أنواع خيراتها الطبيعية على الأرض ، وفي باطنها ، فانه يستوحي ذلك من واقعه الانسانيّ الذي غرس الأرض بعرق ، وعمّرها بجهوده ، وسقاها بدمه ، بأمله وعمله .

---

(١) راجع : دخان البراكين ، الموت الكبير ، دمي على كفي ، ويكون ان يأتي طائر الرعد .

(٢) راجع قصائده السبع في مجموعته " أرم " .

فسميح القاسم عندما يصور الفلسطيني اللاجئ العائد (١) الـذي تعترضه كلمة " ميشام " (٢) العبرية بابداع وشاعرية فذة ، ويصور حالة الغربة القاتلة التي يعانيها الانسان الفلسطيني المحروم والمشرد ، والقسوة التي تجلده بسياط الرهبة في الخيام ، والاعتماد على بطاقات الاعاشة من وكالة الغوث الدولية لاغاثة وتشغيل اللاجئين (٣) ، عندما يصور الوحشية الرهيبة ، والبحث واللجوج عن الحق المغتصب ، والحقيقة الضائعة . عندما يصور الصراع النفسي مع النفس ، والضمير مع الفكر ، والحياة ، مع العاطفة والوعي ، فإنه بذلك كله يجسد العاطفة الانسانية في مجتمع شرس ، ضرب بكلّ القيم الإنسانية عرض الحائط ، وناور ولا يزال يناور ويحاور ويمانع دون تحقيق انسانية الانسان ، في مجتمع شرس أعمته السيطرة ، والحقد ، وحب الذات ، عن رؤية الحقيقة ليتحول بذلك الانسانية إلى فقدان وضياع ، إلى شراسة قاتلة ، تدفعها دفعاً لإرتكاب الاهوال في سبيل انقاذ انسانيتها ، وكرامتها المهدورة المغدورة ، بالعمل الطائش ، واكل الحقوق .

إخلاص سميح القاسم لفنه الأصيل ، ولمنبعه العريق لوطنيته ، وقوميته العربية ، ومشاركته أبناء وطنه الكبير كما في " اسكندرون في رحلة الخارج والداخل " (٤) . وكما في قصيدته " أطفال رفح " (٥) ، وتأثره لمذبحة مدرسة بحر البقر (٦) فإنّه بذلك يعبّر عن صَبغته الانسانية النبيلة ، وعمقه الفني الأصيل ، وارادته الحرة .

أما ثورته على أساليب القمع والابادة ، والتصفيات الجسدية الرهيبة التي يمارسها المحتلون ضد عرب الأرض المحتلة ، ومنع المعتقل والسجين من ممارسة حتى أبسط حق فرضته لائحة حقوق الانسان الدولية ، وحجب أضواء الشمس من

---

(١) الرجل الذى زار الموت : دخان البراكين قامت يد الرقيب بحذفها من الديوان .

(٢) كلمة عبرية معناها : من هناك ؟

(٣) راجع دخان البراكين ص ٥٠ — ٥٣ ، دمي على كفي ص ٧٢ — ٧٤ ، الموت الكبير ص ٧٧ .

(٤) اسكندرون في رحلة الخارج والداخل .

(٥) الموت الكبير ص ١١٥ — ١٢٥ .

(٦) الموت الكبير : حين صار الموت عادة ص ٢٨ — ٤١ .

القاء نورها على الانسان العربي فهي منتدى انسانيته ، وفحواها الاصيل (١) .

كما نرى في سخط سميح القاسم على طائرات الموت ، وزوارق التدمير واللصوصية والقرصنة البحرية في جنح الظلام التي كانت تمارسها سلطات الاحتلال العسكرية على مخيمات اللاجئين ، والقرى العربية الآمنة ، والمدارس والمعاهد والمستشفيات في سوريه ومصر ، والاردن ، ولبنان ، وتصب بها جام غضبها الذي ينفث الحقد والثبور والهلاك على الانسان الفلسطيني في كلّ مكان ، وفي شرح كلّ هذه الممارسات والاساليب البربريه للعالم شعرا ونثرا أصدق معنى للانسانية . ناهيك عن ثورته الساحقة على المطاردات البوليسية في جنح الظلام الدامس للابرياء من الفلسطينيين طبقاً لوشايات كاذبة ، ولبعث الرعب والفزع ، والقلق في نفوس الآمنين الصامدين على الارض ، وفي البيت ، وارتجاله الأعمال الأدبية الطافحة بروح الانسانية معنى وصورة امام المذابح الوحشية التي ارتكبتها سلطات الحكم العسكري الغاصب داخل فلسطين في " كفر قاسم " ودير ياسين ، وقبية ، ونحالين وغيرها ، وفي حقده المتأصل ، وغضبه الثائر على العدوان الإسرائيلي اليومي على الدول العربية ، وتجمعات الفلسطينيين الأبرياء فيها ، والصهيونية الحاقدة على كلّ ما هو فلسطيني (٢) .

هذه انسانية سميح القاسم في مظاهرها ومعانيها في أدبه ، فما هي صور الانسانية وملامحها في أدب القاسم شعرًا ونثرًا ؟ .

هـذا ما سنقرأه في الفصلين القادمين .

• • •

---

(١) دمي على كفي : إليك هناك حيث تموت ص ٢٢ — ٢٥ ، الموت الكبير ص ١٩ — ٢٧ .

(٢) دخان البراكين : زنابق لمزهرية فيروز ص ٦٢ — ٦٦ ، الموت الكبير : حيث صار الموت عادة ص ٢٨ — ٤٤ .

الفصل الثاني

صور من إنسانية القاسم في شعره

اذا ماتصفحنا آثار سميح القاسم الشعرية، وقرأنا قصائده ، وأغانيه في الدوريات المحلية وجدناها تطفح بالصور التي تفيض إنسانية ، وحبا ، وخيرا ، وألفينا القاسم يغذى هذه الصور من اكثر المعاني الانسانية نبلاً وشرفًا ، وايثارا وواقعية ، وتضحية . وتفتح عيون المحبين للسلام ، وانصار الانسانية في كلّ مكان من هذا العالم على الانسانية المشردة والمعذبة والمحرومة في فلسطين المحتلة ، وفي مخيمات اللاجئين العرب الفلسطينيين في مهاجرهم من جراء الاعمال البربرية التي تمارسها سلطات الاحتلال الاسرائيلي ضدها .

وفي هذا الفصل نلمح صورًا متنوعة من إنسانية القاسم ، التي تضع القاسم الانسان امامنا بوضوح ويقين ، وصوراأخرى من الانسانية التي عرضها القاسم في شعره معبرًا عن مدى الضيم الذى لحقها ، وعن الملامح الباهتة لصورها على مسرح الحياة التي يعيشها شعبه في ظلام الاحتلال .

من هذه الصور ، ما جاء في قصيدة بعنوان " ليست جميلة " (١) .

من المألوف ان يتغزل المرء بالفتاة الجميلة ، ولكن القاسم تغزّل فيها على الرغم من أنها ليست جميلة . مبينا أن سمة الجمال لاتمنع الفتاة حقها من الجنس الآخر . أليست هذه اللفتة لفتة انسانية اصيلة في قلب القاسم وروحه ونفسه؟ .

وفي سربيته " ليلى العدنية " (٢) يصور أحد المناضلين المقاتلين من عرب الجنوب اليماني رغم وجود الضحايا الكثيرة ، يدعو فيها رفاقه في السلاح ان يقبلوا للصلاة على قتلى الفريقين رغم العداوة التي فوجىء بها من قبل الغاصب والغازي الأجنبي الدخيل .

أليست هذه صورة اخرى من صور الانسانية التي رسمها سميح القاسم خالدة مع أسطر وكلمات صفحات هذه السربية ؟ .

---

(١) مواكب الشمس : ص١٢

(٢) دخان البراكين ، ص ٩ — ٢٨ .

أن الأبيات بل الشطرات القليلة الآتية من هذه السربية تعكس اللفتة الانسانية القاسية :

" تعالوا يابني أمّي
تعالوا ...
كي نخطَّ القبر للقتلى
لقتلانــا وقتلاهم
ونتلوا مالدينا من صلاة
رحم الله الضحايــا
من بنينــا والغزاة " (١)

وصورة أُخرى ترينا ان جرح اليهودي المعذب هو نفسه جرح الشاعـــر سميح القاسم . وفي هذه الصورة نرى مدى مشاركة الشاعر الإنسان اليهـــودى آلامه رغم ان ذويه اعداء الشاعر ، واعداء قومه ، لكن مهما كانت الصهيونيـة شرسة ، تقف مواقفها الشائنة ضد الانسانية فاليهودي إنسان كذلك في نظــر الشاعر يجب أن لا يحرم انسانيته .

فلقد قال لي : " أنظر يا أخي ، رغم عداء الصهيونية لنا ، ورغم ماتقـــوم به فئات من اليهود من أعمال قذرة ضدنا فهناك يهود معذبون كذلـــك ، يرفضون اجراءات السلطة القمعية ضدنا ، ويشاركوننا آمالنا وآلامنا ... وهـــذا يهودي انسان معذَّب ، نظرت إلى جرحه في هذا المجتمع الذى لا يرحـــم ، فهالني وافزعني فقلـــت :

جرح اليهودي المعـــذَّب لم يزل جرحي ، ففك القيد واترك
أنا للسلام نواظرى ، ومواســـي وتشح ، انت بنظرة وبموســـي " (٢)

• • •

من يوميات " جوني جينار " (٣) يصور فيها الجندى الامريكي الذى يقع في حب فتاة مقاتلة " فيتنامية " شمالية على الرغم من العداء المستحكم بينهمـــا ،

---

(١) دخان البراكين : ص ٢٥
(٢) في مقابلة شخصية معه في بيته بشارع عباس بمدينة حيفا بتاريخ ١٨/٣/١٩٧٥ م
(٣) دخان البراكين : ص ١١٣ — ١١٨ .

وما سببه الحب من عنت ، ومكروه للجندى الامريكي ، ولأهله لمجرد وقوعه في حب هذه الفتاة . وفي القصيدة نفسها صرخة ضد العنصرية الأمريكية التي ترسل الشباب الزنوج للقتال خارج بلادهم ، بينما تضطهدهم داخل الولايات المتحدة الامريكية ، وتمزّقهم عندما يحاولون التظاهر للتعبير عن انسانيتهم وكرامتهم المهدورة .

جاء هذا التصوير في هذه الشطرات من القصيدة المذكورة " من يوميات جوني جيتار " .

" .... خنتك في الخيال
لأنني عشقت يا حبيبتي
عشقت في الخيال
صبية جاءت من الشمال
لم أعرف اسمها
لكنني بكيت يا حبيبتي
لانني في ساحة القتال .
كنت عدوها !!
.... كان الصباح رائعا .. في غابة الكمين
لكن جارى " مايك " أطلّ ساهما حزين
و " مايك " يا حبيبتي
مهرج وراقص طروب
و " مايك " .. زنجي من الجنوب
أمس آتي اخوه في كتيبة جديدة .
وقال إنّ امّهُ خلفها في الكوخ
في " ديترويت "
أرملة وحيدة ..
وقال " آن " آه يا حبيبتي
أبوه مزقوه .. وهو في مظاهره " (١)

---

(١) دخان البراكين : ص ١١٥ — ص ١١٧ .

ألا ترى ان هذه الصورة الانسانية التي عرضها القاسم في قصيدته هذه قد انطلق بها بعيدا عن واقع شعبه المحتل الى اناس آخرين في امريكا ، وفيتنام يعالج قضاياهم الانسانية ، ويصورها ، محللا للناس ، بأن الانسان المعذب والمغلوب على امره في كل مكان من العالم ، هو صورة حية عن الانسان الفلسطيني الذى جردته الصهيونية انسانيته وكرامته .

• • •

ومن خلال تصويره للويلات والمآسي التي يعانيها اللاجئ الفلسطيني في خيمته ، والبذخ الذى ينقلب في أعطافه السادة ، وعبيد الدرهم والدولار نلمح صورة الانسانية الحزينة الظلال والأطر في عتمة المخيم ، ونشاهد ملامح الغضب والرفض والثورة تنبض من صورة القاسم الانسانية ، والمحبة للخير والسلام يعم الناس جميعا حيث يقول : (١)

لا يا سيد "المونوكول" و "البابيون" و "النابالم"
لا ، ايها المتخم بالحضارات ، وقشور الحضارات
ليست المسألة بهذه السهولة
ولا أستطيع السماح لك بالنوم الهادئ العميق
الى جانب سيدتك المدللة .
المغفية ، وعلى صدرها عشيق الليدى "تشاترلي"
انت تكدس في بيتي المقلوب .
اسطوانات "باخ" ، "بتهوفن" و "توم جونز"
أنت تشرب القهوة بالحليب على شرفة عمرى
وأنا احصي همومي ومواليدى
أحصي ليالي الشتاء ، وحفنات الطحين
في خيام وكالة الغوث ...
لاعدالة في ذلك
ولا منطق في ذلك على الاطلاق
اذن ؟ فاسمح لهذا الحاضر الغائب أنّ يزعج قيلولتك المسلخة "

• • •

---

(١) الهي ألهي لماذا قتلتني ؟ سربية ، مطبعة الاتحاد التعاونية حيفا . ص٣٢ .

وهناك صور انسانية أخرى رسمها سميح القاسم في شعره أرى منها كذلك سميح القاسم يغني لارضه ، ويصف اعمال الصهاينة يصادرون كل حق عربي في فلسطين ، بينما الشرطة الاسرائيلية تداهم البيوت ليلا ، فتروع الامنين من النساء والرجال والاطفال ، وتعتقل الاحرار ، وتفسد ابتسامة الفرح في الثغور العربية . وتحاول جاهدة تغيير ملامح الصورة الجميلة الى سبب من الالم والاسى والمرارة فيقول :

أنا شعبك، تاريخ ميلادك ، مفكرتك ، واشياؤك الخاصة
يقتحمك الغزاة ، كما يفاجئني المرض .
يدهمك السياح ، كما تداهم جماعة من الطلاب غرفة نومي
لا أحد مثلي يغنيك
لا أحد مثلي يبكيك
ولا أحد مثلي يمقتك .
أمقتك ، أمقتك أشد المقت
ألهي
لماذا
شبقتني .
في رمق النهار الاخير أقعد قليلا لارتـــــاح
انتخب صخرة ، لم تصادروها بعد دولة "الكيرن كييمت"
ثم أفك رأسي لأنظفه من سناج السيارات
ونباح القاذفات المقاتلة في عيد الجثمانية
ومع طلوع الفجر أعيد رأسي إلى مكانه الطبيعي
من ؟ يقرع ؟ بابي ؟
في هذه الساعة المتأخرة من الليل أيها الناس .
يا روح العالم الحكيم ، يا روح الحكمة
تعالوا ، وتفرجوا كيف تنفس الشرطة كالبالون
أمام ابتسامتي العالية
ابتسامتي هذه الأبدية
ألف مرة ، قرصت آذان الأباطرة الوسخة .

جعلتهم يركعون في القرنة " (١)

• • •

وينطلق القاسم يشارك العالم مآسيه واحزانه ، ويصرخ لآلامهم وأحزانهم في فيتنام ، وأرتيرية (٢) ، في تشيلي المأساة يصور الوحشية الامريكية وأقمارها الاصطناعية للتجسس ، يسخر من التقدم التكنولوجي الذي يهدم بدافع انسانيته الثائرة ضد كل مايمس الانسانية من ضيق وعنت ، ومحاولة لازهاق روحهـــا بوسائل التقدم التكنولوجي الذى يرى الشاعر أنّه يسخر لتقدم البشرية ، وكرامـــة الانسانية ، لا لوأدها واهدار كرامتها فهو يقول : من قصيدة "الكرنفال الدموي"

" مطوقا باقمار التجسس الأمريكية
ومدججًا بعيون الفقراء الغاضبة
أواصل مسيرتي الاحتجاجية حول العالم
من كل خندق مهجور أقطف زهرة ،
ومن كل فضاء غائم بالغازات السامة أتنشق اغنية
هناك على شاطئ تشيلي البثير كحزام صبيــة
أسجي باقتي ، وأنشد أغاني
ثم واحــدا واحــدا
اصافح رفاقي القتلى
لن تكون هناك يا " بابلو نيرودا "
لأنك مشغول بالكانتو جنرال
في حضرة أكواخ فقراء الانديوس
على كل حال يبلغني دمك
دمك يعرف طريقه الي
صرخة مدوّية عبر مناجم النحاس
على كل حال يحضنني صوتك ...
... زلزلتني صرخات الفزع في شوارع " سنتياغو" المغتصبة
يا التي اسمك تشيلي

---

(١) السربية البهي البهي لماذا قتلتني : ص٢٨ — ٢٩

(٢) ويكون ان يأتي طائر الرعـد : ص١٨

حطّابك أستيقظ ولن ينام
نحّاسك لن يكون ذخيرة للقراصنة
وسيعلم جزاروك الخرفيون أنّ
تشيلي ليست قصر الرئاسة (١)

• • •

وعندما يصرخ المرء من شدّة الألم ، والارهاق ، والارهاص ، فإنّه يعبر عن مشاعر الانسان ، والانسانية بأحاسيسها ، وميولها ، وأهدافها ، ومشاعرها ، ومتطلباتها .

والقاسم ، حينما يصرخ فإنّه يسمع العالم حقيقة الأحداث المضنية القاتلة التي تجري بقسوتها ، ووحشيتها على الشعب العربي الفلسطيني فأراه عبر هذه الحقيقة يصرخ مخاطباً أجمل الجياد في تهليلة غنائية رائعة قائلاً : (٢)

أرهقني الرقص ، وعرس الموت
يمتـد أعواما على أعوام
خوفي يمر الوقت
ولم أعانق سيدي الآتي من الأحلام
دمرتني ياموت
جددتني ياموت

• • •

وتبرز انسانية القاسم في أسمى صورها ، وظلالها المقسمة بألوان الثورة والحب ، والاعجاب ، والتحدى في آن واحد عندما يهتف بالحبّ ، وباسم الهواء الطلق ، وبالزيتون ، والشواهد ، وقبور الاجداد ، واخوان له سبقوه في النضال وعندما يقسم باسم الحنين الى الطفولة ، باسم الجنازة ، والزفاف ويقول : (٣)

---

(١) مجلة الجديد العددان الرابع والخامس ، ١٩٧٤ م ص ٤٥
(٢) الموت الكبير : ص ٧
(٣) اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل : ص ٦٤ ، ٦٥

باسم الهواء الطلق
والحب المغمس بالتراب
باسم ارتطام الفجر بالسكك النقية والمعاول
باسم الشواهد والسنابل
باسم الاغاني الياسمين
الضحك في فيء المنازل
وشقائق النعمان
والزيتون
والقصب الملوح في الضفاف
باسم الحنين الى الطفولة
باسم الحنين الى الشباب
باسم الجنازة والزفاف
اسكندرون يريد زوجته
ويحلم بالسلام " .

* * *

ويطول بي المشوار مع صور الانسانية المتنوعة في شعر سميح القاسم فما من قصيدة الا وتعرض لوحات بديعة التلوين والزخرف من صور الانسانية وبخاصة في مسرحياته الشعرية مثل " قرقاش " .

ان الرقص مع سميح القاسم على نغمات الحزن والالم والمرارة ، والتحدى ، وعلى الانسان والانسانية المفقودة في عالم المأساة والتشرد والنسيان ، والهالات المصبوغة بالسواد ، والمجللة بسفك دماء الابرياء يعكس لنا صورة أخرى يفترس فيها القاتل انسانية الشاعر فيثور ويغضب قائلا : (١)

---

(١) الموت الكبير : ص ٢٥

لم أُزل أحفر في الجدران
في سرّي
وفي العالم من حولي
وفي المستقبل المشطور ليلا ونهارا
لم أزل أضرب في السكرة والصحو
سجلي بقع الدم
أولاقيهم على كلّ الميادين
واحتج
لماذا تشطبون اسمي من كلّ اللوائح
والذي يقتلني
يفترس الليلة انسانيتي ٭

الفصل الثالث

صور من انسانية سميح القاسم في نثره

سميح الإنسان في نثره ، كما كان الإنسان في شعره ترافقه الانسانية في كل كلمة حق وخيروبركة تخرج من فمه ، ويسيل بها قلمه . لأن انسانيته كلٌ لا يتجزأ .

وكما مر معنا في الحديث عن شخصيته ، فهو ينزع الى الحرية ، والتشبث بالحياة ، ويدعو الى التفاؤل ، ويكره القلق ، يتأثر بالمآسي التي تحدث على مسرح الحياة العالمية ، ويأسف ، ويقلق للضحايا الأبرياء في كل مكان ، يتقزز من التقدم التكنولوجي الامريكي ، وغزو الفضاء ، ويراه عديم الفائدة . والسبب واضح وبسيط ، فلماذا ؟

لان هذا التقدم ، وغزو الفضاء لم ينقل الزنوج من حياة التفرقة العنصرية إلى الحياة الفُضلى ، ولم يعد للاجئين الفلسطينيين وطنهم . انه يرى بأن التطور العلمي التكنولوجي ، والانجازات العلمية التي تحمل للانسان العيش الحر الكريم ، والحياة الفضلى ، ليتمتع بها بنو البشر والإنسانية فهو يقول :

" كل جلبة الابحار الى القمر ، لاتثير في غير التقزز ، زنوج امريكا لم يبحروا إلى منازل أفضل . واللاجئون العرب لم يبحروا الى وطنهم . لابد من التطور التكنولوجي والانجازات العلمية ولكنني أريد أن أعيش حتى اتمتع بها حقا (١)

نعم ، سميح القاسم انسان متعلق بالحياة ، راغب فيها حتى النصر ، والنضال ، حتى يأكل الثمار ، يحارب بالكلمة ، ويثير الهمم ، ويحفز النفوس للغضب والثورة ، والالتهاب والاشتعال ، فهو يقول :

" لا أعلم ان كان الشهر الاخير ثلاثين يوما أم واحدا وثلاثين يوما ، ولكنني أعلم جيدا أنني راغبٌ في الحياة ، راغبٌ فيها حتى اليوم الثاني والثلاثين من الشهر (٢) " .

---

(١) الجديد : صفحات من مفكرة سميح القاسم . ص ٥١ .

(٢) م . ن : ص ٥١

عرب الارض المحتلة مختلفو الميول الطائفية والدينية على الصعيدين الاسلامي والمسيحي ، ولقد دأبت سلطات الاحتلال على إشمال نار التفرقة الطائفية بينهم ، وتغذيتها بالخلافات ، وايغار النفوس في الصدور . ومن هنا ، لم يستطع القاسم أن يقف مكتوف اليدين حيال هذه التفرقة ، واللامبالاة القومية ، فانطلق بانسانيته المعهودة يفتح العيون على الواقع ، ويبصر العقول بمآرب سلطات الاحتلال من جراء إثارة النعرات الطائفية والحزبية والدينية ، وزرع اليأس في النفوس (١) .

كما يعجب بكلّ أثر انساني ، وبكل مضمون انساني ، ويهتز شوقاً لاحتذاء كل عمل فيه للانسانية خير وسعادة ، قال في مهرجان النبيذ بسترا جنيسني (٢) : " اعجبني جدا المضمون الانساني لهذا المهرجان ... او هذا العيد . ففي رأيي ، ان نشاطا فولكلوريا كهذا ، يغني عن عدة نشاطات دبلوماسية . تساءلت وانا اشاهد الاستعراضات الرائعه ، وما زلت أتساءل لماذا لاتنظّم الاقطار العربية مهرجانا مماثلا ؟ أليس من شأنه ان يكون خطوة ، ولو صغيرة نحو الوحدة المنشودة ؟ (٣) " .

. . .

أما حينما سجل مشاعره نحو الأطفال الفلسطينيين والمصريين ، متأثراً بما أصابهم من جراء العدوان الجوي البشع على مدرسة " بحر البقر " صور كيف يغتال العسكريون الاسرائيليون الانسانية البريئة في ظلال الدرس ، ورحاب العلم والتربية . وشعر من هول الصدمة بجسده يتقلص ، ويتشكل ، وانه لم يعد يحس بالارض ، وكاد يغمى عليه . فهو يقول :

" .... وسافرنا إلى بوتسدام ، حيث أقيم مخيم عالمي للأطفال ، وحين وصلنا فوجئت بالأطفال الفلسطينيين وقد انتظموا كفرقة عسكرية رافعين العلم الفلسطيني ، وما ان رأوني حتى أخذوا يرددون الأناشيد الفلسطينية عن

---

(١) الجديد : العدد الثاني ١٩٧٣ ص ٤ — ٥ " ليكن واضحا "

(٢) عاصمة اقليم مورافيا في تشيكوسلوفاكيا شمالي شرقي برنو .

(٣) لقاء مع سميح القاسم . الجديد . العدد الثامن ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢

التحرير والعودة . كان ذلك المشهد ، من اعنف المشاهد التي أبصرتها في حياتي شعرت بجسدي يتمدد ويتقلص ، ويتشكل في هيئة أخرى ، شعرت بأعضائي تنفصل وتتحد في صورة جديدة ، لم أعد أحس بالأرض التي أسير عليها ، كاد يغمى علي ، ولم ينقذني سوى الدموع ، بكيت ، وبكى آخرون حولي ، وصمت الاطفال لحظة ، ولكنهم عادوا إلى النشيد ، وكان صوتهم واحدا ، وكان أقوى ، واكثر صفاء ....

... وروى لي أحد الجرحى من مدرسة «بحر البقر» قصة العدوان الذى وقع عليهم وهم يلهون في ساحة المدرسة ، لم أشعر بالحقد كما شعرت به وهو يتكلم .... إنهم متعطشون للحقيقة ، متعطشون للغد الأفضل ، متعطشون للسلام والحرية .. كانوا رجالا حين يتكلمون ، وكانوا رجالا حين يصمتون ...... حبهم علمني حب أطفال العالم جميعا يسعدني ان أعيش لهم ، ويسعدني ان أموت لهم (١)" .

• • •

وفي ترجمانه للقصائد الأجنبية الى العربية ، كانت انسانيته تدفعه الى القصائد المفعمة بالروح الانسانية ، والتي تعرض صورا لها ، ولكل الحالات التي تمر بها في معظم بقاع الأرض في السلم والحرب ، والانتفاضات الجماهيرية المصفرة فهو يقول : — " ترجمت اليوم عددا من القصائد المعبرة المعادية للحرب ، وترجمت عن الانكليزية أغنية سوفيتية عن الوطن ، كادت الدموع تطفر من عينيّ وانا أترجمها (٢)" .

• • •

كما يجسد صورة واضحة المعالم لإنسانيته الأممية في كتابته عن المأساة التي يعانيها الرجل والانسان الافريقي فوق أرضه ، وللاضطهاد الذى يتعرض له من قبل الجماعة البيضاء التي تحاول القضاء على تراث الافريقي الأسود الشعبي في وطنه ، وتصدر هذه الجماعة الجوع والمهانة للسود ، فيصور ملامحها القاسم في حديثه عن "الكنغ كونغ" فهو يقول :

---

(١) الجديد : العدد الثامن ، ١٩٧٠ م . ص ٢٣

(٢) الجديد : العدد السابع ، ١٩٦٩ م . ص ٣٢

اما قوانين التنقل ، والتي تشبه إلى حدٍّ معيّن قوانين الطوارئ ، وأنظمة الحكم العسكري في بلادنا ، تلك القوانين ، حظرت عليهم الانتقال من مكان إلى آخر في الليل .

المسارح والقاعات كانت بدائية جداً ، بدون اضاءة ، وبدون ديكور ، وكل هذه الصعوبات والعقبات اضطرت بعض الفنانين إلى البحث عن طرق شتى لتحصيل قوتهم . أما الاذاعة ، فانها وقف على البيض ، ولا مكان للسود في الصحافة ، ورغم أنَّ اتحاد فناني جنوب افريقية الذي أسّس أخيرا ، غيّر بعض تلك الاوضاع ، الا أنه إلى يومنا هذا ما زال من العقبات ما يروّع الكثيرين عن ولوج الفن في جحيم العنصرية ، والتمييز العرقي (١) " .

• • •

حتى كلمات القاسم النثرية ، تعتبر كل كلمة منها صورة حية من صور الانسانية ، لأنها كشف حقيقي وصادق عن رصيد الإنسانية في الوجود على الصعيدين العربي والعالمي الاجنبي ، وما اعترى هذا الرصيد من تقدير وثراء ، أو اهانة وامتهان وازدراء . فحينما يدعو للسلم ونبذ الحروب نراه يكسو صور الانسانية بهالات المحبة والكبرياء فهو يقول :

" لاتعطني كتاباً عن الزهور ... اعطيني زهرةً حيّةً واحدة لأحبَّ الزهور جميعا ، لاتعطني مجلدات عن تاريخ الحروب ، اعطني مأساةً صغيرةً منها لاكره الحروب جميعها . ثم لا تعطني الخطب ، والقصائد الحماسية ، أعطني أغنية انسانية لتحرك مشاعري وتجندها (٢) " .

• • •

ومن صور الانسانية في نثر القاسم تعبيره عن مشاعره الجياشة نحو الأغنية الفيروزية الانسانية حيث يقول :

" اذا سألوني عن الادلّة على تطّور الانسان العربي منذ حزيران ، فإنني أضع بينها ، وبلا تردد الاقبال الشديد على فنّ فيروز ، حتى أصبح واضحاً أنَّ

---

(١) الجديد : العدد الاول ، ١٩٦٦م ص ٢١ ، ٢٢

(٢) الجديد : العددان ١ ، ٢ ، لسنة ١٩٧١ م . ص ٣

فن الغريزة والحس اخذ يجلي مواقفه لفن فيروز الانساني العميق (١)" .

٥ ٥ ٥

اما إثارته الحماسة ، والشجاعة ، والقوة ، والثقة في النفوس ، نفوس ابناء وطنه عن طريق ضرب الامثلة ببطولات الشعوب المناضلة والمكافحة التي حصلت على استقلالها وحريتها عن طريق التضحية والفداء والصمود فهي صور من صور الانسانية الخالدة التي عرضها القاسم في نثره فهو يقول :

" ها انت ترى شعب فيتنام الصغير المسالم والباسل ، كيف يواصل القتال من قرون ، وكيف يلحق العار بأقوى دولة رأسمالية في العالم . أنت قادر على الفعل . ان العالم لا ينتهي عند زنديك المصفودين ، و" من لم يستطع بيده فبلسانه " ويوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء " انت في حقلك ، وانت في مصنعك .. انت قادر على الحركة والبذل والغضب والتغيير ، اذكر دائما خطوة للوراء ، وخطوتان للامام (٢)" .

٥ ٥ ٥

اما كتابه " من فمك أدينك " والذى فضح فيه اساليب السلطات الاسرائيلية القمعية ، والتصفيات الجسدية ، والتفتيش الذي تفقد في مجرياته أبسط قواعد الحق الانساني . فهو زاخر بالفاظه ، وجمله ، وتراكيبه ، وتعابيره ، وموضوعاته ، بالصور الانسانية العميقة الدلالة ، والبعيدة الاغوار ، والمختلفة الألوان والظلال ، والمتنوعة الاطر والرتوش .

انه رسم جميل لصور الانسانية المعذبة في كفر قاسم ، ودير ياسين ، ونحالين ، وحرب السويس ١٩٥٦ م ، وحرب حزيران ١٩٦٧ م . وغيرها من الوقائع والحوادث التي وقعت على مسرح الاعمال العدوانية الاسرائيلية على دول المواجهة معها .

انظر الى هذه الصورة التي يرسمها القاسم في هذا الكتاب :

" شهم جدنا التاريخ ، فهو حين يجمعنا من حوله كالاطفال ليسرد علينا

---

(١) م . ن : ص ٣ .

(٢) الجديد : العدد السادس لسنة ١٩٧٢ م . ص ٣

اخبار أيامه ، ومغامرات لياليه ، يبوح بحلوه ومره ، ويجهر بشرفه وعاره ، لنتعظ ونتعلم ، او لنكفر ونكابر .

وحين يحدثنا في ليالي الدمع والدم عن فضائح النازية الالمانيـــــة ، والفاشية الايطالية ، تشتعل عيناه بالالم ، ويغيم جبينه بالخجل والمرارة .

لو كان الذي أحدثكم فيه هنا شهادة من رواية غير يهودي لعذبـــني الشك ، ولكن ، لما انت الشهادة من الكاتب اليهودي — حبيب كنعان — في سلسلة مقالاته التي نشرتها في مطالع عام ١٩٧٠ م صحيفة "هآرتـــــس" الصهيونية . فانني لا أجد سبيلا الى اتهام الشاهد باللاسامية ، او القـــدح المغرض . (١)" .

هذه الصوره ، انعكاس واضح لحقيقة الالم والمرارة والاشمئزاز مـــن افعال النازية الصهيونية ضد عرب فلسطين الذى يلتصق بقلب القاسم ووجدانه .

وفي موضع آخر من الكتاب يعرض صورة أخرى للانسانية المذبوحة على صخرة الحقد والكراهية الصهيونية الاسرائيلية في قرية "دير ياسين (٢)" حيث يقـول : —

" انه الاسم الفاجع — دير ياسين — ، دير ياسين ، أول قرية عربية نكبت بالاحتلال الدموى في ربيع ١٩٤٨م .. وأصبحت رمزا لمأساة الشعـــب العربي الفلسطيني ، ورمز القسوة الصهيونية ، ومرارة الكراهية ، دير ياسين ، الم فلسطين ، على العالم الا ينساه ، الم في طريق الالام نحو جلجلة العصر ، الم نعشه مع " غيرينكا " الاسبانية ، " ليدنشي " التشيكية . ومع " سونغ مي " ، و " ماى لاي " الفيتناميتين (٣)" .

. . .

لقد طال بنا الحديث مع الانسان سميح القاسم ، ومع الصور الانسانية

---

(١) من فمك أدينك : منشورات عربسك : عكا ، ص ١١

(٢) في الغرب من مدينة القدس ، وقعت المذبحة في ٩ نيسان ١٩٤٨ م .

(٣) من فمك أدينك : ص ١٩ .

في شعره ونثره ، ورأينا من خلال الامثلة القليلة التي ضربت في الفصلين السابقين ان كل حرف في كلمات القاسم وجمله وتعابيره ، وشطراته ، وأبياته ينبض بروح الانسانية ووحيها ، وكل حادثة من حوادث الحياة في عصر القاسم مجموعة من الاوتوغراف الانساني الخالد الذي طبعه القاسم بطابع الواقعية والامانة ، والصدق ، والاخلاص للحق والحقيقه .

ولقد اكتفيت بهذا القدر من الحديث عن سميح القاسم الانسان ، والانسانية في أدب القاسم ، لان طبيعة البحث تقتضي ذلك . والحديث عن هذا الموضوع يحتاج الى كتابة مجلد عن كلّ أثر من آثار سميح القاسم الشعرية والنثرية على اختلاف فنونها وأشكالها .

• • •

الباب الخامس

سميح القاسم

في

رأي النقاد

الفصل الاول

سميح القاسم في رأي النقاد العرب

سميح القاسم شاعر موهوب، اغرى كبار الكتاب، والنقاد في الوطن العربي الكبير، في البحث والتنقيب عن آثاره الأدبية ، وتعريف القارئ العربي بمواطن جمالها ، وبخصائصها الفنية ، حسب قدراتهم . والذي اغرى الكتاب، والنقاد بتناول سميح القاسم ، موقعه الادبي من الحركة الادبية والنضالية ، والتزامه الادب الثوري عقيدة ومنهاجا . ولانه في هذه الظروف العصيبة ، التي تمر بها قضيتنا الفلسطينية ، والصراع الداخلي والخارجي ، الذي يكتنف مسيرتها . فعمله الأدبي في هذه الظروف الحالكة ، نوع من العطاء ، وغذاء تقوى به الاجسام . وتنتعش به النفوس. فوقف الادباء عند نقاطه، وخصائصه، ومواقفه، مبرزين، وموضحين مواطن جمالها واثارتها .

وسأبدأ تناولي لسميح القاسم في هذا الفصل، حسب رأي كل ناقد على حده ، وأبرز أفضل ماقاله وأبرزه من الخصائص الفنية ، التي يتمتع بها القاسم في اعماله الادبية .

عبد الرحمن ياغي في كتابه " دراسات في شعر الارض المحتلة "

تناول الدكتور عبد الرحمن ياغي قصائد القاسم في دواوينه الشعرية: اغاني الدروب ، وارم ، ودمي على كفي ، ودخان البراكين ، بالدراسة ، والتحليل والتعليق . وسأحاول ان التقط بعض السمات الفنية والخصائص الذاتية ، التي اشار اليها من خلال تناوله لاعمال سميح القاسم .

أغاني الدروب :

عندما تناول القصيدة الطويلة " أمطار الدم .. من قصائد الديوان المذكور ، علق عليها ياغي بقوله : " فيها بذور التعلق باشياء الواقع ، وفيها

بداية توجيه الاهتمام نحو القصص في الشعر ، وفيها شق بعض الصور الساخرة التي تقلب المعنى، وتتصيد غيره ظاهره (١)" .

ويوضح د . عبد الرحمن ياغي محاولات سميح القاسم في مطولاته ، ويطلق عليها قائلا : " والشاعر في المقطوعات القصيرة حتى الآن ، انجح منه في المطولات التي يحاول فيها ان يقص من صور الواقع ما يقص (٢)" . ويشير الى محاولات سميح القاسم التدرب على استخدام الرمز قائلا :
" ومحاولاته لاتكف عن التدرب على استخدام الرمز استخداما فنيا (٣)" .

يحلل الدكتور عبد الرحمن ياغي لجوء سميح الى المواد التاريخية والاسطورية بأنه يرجع لاخفاق سميح في حبك الحكايا لتكون وسيلة من وسائل معماره الفني . يقول ياغي :
" ولا ينفك صاحبنا عن محاولاته في حبك الحكايا ، لتكون وسيلة من وسائل معماره الفني . شأن المبدعين من الشعراء شعراء الارض المحتلة شعراء الواقعية الحديثة ، وحين لاتواتيه هذه الوسيلة ، يعمد الى المواد التاريخية والاسطورية ، فيستعير هذه المواد من الاساطير اليونانية ، ليوفر على نفسه بعض الجهد ، الذي سيستخدمه في تشكيل هذه المواد ، واقامة هذا المعمار (٤)" .

ولكن سميح القاسم قد أصلب عوده في (رسالة من المعتقل) يقول :
د . عبد الرحمن ياغي :
" ومن هذه القضبان ، رأينا مرحلة جديدة في شعر سميح القاسم . فلم تعد التقريرية المباشرة تطفو على وجه القصائد ، ولم يعد نفسه جذوة قصيرة المدى ، بل اصبح الموقف الشعري كالحياة يمتد ، وينمو ، يتطور ، ويكبر (٥)" .
ويعطي عبد الرحمن ياغي رأيه في الديوان — اغاني الدروب — قائلا :

---

(١) د . عبد الرحمن ياغي : دراسات في شعر الارض المحتلة . ص ٤٤٤

(٢) م . ن ، ص ٤٤٦

(٣) م . ن ، ص ٤٥١

(٤) د . عبد الرحمن ياغي : دراسات في شعر الارض المحتلة . ص ٤٥٤

(٥) م . ن ، ص ٤٦٥

" ومهما يكن من شيء ، فحسبنا من هذا الديوان ، انه في المراحل الاولى من تكوين الشاعر الفني ، وحسبنا من تلك القمة ، التي بلغناها معه حين مضينا معه في تطوافنا ، تلك القمه ، التي لاتكاد نجد غيرها في الديوان . وقد جاءت ثمرة التمرس بالمواجهة والتصدى والصمود (١)" .

ارم :— فلسف الدكتور عبد الرحمن ياغي نظرته الى سميح من خلال "ارم" السريعة : بعدما سار معها خطوة خطوة ، ليخرج باستنتاج الا وهو كما بلوره في حديثه الاتي : " وهكذا بدأت رحلتنا ، وهكذا ، انتهت ، بدأت بالضياع ، وانتهت بنا الى هذا الطريق الواضح المتوهج بالنور . ولئن كان مبرعما ، مغلفا في بعض ورود ه ، فقد كشفت عنه اضواء الدواوين التالية للشاعر . فاذا هذا البرعم المغلف ، هو طريق الاشتراكية بلا مواربة ، ولا تردد ، واذا بسميح القاسم في هذه الاناشيد ، يصعد في سلم التكوين الفني . حتى يبلغ قمة اخرى ، قمة ثانية ، اعلى من القمة التي بلغناها معه ، من وراء القضبان في ديوانه الثاني : اغاني الدروب (٢)" .

ويشير الى التاريخ في اعمال سميح القاسم ، ولقد مر سابقا تعليله لهذه الظاهرة ، ولكنه هنا ينظر اليها من زاوية اخرى اذ يقول : " وهكذا ، فقد اخذ سميح يتحرك في الاطر التاريخية ، يحس انها كلها بركة وكأنما اراد من اناشيده ، ان تكون الفلسفة النظرية ، والمخطط الايديولوجي ، الذى يوجه حركة المجتمع الذى يحلم به . من هنا كانت اهمية هذه الاناشيد ارم ، ومن هنا تنبع قيمتها التاريخية (٣)" .

دمي على كفي : يرى الدكتور عبد الرحمن ياغي ، ان سميح القاسم بديوانه الرابع "دمي على كفي" قد انضم به " الى رفيقيه في مستوياتهما الرفيعة ، اذ يقول :

" هذا الاثر الرابع "دمي على كفي" الذي انضم به الى رفيقيه في مستوياتهما الرفيعة ، محمود درويش ، وتوفيق زياد ، وفي مواقفهما الصامدة فيما يتصل

---

(١) م . ن ؛ ص ٤٧٤

(٢) م . ن ؛ ص ٤٩١

(٣) م . ن : ص ٤٩١

بقضايا امتهما وبلادهمـا (١)" .

يعود الدكتور عبد الرحمن ياغي مرة ثالثة ، ليحدثنا عن الاطر التاريخية، التي يدور فيها الشاعر قائـلا :

" وسميح القاسم موفق في هذا الاطار الذى تتحرك في داخله احداث قصائده ، بل لأن نمو الاحداث من الداخل هو الذى يكون هذه المصادفة الرائعة الشكل ، التي تعتمد الحوار شكلا من أشكالها ، سواء أكانت الحوارية طويلة كما هي فـي (حوارية العار) ام قصيرة ، كما هي في (حواريه مع رجل يكرهني) .. حيث يدور الحوار بين صورتين او بين تيارين ، او بين موقفين من مواقف التاريخ ، موقف الطغيان ، وموقف تحدى الطغيان (٢)" .

وتطرق الدكتور عبد الرحمن ياغي للتحول الفني الذى أحرزه سميح القاسم في هذا الديوان قائلا :

" أرأيت الى شاعر الارض . شاعر الجذور . شاعر العودة . شاعر الشمس ! كيف كفر عن كل تعبيراته الاولى ، التي كانت تجنح نحو المباشرة ، فانعطف الـى هذه التعبيرات غير المباشرة في هذه الحوارية ، وكأنه عوض بها عن كل ما سبق؟ وظاهرة حية ترفع من مستوى العمل الفني . تتمثل في الجزء الاخير من ديوان صاحبنا سميح ! هي ظاهرة النمو الفني المتطور في القصيدة . وهي وان تكـن من مميزات الاعمال الفنية الكبيرة كالقصة والرواية والدراما ، الا انها تكسـب الاعمال القصيرة ميزة رائعة ، حين تأتي حسب أصولها الفنية ، وهذه الظاهرة تبدو جلية في قصيدته (وحيدا في ليلة رأس السنة) (٣)" .

تابع عبد الرحمن ياغي حديثه ليصور القدرة الفنية ، التي يتمتع بها سميح القاسم ، وهي بعث الحياة والصور اذ يقول :

" والحق ! ان لدى الشاعر سميح قدرته الفائقة على بعث الصور والحياة والشخـوص الاسطورية من جديد ، لتحمل ملامح جديدة معاصرة ، ومزايا جديدة ، ومقومات

---

(١) د. عبد الرحمن ياغي : دراسات في شعر الارض المحتلة . ص ٥٠٩

(٢) م . ن ، ص ٥٣٧

(٣) م . ن ، ص ٥٣٩

مجتمع جديد . ومن صور البعث .. نداؤه للتاريخ من آخر الاخرة ، ليمد يد الانقاذ للقافلة التي هوت في قعر جهنم الكافرة (١) " .

اخيرا يكشف لنا عن القدرة التاريخية ، التي يتمتع بها الشاعر سميح القاسم حيث يقول :

" قدوة رائعة على تجميع الابعاد التاريخية البعيدة والقريبة . الماضية والحاضرة ، وبعثها في حركة جماهيرية حية ، تفيض بكل ما يشغل الامة من قضايا ، وليس يقوى على هذه الرقاع ، سوى اصحاب الشعر المسؤول الذين تمتلئ نفوسهم بقضايا امتهم ، وتغلي دماؤهم بهموم الجماهير ، التي ينتمون اليها ، وتنتمي اليهم . ان رحلتنا الطويلة لم تكن رحلة قصائد متفرقة ، بل رحلة مع تيار هادر ، مع صوت رعد هازم ، تنتقل مع كفاح امة في مختلف مواقعها ، مع حركة الجماهير في نضالها ، لتحرر نفسها من عتمة الليل المنقض عليها في غدر لئيم . انه شاعر الجماعة ، وان ديوانه ديوان الجماهير المتحركة في عدة اتجاهات (٢) " .

دخان البراكين : يرى فيه الدكتور عبد الرحمن ياغي ملحمة فنية اذ يقول :

" ولم نكن مغالين ، حين قلنا ان الديوان كله بقصائده المتنوعة ليس الا نهرا واحدا يتدفق في سيل متواصل لا يتوانى ، حتى يبلغ مصبه ، لا يتراخى ، ولا يتوقف ، ولا ينحرف ، الا ليتجمع من اجل الانطلاق من جديد . يحدوه ايقاع واحد ، يشتمل على عروقه النابضة كلها ، ويوجه سيره الى الامام ، وكأن الديوان قصيدة واحدة ، او ملحمة واحدة ، او دراما واحدة ذات فصول تتوالى وتتعاقب ، وتنمو وتطور ، وتتجدد صياغة التركيب الاجتماعي من جديد (٣) " .

ويضيف ليضفي على الشاعر صفة العاصفة اذ يقول :

" وهي رحلة عاصفة مع شاعر عاصف عنيف . ولكنها ممتعة ومتنوعة ، لعل من الخير لكل عربي ان يتمرس بها ، ويعرف دروبها ، ويتطلع الى الآفاق التي تستشرفها (٤) " .

---

(١) م . ن ؛ ص ٥٤٨

(٢) د . عبد الرحمن ياغي دراسات في شعر الارض المحتلة . ص ٥٦٦

(٣) م . ن ؛ ص ٦٠٢

(٤) م . ن ؛ ص ٦٠٢ .

وبهذا القدر نكون قد انهينا رحلتنا مع الدكتور عبد الرحمن ياغي في تناوله لاعمال سميح القاسم الفنية ، مما توفرت لديه .

هاشم ياغي في كتابه حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين

تناول الدكتور هاشم ياغي سميح القاسم بالنقد ، عندما انتقد سميح القاسم موقف الناقد اللبناني الذي كتب في "الآداب" اللبنانية عن تجربة القاسم الشعرية من خلال قصيدتين كان قد نشرهما القاسم . اذ شعر سميح القاسم بألم وشعور حاد ، بأن تجارة الدجل مازالت رائجة ورابحة بصورة مخزية ومحزنة في آن واحد . فقال هاشم ياغي معلقاً على ذلك : " وهذا الهجوم على الناقد اللبناني ، قد يكون فيه شيء من حق ، ولكن هذا الحق لا ينفي مغالطة واسعة انزلق فيها سميح ، اذ ان مايستحسنه سميح بواقعيته الاشتراكية ، ومنهجه منهج الواقعية الجديدة — الجمالي — ليس بالضرورة متوقعا من غيره ، واذا كان هو نفسه قد قال : ان قصيدتيه اللتين حازتا اعجاب الناقد اللبناني الكبير ، أقرب الى ان تكونا موضوعا لتسلية بعض النقاد البرجوازيين ، فلم يستهجن على ناقد غيره ان يتسلى بهما ، ولم نشرهما اذا كان هو متأكدا من عدم جدواهما ؟! (١)" .

ويفسر الدكتور هاشم ياغي اندفاع سميح القاسم في تبني منهجه بقوله : " أظن انّ اندفاع سميح القاسم في تبني منهجه اندفاعا حارا ، هو الذي دفعه الى تصور انّ النقاد من المدارس غير مدرسته سواء اخذون بمنهجها (٢)" .

ويدلنا الدكتور هاشم ياغي على اجمل مافي مواقف القاسم النقدية بسبب تبنيه منهجه ووضوح الرؤيا . اذ يقول : " ولعل من أجمل مواقف سميح القاسم النقدية ، وضوح الرؤية عنده ، بسبب تبنّيه منهجا واضح المعالم لديه ، هو منهج الواقعية الاشتراكية . ومن هنا كان قياسه لفنه وفن زملائه ، ومعالجته لمشكلات تتصل بهذا الفن الشعرى في فلسطين المحتلة وغيرها ، كل ذلك كان نابعا من وضوح رؤيته هذه . وقد رأينا ان الحلول للمشكلات التي عالجها

---

(١) د . هاشم ياغي : حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣ .
(٢) د . هاشم ياغي : = = = = = ص ٢٥٣ .

تتراءى له في اضواء هذه الرؤية "(١) .

ويبرز الدكتور هاشم ياغي أبرز سمة في شخصية سميح القاسم ، واثرها في اعماله النقدية، وغير النقدية ، ويقول : " وهكذا تبدو لنا اوسع سمة في شخصية سميح القاسم . فشعاره النابع من هذه السمة هو (مزيدا من وضوح الرؤية) ووضوح الرؤية المقصود لديه هو أضواء الواقعية الاشتراكية . وهذه السمة نجدها في كل ثنية من ثنايا سلوكه سميح ، وكتاباته النقدية وغير النقدية ، والذي يقرأ مواقفه من بعض الافلام والمسرحيات الامريكية ، ومن بعض مواقف المثقفين الصهيونيين ومن هم في بطانتهم ، يرى هذا الشعار الذى يطالعنا في شخصية سميح القاسم "(٢) .

من خلال هذا العرض يتضح لنا ان معالجة الدكتور هاشم ياغي لسميح القاسم لم تكن سوى معالجة مواقف نقدية من مواقف سميح القاسم ، ليبين بوضوح مستواه وطريقته في نقده .

٥) ابراهيم ابو ناب في بحثه "الجذوة الشعرية في الأرض المحتلة

لقد تعرض ابراهيم أبو ناب لسميح القاسم ، فاستشهد بأبيات من قصيدته : (حوارية العار) على لسان "اوزيريس" ، التي يقول فيها :

ستنقعات الصمت للديدان .. فليقنع بصمته
لغاية ..... عندنا رجال الارض ان شحت وان كانت سخيه

بعد ان استشهد ابراهيم ابو ناب بهذه الابيات قال :

" العدوان الصهيوني الذي زاد من توقد هذه الجذوة ، حاول اجتثاثها فلم يفلح ، وحاول طمسها فلم يفلح . وعند ذلك حاول شراءها كما يشير الشاعر في قصيدته ، وفي مقال آخر نشره ، وقال فيه : " ان الأديب الاصيل ليس

---

(١) م . ن ، ص ٢٥٣
(٢) م . ن ، ص ٢٥٤

نجما باردا ، يستمد القمة من وهج النقود ، انه شعلة تحترق وتنير" (١) .

وفي موضع آخر ، تحدّث "أبو ناب" عن سميح القاسم في مقال نشرته "الآداب" بعنوان :

(الجذوة الشعرية الفلسطينية) فقال : " كيف أمسك شعراؤنا هناك برأية الشعر المنهارة وسط زحمة الهزيمة والفرار ؟ لماذا صار الشعر عندهم زاداً اكثر ضرورة من الخبز ؟ كيف ارتبط الشعر بالقضايا الاساسية للشعب العربي هناك ؟ وكيف .. و .. ؟ لكي نعرف كل ذلك ، لابدّ لنا من الرجوع الى المجتمع العربي الفلسطيني في المنطقة المحتلة من فلسطين . فمن هم هؤلاء الناس الذين ظلوا هناك ؟ وكيف يعيشون ؟ وكيف يواجهون التحدي الصهيوني الذي عمل على تقويض كيانهم القومي ؟ والذي يعمل على اجتثاث جذورهم الحضارية من عقولهم ؟ .

يقول الشاعر سميح القاسم في قصيدته (الجواد الجامح) :

فكيف نفرّ ؟ كيف نفر من منبتنا الارضي .

وكيف ؟ وكيف ؟ لن تهدأ (٢) .

فيرى "أبو ناب" في قصيدة سميح وشعره الجواب عن تساؤلاته .

وفي موضع آخر يشير الى خاصية اختص بها سميح القاسم : خاصية انطاق الشعب المكتوم ، المفروض عليه أبشع أنواع الحصار الثقافي والفكري ، والسياسي والاجتماعي .. يقول أبو ناب :

" ولكن كيف يواجه الشعب العربي هناك هذا التحدي ؟ إذا كانت مهمة الشاعر أن ينطق الشعب الاخرس ، وأن يصنع له الامل ، فلقد فعل ذلك الشاعر سميح القاسم في قصيدته " خطاب من سوق البطالة " (٣) .

وفي موطن آخر يستشهد بأبيات من (هوارية العار) لتمثل ما يقوله الشاعر سميح عن الجذوة الشعرية التي تحاول السلطة اطفاءها او شراءها (٤) . وبهذا

---

(١) الافق الجديد : مجلة الادب والثقافة والفكر ــ عدد ممتاز ــ العدد الاول . شباط "فبراير" ١٩٦٦ السنة الخامسة ص ٧١

(٢) الآداب : مجلة شهرية . بيروت . العدد الثالث . آذار "مارس" السنة الرابعة عشرة سنة ١٩٦٦ ص ٨٥ .

(٣) م . ن . ص ٨٥ (٤) م . ن ; ص ١٢٧

القدر تنتهي رحلتنا مع أبي ناب .

(ج) رجاء النقاش في كتابه "أدباء معاصرون"

لقد تناول الاديب رجاء النقاش سميح القاسم في كتابه : أدباء معاصرون . تحت عنوان : (سميح القاسم شاعر الغضب والثورة) ، ومما جاء فيه قوله : ".. فقد حافظ سميح في كل مراحل حياته على عنصرين مهمين في شخصيته ، هما : ثوريته وشعره ، وهذان العنصران هما في الحقيقة عنصر واحد ، فالعاطفة الثورية الاصيلة الصلبة هي المادة الاولى لشعره ، وشعره ماهو الا تعبير عن ثوريته . ان الشعر والعاطفة والثورية هما وجهان لعملية واحدة "(١) .

وتناول رجاء النقاش الالتزام في أدب سميح القاسم فقال :

" فسميح شاعر غزير الانتاج ، وهو في كل شعره يلتزم بموقف واضح صريح ، هو : الايمان بعروبة فلسطين ، ورفض الاحتلال الاسرائيلي رفضا كاملا "(٢) .

وفي موطن آخر يصف رجاء النقاش سميح القاسم بشاعر الغضب الثوري اذ يقول :

" فان أقرب تسمية إلى الصواب بالنسبة لشخصية سميح القاسم وفنه . انه شاعر الغضب الثوري . ان الغضب يملأ شعر سميح ، والتمرد يمد جذوره في كل بيت يكتبه ، والنار تشتعل على الدوام في حروفه . انه عاصفة تهب على الواقع الفلسطيني الاليم . حيث يريد ان يدمر كل ما امامه . حتى يعود العدل الى الحياة ، بعد ان امتلأت بالظلم والمأساة " (٣) .

تناول رجاء النقاش ديوان سميح القاسم اغاني الدروب من الناحية الفنية فقال :

" ويجب ان يلاحظ هنا ، ان هذا الديوان (اغاني الدروب) بالذات اضعف دواوين الشاعر من الناحية الفنية ، حيث انطلق سميح بعد هذا الديوان الى آفاق فنية عالية تثبت انه شاعر من الدرجة الاولى . ولكن هذا الديوان رغم

---

(١) رجاء النقاش : أدباء معاصرون ص ٢٦٢

(٢) رجاء النقاش : أدباء معاصرون ص ٢٦٦

(٣) م . ن ص ٢٦٦

بساطته الفنية ، ورغم اعتماده على التعبير المباشر ، والتجارب المباشرة في معظم قصائده ، الا انه مع ذلك كله يمثل الروح الثورية عند الشاعر عارية متفجرة حارة ، بلا اى ستار يحجبها ، او يخفف من حدتها" (١) .

وفي موطن آخر يشير الى اصالة الوجدان العربي في شعر سميح (٢) ، وفي موطن آخر يكشف عن الحس التاريخي في شعر سميح القاسم قائلا : " في شعر سميح القاسم نلتقي بحس تاريخي واضح . فسميح قد دفعته مأساة وطنه الى ان يلتفت الى التاريخ ، ويقرأ صفحاته المختلفة ، لعل احداث التاريخ ان تقدم اليه اضواء تكشف له سر مأساته " (٣) .

تعرّض رجاء النقاش لمسرحية سميح " قرقاش" بالتحليل والنقد ، وكتب مقاله في " الكواكب" المصرية ، ونقلته مجلة الجديد في حيفا . فوصف في مقاله المسرح وما يتطلبه ، وعن الذين اشتركوا في مسرحية القاسم ، ويشير الى قدرة سميح الفنية ، اذ كيف استطاع سميح القاسم ان يلتقط باحساسه الفني المسرحي الخصب عنصر التقليد (الافتتاحية) التي كانت المآسي اليونانية القديمة تبدأ بالكورس ، والذى يعتبره النقاش من أهم عناصر البناء المسرحي ؟ ويسرد لنا مادار في حلقات المسرحية ، ليخبرنا: ان قرقاش يمثل عنصر الظلم الابدى ، وكان من قبل في مقاله ، قد سرد لنا ماتقوله الاساطير عن " قرقوش" ولماذا غير سميح القاسم التسمية الى قرقاش؟ لعله بذلك يعود الى حرص الشاعر الاعتماد عن التاريخ ، وذكر لنا النقاش – في مقاله المطول عن المسرحية – الذى دار حول ارتباط الظلم بشخصية قرقاش ، واشار الى الشكوك التي تدور حول هذه التسمية" (٤) .

وعلى اية حال سأبرز ماجاء في المقال من الناحية الفنية والتاريخية التي يتمتع بها سميح القاسم كما وردت في مقال النقاش .

اشار النقاش في مقاله المطول الى ميل سميح القاسم في بناء قصائده بناء مسرحيا ، واستخدام الحوار في معظم قصائده واعماله الادبية السابقة . فهي

---

(١) م . ن . ص ٢٦٧

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٧١

(٣) م . ن . ص ٢٧٣

(٤) رجاء النقاش : الحب والعدل . مجلة الجديد . العدد ٨ ، آب عام ١٩٧٠ ، ص ٨ – ٢٠ .

خاصية تلتصق باعماله الادبية منذ امد بعيد . يقول النقاش :

" هذه اول مسرحية متكاملة للشاعر سميح القاسم ، واقول انها اول مسرحية متكاملة ؛ لان سميح القاسم هو ابرز الشعراء العرب في اهتمامه ببناء قصائده بناء مسرحيا ، وعندما نقرأ دواوينه المختلفة التي سبقت هذه المسرحية ، تجد لديه ميلا واضحا الى استخدام الحوار في مسرحياته ، وخلق شخصيات متصارعة . كل شخصية تمثل فكرة خاصة بها ، متعارضة مع غيرها . حتى يتمكن الشاعر بذلك من خلق بناء شبه مسرحي في قصيدته ، والامثلة كثيرة في دواوين سميح القاسم السابقة "(١) . ويعدد القصائد التي تمثل هذه الخاصية ، وخاصة القصائد التي تحمل عنوان " الحوار " مثل : حوارية العار ، وحوارية مع رجل يكرهني ، وغيرها .

واشار النقاش الى الطريقة التي يختار فيها سميح القاسم شخوص مسرحياته وقصائده فيقول :

" يميل القاسم بشكل واضح ، الى استخدام الشخصيات التي يبتكرها من خياله الفني ، او يستمدها من التاريخ ، او من الاساطير ، في بناء قصائده المختلفة ، ثم يهتم بتقديم هذه الشخصيات في بناء قصصي ، يرمي الى معنى كبير يتصل باهتمامات الشاعر ، ومعظم هذه الاهتمامات بالطبع ، يدور حول النضال والثورة والحرية والكرامة الانسانية ، وهي الموضوعات التي تملأ قلب الشاعر ، وتشغل حياته العملية ، كما تشغل عقله ووجدانه "(٢) .

ويستنتج رجاء النقاش من مطالعاته لمسرحية قرقاش وشعر الشاعر مايلي :

" من الواضح ان سميح القاسم كثير المطالعة للاساطير المصرية ، وللادب الشعبي المصري . فقد استخدم في القصيدة ، المسرحية التي اشرت اليها من قبل ، وهي قصيدة " حوارية العار " شخصية " اوزوريس " وهي شخصية رئيسية من شخصيات الاساطير المصرية القديمة . وها هو هنا في مسرحيته الجديدة ، يستوحي اسم " قراقوش " بما يرمز اليه عند المصريين من الظلم والطغيان ، ويجعل منه بطلا لمسرحيته "(٣) .

---

(١) م . ن ؛ ص ٧

(٢) م . ن ؛ ص ٨

(٣) م . ن ؛ ص ٨

(د) فاروق البقيلي، في غضبة سميح القاسم، وحزن محمود درويش

تعرض فاروق البقيلي لسميح القاسم ليدافع عن التهمة الموجهة لشعر المقاومة داخل الارض المحتلة ، وليقيّم أعمال سميح القاسم . فكتب يقول :

اتهم شعر المقاومة في داخل الارض المحتلة ، بأنه شعر معارضة لا شعر مقاومة، يدعو الى حمل السلاح ، لكن ذلك الاتهام، لا يخلو من أجحاف ، لان شعر المقاومة داخل الأرض المحتلة في بعض نماذجه، لا يقل عن نماذج اخرى في شعر المقاومة العالمي .

لم يعد لي غيرك اليوم
يا ولـــدى ..
لم يعد لي غيرك اليوم
ان هـم قتلوك

بهذه الكلمات البسيطة المعبرة، يحكي لنا سميح القاسم قصة العواطـــف الانسانية في أدق لحظات ضعفها ، أنها الام العربية وهي تتشبث بابنهـــا الوحيد الذى لم يبق غيره في هذه الحرب . هذا هو الموت الكبير .. ان سميح القاسم في ديوانه يقرأ " ماتيسر من سورة السلاسل " ، " الموت ابن الشمـــس والاعياد " حيث يصبح الموت هو الثمن الوحيد للحياة .. هو العرس والرقصه ، والبكارة، هي الدم الوحيد في حفلة الزفاف الدامي . سميح القاسم، مازال يغني من داخل الارض المحتلة ، صوته بلغ الآن مبلغ الرجولة ، كصهيل الحصان يرعد صوته غضبًا : " وقلت يوما .. قال لي .. الحكي للجميع .. بالمـــوت .. لاتغمضي عينيـــه "(١) .

(ه) فاروق شوشه ـ الآداب

تحدّث فاروق شوشه عن السمة الرئيسية في شعر سميح ، وعن التجربة الشعرية والبناء الفني في أعمال سميح فكتب يقول :

" انطلاقا من التفاصيل الصغيرة تأخذ الدلالة العامة جوها النفسي المتوهـج ،

---

(١) مجلة العربي ، العدد ٦٦٣، السنة الثالثة عشرة ، ٢١ شباط ١٩٧٢م ص ٦١ .

وكثافتها الضاغطة . وهي دائما السمة الرئيسية في شعر سميح القاسم . هـــذه القدرة الفذة على ان تتكلم ادق التفاصيل وابسطها في اطار التلاحم والتـــآزر بالمعنى العام المشترك ، وعلى ان تنقل هذه التفاصيل طعم الارض ولون التقاليد ، ومذاق الوطن ، وان تفجر في الوقت نفسه شحناتها الداخلية طاقات التمرد والرفض والثورة ومراجل الغضب الثوري . هذه المواجهة الساخنة هي دائما لغة سميح القاسم ، مواجهة التحدي والاصرار يحشدها بأدق التفاصيل ، وأخفى الايماءات ليصنع نسيجه الشعري من لغة بسيطة متحررة ، حادة المواجهة ، شديدة الولع بالوصول الى مضايق الأشياء ، تتحرك وتحرض وتثير .. ان سميح القاسم ينكأ بئر الحزن الطافح في وجدان الشعب العربي " (١) .

٦) ماجاء في مجلة الاسبوع اللبنانية ونقلته الجديد

لقد جاء في مجلة الاسبوع اللبنانية في معرض تقييمها لديوان سميـــح القاسم (الموت الكبير) ونقلته مجلة الجديد مايلي : — " بكلمات بسيطة معبرة . يحكي لنا سميح القاسم قصة العواطف الانسانية ، في أدق لحظات ضعفهـــا .. الحقيقة المرة ، يلمسها سميح القاسم برفق وحب ، ليهز من الاساس تاريخا ـــــن العواطف التاريخية .. سميح القاسم مازال يغني ، وقد بلغ صوته مبلغ الرجولة .. كصهيل الحصان يرعد صوته غضبا .. وكالموت ينساب حرا صادقا " (٢) .

٧) يوسف الخطيب في " ديوان الوطن المحتل "

تناول يوسف الخطيب سميح القاسم ، وتحدث عن بنائه الفني وتجربتـه الشعرية ، وعن مضمون القاسم الانساني ، وتعامله مع التاريخ واللغة ، ولقد ظهر هذا واضحا في كلماته وعباراته التي وصف فيها الشاعر سميح ، فكتب يقول :

" في معظم ما بأيدينا من انتاج القاسم ، سنلاحظ انه يريد أن يعبّر عن نفســه

---

(١) الهي ، الهي لماذا قتلتني ؟ سربية ، مطبعة الاتحاد التعاونية — حيفا . نيسان ١٩٧٤ ، ص ٥٦ — ٥٧

(٢) مجلة الجديد : "سميح القاسم في الموت الكبير" عن مجلة " الاسبوع العربي اللبنانية " العدد ٣ ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٤٥ .

بشعر عمودي بالدرجة الاولى ، او بشعر حر ، لكنه ذو صبغة تراثية غالبة ، كأنما ليستخدم بذلك حتى الشكل في أساس المضمون . ان مضمون القاسم على الاغلب ، مضمون قومي إنساني . فلعله لهذا السبب ، لايتعامل مع الأرض قدر مايتعامل مع التاريخ . ولا بد ان نقول مع اللغة أيضًا باعتبار ان اللغة ساحة كاملة من ساحات التاريخ القومي ، هي لسان الامة الذي يلازمها في النمو منذ مرحلة الطفولة ، حتى مرحلة النضج والادراك . فلذلك قد نضطر أحيانا أن نقرأ القاسم جنبًا الى جنب مع القاموس . ولئن بدا التعامل مع القاموس عيبا فنيا صارخا لدى بعض النقاد الادبيين ، فليس ذلك الا للوهلة الاولى فقط ، ومن نوع التناول السطحي للموضوع ، او ربما بتأثير ما ترسب في عقل الناقد الباطن من تداع قديم بين الزخرف اللغوي ، الذي لم يكن أكثر من زخرف في ذاته ، وبين عصور الانحطاط الجديد في الأدب العربي . إلا أن لقضية اللغة الآن وجهها المختلف الجديد "(١) .

ويتعرض يوسف الخطيب المقارنة بين محمود درويش والقاسم : "فمحمود درويش اراد ان يلتصق حتى العظم بحضن أمه بالدرجة الاولى غير مكترث إلا في المحل الثاني بعودة أبيه القوم . بينما اراد القاسم ، ومن خلال الشخصية الاسطورية نفسها أن يظل في انتظار عودة أبيه ، القوم ، حتى لو على أشرعة الوهم ، وفي مرافئ الاحلام"(٢) .

وأخبرنا يوسف الخطيب عن وجود عاملين مهمين في شخصية القاسم فقال :

" ثمة في حياة القاسم الشخصية عاملان اثنان على الاقل ، الزمان بالضرورة ان يكون نفسه ، اي الشاعر المختص أولاً بالبعد القومي من قضيته المتعددة الابعاد . وأول هذين العاملين : احتكاكه اليومي المباشر من خلال مهنة التعليم . واما العامل الثاني في حياة القاسم ، فربما كان أشد فصلا في نفسه ، وادعى به إلى التأكيد بقوة هويته القومية تلك ، الا وهو وقوعه في الطائفة الدرزية في فلسطين ، واستهداف تلك الطائفة من قبل السلطة ... اكثر من اية فئة فلسطينية أخرى . . فلعل القاسم ، استجابة لهذا التحدي الذي يتعلق به أكثر من غيره من شعراء الوطن المحتل ،

---

(١) يوسف الخطيب : ديوان الوطن المحتل . طبع في المطبعة التعاونية في دمشق . ص ٤٩

(٢) يوسف الخطيب : ديوان الوطن المحتل . ص ٥٢ .

فقد تفرد من دونهم بسمات الشاعر القومي العربي ، الذى قل ان نجد له نظيرا في هذا المضمار ، حتى فيمن هم خارج الوطن المحتل من شعرائنا المعاصرين . كما ان القاسم يبدو لنا في بعض الامثلة ، كأننا قد أصبح الرمز لمجموعة من "الشباب الدروز الاحرار" تهتم به ، وتنتصر اليه ، وتحمل افكاره ، وتدافع عن قضيته" (١) .

(٧) الياس شاكر ـ الطريق ـ

الياس شاكر ممن تناولوا القاسم ، وتجربته الشعرية ، فأشار الى رجوع سميح القاسم للماضي والتاريخ ، وعلل ذلك فقال : " نجد في معظم قصائد سميح القاسم ذلك الرجوع الى الماضي، والانطلاق منه مع حركة التاريخ الى المستقبل، في رؤيا اسطورية ، يرى فيها عروبته، وانسانيته . ويرى المستقبل فردوسا أرضيا من تكوين يديه . يراه في صورة موجودة من البدء في حتمية التاريخ ، صورة نفض عنها الغبار عندما تحطمت المرايا فنبتت فيها جنة الاشتراكية التي تختلف عن جنة المرايا اختلاف الطوباوية عن العلم . ويثور الشاعر على كل المرايا الموروثة ، ويبحث في متحف البيت القديمة متنكرا لكل ما فيها من أوهام رغم أنه فيها وجد هويته العربية . وتتناثر المرايا ، ويواجه الشاعر ما بقي من دنياه بعد زوال الوهم — ويعشر سميح القاسم أنه اله ، لانه يسيطر على قدره .. " (٢) .

(٨) ياسين رفاعية ـ الآداب ـ

كتب ياسين رفاعية عن التركيب الشعري لسميح القاسم ، وعن التصاعد الميلودرامي مايلي :

" ان التصاعد الميلودرامي ، الذي يتقنه سميح القاسم ايما اتقان يؤكد لنا أن بنيانه الشعري يعتمد اعتمادا كليا على التركيب السيمفوني ذي الحركات الموسيقية الكاملة . ومن التركيب السيمفوني الموسيقي ينتقل الشاعر إلى تركيب آخر ، هو الحوار الداخلي بين جزئي الانسان ، وبعبارة أدق ، التركيب المسرحي في حوار مزدوج لانسان واحد " (٣) .

---

(١) م . ن ، ص ٥٢ — ٥٣

(٢) سميح القاسم : الهي ، الهي لماذا قتلتني ؟ ص ٥٥ — ٥٦

(٣) م . ن ، ص ٥٦ .

(١٠) ايليا الحاوي ـ الآداب ـ

لقد أشار ايليا الحاوي في معرض تناوله لاعمال القاسم الفنية، إلى خاصتين بارزتين في شعره وهما : البحث عن الجزئيات، والاحداث. والثانية: تجربة الشاعر، وهي ما اطلق عليها الشهادة . يقول الحاوي :

" ان الصفة الغالبة على تجربة سميح القاسم هي: انه يتنكب عن الجزئيات والاحداث ، إلى التجربة التأملية التي لا يزال يحدق فيها بواقعه ويتفكر فيه ، مستطلعا منه الافكار ، معانيًا لحالات التمرد ، وكأنها نوع من المطاف النهائي لخواطره، يخلص إليها كنتيجة حتمية لسنة الحقيقة والحرية في الوجود .. فالثورة تنبجس في شعره من أعماق البؤس وواقع الذل ، أنها أشبه بردّة وانتفاضة ، وتوحيد الشاعر بين واقعه القومي ، وواقع الانسان بنزع عن قوميته اطارها الضيق ، وتجعل ما يعانيه الانسان العربي فيها ضوءًا لمعاناة الانسان عامة لواقع الفساد والظلم . ولقد انف الشاعر من التعبير الفكري المباشر متوسلا بالصورة التي تبدع لذاتها رموزا بسيطة ، مستمدة من الواقع المبذول ، المتصل اتصالا حميمًا بالنفس ، مؤلفًا فيها الفكرة والصورة والشكل الحسي والاداء النفسي .

والشهادة في تجربة سميح القاسم، هي الشهادة التي يتدرب بها الإنسان على معانقة الموت معانقة روحية ، أن يتهيأ له ، وينخرط في سبيله ، ويعايش مقدماته واجواءه حتى يناله في النهاية متطهرًا من ادران الحياة والعالم ، مؤثرا عليهما معناهما الاسمى والاكبر. حيث تحل غبطة الحرية الكاملة في النفس ، كما تحل غبطة الحقيقة في نفس الصوفي . ولا غلو من بعد ، في القول بأن تجربة سميح مع الشهادة والموت، هي كتجربة الصوفي مع الحقيقة والعادة . أنه يعد نفسه لها ، ويسقط منها شهوة العالم ونعيمه، متخليًا عن كل مايطربه سواه من طغام الناس " (١) .

هكذا ، كشف لنا الحاوي عن الخاصتين ، وكذلك كشف عن التوحيد القائم بين واقع الشاعر القومي، وواقع الانسان الذي ينزع عن قوميته اطارها الضيق ، وكشف عن تجربة سميح ومسحته الصوفية مع الموت والشهادة .

---

(١) النهي : النبي لماذا قتلتني ؟ ص ٥٤ — ٥٥

(١١) عصام محفوظ ـ سميح القاسم في "الموت الكبير" عن النهار ـ

تناول عصام محفوظ سميح القاسم من خلال ديوانه "الموت الكبير". ولقد أشار إلى ظاهرة جديدة اصطبغ بها ديوان القاسم، ولم تكن مألوفة في أعماله الفنية السابقة، الا وهي التغيير في التعبير. يقول عصام: "يخرج من شعر القاسم في هذا الديوان نفس شعري يتجاوز مرحلة الصراخ الى ما بعد مرحلة الصراخ، إلى الصوت المبحوح الهادئ من قلب التأمل الجزع، في الزمن الجزع. لقد منح القاسم الموت وظيفة أكثر انسانية وظفه حارسًا على باب المدينة الضائعة المفتاح، برغم البعة، برغم التعب، برغم تيقظ الموت وقوة حراسته، لا يزال نبض القاسم قويا كما في السابق كقوة التعبير عنه" (١).

ويبرز عصام محفوظ خاصية يختص فيها القاسم دون غيره من شعراء المناطق المحتلة يوضحها بقوله:
" إذا استثنينا قصائد المناسبات، والتي لا يزال القاسم يعرف أهميتها على صعيد التحريض الجماعي، والتعبئة النفسية. فان قصائده الجديدة، لم تعد كما كانت في معظم قصائد شعراء الأرض المحتلة، محاولة الوصول الى الوثيقة الشعرية، قصائد القاسم صارت أقل وثائقية واكثر اقترابا من قلب الانسان المسحوق في كل مكان. والشاعر عرف أكثر من غيره كيف يجعل قضية الظلم في بلده وفي العالم واحدة، وساعد هذا على تفتيق اشكال جديدة في التعبير، وان تأثره بالصورة والنفس "اللوركاويين" بسبب تشابه العالمين الدمويين لهذين الشاعرين" (٢).

وابرز كذلك خاصية اخرى تخص ذات الشاعر، صموده وعدم يأسه. يقول عصام: " القاسم لا يعرف اليأس، واذا لا بيه " ناي مكسور، لكن القصب كثير"، واذا كان " احباءه انتثروا فلكل وما رمح ونبي، ولكل سيف مغامر" وتبقى المسألة ان تكونوا مرة او لاتكونوا، لان هذا الشاعر عرف كيف يعبر عن حياة الموت بقوة لم يعرفها شعره السابق" (٣).

---

(١) عصام محفوظ: سميح القاسم في الموت الكبير، مجلة الجديد. العدد ٣، سنة ١٩٧٢، ص ٤١
(٢) المصدر السابق.
(٣) م. ن، ص ٤١

وأبرز عصام محفوظ مايتمتع به القاسم من عاطفة . حيث جعل منها زادا وطنيا : " عرف القاسم ، كيف يجعل العاطفة التي كانت له ولغيره زادا وطنيا ، عرف كيف يجعلها لحمة قوية بين جرحى الانسان والمكان . وكيف لا يموت فيهما كشاعر" (١) .

ولقد تناول عصام ، سميح القاسم مرة اخرى في مراثيه تحت عنوان " سرني يارب الجند لاعطيك" جاء فيه : " يحاول ذاك الذي يصيح في البريه أن يجد صيغة أخرى ، للتعبير عن الرفض ، صيغة هي كأنها القبول في معرض الاستنكار ، وتلك صيغة المخاطبة الجديدة في ديوان سميح القاسم الجديد . صيغة يخاطب بها القاسم الهه ، كما هي صيغ التخاطب في التوراة ، بل تكاد تكون مراثي سميح " صيغة جديدة لمراثي " ارميا " ، وتلك ذروة المأساة ان تتخاطب بلغة عدوك ؟ أنها مأساة عرفها جيدا ، وعانى منها كتاب الجزائر أوان ثورتهم ، انه يستعيد القهر الذى كان قبل الفي سنة ، للشعب الآخر بغية التعبير عن القهر الحالي لشعبه .. فالقاسم يدرك اذا كان " أوديب" رأى ان مصارعة القدر هي فوق ارادته ، فان القاسم يدرك ان غلبة القدر هي رهن إرادته ، وتلك مأساته المزدوجة . القاسم أحد الذين أكدوا بقوة التصاق أهمية تعبيرهم الشعرى باهمية موقع الصراع .. شعر القاسم يتحذر فصله عن موقفه الحياتي ، خصوصا الان حيث الموقع الذي ينطلق منه القاسم بمنح مراثيه الجديدة بعدا تاريخيا انسانيا" (٢) .

(ح) انعام الجندي — سميح القاسم ولد مرة ثانية شاعرا صافى —

تناولت انعام الجندي ، سميح القاسم في عمله . " الموت الكبير" لتصف شخصية القاسم من خلال عمله الفني ، لتوضح التصاق القاسم بالقضية والتحامه فيها التحام الصوفي ، لتصف بدايات القاسم . فكتبت تقول :

" في حال سميح القاسم هل من فصل بين القضية والشعر ؟ . وحين نقول القضية ، نعني كل جوانبها ، الواقع ، المستقبل ، الرؤيا ، الرؤية أي القضية بدءا بلوغا من التفاصيل الجزئية اليومية الى مداها الشمولي ... هل كان سميح القاسم

(أ) م . ن : ص ٤١

(٢) عصام محفوظ : مراثي سميح القاسم ، سرني يارب الجند لاعطيك ، صحيفة الاتحاد . ١٧ آب سنة ١٩٧٣ ، ص ٤ ، ع م : ١ ، ٢ ، ٣

شاعرا لولا القضية ؟ وهل يمكن تعرية سميح القاسم من جلده ، او وجهه ، او قلبه ، أو يده ؟ . لنعد الى البدايات : كان سميح القاسم في بدء عهده محاولة ، اي موهبة تتلمس ان تكون حقيقة شعرية تلك حال الرسام والمثال والمهندس والتاجر "(١) .

وصلت انعام الجندي في بحثها وتحليلها للموت الكبير . أن سميح القاسم قد دخل مرحلة التوحيد المطلق ، وسألت نفسها السؤال التالي : — ماهو موضوع سميح القاسم ، ولا أقول مواضيعه ؟ فكان جوابها : " يخيّل لي أنّ سميح القاسم ، دخل مرحلة التوحيد المطلق مع القضية توحدا جسديا ونفسيا وعقليًا وشعوريًا ، عفويا وقصديا . بل الى حد تمحي معه هذه الصفات جميعا امام تجلّ واحد . " هو سميح القاسم القضية" او القضية " سميح القاسم" لا فرق ، بل لو قلت القضية لتعرفت الى وجهه ، أو قلت سميح القاسم لتعرفت الى القضية" (٢) .

ركزت انعام الجندي على الالتحام بين سميح القاسم والقضية في قصيدته " نرجسية أيوب" اذ تطالع القاسم صورته في الصحراء ، في سر الماء ، الى الامام والوراء ، في ايقونة العذراء ، في القنبلة الذرية . ومن هذا المنطلق توصلت انعام الى مايلي :

" من الصعب تصوّر القاسم يتغنى بفلسطين جماليًا — أي من نظرة جمالية — دون أن تكون في وعيه قضية . من الصعب ان يتغنى بتاريخ دون ان يستحضره دفعة واحدة ، فينظر إليه عبر الواقع ، او ينظر إلى الواقع عبره مطلا على مستقبل تاريخ قضيته ، وليس ثمة انفصال في وعي سميح القاسم بين فترات التاريخ ، ولا بين التاريخ والقضية ، فالشوكة والزهرة ، الشجرة المكسورة ، الجرح ، الشفة والدمعة كلها ملامح عن موضوع واحد ، واشارات الى صورة واحدة " (٣) .

قدمت انعام الجندي حديثها هذا ، لتتوصل إلى نتيجة أخرى ، فعندما

---

(١) إنعام الجندي : سميح القاسم — ولد مرة ثانية شاعرا معافى . مجلة الجديد . العدد ٤١ ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٣٩ وكذلك صحيفة القدس . العدد ، ١٣٤٥ ، تاريخ ٢٩/٣/١٩٧٣ ، ص ٤ ، عم ٦ ، ٧ ، ٨ ولقد نقلت حديث انعام الجندى كاملا كما ورد في الدستور اللبنانية ، هذا ماكتبته الصحيفة عند نقلها للحديث .

(٢) م . ن ، ص ٤٠ (٣) م . ن ، ص ٤٠

يمتدح القاسم " لينين " ليس لانه بطلا ثوريا فحسب ، وانما لان القاسم يجد فيه وجهًا من وجوه النضال . يقول انعام : " ولينين نفسه ليس بطلاً ثوريًا ، ولا منظرا ، ولا قائد ثورة ، ولا مناضلا ، ولا انسانا ولا هاديًا فحسب ، انه وجه من وجوه القضية ، وما استحضاره الا ليكشف به سميح القاسم عن هذا الوجه" (١) .
وتشير بذلك إلى قصيدة سميح القاسم (درب لينين عبر الحواس) .

تعود انعام مرة ثانية الى قصيدة . ترجمة أيوب " اتصل الى استنتاج ، ألا وهو : وجود مسحة صوفية في شعر سميح القاسم . فتقول :

" وفي توحد الصوفي تفنى الحدود ويبقى الوجه الواحد . وفي هذا التوحد يتجلى الواحد في الافراد ، فلا يرى الافراد بل الواحد . وفي شعر سميح القاسم يتفتح الصوت الواحد في كلّ الاصوات ، ويتألّق الوجه الواحد عبر كل الوجوه . فقد امتدت القضية حتى غمرت الوجود كله . فلو نظر القاسم الى صورته لطالعته القضية ، ولو بكى عزيزا لكانت القضية المبكية ، ولو هرب إلى القنبلة الذرية ، لتسمنت ذروة الانفجار القضية ، ومن هذه الوحدة بين الموضوع والشاعر يولد الشعر ، ويولد سميح القاسم مرة ثانية شاعرًا معافى " (٢) .

ويُبرز انعام الجندي في حديثها عن القاسم خاصتين اصطبغ بهما ديوانه : الموت الكبير . وهما :- الأسى الكبير الذي يجلبب قصائد كثيرة في الديوان والثاني : هذا الايمان المضاعف رغم كل ما حدث بالمصير والانسان والمستقبل والارتباط بالارض والاستشهاد ، حيث يقول انعام :

" ولا أحبُ ان اتحدث عن جوانب اخرى في ديوان سميح القاسم ، ولكن لا بد من الاشارة الى امرين : الأول :- هذا الأسى الكبير الذى يجلبب قصائد كثيرة في الديوان . والثاني :- هذا الايمان المضاعف رغم كلّ ما حدث بالمصير والإنسان ، والمستقبل والارتباط بالارض ، والاستشهاد ، وثمة حقيقة واحدة : لا مفر من الموت في سبيل الحياة أو الفناء . فليكن موت استشهاد . وليكن الاستشهاد القدر العظيم والاخير " (٣) .

---

(١) انعام الجندي : سميح القاسم ولد مرة ثانية شاعرا معافى . مجلة الجديد . العدد / ٤ ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٤٠

(٢) م . ن ، ص ٤٠

(٣) م . ن ، ص ٤٠ .

وانني اقول بعد مسيرتنا مع انعام الجندي انها نسيت ، او لم تذكر امورا ليست أقل أهمية مما ذكرتها . لم تكشف عن وجه سميح القومي الذي يطل علينا من خلال قصائده ، ويبرز هذا الوجه واضحا في قصيدته " دم الصهيل " والذي مطلعها :

يا رائحـاً للشـام

سلّـم على الحبيب

وقـل لـه يا زيـن

أنت له الطبيـب (١)

ويظهر في القصيدة نفسها تعلق الشاعر بالتراث الشعبي الاصيل ، والرجوع الى الوراء للكشف عن الوجه الاصيل للامة العربية عبر تراثها الشعبي الخالد .

لم تكشف انعام الجندي عن القدر المكتوب على الامة العربية — الموت الكبير في ظل التراجعات الدولية ، والترسبات من آثار التخلف الذي أضفاه المستعمر على منطقتنا .

لم تكشف عن الغضب والشموخ رغم فظاظة الشرطي والاقامة الجبرية والاعتقال الاداري والنفي والحرمان . في شعر القاسم في قصيدته " هبني قدرة الشهداء " وفي " مصارع الرجال " حين يهتف قائلا :

وجهي الى كل جهات الارض

وجـلا بالنـار

وجهي إلى الاعلى

حتى يصل الى .. ابكيك في فظاظة الشرطي : إذ يكشف الهدية (٢) .

ولم يكن الحديث موجها لانعام الجندي ، فلربما كانت أكثر توفيقا في تناولها لسميح من كل من تناولوا القاسم .

---

(١) سميح القاسم : ديوان الموت الكبير ، ص ١٥

(٢) الموت الكبير ، ص ٨ — ١٢

(١٣) محمد الجزائري - بغداد - نعم أنه شعر يساري ومقاوم وشاب

تعرّض محمد الجزائري في حديثه عن الشعر اليساري المقاوم للحديث عن سميح القاسم فقال :

" شعر الأرض الفلسطينية المحتلة جزء من المعركة . وهنا نثبت مثلاً واحداً من واقع النضال اليوم - عام ١٩٦٥ - توجّه الشباب العربي في الأرض المحتلة إلى "كفر قاسم" للاحتفال بذكرى المجزرة الدامية ، التي وقعت هناك في اكتوبر ١٩٥٦ ، وراح ضحيتها أكثر من خمسين امرأة، وطفلا ، إلا أن الحكم العسكرى منع القادمين خارج الأسلاك المضروبة حول القرية . فارتجل الشاعر سميح القاسم قصيدته العمودية " كفر قاسم " ومطلعها :

رغم ليل الخنى، وليل المظالم ، حلّ وفد الكفاح، يا كفر قاسم " (١)

وما ذكره في حديثه عن سميح القاسم، الخاصية القصصية في اشعاره ، وعن الطابع القومي فقال :

" لذا، فسميح القاسم الشاب، واليساري، والمقاوم ، يقسم على المضي في القتال بلغة الشعر القصصي عن اليمين المرتبط بالحب :

قسماً لن يطمس الرمل بلادى العربية
من دم القتلى سنسقيها
ونحييها
ونعطيها حياة أبديّة ،

باسم ليلى
باسم "ليلى العدنية" .

هذا القسم باسم "ليلى العدنية" يكسب شعر المقاومة إلى جانب وظيفته طابعا قوميا " (٢) .

وفي موطن آخر يستشهد ببعض ما جاء في قصيدة سميح القاسم

---

(١) محمد الجزائرى : نعم أنه شعر يساري ومقاوم وشاب . مجلة الجديد ، العددان ٩ ، ١٠ ، سنة ١٩٧١ ، ص ٤١

(٢) م ن ، ص ٤٢

" خطاب من سوق البطالة " (١) . والتي مطلعها :

ربما أفقد — ماشئت — معاشي
ربّما أعرض للبيع .. ثيابي وفراشي
ربما أعمل حجارا
وعتالاً
وكنّاس شوارع ..

ويعلّق عليها بقوله : " سيقاوم ، أجل . ومن هنا يكتسب وجوده شرفا خاصاً ، وهل سيخص المضطهد سوى قيوده " " (٢) .

(٦) محمد حمزة غنايم — باقة الغربية — الموت الكبير لسميح القاسم

تناول محمد حمزة سميح القاسم من خلال ديوانه — الموت الكبير— أبرز فيها تكرار الجواد الأبيض رمز الموت " فكتب قائلا :

" إنّ من يطالع ديوان الشاعر بامعان، يلاحظ عدة تعابير متواترة مثل : الجواد الأبيض، رمز الموت الذى اختاره الشاعر لديوانه .. وجولات الشاعر مع الموت كثيرة ، وكان في كل مرة يهزم ، ولكن هذا لايعني أن الشاعر هزم كلية فهو يقول : " لاتظنوني خاملا بل أنا عنصر الثورة " ، فالموت أصبح صديقا للشاعر أصبح جواده " (٣) .

ويتابع حديثه ليوضح موقف الشاعر من العالم والحياة فيقول :

" للشاعر موقف من العالم والحياة ، شأن جميع الشعراء ، فطرفة قال : " وثلاث " وغيره قال : " والخيل والليل " أمّا الشاعر فقد قال لنا : وفي جراحي تكبر الأزهار " (٤).

ويشير الى النزعة الانسانية في ديوان القاسم فيقول : " وفي صفحة ٧٥ من الديوان، تتجلى إنسانيّة الشاعر الصادقة الفذة . فرقّة قلبه لاتطاوعه على أن تغنّي له أمّه الاغنية التي اعتادت الأمّهات أن ينشدنها لابنائهن ، والتي يقلن فيهما :
" لاذ بحلك طير الحمام " ,اما الشاعر لا يريدان تذبح له أمه الحمام " (٥) .

---

(١) دمي على كفي : ص ٩
(٢) محمد الجزائرى : نعم أنه شعر يساري ومقاوم وشاب . مجلة الجديد . العددان ٩ ، ١٠ ، سنة ١٩٧١ ، ص ٤٤
(٣) محمد حمزة غنايم : الموت الكبير لسميح القاسم . مجلة الجديد ، العدد ٥ ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٤٦ .
(٤) م . ن ، ص ٤٧   (٥) م . ن ، ص ٤٧

(٥)

بولس فرح ــ حيفا : ٢٦-٢-١٩٧٠ ــ الخليفة التاريخية لقصيدة "ماتيسر من سورة السلاسل"

بولس فرح من تناولوا سميح القاسم ، فكتب تحت عنوان : الخلفية التاريخية لقصيدة "ماتيسر من سورة السلاسل" ، أبرز فيها عنوان القصيدة التاريخية ، وانفعاله الشديد بالقصيدة ذاتها . فكتب للقاسم قائلا :

" اعجبني جدا عنوان القصيدة التاريخي ، كما انفعلت أشد الانفعال بالقصيدة ذاتها ، لا أدري اذا كان غيري من قرائها أخذه الانفعال نفسه . واللاإرادية هذه نابعة من اعتقادي بفن الشعر يهزّ المرء اذا تماثلت تجربة الشاعر مع تجربة القارئ أو قربت منها (١)" .

ويستعرض النقاد الذين تناولوا سميح القاسم ، ويرجع سبب تناولهم للشاعر وصحبه كما يظن لما يلي :

" والسبب كما أظنّ أنكم لم تحترفوا المباذل سلّما إلى الشهرة ، ولم تلعبوا على عواطف المراهقين والاحداث وأحلام الفتيان والصبايا ، لأنكم بدافع من المسؤولية والوعي رغبتم عن الرقص في المآتم ، واحببتم الانسان اينما كان بلا لون أو دين أو عنصر" (٢) .

ويشير بولس فرح الى حقيقة سرّ الشهرة التي اكتسبها القاسم وأصحابه ، ويرجعها إلى المواضيع الشريفة التي تناولوها في قصائدهم ، ولممارستهم الفنية للشعر المعاصر .

" ليس من الصحيح أن يقال ، أو بالاحرى ، مايقال : بأنّ مقاومتكم هي سر شهرتكم ، لأن مقاومتكم مذهبة ومصبوغة بالوان شتى من أيديولوجياتكم . قد تجدون من يعارضكم فيها ــ ولكن الاجماع كل الاجماع هو على الموضوع الشريف الذي تتناولونه في قصائدكم .. هذا بتواضع رأيي سر شهرتكم ، وأضيف مستدركاً ممارستكم الفنية للشعر المعاصر" (٣) .

يشير بولس الى الدوافع التي جعلته يقدّم على هذا العمل ويلخصها في

---

(١) بولس فرح : الخلفية التاريخية لقصيدة : "ماتيسر من سورة السلاسل" مجلة الجديد . العددان : ٢ ، ٣ سنة ١٩٧٠ ص ٤٧

(٢) م . ن ص ٤٧

(٣) م . ن ص ٤٧

نقطتين : اولاهما : التأثر العميق الذي شعر به نحو القصيدة المذكورة . والثانية : مؤامرة الصمت التي تحاك ضد القاسم ورفاقه . " انما دفعني دفعا شديداً الى الكتابة لك . التأثر العميق الذى شعرت به عندما قرأت قصيدتك هذا من ناحية . أما من الناحية الاخرى ، فهي مؤامرة الصمت التي تحاك حول شعرك وشعر رفاقك" (١) .

يعودُ بولس مرة ثانية للقصيدة ولمدلولها التاريخي والآني كما يراه :
" وللاسم مدلول آني وتاريخي . والاني منه لا يحتاج إلى التوقف عنده . أما مدلوله التاريخي فهوالأهم في نظري ، لأنه يلقي الضوء على الحاضر الحزين . أو بتعبير أدق على ملحمة السلاسل العربية التي يعيشها " (٢) .

بعد ذلك يسهب في حديثه عن التاريخ ابتداءً من الدعوة الاسلامية وما جلبته من خير عميم ، وانتهاء بالضعف والاضمحلال الفكري والمعنوي الذي ألمّ بالشعب العربي فوق أرضه المتصارع عليها . ويكبر في القاسم صموده ونضاله وجهاده ، وكشفه لموجة التعصب القومي الأعمى التي تجتاح المنطقة . ويرى في صقور المال ونسور الحرب والدمار الذين ينطلقون من واقع الكراهية والتفرقة بين الشعوب إلى توطيد مصالح رأس المال ، انهم اعداء الشعب الحقيقي في أي زمان ومكان . وأخيراً يوجه تحيته للقاسم الشاعر المنطلق المنفتح على العالم ، والجندى الباسل في معركة مجتمع المتساوين لخير كلّ العاملين (٣)" .

(١٢) الدكتور "اميل توما" — مراثي سميح القاسم — مرحلة هامة في أعمال الشاعر

الدكتور اميل توما من رفاق سميح القاسم في الحزب . تعرض للحديث عن أعمال رفيقه الفنية . فتناول مواكب الشمس ، ودخان البراكين ، ووصفهما بقوله :
" يمكننا ان نقرر ان ديوانه الاول " مواكب الشمس " كان بداية الطريق ، وكانت كل مجموعة من دواوينه تجمع بين وقفات نفس ، ومحطات استيعاب واستعداد . وهناك مايوحي بان " دخان البراكين " كان إحدى المحطات الجدية التي سجلت إلى حد كبير المسيرة التي قطعها الشاعر سميح القاسم في ميداني المضمون والشكل

---

(١) م . ن ص ٤٧
(٢) م . ن ص ٤٨
(٣) م . ن ص ٤٨ — ٤٩

وكانت رصيده في انطلاقه الفوار بعد حرب حزيران .

في قصيدة " حدث في الخامس من حزيران" أعلن سميح القاسم :

يذكر القارئ

أولا يذكر القارئ

لكني لكي يفهم كل الناس ماقلت

أعيد :

نحن في الخامس

من شهر حزيران

"ولدنا من جديد .

ولا نظن أنّ سميح القاسم قصد بالولادة الجديدة التحول عن الماضي واختيار طريق آخر . انما قصد ان الظروف الطارئة بعد حزيران ١٩٦٧ ألهمت الشاعر بمحتوى جديد ، أو فرضت أن يتجسم المحتوى القديم لا بشكل جديد فقط بل بمعان جديدة أيضا . وفعلاً كان شعر سميح القاسم بعد حزيران ذا طعم آخر .. وهذا الطعم مزج بين حلاوة الكفاح ومرارة ضحاياه ، بين فرح النهوض الثوري وكآبة درب الآلام . في هذه الفترة اصبح الشاعر سميح القاسم جوهريا — لأنه لم يتوقف عن انتاج قصائد اجتماعية ومسرحيات فكرية مثل : " قرقاش" — أصبح شاعر قضية — لقد ظهر وهو يحمل صليب القضية الفلسطينية ، ويسير بالشعب العربي الفلسطيني على طريق الجسمانية "(١) .

وتناول ديوان : اسكندرون في رحلة الخارج والداخل" فوصفه بقوله : " ونعتقد أنّه اراد بـ " اسكندرون في رحلة الخارج والداخل " أن يرصد التقلّبات التي تناوبت على القضية الفلسطينية ، والشعب العربي الفلسطيني الذي طال تيهه والذي بدأ قبل ربع قرن ، يبحث في دخائل نفسه ، ويفتش عن طاقات صموده ، وفي شبه الملحمة هذه توصل الشاعر سميح القاسم إلى تجسيم أمل الشعب العربي الفلسطيني في ميلاد جديد . وهكذا ينتهي المقطع الاول : يرحل بزوجته باحثاً عنها "(٢) .

---

(١) د . اميل توما . مراثي سميح القاسم مرحلة هامة في اعمال الشاعر . مجلة الجديد . العدد ١ سنة ١٩٧٣ ص١٧

(٢) د . إميل توما : مراثي سميح القاسم مرحلة هامة في أعمال الشاعر . مجلة الجديد ، العدد ١ ، سنة ١٩٧٣ ص ١٧ .

يصف الدكتور"اميل" هذه الفترة من انتاج سميح القاسم قائلاً :

" لقد تميزت هذه الفترة من انتاج الشاعر سميح القاسم بنقمة وغضب وثورة. وكانت القصائد هديرًا من الحقد العادل على قوى الظلام الغاشمة ، ولكنها لم تفقـــد الطموح إلى السلام " (١) .

تحدث" إميل" عن الاتهام الذي تعرض له سميح وصحبه بالمغالاة فـــي الغضب والحقد والرمز ورأى ما ملخصه : أنّ الرمزية . بمعناها البسيط هـــي : التطور البديهي والمرحلي عقب مرحلة صياغة الحقائق واعلانها بعبارات جمالية، ولا يستطيع الشاعر أن يقفَ في مكان واحد ، وخاصة ان الحياة في تطور مستمر. والقضية الفلسطينية تتوالى عليها التطورات ، ومنها نوائب،ومنها بشائر. ويقع في مثل هذه الحالات ان يختار الشاعر تعابير يريد أن تكون صورا توحي بأمور فلا يستوحي منها القراء ذلك. أو هم لا يفتقدون أنها حطت ما أراد الشاعر أن تحملَ من معان . وهناك مثل هذه الحالات في شعر سميح القاسم ، ولكنها ليســـت المقرر أو أنها هامشية لاتشوه الصورة العامة (٢) .

ولقد أشار" إميل توما "إلى صعوبة وضع المقاييس الصالحة للغضب عـــلى الظلم والحقد أزاء البربرية حيث قال في ذلك : " من الصعب وضع مقاييس صالحة للغضب على الظلم والحقد أزاء البربرية ، والنقمة الناجمة عن الحس المرهـــف بمأساة شعب يعيش مأساته كل يوم وعبر حوالي ربع قرن . وقد يكون من الحق أنْ يُقاس الغضب والحقد والنقمة بهول الحس بعمق المأساة التي تلازم الشاعر، وتحوّل أحلامه إلى كوابيس مفزعه . وقد عرض لنا سميح في " العائد " إحدى الصور التي لازمته منذ أن استيقظ على كفاح الشعب وتضحيته " (٣)

ولقد أشار" إميل توما " إلى ظاهرة الغزل في شعر القاسم فقال :

" بدأ بالغزل . والغزل عدة كثير من الشعراء يتعاملون به حتى في موقع الجد، ويبقون عليه ذخرًا مثل زيت قنديل — ولكنه اختار ان لايتيه في برية الضياع، ثم تنحى الغزل دون أن يغيب ، وبرزت القصائد القومية وأزيز الكفاح " (٤) .

بعد ذلك ينتقل " إميل توما " للحديث عن مراثي سميح بقوله :

---

(١) م . ن ص ١٧
(٢) م . ن ص ١٨
(٣) م . ن ص ١٧
(٤) نفس المصدر السابق .

" وعند هذا الحد ننتقل إلى " المراثي " . لماذا قررنا أنها محطة هامة ؟ أفيها تحول جذري عن طريقه القديمة ؟ تماماً مثلما لم يقصد في قصيدته " حدث في الخامس من حزيران " الولادة من جديد بمعنى القطيعة بين الماضي والحاضر، كذلك لا يقصد أن محطة سميح الحالية هي تحول جذري أو حتى تحوّلٌ عن طريقه القديم ، فهو لا يزال يحملُ فيها صليب قضية فلسطين، ويبتهل باسم شعبها ، ويتوق إلى الخلاص بالميلاد ، وهو يلخّص موقفه كاملاً في نهايتها حين ينشد :

أيتها الرئة المثقوبة .
برصاص القاتل والغربة
أيتها الأبواب المختومة بالشمع
أيتها الاعجوبة
ياوجه حبيبي ياقمر الدمع
أيتها الأشجار الأمطار الآبار الأزهار
الوديان الكثبان الأيدي الأصوات
الحملات السيارات الأرصفة البيارات
الأضواء الاقدام الأجراس
الصحف الآلات الموسيقى
... ها أنذا أنتظر الميلاد

ولكنه في هذه المراثي ضمن المحتوى في أشكال جديدة ، وأدخل فيها ألوانا متباينة من الحوار وطبعها ، وهذا جوهري — بروح صوفية ، قد تبدو استسلامية إلا أنها مثل تيارات البحر العنيفة التي لا تظهر على السطح" (١)

علق إميل توما على اقتباسات القاسم الصغيرة من القرآن الكريم والتوراة والانجيل ومحاورته الربّ بقوله :

" ولم يقصد الشاعر سميح القاسم في محاورته الرب على النسق التوراتي في بداية المراثي أو في نثر الاستشهادات القصيرة من القرآن والتوراة والاناجيل ، أو التشبه بها مجرد أصالة جمالية ، إنما أراد أن يحاور حكام إسرائيل الذين يبررون عدوانهم ومظالمهم بايديولوجية تنهل من مناهل التوراة ويهزأ بهم . ويكشف

(١) إميل توما : مراثي سميح القاسم برحلة هامة في شعر الشاعر . مجلة الجديد ، العدد ، ١ سنة ١٩٧٣ ص١٨ .

المطامع التوسعية والغبن اللاحق بالشعب العربي الفلسطيني " (١).

ويختتم إميل توما حديثه عن المراثي بقوله :

" ومع هذا فليست المراثي وقفة فحسب ، بل هي وقفة فلسفية حشد فيها الشاعر كل ثقته وتفاؤله ، ومن هنا جاء الحوار الهادئ الملون بالصوفية الذى استخدم الاستشهادات التوراتية ممتزجة بالشعر ليصل إلى غايته" (٢).

(١٧) علي عاشور.. مع ديوان الشاعر سميح القاسم — " دمي على كفي "

تناول علي عاشور — سميح القاسم من خلال ديوانه " دمي على كفي " ، فعرض فيه لحياة القاسم وصور نضاله وما انتج من كتب حتى وصل إلى عنوان الديوان فقال : " اختار سميح القاسم عنوانًا لديوانه الجديد ، ولعلّه أدرك من قصائده التي ضمها هذا الديوان ، فيها من التحدى للظلم والايمان بالحق المغتصب والثقة بالمستقبل مايجعلها مثارًا لنقمة الحكام وغضبهم " (٣).

وفي موضع آخر يصف قوة سميح القاسم ، وعدم مبالاته بالحكام وغضب من يغضب فيقول : " ويهتم سميح بغضب أعدائه الذين ربّما تستفزهم أشعاره ، وكأنه يقول لهم : أمامكم البحر فاشربوه ويقدم من نفسه صورة فنية رائعة عن الانسان الكادح المناضل المضحي ، الواثق بالمستقبل " (٤).

ولكنّ علي عاشور أخذ على سميح القاسم في ديوانه مآخذه منها : محاولة القاسم حشر ذاتيته بشكل زائد عن الحد المألوف فيقول علي عاشور : " وسميح في كثير من أشعار هذا الديوان يحشر ذاتيته بشكل زائد عن اللازم ، ويدرك هذا كل من يقرأ الديوان " (٥).

ويأخذ عليه كذلك عدم تصويره لمذبحة كفر قاسم تصويرًا حيًا . ويقول في معرض ذلك : " وفي قصيدته " ليد ظلت تقاوم" التي يتحدث فيها عن كفرقاسم . لا يصور هذه المأساة المروعة التصوير الحي المطلوب ، وهو لم يقل اكثر من أنه

---

(١) م . ن ص ١٨

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) علي عاشور : مع ديوان الشاعر سميح القاسم" دمي على كفي " . مجلة الجديد . العدد ٥ ، سنة ١٩٦٧ ص ٧

(٤) م . ن ص ٨

(٥) م . ن ص ٩

تطلع إلى القتلى وترحَّم عليهم ، وأضاف ما معناه "معلش " (١) إنهم فوج آخر من الشهداء سقطوا فداء النصر الأكيد " (٢) .

والحقيقة يجب أن تقال : أن في هذين المأخذين حملة غير عادلة على الشاعر ، لأننا لا نستطيع أنْ نفصل الشاعر عن ذاتيته . لا يمكنه أن ينطق مجرداً من عواطفه الإنسانية وذاتيته ، والا أصبح الاديب بوق دعاية يلتقط السقطات من هنا وهناك ، ليدفعها إلى الخارج وللناس بصوت كبير مُثير اجوف لا مضمون له ، واذا مادققنا النظر اتضح لنا فراغ ذلك القول ، واضمحلاله من ناحية ، ومن ناحية ثانية : أن القاسم كما عرفته من خلال أحاديثي ومجالستي له ومن مطالعاتي لآثاره ، ومصاحبتي لما يُكتب عنه ، ان سميح القاسم لا يُحبُّ الحماس والارتجالية والالفاظ ذات الجرس والرنين البعيدة عن المضمون والمحتوى .

أمّا الناحية الثالثة التي أحبُّ ان ألفت نظر القارئ إليها : ان كل من يطلع على القصيدة المذكورة "ليد ظلت تقاوم " يجد فيها شاعرا مارس النضال ، وثبت على قاعدة وأرضية ثابتة ، وأنه يُعلنها ملء فمه " لن يساوم" ولم يقف القاسم فيها عند حدود الترحم كما قال صاحبنا علي عاشور .

والمأخذ الثالث الذي أخذه على الشاعر في ديوانه انتقاد حزبي أكثر منه جمالي وهو عدم هضم سميح القاسم للواقعية الاشتراكية يقول علي عاشور في معرض ذلك :

" ومصدر الضعف في شعر سميح هو أن الشاعر نفسه لم يسترشد بعد بشكل كامل بالواقعية الاشتراكية ، وان كان هو نفسه يعتقد أنه يسترشد بها ، ولم يتطبع بأفكارها ، وهذه الافكار في رأيي تمثّلها وجهة النظر الشيوعية ، مما يجعله في بعض القصائد يعجز عن تصوير الحياة تصويرًا حقيقيًا وواقعيا من كلّ نواحيها ، وبكلّ عمقها ، لذلك نراه احيانا يتزحلق على سطح الحياة . ففي لحظة غضب — كما يقول — يشتم الرجال الجالسين في هيئة الأمم المتحدة " — قصيدة إلى جميع الرجال الأنيقين في هيئة الأمم المتحدة " — لا فرق عنده بين عميل للاستعمار ، ومناضل ضده . كلهم في نظره سواء يضيّعون الوقت في نقاش عقيم " (٣) .

---

(١) كلمة عامية يستعملها شعبنا العربي على الأرض الفلسطينية بكثرة في أحاديثهم واقرب معنى لها هو " لا بأس " .

(٢) علي عاشور : مع ديوان الشاعر سميح القاسم . دمي على كفي . مجلة الجديد . العدد ، ٥ سنة ١٩٦٧ ص ٩

(٣) نفس المصدر السابق .

وأعود لأقول إنَّ في هذا الحديث اتهامٌ حزبيٌ أكثر منه أدبي ، أو انتقاد عقائدي . وكأنَّ عاشور أراد من القاسم أن يكون صحافيا . يأتي ليصنّف أعضاء الوفود ، ليخرج المناضلين كما يتصورهم عاشور إلى جهة ، وعملاء الاستعمار إلى جهة أخرى . وكأنه نسي أن المناقشات في هيئة الأمم المتحدة لم تؤت أكلها المرجوة أولاً . وثانياً : ان أغلبية المتناقشين ان لم يكن جلّهم قد ساهم في تردية الوضع في منطقتنا العربية بقصد أو دون قصد .

وأخيرًا يوجه علي عاشور نصيحته لزميله سميح القاسم يقول فيها :

" كان بامكان سميح القاسم ان يكون في ديوانه الرابع اكثر اعتمادا على الشعب وحركة الجماهير ، وأكثر ثقة بالحياة وبالمستقبل من وجهة النظر السليمة . ولكن كل هذه الانتقادات وغيرها لاتحطُّ من قيمة الديوان الذي هو في نظري جدير بالفخر والاعتزاز " (١) .

(٢)

فاروق مواسي — قراءة في سريمة سميح القاسم — إلهي ، إلهي لماذا قتلتني ؟

حلل فاروق مواسي بعضاً من جوانب السريمة ، وكان من خلال ذلك يبرز صفات سميح القاسم الفنية وما يمتاز به . فما جاء في تحليله قوله :

" الشاعر لا يتحمّلُ قسوة القتل برغم ما حاول أن يثبت في رفضياته من استعداده للقتل . هو انسان حساس ، تنقلب عنده الصورة برفق حتى تتناقض أحيانا ، ولا تثريب عليه ، فتارة يكون الشاعر اثنين . الشاعر والشاهد ، وتتعدد أسباب الموت والموت واحد " (٢) .

ويشير فاروق لتردد لفظ الجلالة في سريمة القاسم قائلا :

" والله عند الشاعر في صور متباينة . تارة يطلبه ، وطورا يطلب منه أن يستقيل ، وحينًا يكفر به ، وفي النهاية يطلب حيادته . فالرب كما يقول مشترك ، وهو في موضع اتهام " (٣) .

---

(١) م . ن ص ٩

(٢) فاروق مواسي : قراءة في سريمة سميح القاسم . الهي ، الهي لماذا قتلتني ؟ مجلة الجديد . العددان ٩ ، ١٠ سنة ١٩٧٤ ص ١٢

(٣) م . ن ص ١٢

ويشير الناقد كذلك إلى الجزئيات المتعددة التي تتحد في ذات الشاعر أو تحـل فيه بقوله : " وحتى في نفسه تتوحد الأشياء بتناقضاتها ، وتتجلى نظرته الحلول والفيض . واذا بشاعرنا يصبح رملا وبرقوقا ، وطفلا وشمسا ، وأشياء خاصة ، وكثيرا غيرها يذكرها بنفس طويل " (١) .

ويشير كذلك إلى خاصية فنية يختص بها ألقاسم وهي إشباع الصـورة الجزئية في وصفياته فيقول :

" فهو يشبع الصورة الجزئية وصفا وكأنها تستهويه . فالبناء اللفظي عند سميح القاسم رافض كصاحبه ، كالماء المحبوس يحاول ان ينفلت ، والصور عند سميح متراكمة حتى تطغى علينا أحيانا فلا تعرف ماذا يعني سميح القاسم عظيم في المسـرح الشعري ، لكنّه متدفق بعطائه ومعانيه في سربيته " (٢) .

(١٩) هاني الزعبي : الهي الهي لماذا قتلتني ؟ (عن مجلة فلسطين الثورة)

تناول هاني الزعبي سربية سميح القاسم الهي الهي لماذا قتلتني ؟ بالتحليل والتعليق عليها موضحا بعض ما يختصّ به سميح من خلال سربيته . وأول ما تناولـه هو سبب تسمية سميح القصيدة بالسربية وما نستفيده من تلك التسمية فقال :

" إن تفسير سميح القاسم لاختياره تلك التسمية لقصائده الطويلة ، هو عبارة عن مدخل نسلكه فيقودنا مباشرة إلى مفهوم سميح عن الكلمة الشعرية . فالكلمة عنـد هذا الشاعر الفلسطيني لم تتحجر ، ولم تصبح غاية في ذاتها ينحتها ويلونها ليصنع منها لوحة بلا حركة ، ليس لها مدلولات خلفها ، سواء أكانت هذه المـدلولات مستمدة من حركة واقع المجتمع أو الواقع الوطني " (٣)

وتناول ماقاله سارتر " من ان الفن لا جذور تقيده بالواقع المعاش ، وكذلك ماقاله : من أن الشعر والموسيقى هما الفنان اللذان لا يقعان أبدا بدائرة الالتزام الا بذاتيتهما وينبعان من ذاتيتهما (٤) فيقول هاني الزعبي : " ونحن نعلـم عدم جدوى هذه النظرية حيث اثبتت الدراسات المختلفة مدى عمق التلاحـم

---

(١) م ٠ ن ص ١٢

(٢) م ٠ ن ص ٣٨

(٣) هاني الزعبي : الهي ، الهي لماذا قتلتني ؟ مجلة الجديد . العدد ٦، سنة ١٩٧٥ ص ٨٧

(٤) م ٠ ن م ٠ ن ص ٨٧

العضوى بين هذين الفنين والمجتمع وبنيته ، ولكن اين هذه الصرعة من المفهوم الحي الذى تكون لدى سميح من معاصرته لواقع الاحتلال الصهيوني ، ان بينهما أشواطاً بعيدة ، وحواجز فاصلة مابين الشاعر الذي يتكلم للانسان عن آمال وآلام الانسان ، والشاعر الذي يضع نفسه فوق البشر" (١) .

وأشار الزعبي الى مايهدف اليه سميح من وراء سربيته. بقوله :

" ان سميح القاسم يهدف أولا وأخيرا — من خلال قصيدته هذه — الى ان يعبر الفواصل بين ماهو جزئي ومعاش الى ماهو كلي ويجب ان يعاش مرتكزاً الى تفاصيل صغيرة يعاني منها الانسان في داخل الوطن المحتل. وتأخذ دلالتها العامة وجوها النفسي الحار ، وكثافتها من قدرة الشاعر على كشف التوجه التاريخي . فسميح ، أيضا ، " يعرف اكثر من غيره كيف يجعل قضية الظلم في وطنه ، وفي العالم واحدة لاتتجزأ " ومسألة لاتنقسم ، وهذا بالتالي مايساعد " على تفتيق أشكال ثورية جديدة في التعبير الشعرى " ويخيل الى القارىء ان سميح القاسم " دخل مرحلة التوحّد المطلق مع القضية ، توحّداً نفسيًا وجسديا ، عقليا وشعوريا ، عفويًا وقصديا ، الى حدّ تمحي مع هذه المواصفات لاغية بحيث لا يمكننا تلمسها ، فسميح — هو القضية ، والقضية — هي سميح" (٢) .

وعبّر هاني الزعبي عن تلاحم سميح القاسم بالقضية الفلسطينية بقوله :

" فسميح قضية فلسطين بكل تعقيداتها وقد تحولت إلى لغة شعرية تعي نفسها وأقوالها وما حولها ، وفي الحقيقة أنّ القصيدة تمزق كثيرا من البراقع عن وجه التاريخ الذي وقع ، لتنجب في القارىء قوة الثورة ، ولنعترف ونقرّ أننا نكتب هذا لكوننا لانتمكن من تلخيص القصيدة أو تفسيرها في قالب نقديذي حجم صغير . ولكن لانرى مفراً من الكتابة عنها . ويكفي أن نعرف مع سميح بعد ذلك . ان الفلسطيني ليس انسانا يهول امر نفسه ويكبر شأنها بمجهر ذاتي الصبغة ، بل هو ثائر يهز العالم ، ويحاول اشفاء وايقاظ بعض الضمائر النائمة ، وانه لولا الجريمة الكبرى التي ارتكبت بحقه ، وصنعت قدره وزيفت وجوده ، لما رفض ان يعيش بهدوء فوق أرض يحبها ، يمارس حرثها وزرعها ويجني ثمارها المروية بعرقه" (٣) .

---

(١) هاني الزعبي : الهي الهي لماذا قتلتني ؟ مجلة الجديد ، العدد ، ٦ سنة ١٩٧٥ ص ٨٧ — ٨٨

(٢) المصدر نفسه ص ٨٨

(٣) المصدر نفسه ص ٨٨

ولقد وضّح الزعبي سبب استعمال سميح القاسم للرموز التاريخية ولغة القرآن الكريم والانجيل ، وما هو سبب الغموض في بعض مقاطع القصيدة ، وفي موسيقاه الشعرية بقوله :

" ويستعمل سميح القاسم الرموز التاريخية ولغة القرآن والانجيل والتوراة في قصيدته لينسج مستويات مختلفة من وعي المأساة ، ولكن ربما يأتي غموض غير مقنع في بعض مقاطع القصيدة ، وربما تظهر أيضا بعض التلبكات السريعة في الموسيقى وفي رصف الكلمات وان كانت نابعة من سرعة حركة الحدث الفلسطيني " (١) .

وبعد ذلك يتساءل الزعبي بقوله : " ألاَ يحقُّ لنا أن نتساءل هل تنفع اللغة — الغاية — لتعبّر وتفجر وتثور قضايا وهموم وطموح الانسان الحي الثائر دون أن تكون لها أدنى علاقة مع مشاكل هذا الإنسان وتقلّبات حياته؟" (٢) .

ويجيب عن تساؤله بقوله : " اننا لانصادق ولا نقبل بهذه النظرية قطعا" (٣) .

(٧) عبد اللطيف عقل : الهي الهي لماذا قتلتني ؟ (دراسة)

تناول عبد اللطيف عقل سربية سميح القاسم بالدراسة والتحليل وما قاله في هذا الشأن : " في سربية سميح القاسم لاتبحث عن القصيدة ، إنها تستدعيك لاختراع فهم جديد ، ومعرفة جديدة ، حتى أنها تستدعيك لان ترى بغير عينيك ، أو أن تشم بغير انفك ، لانها تطرحك ولا تطرح لك ، وتجعلك مخاطبا (بكسر الطاء) وليس مخاطَبا (بفتحها) انها أشبه بلوحة شرسة مرسومة بفحم الحديد والجص الذي يبقى عادة في ميادين المعارك البربرية المتوحشة بارتال جنودها ، ومن أجل أن تلمس يد التاريخ ذات الاصابع الموصولة كأصابع الخط المقطع الأول في الكتاب" (٤) .

ودراسته النقدية لسميح القاسم هي : أنه لايؤخذ بعض البحث عن الموسيقى أو الصور ، ان الشعر الموزون المقفى والمرسوم في حدود البحر يفشل تماماً أن يحمل طاقة هذه الوثبة الوجدانية التي تصم العالم وتعريه وتضع الأشياء كل الأشياء في غير مواضعها الحالية ، وهنا تصبح الجمل المنصوصة كقشر البطيخ غير قادرة على الاحتمال فتعلن إفلاسها ، ولكنه (عبد اللطيف عقل) احتمل مسافة مابين

---

(١) م ٠ ن ص ٨٩

(٢) المصدر نفسه ص ٨٩

(٣) المصدر نفسه ص ٨٩

(٤) عبد اللطيف عقل : الهي الهي لماذا قتلتني ؟ دراسة مجلة الجديد ، العدد ، ٧ سنة ١٩٧٥ ص ١٣

السطور ليتمكن من رؤية سميح القاسم وهو يهدم كل دقيقة على طريقة البرميل ، أنه أمامه بحطام العين وحول رأسه النحاس" (١) .

تناول عقل مقطع سقوط السماء منذ الطفولة بقوله : " بالتدرج والتتابع المنظم تسقط كل المستندات وتتلاشى كل أدوات النجاة ، وتتآمر السماء والأرض ليسقط الشاعر ، وليسقط به العالم ، ويسقط معهما الرب ، وهذا التساؤل الانكساري الموغل في الرعب يحمل من طعم السذاجة والشر ما يجعل السيد المسيح في لحظات انسانية يعتذر عن لهجته الوديعة ويود لو يعيد فيها النظر ثانية يوم البعث. وهذا المقطع يشكل قلب السريمة ، ليس إهانة للاله فحسب ولكنه القناة الوحيدة ذات العرض الكافي لصرف الطاقة الدافقة من الحقد والشر والبراءة ، والا لما كان الشاعر قادرا على التنفس حتى اليوم " (٢) .

ويضيف عقل قائلا : " اعتقدت دائما أن سميح القاسم شاعر التاريخ ليس بالمصادقة الفنية القائمة على الاستعداد والثقافة بقدر ما هو رصد خبيث ليستطيع هذا الممسك بحلقه الناشف أن يلقي القبض على السكاكين المأجورة وهي تغافل التاريخ ، وتقطع الطرق على الفرح والحزن والطفولة . " إنهُ مجندٌ حتما وبكلّ مواربة ليختار اللغة التي يشاء وليشهد ضد العالم وضد السماء ، وبذلك ينفي عن عمد تماما كل خرافة الحق الالهي ، وكل الميتافيزيقا " (٣) .

(على حد قوله) ولقد تعرض عقل لابتكار سميح القاسم الاسماء الجديدة ، لأنّ الحرارة تصهر الاشياء كما تصهر الاشخاص ، وأن واحداً مثل "عقل" على حد قوله يلمس الرعب الداخلي الذى يحتل في قلب سميح القاسم وعقله ، ولأنه غير قادر على النفاذ إلى أعماقه ، الا انه قد تفحمت أحزانه والتهب في وجدانه الرفض بفعل هذا الرمز القادر على التحويل بالحب لأن التبرير الواحد المقبول هو اعتناق اللهب ، لان أجمل رائحة زكمت انف الافق هي رائحة اختلاط النوعين من اللحم المحترق ومن في الاحتراق (٤) .

تصوّر عقل للتاريخ عند سميح القاسم مرة وتصوره للوطن مرة أخرى يخالف تصور النقاد حيث يقول : " هذان التصوران يخضعهما النقاد غالبا لمنهج تحليلي اعتباطي فيه من التعسف ما يذهب بالرداء الوجداني فيهما ويحرمهما من النكهة الدامية التي هي في النهاية كل فن الشعر ، بل كلّ الفن " (٥) .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٤ (٢) المصدر نفسه ص ١٤ — ١٥

(٣) المصدر نفسه ص ١٦

(٤) عبد اللطيف عقل : الهي الهي لماذا قتلتني ؟ (دراسة) مجلة الجديد ، العدد ٧ ، سنة ١٩٧٥ ص ١٧ (٥) المصدر نفسه ص ١٨ .

ويعود عقل لانتاج سميح القاسم قبل السربية ليصور من خلالها الشاعر سميح بقوله : " لكنني أعيد القارئ الى نتاج سميح القاسم قبل السربية ليرى انه في السربية انقلب على نفسه ، وارفض ان استخدم مصطلح تطوّر. فسميح القاسم يحتويه د يالكتيك دائم العنف يجعله في قفز مستمر، فبعد أن كان يستخدم الألفاظ بمدلولها المتعارف عليها إلا ماتفرضه اللغة الشعرية نجده في "الهي الهي لماذا قتلتني " وثالث اكسيد الكربون" (١) . وقد أبدع لغة جديدة فلم تكن الرموز المكانية (اسماء المدن والقرى والاشياء) مجرد أسماء اشارة إلى واقع ، بل أصبحت هذه الرموز هموماً قادرة على التعذيب ، وكذلك التاريخ تحول من أحداث ووقائع زمانية ومكانية الى أجواء تزكمها رائحة اللحم المحترق ، واذا كان سميح القاسم قبل هاتين السربيتين يدين الأشياء ويقف في مواجهتها ، فإنه الآن يحتويها ويفعل فيها وينفعل بها في حركة د يالكتيكية حادة "(٢) .

وتناول عقل مفهوم الوطن والتاريخ عند القاسم فكتب عن ذلك بقوله :

" بعد هذا القدر من الحزن الطافح بالرفض، وامتداح الموت بالتوحد معه حتى حد الالوهية. يصبح الوطن عند سميح القاسم تراكما لجزئيات مكانية تندغم بعضها في البعض الاخر حتى تكون مصدرًا للالم الطيني من المطلع إلى المطلع . . أما التاريخ فيفقد السياق المنطقي عند الشاعر ويتحول الى وعاء صدئ يخترق منه حوادثه الفاجعة ويجلوها تماما لنراها نحن عارية حتى من جلودها "(٣) .

ويعلل عقل سبب عدم فهم الناس للشاعر لعدم احساسنا بمعاناته بقوله :

" من هنا جاءت حادثة ان البعض يقول : إن سميح القاسم أصبح غير مفهوم ، ولو اننا نحس معاناته لما قلنا ذلك ، لأن الشاعر يركض في العمق مدفوعًا بارتفاع حرارته الوجدانية والانسانية "(٤) .

وكتب عقل تحت عنوان فرعي — قانون تداعي المعاني — قائلا : "اما ما يمكن أن يقوله الاخرون ، فانني أقصد له متسعا من الورق ، لكنني ادعوهم إلى لعبة المكاشفة واللمس بدل لعبة القواميس واللغة ، أن التوحّد ينفي الحواجز بين المفاهيم ، ويجعل الالتصاق حميما حتى اليتم . وان التطهر بالحرارة يجعل المدخل أكثر اتساعا "(٥) . وبهذا القدر نكون قد انهينا رحلتنا مع عقل في تناوله لسربية سميح الى ناقد آخر تناول السربية " عايد أبو لبده " .

---

(١) نشرت الحلقة الاولى منها في مجلة الجديد . عدد ٣ سنة ١٩٧٥

(٢) عبد اللطيف عقل : مجلة الجديد ، العدد ٧، سنة ١٩٧٥ ص١٨ ، ٩٧

(٣) المصدر نفسه ص٩٧ (٤) المصدر نفسه ص ٩٧ (٥) المصدر نفسه ص٩٨ .

(١)

عايد أبو لبده : سرحية الهي الهي لماذا قتلتني ؟

بدأ عايد مقاله موضحا ماهيته ، منبها ذهن القارئ الكريم إلى أن المقال ليس مقالا نقديًا لديوان من دواوين القاسم ، بقدر ماهو عرض لرائعة من روائعه ، ولعلّ هذا راجع لسببين : الأول : هو ان هذه السربية لم تصل حتى الآن الى متناول الجميع ، فهي صادرة عن مطبعة الاتحاد بحيفا سنة ١٩٧٤ ولم تقم بطبعها وتوزيعها — فيما يعلم الناقد — دار نشر عربية. فيمكن القراء العرب من النعمة والتمتع بهذا الأدب الخالد . أما السبب الثاني فهو : — أنّ قارئ السربية مهما بذل من جهد فلن يجد للشاعر عثرة تذكر او هفوة يمكن التعليق عليها ، ولذا فلا بد ان يكون مقاله النقدي عبارة عن إعجاب بالشاعر واطراء للسربية . وقبل ان ينقلنا إلى السربية وعالمها الرحب الواسع ذكرنا أنه قد صدر للشاعر سربيتان هما : "اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل" و "مراثي سميح القاسم" (١) .

ثم تناول عايد أبو لبده حديث سميح القاسم عن سبب تسميته للقصيدة بالسربية محاولا التوفيق بين التسمية وما جاء فيها بقوله :

" الواقع ان سميح القاسم قد التزم برأيه الفني هذا في جميع دواوينه السابقة ، حيث كان ينتهي في قصائده إلى حيث يجب أن ينتهي ، ولم يحاول أن يمطّ نفسه لتطول قصيدته ، وهنا لانعدم من يقول : أن القاسم قد خطط لسربيته هذه ، فكيف يتفق التخطيط وعدم الميل الواعي للتطويل ؟ وفي نظري ان الاتفاق قائم وواضح ومتين . فسميح القاسم شاعر ملتزم بقضايا وطنية ، وقضايا انسانية بالدرجة الاولى ، والالتزام يفرض التخطيط ، ثم ان مايبدو تخطيطا يختلف اختلافا كليا عن الركض واللهث وراء التطويل ، أضف الى ذلك انه تجنب الميل الواعي للتطويل ، ولم يتجنب الميل الواعي للالتزام بقضايا يؤمن بها وبحرق نفسه لاضاءتها . نعم . لقد خطط القاسم لسربيته تخطيطا ذكيا ووضع لها الأساس المتين ليبني فوقه معماره الفني ، بل ليبني صرحه العظيم في عالم الأدب " (٢) .

ولقد تعرض عايد أبو لبده لوجود المقطع العبرى الاتي في السربية : توتو / همريتم يموتو / بموم رشون . وعلق عليه بقوله :

---

(١) عايد ابو لبده : سربية الهي الهي لماذا قتلتني ؟ مجلة الجديد ، العدد ٨ سنة ١٩٧٥ ص ٣٢ — ٣٣

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣

" آه! لقد غاب عن بال الشاعر أننا لا نفهم اللغة العبرية ، ولكن لا مانع من السؤال عن معنى هذه الأغنية ، ولا بأس من تجرّع معناها : " ليمت العرب في أقرب يوم " . والواقع إن الاغنية لا تعني فقط موت العرب ، ولكنها تعني أيضاً وجود فاشية جديدة ، بل وجود ما هو اكثر عراقة في اللاّانسانيّة من الفاشية " (١) .

بعد ذلك ، يسير الناقد بنا بمساعدة " مصباح القاسم " ليكشف لنا عن غربة الانسان في وطنه وبيته ، ويطلب منا التعلّق بالشاعر خوف الضياع ، ولنطرْ معه في الجو ، أو نسافر الى بيروت ، ومن هناك الى اوروبا ، فربما تخلصنا من رائحة المطر السام ، فالمطر السام تنتشر رائحته في جميع الاتجاهات ، تقوّى رائحته عطرة سامة أخرى تعيش في حديقة بعيدة ، تسمى امريكا . ويكرر الناقد طلب المسير وراء الشاعر ، ولقد سار من قبل ، الفلاح الاسباني وراء شاعر الثورة " فد ريكوغارسيا لوركا " عندما سمع الفلاح أبيات الشاعر في وصف سهل الزيتون . ولقد سار الفلاح الاسباني الى جانب شاعره الثوري ، مختارا طريق الثورة للخلاص ، فانتصر ، وأنت لابد منتصر . ولا يسع ، الناقد ، من ان يتمنى للقارىء النجاح في هذا الطريق الصعب ، وان يهنّئ ، القارىء على حسن اختياره للطريق ، برفقة شاعر الغضب الثوري ، سميح القاسم (٢) .

هذا ما كتبه النقاد العرب في سميح القاسم . فما هو موقف النقاد الاجانب من سميح ؟ .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

(٢) عايد ابو لبدء : سريبة الهي الهي لماذا قتلتني ؟ مجلة الجديد . العدد ٨ ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٧٦ — ٧٩ .

الفصــل الثانـــي

سميح القاسم في رأي النقاد الأجانـب

توجهت بسؤال إلى سميح القاسم مستفسراً فيه عما كتبه النقاد الأجانب عن أعماله فقال : " نتيجة لظروف التعمية التي نعيشها ، وظروف الحصار الثقافي المضروب حولنا ، فان ما تناوله الأدباء من أعمالنا لم يكن بوفرة ما كتبه النقاد العرب " (١) . وأحالني على ما كتبته بعض الصحف الفرنسية باقلام بعض النقاد الموسيقيين في تناولهم للتجربة الموسيقية الجديدة لعابد عازرية . فما هي تلك التجربة ؟ وما هو الذي كتبته تلك الصحف ؟ .

لقد قام الشاب السوري عابد عازرية بتجربة موسيقية جديدة ، فأصدر في باريس محاولته الاولى . اسطوانة صغيرة من خمس وأربعين دورة بعنوان : " شعر المقاومة الفلسطينية " تضم قصائد للشعراء الفلسطينيين : محمود درويش (رد الفعل) ، توفيق الزياد : انا ربكم " ، سميح القاسم : " في انتظار طائر الرعد " لحنها وسجلها بصوته . فالقصائد الملحنة سجلت بالعربية ، وطبعت ترجمتها الفرنسية على الغلاف . وقد أصدرت الاسطوانة موسسة " أغاني العالم " ، ولقد تحدث الفنان عابد لمجلة الطريق عند مروره من بيروت — عن سبب اختياره لشعر المقاومة ، وقامت مجلة الجديد بنقل الحديث . قال الموهوب عابد :

" ان وضعي لشعر المقاومة الفلسطينية موسيقيا لم يكن على سبيل المصادفة ، لأنني كنت أبحث عن كلمة معاصرة لكلمة ذات مدلول داخلي تشرح حالة نفسية لا يقيدها الايقاع أو اللحن أو اسلوب الاداء ، كلمة لها معنى تحمل طاقات ذات مناخ مسرحي تتعدد فيه الحركات ، وربما الشخصيات والأصوات . . ان المعاصرة تفرض أشياء أكثر ، أشياء أبعد ، فوجدت حرب فيتنام اليوم مثلاً ، والهند الصينية ، ومأساة فلسطين ، والتمييز العنصري ، والصراع الطبقي ، الذي يحدد اكثر هذه المشاكل ، وصعود مراكب الفضاء إلى القمر ، راح يفرض على الأغنية التقليدية العربية مشاكل جديدة لم تستطع أن تتحمل عبئها ، فبقيت متأخرة عن الواقع ، بقيت جامدة " (٢) .

---

(١) في مقالة شخصية معه في بيته بشارع عباس بمدينة حيفا بتاريخ ٣١ / ٣ / ١٩٧٥ .

(٢) مجلة الجديد : الملتقى الشعري الأول . تجربة هامة في بيروت . عابد عازرية وتجربة موسيقية جديدة) العددان ١ ، ٢ ، سنة ١٩٧١ ، ص ٤١ .

ولقد قدمت بهذه المقدمة ، لانه لا بدّ من التعريف بصاحب هذا العمل الفني الجليل أولا . وما أدّاه من خدمة انسانية عميقة نحو ابناء فلسطين ووطنه العربي الكبير ، واعترافا بالجميل، وبالقدرات الفنية الخلاقة في محيطنا العربي الزاخر .

وثانيا : — لان هذا العمل الفني اثار ضجة اعلامية كبيرة ، اذ تناولتها بعض الصحف الفرنسية بالتعريف والتعليق ، وظهرت مقالات صغيرة عنها في صحف " الاومانيتيه " و" النقد الجديد " (لانوفيل كريتيك) والاداب الفرنسية " (ليترفرانسيز) ومجلة " الشهادة المسيحيه " ، لندلف بعدها الى غرضنا وهي ماورد فيها من نقد يخصّ شاعرنا القاسم .

ففي مجلة الآداب الفرنسية : كتبت الناقدة الموسيقية المعروفة " مارتين كاديو" مقالا بعنوان : " شعر المقاومة الفلسطينية " جاء فيه :

" أن القصائد التي قام الموسيقي الشاب عابد عازرية باختيارها لهذه الاسطوانة الاولى (٤٥ دورة ، موزعة من قبل شركة غناء العالم) هي جميلة جدا . فتوفيق زياد ، ومحمود درويش، وسميح القاسم، هم ثلاثة شعراء شباب فلسطينيين، يعيشون في إسرائيل منذ خروج الفلسطينيين . لقد بقوا بدون ايّة وثيقة هوية داخل إسرائيل ، فلقد كانوا يحبون ارضهم كثيرا ، وأبوا ان يتركوها . أن شعرهم حديث ، ملتزم ، ولكنه غير متعصب . ان التزامهم هو الاخلاص للارض والوطن ، فمن أشياء بسيطة للغاية يكتبون شعرا عميقا ، وهكذا ، يفكر احدهم في امه وهو في السجن . ويحلم بأنّ يكون هو حبل الغسيل الممدد الذي تنشر عليه غسيلها "(١) .

ثم تضيف الكاتبة قائلة : " في اسطوانة عازرية، نستمع للقيثار الملون في بعض الأحيان بايقاع اوروبي ، وللايقاعات الصافية، والحقيقية جداً ، والقريبة من الأرض . نستمع في " اناديكم " لذلك الصوت الذي ماعاد يغني ، بل راح يحكي في انفعال غريب ، هذا أيضا جاء طبيعياً . الكونترباص الذي تعزف برفقة الارشيت هي اكثر قتامة من الفيولونسيل، واقل غنائية وانثوية منها . عابد عازرية يريد ان يخلق مناخا مسرحيًا في الأغنية ." تعالي لنرسم معًا قوس قزح " . يقول أحد هوءلاء الشعراء بعد النكبة ، فمن اليأس ، الأمل يولد موسيقي . ويقول عابد : " أريد عن طريق الموسيقى، أن ارسم الحالة النفسية للانسان العربي "(٢) .

---

(١) مجلة الجديد : الملتقى الشعري الاول في بيروت — عابد عازرية . العددان : (٢ ، ١) سنة (١٩٧٢) ص ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

وفي مجلة فرنسا الجديدة : كتب " كلود دومينيك ماتيل " الناقد الموسيقي الخاص للمجلة كلمة بعنوان : " عابد عازرية يغني شعر المقاومة الفلسطينية " تحدث في المقال عما قاله عابد عازرية لهم في المجلة : " هل بامكانكم ان تعلنوا عن صدور هذه الاسطوانة ؟ انها تحوي قصائد لشعراء عرب شيوعيين يناضلون من أجل الاعتراف بشعبهم ، الشعب الفلسطيني . ان حياة هؤلاء الشعراء في معركة بطولية ، ونشيدهم ينبع من الثقافة العربية ومن وثبة الشعوب العربية نحو حياة مستقلة وانسانية " (١) . ويشيد صاحب المقال بالشعراء الثلاثة ، ويبرز مواقفهم النضالية ومقارعتهم للسلطات الاسرائيلية وما قاله : " عابد عازرية الذي يتابع دراسته الموسيقية في فرنسا قام بموهبة حقيقية وحرارة مؤثرة بتلحين وغناء قصائد .. لسميح القاسم : الذي انتسب للحزب الشيوعي الاسرائيلي عندما كان في السجن حيث قال : " لقد ولدت من جديد " (٢) .

رأي اليهود في أعمال القاسم :

يرى أدباء اسرائيل في شعر سميح القاسم وأمثاله انه شعر ثورة وتحريض ومؤيد للمقاومة ولأعمال القتل في الداخل . ولقد مر سابقا ما طلبه الشاعر التقدمي اليهودي " بيبي " من سميح بان لا يكون عنيفا كعادته في لقائه ، وما كان رد القاسم عليه . وكذلك سر الخلاف الذي نشأ بين القاسم وبين " اوري افنيري " صاحب مجلة هعولام هزه " أي مجلة هذا العالم " لانه اعتبر مقالات سميح واشعاره كلها تحريض ضد اسرائيل ، وكذلك من خلال الرسائل التي وجهت اليه عبر مجلة الجديد من السيدة " فكتوريا غروس " (٣) وغيرها . كلها تركز على ان ادب سميح ادب ثورة وتحريض . ولقد بلور هذه الفكرة " حانوخ بارطوف " الذي وجه سؤاله الى محمود درويش ، ورفيقه سميح القاسم ، في رده على استفتاء الجديد ، واتهمهما فيها بتأييد اعمال القتل التي يقوم بها رجال المقاومة الفلسطينية وما جاء في رده : " ما رأيكم في الارهاب الجاري في المنطقة التي احتلها الجيش الاسرائيلي في حرب الايام الستة ؟ هل تؤيدونه أم تعارضونه ؟ لم اسمع ان كنتم تعارضونه فمتى عبرتم عن ذلك ؟ لم أسمع عن ذلك . ومقابل ذلك قرأت مقالات وقصائد تعبر عن التماثل مع المقاومة للوجود الاسرائيلي في ارض اسرائيل كلها تدعو للمقاومة " (٤) .

---

(١) المصدر نفسه ؛ ص ٤٥ (٢) المصدر نفسه ؛ ص ٤٥

(٣) انظر نادي الجديد : صفحات للرأي والحوار . مجلة الجديد . العدد ٦ ، سنة ١٩٧٤ ، ص ٤٦ — ٤٩

(٤) مجلة الجديد : استفتاء الجديد . العدد الاول ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٣٩ .

وهناك حقيقة يجب أن يُشار إليها ، أن النقد الموجه لاعمال الشعـــــراء التقدميين في اسرائيل، تأتي في الصحف الاسرائيلية الناطقة بالعبرية على شـــــكل تعليقات بسيطة، ولكن بالمقابل، يركزون على اعمال الشعراء الموالين، او ممن يهادنون السلطة لظروفهم الحياتية ، ويعزفون عن الشعر العربي الفلسطيني الثوري لطمس جذوته الشعرية . ولتطبيق الحصار المحكم على انتاجهم ، لان كبار رجال الادب او بالاحرى العاملين في الأدب داخل اسرائيل، هم من رجال الضباط العسكريــــين الاسرائيليين ، وهذا لا يسرهم ان يروا في شعر هو "الا الحماسة الجارفة" والنقـــد اللاذع . ومقابل ذلك يركزون على الادب الموالي، او الادب من خارج اسرائيـــل، لأدباء عرب، من اجل الدعاية وتضليل القارئ العربي، والعبري على حد ســـواء .

ولقـد عمدت صحفهم الناطقة بلسان السلطة، الى نشر انتاج شباب في اول طريقهم، لتشويه الصورة الادبية للحياة العقلية العربية ، وهذا ما يلمسه المرء في الزوايا الادبية التي تطالعنا بها صحفهم ، حيث يسيطر عليها الاضمحلال الفكـــــري والنفسي ، والمضمون اللغوي ، شأنهم، شأن الذي يحارب طواحين الهـــواء .

ولقـد مر أثناء حديثي عن سميح القاسم، موقف الاديب المستعرب الموالـــــي ـ محمود عباسي ـ والاديب اليهودي "شموئيل موريه " من سميح واخوانــــه الشعراء التقدميين اللذين أكدا على ان سميح القاسم ورفاقه الشعراء التقدميـين، شعـــراء حقد، وتحريض . ويأسفون للعالم العربي الذي يترجم أعمالهم ويغفل اعمال أدباء في موقف الاعتدال . وكما يقول المثل العامي " الماعون بيلحظ اللي فيه " .

ومن هنا تنشأ قلة المادة النقدية في شعر شعرائنا الثوريين داخل اسرائيل مـــن قبل نقاد يهود بقصد التعمية، والتضليل، والتغطية، وطمس المواهب . وبهـــذا القدر أكون قد انهيت رحلتي مع القاسم عبر الابواب الخمسة ، أرجو ان تكـــون متلاحمة فيما بينها، مكونة صورة واضحة للوطنية، والانسانية في أدب القاسم .

—•—•—•—•—•—•—

الخاتمـــــــة :

اتضح لي أثناء مصاحبتي للشاعر الانسان سميح القاسم الشخصية والشعرية والنثرية منها ، أنه انسان عميق وواع لقضيته ، انسان غزير الانتاج، واسع الاطلاع والثقافة والمفهوم ، انه ابن الشعب الفلسطيني كله ، مطبوع باصالته ، ملتزم بقضاياه محام قدير يحسن الدفاع عن حماه ، يحسن عرض قضيته في كل فرصة سانحة للدفاع عن حمى الوطن وتراث انسانيته النبيلة .

يتألم سميح القاسم لأبناء وطنه في فلسطين .

١ — فالطالب العربي في اسرائيل، تعترضه صعوبات وعراقيل كثيرة ، منها ما يرجع للتزايد الطبيعي في عدد الطلبة العرب الذي يزداد عاما بعد عام ، ومنها ما يرجع لبرامج التعليم، والكتب المدرسية التي لا تتلائم مع تطور نواحي الحيـــاة المتطورة، تبعا لتطور الزمن ، بالاضافة الى قضية مهمة وشاقة وهي :

ان الطالب العربي الذي يتخرج من المدرسة الثانوية في الوسط العربي يجد صعوبات كبيرة وشاقة امامه . وخاصة لنقص الخدمات غير المتكافئة، مع الطالـــب اليهودي ، لان السلطات المشرفة على التعليم اليهودي، توفر للطلبة اليهـــود العناية الصحية والخدمات الاجتماعية ، وتقدم لطلابها المشورة والارشادات للاتجاهات العلمية، والطبيعية، والزراعية، والصناعية، والادبية ، وتوفر لهم ارشادا نفسانيا، وتربويا، وسلوكيا، للمشكلات التي تواجه الطلبة ومعلميهم . والطالب العربي في اسرائيل، يفتقر لمثل هذه المشورة، والخدمات ، وبذلك يجد الطالب العربـــي نفسه في وضع لا يحسد عليه أمام الطالب اليهودي ، فيضاف على كاهله عبئا آخر من أعباء الحياة المثقلة بالهموم والنكبات . والسبب واضح وجلي ، لأنّ المشرفين عـــلى التعليم في المحيط العربي معظمهم من اليهود . وخرجت بنتيجة اخرى وهي :

٢ — تحاول اسرائيل جاهدة تغذية أبنائها بسموم الفكر القاتلة التي تصور فيها العرب أعداء لليهود ، فتزيد بذلك العداء بين الاطفال العرب، والأطفال اليهود، وتغذيه بحقدها .

٣ — وأبرزت سبب اهتمام الأدباء اليهود بالأدب العربي خـــارج فلسطين، وخاصة في مصر ولبنان ، وفي رأيي يرجع لاسباب أربعة وهي :

السبب الاول : — اهتموا بالأدب الحديث في البلدان العربية المجاورة، وخاصة مصر ولبنان، ليتحدثوا عن غربة الانسان الفلسطيني عند ذوي القربى ، لخدمة أهدافهم وسياستهم الاستعمارية الهدامة .

والسبب الثاني : — ليخدم سياسة اسرائيل في الحيلولة دون الاتصال بين الأدباء العرب واليهود ، لأنهم في تناولهم لأعمال الأدباء العرب داخل اسرائيـــل يعني احراج اسرائيل ووضعها في موقف حرج أمام القارئ العبري ، لان جوهر الادب الفلسطيني الرفض والإدانة ، وبهذا يقع القارئ العبري على صورة مغايرة لما ألفه ، لأنه ألف معزوفة طالما عزفت عليها السلطات الاسرائيلية عن بحبوحة العيش الـــتي يحياهـــا المواطن العربي في اسرائيل ، وكأنه في جنان الخلد ، وان الحديث عـــن اضطهاد وتمييز يتعرضون له ليس الا ضربا من ضروب الدعاية العربية المعادية .

والسبب الثالث : — وهو ان الخبراء في الاستشراق داخل اسرائيـــــل لا يريدون ان يعلنوا الرابطة العميقة بين حركة الادب العربي في اسرائيل ، وبين حركة الأدب العربي المعاصر ، لان هذا الاعلان يؤكّد الانتماء القومي للعرب فـــي اسرائيل ، وهذا مالا تريده اسرائيل .

والسبب الرابع : — هو أنّ القائمين على الأدب وشؤونه في اسرائيـــل معظمهم من كبار رجالات اسرائيل العسكريين ، ومن جنرالاتهم المتقاعدين والمتسلمين المتنسمين الحركة الأدبية داخل اسرائيل والمشرفين على التعليم . ولا يسرهـــم ان يبرزوا القيم الانسانية والقومية والاجتماعية لهذه الفئة المظلومة على ارضها تحت ظلم حكم مستبد وجائر .

فرضت اسرائيل حصارا ثقافياً غير معلن على الحركة الادبية لادباء فلسطين المناوئين لسياستها ، فوضعت حركتهم موضع التجاهل التام ، بهدف ابعادها عن مسامع اليهود ، للحيلولة دون ترك اى تأثير اخلاقي على الرأى العام اليهودى ، ليدفع الحركة الأدبية المحاصرة الى الاحساس بالعزلة والغربة والكفر بامكانية التفاعل ، وليخاطب أصحاب الحركة الادبية المحاصرة جمهورًا لا يفهمهم ، وليجروا حـــوارا ضائعا فاقدا لحلقة الاتصال .

إنّ القائمين على شؤون الأدب والفكر في اسرائيل اذا ما حاولوا التعرض للحركة الادبية التقدمية التي ينتمي إليها شاعرنا سميح القاسم ، فانهم يتناولونها بلفتة صحفية عابرة ، مليئة بالتزييف الرخيص ، ويصورون هؤلاء الأدباء التقدميين بانهم مجموعة من حملة الشعارات المعادية لليهود .

واما الأدب الايجابي البنّاء في نظر القائمين على شؤون الأدب والفكر في اسرائيل هو : الأدب الذي يصور حركة البناء الواسعة المزعومة التي اجتاحـــت القرى العربية ، والذي يصوّر كيفية انتقال المجتمع العربي في اسرائيل من البداوة

الى الحضارة . والأدب في نظرهم، هو ذلك الذي لاينسى البكاء ولا العويل على عتبة الحبيبة وشباكها، على ضوء القمر الحزين النعسان .

أبرزت ماعمدت إليه السلطات الاسرائيلية، عبر وسائلها الاعلامية، وهي الترجمة لشعراء عرب مغمورين ، بل لم يسمع بهم احد، لتعزز السلطة بذلك الاعتقاد الساخر الشائع عند العديد من المثقفين اليهود، ان كل شاب عربي، انهى دراسته الثانوية، يكتب شعرا ، هادفة بذلك الاساءة للشعر وللتراث العربي العريق .

عمدت السلطات الاسرائيلية لطمس القومية العربية، وانكار الشخصية ازاء الاكثرية اليهودية . ورغم كلّ هذه المعوقات والعراقيل، لم تستطع السلطات الاسرائيلية، استقطاب الشباب العربي داخل اسرائيل، بل وفشلت كذلك في منع بلورة نظرة قومية، وليس اسرائيلية بين جيل الابناء ، بل نشأ جيل الأبناء اكثر تطرفا من جيل الآباء .

واتضح لي ان تهافت الشباب العربي داخل اسرائيل على مطالعة الادب العربي، ما هي الا مظاهرة قومية، لاثبات الطابع القومي لعرب اسرائيل ، مما أثار الفزع والهلع في نفوس المسؤولين الاسرائيليين حول هذه الظاهرة .

واتضح لي كذلك ، أنّ الشباب العربي داخل اسرائيل ، لم يألُ جهداً في التعبير عن قوميتهم العربية . ورفضهم للامر الواقع، امام اية فرصة تسنح لهم فيها التحدّث عن ذلك .

وهناك ظاهرة أخرى، لاتقل خطورة عن سابقاتها، وهي : ـ القيود التي فرضت على الطالب العربي في اسرائيل، لم يسلم منها الطالب الاسرائيلي المستنير. فالطلبة التقدميّون الاسرائيليون الذين حاولوا التظاهر أمام السفارة الامريكية، ضد حرب الظلم، والعدوان على فيتنام ، لاقوا مضايقة شديدة، وحرباً مريرة من زملائهم المضللين، ومن الجنود الاسرائيليين ، ففصلت السلطات كثيرًا من المعلمين اليهود عن مهنتهم نتيجة، لافكارهم ونظراتهم التقدمية .

فسميح القاسم ابن الشعب الفلسطيني المعذَّب . شهد النكبة والنكسة والانتصار . امتلأ نفساً قوياً، وحسًا معبّرا، فاندفع من هذا المنطلق، ليعبّر بالكلمة الشريفة الحرة الشجاعة ، ليعمل جهده ، ليصنع غده ، ليعطي الصورة الحقيقية اللامعة الدامغة للطغيان واله الشر، ليعزله عن عرشه المهزوز .

فالكلمة، عند سميح القاسم، وبالنسبة لمفهومه الانساني الشريف، كما لمستها وعرفتها، عن كثب، وتحديد ومقارعة ومحاولة وتفهّم ، ألفيتها كلمة مسؤولة ، وسلاحًا ماضيًا مرفوعًا في وجه الأعداء، للدفاع عن قضية شعبه البطل المظلوم على أرضه

فلسطين . وبالتالي أصبحت نواة ونقطة انطلاق في شعره . ولا غلو إن قلت : أنها أصبحت قلباً وقالباً في نفس انسانية عانت ماتعانيه نفوس لذاتها وأبناء شعبها . اكتوت بنار الحرمان والظلم والتشريد والحجز والعنصرية البغيضة .

سميح القاسم مضح شريف . ضحى في عمله ومستقبله ورفاهيته المظللة بظلام الدخان القاتم والغبار الاجاج، فتأجج في نفس واعماق شعبه . إنه رمز حيّ للروح الفلسطينية الحقيقية، إنه روح التمرد والرفض والتحدّي والصمود . إنه صورة متماسكة البنيان أمام سيل جارف عرمرم ، ونار ملتهبة تأكل الاخضر واليابس . إنه صورة حية أمام الجيل الطالع من أبناء الشعب الفلسطيني المكافح . إنه صورة تنعكس عليها صورة شعب مشغول بحاضره الصعب المرير الذي يكتنفه الغموض ، ومستقبل منتظر يشوبه الحذر والترقّب .

ولا غلو في القول : ان سميح القاسم أعاد في أشعاره وصور نضاله وكفاحه العنيد بعض النفوس المهزومة ، والضمائر الحيرى ، والاجساد المنهوشة المحروقة بسياط الأعداء ولمزاتهم وغمزاتهم قرابة سنوات طوال في عمر شعب تكاثرت عليها المحن والاحن . وتكالبت عليها الضغوط بما فيها من قهر للنفوس واستلاب القدرة على العمل والتغيير .

سميح القاسم شاعر ملتزم بالكلمة الحرة الشجاعة . انه ملتزم بالقول والفعل والعمل على كل مستوى في الموقف والسلوك، في النضال والجرأة . في التضحية والكفاح المرير . لم يقبل المهادنة أو الملاينة او المصالحة على حساب غيره . كان رافضا لكل المحاولات التي كانت تعرض عليه، لتبعده عن اخوانه في النضال، وفي المصير، لتبعده عن أبناء وطنه، كما فعل مع الشاعر التقدمي العبرى " بيبي " .

سميح القاسم رجل شهم ، أُصلبَ عوده ، وصقلته التجارب والسنون، ولم تستطع الحواجز والعراقيل والصعاب ايقاعه ، فتغذى بروح المحبة الصادقة، وقوة الشخصية ، والشجاعة الكريمة ، والإقدام الجرىء ، لأنه ورثم عن والديه وأسرته العريقة، وعن أهالي قريته الرامة وأبطالها الخالدين خلود التاريخ . فلا غرابة في ذلك ، لأنه من أسرة مثقفة متحررة متدينة عايش الأحداث التي اعتصرت قلبه من مذابح داخليه وحروب خارجية ، ومن تفرقة عنصرية وطائفية بغيضة ، فشهد الصراع الاجتماعي الشديد ، والفقر والظلم الاجتماعي في ظل وضع سياسي سيء ، متجبر، متظلم، مسيطر على مفاهيم تريد الانعتاق للحرية والنور . انه طموح مرهف الاحساس والشعور، علمته جبال وطنه فلسطين الآباء والشمم والرفض والتحدى والصمود ، ولقنته السهول والسنوديان أعذب الالحان ، فعلمته التجارب كيف يتعامل مع الآخرين ، فنشأ

شاعرا ابيا فذا ، ورجلا صابرا عنيدا مما غذى تجربته الشعرية وصورته النضالية . فاحب المواطن المكادح ، ودعا الى التمرد ورفض الاحتلال ، فكان حبه لوطنه كبيرا ملك عليه قلبه وعقله ، فشرع يردد الحان الرفض والصمود والتحدى ، ويصور الحياة المرة التي يعيشها الشعب الفلسطيني . لم يرق لسميح القاسم التمزق الطائفي ولا التفرقة ولا العنصرية ، فهب مدافعا ضد ظاهرة التمييز العنصرى والطائفي ، فكتب شعرا مباشرا ضد تلك الظاهرة ، فوجد نفسه ملتزما امام هذا النوع من الشعر اليومي المباشر.

انتمى سميح القاسم للحزب الشيوعي العربي الاسرائيلي ، لأنه وجد فيه فرصة مناسبة ليعبّر عن آماله وآلامه في النضال ضد الإحتلال ، وكثيرا ماعارض رفاقه ، وهدد بالانسحاب من الحزب عند كل مناسبة يرى فيها تحوّلا ضد النشاط القومي العربي المعادي للصهيونية العالمية) وضد عروبة فلسطين .

فسميح القاسم يحب من يحب العدل والحق ، ويكره من يعاديهما ، وهذه النظرية بنى عليها علاقاته مع الآخرين من أفراد وشعوب .

يتمتع سميح القاسم بمواهب ادبية كونت منه شاعرا وناقدا واديبا وسياسيا من الطراز الاول في واقع الحياة العربية على الأرض الفلسطينية المحتلة .

ولد سميح القاسم وسط الاحداث ولهيب النار في قلب بركان متفجر ثائر ، في وسط ملتهب تغذيه الاحداث بسمومها ، وبما تزيده الدول المستعمرة من اشتعال بما تضيفه على الاحداث من غليان ، ليتحقق لها السيطرة الكاملة على ثروات المنطقة على حساب شعبها المظلوم ، ولهذا فسميح القاسم ثائر غضوب . متحد ساخط ، حاقد على الصهيونية المعتدية ، متوقد غيظا وغضبا ، وحانق على اعدائه في اعماله .

كل الأحداث والمطاردات لم تفت من عضد سميح ، فعمل في سلك التعليم وفي الخدمة الاجبارية ، وفي التمريض ، وفي السلك الاجتماعي لتنظيم المدن والقرى العربية ، وعمل عاملا يدويا في منطقة حيفا الصناعية ، وصحافيا فعايش مختلف الفئات في المجتمع الاسرائيلي مما اكسبه قدرة فائقة في العمل والتضحية ضد المحتل وأعوانه فجاءت تجاربه صادقة معبرة عن آمال الامة العربية والشعب الفلسطيني المكافح .

ومهما يكن من أمر لقد سعت السلطات الاسرائيلية جاهدة لتحطيم سمعة سميح القاسم بشتى الوسائل ، فشنوا ضده حملات اخلاقية ونفسية رهيبة ، لان السلطات الاسرائيلية تحسب حسابا شديدا للضرر الذي يستطيع سميح القاسم أن يجلبه على سياستها العنصرية والطائفية وذلك لسببين :

- الاول : لان سميح القاسم ينتمي لعائلة مرموقة تتمتع بمكانة خاصة في الاوساط الدرزية .

والثاني : لانّ سميح القاسم مسلح بالكلمة الشعرية ذات الأثر البعيد في النفس العربية .

احتل سميح القاسم مكانته الادبية المرموقة بين أدباء المقاومة الفلسطينية خاصة وأدباء الوطن العربي الكبير عامة ، واصبح له مكانه المرموق في نظر كثير من أدباء العربية العدة عوامل كثيرة منها :

١ — مايرجع للنضال المرير والقاسي الذى يخوضه شاعرنا سميح مع قوى الظلم والشر والفساد متمثلة بالسلطة الاسرائيلية الحاقدة ، واحتكاكه اليومي والحياتي مع عناصر مختلفة وفئات اجتماعية غريبة لانها متباينة الافكار والامزجة والعادات والمعاملات والعلاقات الشخصية نظرا لاختلاف نظراتهم للحياة ، ولاختلاف مواقعهم من نظام الحكم داخل اسرائيل .

٢ — والسبب الثاني لاستمرار القضية الفلسطينية مع ما تحمله من خلفيات لها أبعادها الحياتية والعلاقات بين افراد الناس الذين يعيشون في مثل المجتمع الاسرائيلي الذى تفرض على ساكنيه ابشع انواع الكبت .

٣ — والسبب الثالث : يرجع لاطلاع سميح القاسم على آداب اللغة العبرية واساليبها الخبيثة في التزوير والتضليل ، وطريقتها في مخاطبة الجماهير العريضة لتسمم افكارها وتعميها عن الحق والحقيقة ، فعرف سميح البداية التي ينطلق منها ، والهدف الذى يركز سهمه عليه . عرف التحدي طريقه ، والعنفوان مسلكه ، والشموخ عزته .

٤ — والسبب الرابع : يعود لانتماء سميح القاسم للأدب الثوري الانساني الذي اتفق على تسميته أدب الواقعية الاشتراكية ، وهو اتجاه تنعكس آثاره على أصحابه وطرائقهم وأساليبهم الخاصة في المعاملات الانسانية .

٥ — والسبب الخامس : لانتماء سميح القاسم للحزب الشيوعي الاسرائيلي ، وهو الحزب الوحيد المرخص والمعترف به من قبل السلطة ، والذي يستطيع المنتمي إليه ان يأخذ قسطا من الحرية في التعبير عبر صحفه ومجلاته الناطقة بلسان حزبه ، بالاضافة الى التجارب النضالية التي اكتسبها الشاعر من رجالات حزبه العريض ، وخبراتهم الفنية في مقارعتهم للسلطات المستبدة .

٦ — والسبب السادس : يرجع للصراع الحاد القائم بين العلاقات الانسانية على المعمورة كلها ، وموقف القوى العالمية من هذا الصراع ، ومدى الصلاحيات الممنوحة للطاقة البشرية والانسانية في الحد من مثل هذا الصراع . فمنهم من يغذيه لهدف غير نبيل ، ومنهم من يحاول التهدئة ، ومنهم من يقف على

الحياد ، وآخر ليس من مصلحته النزاع ويريد انهاءه بأسرع ما يمكن . ولكنه لا يستطيع ايقافه او الحد منه، فانعكس هذا على نفسية شاعرنا ، لأنه يحمل في طياته مظالم شبيهة بالمظالم التي يعانيها شاعرنا سميح القاسم فوق أرضه وبين أهله .

ثم كشفت عن الخصائص الفنية لمنزلة سميح القاسم الأدبية أو جزتها فيما يلي : النقد الذاتي ، وتعدد الأوزان في القصيدة الواحدة ، واستعماله الألفاظ العامية والاسلوب النثري، وهي من الميزات التي تحتضنها الواقعية الاشتراكية ، وتظهر واضحة في سربيته الهي ، الهي لماذا قتلتني ؟ وكذلك يمتاز بانتزاع الصور والالوان من واقع الحياة، وصبغها بلونه وطابعه الخاص ، والرفض، حيث يرفض العلاقات غير المتكافئة بين العرب داخل اسرائيل ، والاسرائيليين السلطويين في ظلام الحكم الصهيوني ، ثم الاكثار من صور الظلم والرعب ، وكذلك الغضب الثوري المحرك الصاخب ، والتحدي، مع ابراز النزعة الانسانية الشاملة التي استمدها من حسه التاريخي العميق ، وابرزت بعض ملامحه الصوفية ، ولجوئه للاساطير ، والتصاقه بالأرض .

كشفت النقاب عن العوامل التي ساعدت في تعميق أفكار القاسم بعد الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م ، لأنها استمدت واقعيتها من التقاليد الثورية التي تتبناها الاشتراكية اللينينية ، بالاضافة الى التقاليد الأدبية العربية في فلسطين . وكشفت النقاب عن سبب اختياره لأدواته الشكلية — القصيدة وشبه الملحمة والمسرحية ، ليعبّر عن محطات او وقفات أراد أن يؤكد فيها رأيه، واتجاهاته في الحياة . وعرضت جوهر فلسفة القاسم، وفكرته التي استمدها من الفلسفة الماركسية اللينينية . ووضحت سبب امتثال القاسم للشعر الحر من بعد تعصبه للشعر الكلاسيكي ، وسبب إيمانه بالالتزام من بعد معارضته له ، وسبب تلون التجربة عند سميح . فرأيت ذلك يرجع للاشتراكية العلمية التي يؤمن بها القاسم التي تؤمن بحركة التغيير، والتحولات اليسارية في العالم خير دليل على ذلك . وأبرزت ما توصل إليه الدارسون والنقاد من مغالطة، وقعوا فيها بسبب تعميمهم الحكم بانتساب القاسم ودرويش وزياد إلى مدرسة فنية واحدة ، وعرضت لموقف القاسم من ذلك ، حيث رأى في هذا التعميم تجاوزا للحقيقة، لأنهم يمثلون اتجاها فكريا ينعكس على اعمالهم، وهي ليست مدرسة فنية، ويرجع ذلك للاسباب الآتية :

قراءة الكتب المشتركة والظروف السياسية والاقتصادية ، ومقارعة الاحتلال ، والاحتكاك اليومي بالعناصر اليهودية المختلفة ، ودراسة اللغة العربية ، والانتماء الفكري والعقائدي ، واستمرار القضية الفلسطينية والمأساة، جعلت شعر سميح وتوفيق ومحمود

د رويش تقاربا في الاتجاه العريض الذي ينحونه في مقارعتهم للسلطة ، ولهذا يرى الاختلاف في طريقة التعبير والالتزام والالتصاق والتفرغ وصب الألفاظ في قوالبها الفكرية والتعبيرية .

وكشفت النقاب عن سبب اكتساب كلمة القاسم الشعرية فعلها الثوري الساحر اوالنضالي الرائع ضد الاضطهاد، والحصار الثقافي والمعاشي الذى يطوق الفلسطيني داخل اسرائيل ، لانه يعيش في مجتمع طبقي حاد . ثم ابرزت سميح القاسم روح الشعب العربي الفلسطيني المقاتل، من اجل الحرية والحياة الحرة والعيش الكريم ، لأنه وعى الدور البطولي لشعبه وهضمه وتمثله . واوضحت سبب ميله للحكاية والمثل ، ليربط العربي بتراثه التليد . وأوضحت ما فرضته الواقعية الاشتراكية على سميح ، حيث فرضت عليه مفهوما يرى من خلاله، أن المجتمع وعاء للتجربة الشعرية، يكسب منها تقاليد ، الادبية ، ويأخذ عمقها الخاص ، ويرى في تجربته الحياة، مادامت مطابقة للواقع . وابرزت مفهوم الاعمال الثورية في نظر القاسم، وهي التي تسهم في تغيير الواقع لبعيد عن تزيف الواقع الانساني، والحلم الانساني . وأبرزت مفهوم القاسم للالتزام : وهو الاهتمام الوجداني والعقلاني بقضايا الانسان والبيئة، والعمل على تحويل هذا الاهتمام الى فعل أداته المادة الفنية الابداعية ، ووجهته تحويل الواقع واستبداله بأفضل منه ، على ان تقرر افضليته المقاييس العلمية الثورية التي تنسجم مع حتمية التغيير التاريخية . وكشفت النقاب عن سبب رفض القاسم لاباطيل ما يسمى الفن النقي، او الصافي الذي يرفض الواقع المادى رفضا قاطعا، رغم أنه هو نفسه رد فعل سلبي لتناقضات الواقع المادى، وهروب من مسؤولية مواجهته، ومحاولة طمسه وتسييره في الاتجاه الذى يخدم نضال الانسان، في سبيل المستقبل الاجمل .

وأبرزت موقف القاسم من قضايا التحول في التعبير الفني ، فهو ضد التعصب أو الاختيار الصعب، فالبحث عن أشكال جديدة في الشعر والأدب عموما ظاهرة حتمية تبعا لتطور الحياة نفسها ، ويعتبر نفسه جزءا من عملية التطور هذه في الشعر العربي ، فالأوزان التقليدية أحيانا، تجد اشكالا معينة تفرض هي شكلها وايقاعاتها ورنينها ، فجعل القاسم للشعر الانساني طعم الشهادة وخاض مع المحتل أقصى ألوان التجارب، وخرج أشد مايكون صلابة وادراكا لدوره الثورى في المقاومة، فالتزم بخط السير التاريخي قبل ان يغدو شاعرا كبيرا ، ومن هنا تحول الى عدم المباشرة في التعبير الفني ، بل تمت الأحداث الفنية بين يديه من الداخل، وتشاكلت على نحو تعبيري غير مباشر ، وكان بعيدا عن العفوية ، لانه يحمل العقل والحس والشعور والوجدان، في تخطيط أروع عمل فني، يصور موقف الانسان العربي، من اخطر القضايا المصيرية التي تواجه

الانسان الحديث. من هنا جاء حب القاسم للارض وللانسان والناس ومحبته كل طرف من التركيب الاجتماعي المشدود الى وطنه وعروبته، فكان حبا عميق الجذور يشده إلى التركيب الاجتماعي، ومن هنا وجد نفسه انسان الالتزام مع المواقف الكريمة التي يقفها من قضايا الانسان العربي. ومضى بالحركة الشعرية في الأرض المحتلة الى عمق جذورها وانطلق بها الى آفاقها، وجعلها تحمل الظلال الانسانية التحررية الرائعة وحملها توهج الجراح، ونبض العواصف، ومشاعل الشموس، فانسانية القاسم امتزجت بواقعيته الغنائية فتحولت من حالتها الانفرادية الى "كورس" جماعي ترددها الحناجر في الوطن العربي، وتتدفق انسانيته من الحانه الغنائية التي لا تلبث ان تتحول في روحها الى هدير الملاحم. وهكذا كان في غنائياته جياشا بالعواطف الانسانية، وفي روحه الملحمية هدير اللجماعة المناضلة في وطنه والعالم من أجل الحرية والانسانية المعذبة.

رفع الانسان العادى الى مستوى المارد، ورفع الفن المعبر عن حركة التعبير الهادف الى مستويات الفن الشعرى بما تحمله من شفافية وقدسية على درب الفن الخالص. فهو يكتب شعرا ونثرا يشع كل منهما بالحيوية والنشاط. فايمانه بالانسان وانسانية الانسان، لا يوهن من عزيمته ولا يضعف من شوكته بحيث يستسلم لقوى الظلم والعدوان، فمحبته للانسان لا يحول دون ضراوته في مواجهة مغتصبيه. ولهذا لم تكن الكلمة البسيطة احيانا تدنّيا بالفن، بل كانت ثمرة التركيب الاجتماعي الجديد الذى يطله الانسان البسيط في مواقفه البسيطة، وفي تعبيراته البسيطة التي تنمو وتتجه في خط مسير يخدم الحق والخير والعدل دون ان تفقد الكلمة شيئا من معناها الرفيع.

فأديب القاسم يتمتع بحساسية شديدة نحو التاريخ، لأنّ التاريخ جزء من الرسوخ والتغلغل في الأعماق، تعين الانسان والانسانية على الصمود والتضحية والثبات وتبريره، ويدعو لاحتقار الظلم الطارىء على التاريخ الهادف لتزويره ومسخه.

وبهذا القدر انهي ما توصلت اليه من دراستي " للوطنية والانسانية في آثار القاسم " والتي تمثل صراع الشعب الفلسطيني بثورة القاسم على اللغة والتاريخ في استدراجهما لخدمة لغته الشعرية التصويرية. الانسان الذى استطاع ان يفتق أكمام الكلمة ليخترق الافاق، ليوصد امام المجهول المظلم لوحة الرعب والمصير المحتوم. والذى استنطق الاديان عبر القرآن الكريم والانجيل والتوراة، ليشعر العالم ان الظلم فادح وشامل. وليطلع العالم على فداحة التعامل البشع مع إنسان الارض المهضوم.

—.—.—.—.—.—.—.—

وجملة القول دفع الحب الخالد سميح القاسم الى التفكير العميق في حياته الفردية من جهة ، وحياته الجماعية المطلقة من الجهة الأخرى ،فاستمد روافد ادبه : شعرا ونثرا من ينبوع الحب العظيم الصافي لشعبه الفلسطيني المشرد والمغلوب على أمره ولامته العربيه ،منتظرا اليوم الموعود الذي تشرق فيه شمس الحرية والاستقلال على شعبه ،وقد أنارت له سبل الحياة الحره الكريمه على أرضه .

هذا الحب الذي رأيته منهما ثراً لتغيير كل شيء في سميح ،فيه تحيا الطبيعه ، وتتوثب الروح الانسانية والوطنية اليقظة في جوانحه وأحاسيسه ووجدانه ، وتسمو معاني الصمود والصبر والتحدي في وجوده وكيانه . انه حب فلسطين بطبيعتها وشعبها وعروبتها ومقدساتها ،وحب الانسان الذي يجب أن يحيا رغم أعداء الحياة مهما كان لونه ،ومهما كانت جنسيته وطائفته ، وحب العقيدة والمبدأ الذين انطلق منهما سميح يرغي ويزبد ويزمجر في وجه الظلم والطغاة ، وأعداء الانسانية حينا ويقطر حنانا ونعومه وشفقه وايناسا لفجر الحياة الفضلى حينا آخر .

الملحـــــــق

ألوان من شعر سميح القاسم تمثل افكاره ومعانيه الحزبية

ومن القصائد التي تعكس بصدق وواقعية ، الافكار والمعاني والاخيلـــــة القاسمية في ٥ حـــزيران «يهليانا دهتروفا»

في ٥ حزيران (١)

في الخامـــس ،
من شهر حزيران الماضي ،
أرجعنا للموت حقائبه الدبلوماسيه
في الخامـــس ،
من شهر حزيران الماضي ،
جـــرّدنا الرّيح الغربيـــة
من كل الاوسمة المطلية
بدماء الاطفال وعار الانقاض ،
في الخامـــس ،
من شهر حزيران الماضي ،
طار جميع القتلى للأمم المتحدة ،
واشتركوا في الجلسة غير العاديه ،
في الخامـــس ،
من شهر حزيران الماضي ،
أبصرنا كل وجوه الكرة الارضيه ،
في الخامـــس ،
من شهر حزيران الماضي ،
ظلت آبار النفط العربيـــة ،
ظلت تتدفق عبر الارض العربيه ،
لبــلاد الريح الغربيه ،
في الخامـــس ،
من شهر حزيران الماضي
لا أبكـــي
لا أضحـــك

---

(١) سميح القاسم : ويكون أن يأتي طائر الرعد ، ص ١٢٩ — ١٣٠

ومن قصيدته " ليليانا دمتروفا " (١)

كانت بلغاريا غابة من اللهب تبتلع آلات الموت النازية .. غابة من اللهب الاحمر ولدت من شرارة أطلقها الانصار من جبال البلقان، فأذهلت النازيين أعمال البطولة التي سجلت لراهبة وفلاحة وممثلة وجندية وفتاة بار.. ولكن البلغار عرفوا جيدا ان هؤلاء الناس جميعا لم يكونوا سوى امرأة واحدة تتخفى في عدة أزياء هي "ليليانا ديمتروفا

(الغــزو) (٢)

أسيجة الحنطة والزنبق
سقطت ،
انهار الرايخ
صوت يتدفق ..
كل الابواب انهارت
فولاذ " الرايخ "
اقوى من شجر البلقان
فلتتغل دبابات " الرايخ "
قبل الغزو الزاحف من ألف مكان
في صدر البلقان العاري
الا من غضب الاشجار
والنظر الشزر الضاري
وعداء الصخرة ،
والشارع ،
والانسان
كل الابواب انهارت ،
مُري يا مارشات الرعب
في دفتر نوتات الريح الغربية
مُري من جرح الصدر .. الى القلب
من جرح الظهر .. الى القلب
اعطي ايقاعا اطلس
يا احذية النازية
ولتكبر طبلان الموت المعقوفه
قاس .. قاس لهم البلقان
والريح الغضبى الشرقية
تشعل في أعصاب الابواق
نارا .. من سفح لمدينة

---

(١) سميح القاسم : قرآن الموت والياسمين، ص ٢٤ — ٣٢

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤ — ٢٦

نارا . . من ضاحية لزقاق
نارا . . ازهارا . حربة
ويد تمتد وتصعد
لافتة تسطك على الافاق :
من يدخل عبر الابواب المنهارة
لـن يرجع ،
عبر الابواب المنهاره
(الفلاحـة)
الافق اختض ، انخفض الافق
ماذا اعددت لهم يا شرق
أسوار الحنطة حالمـة
من ينقذ احلام الاسوار
من ينقذها من منجل برق
ماذا اعددت لهم يا شرق
— من تلك الفلاحة ؟ من اين النار ؟
الجسر انهار
الجسر انهار . قفي يا آلات الموت
لا لمحة . لاصوت .
لم يظفر قمـل الغزو بغير الفأس
وحـذاء الفلاحة
والجسر المنهار
— من تلك الفلاحـة ؟
طفل بلغاري يقضم تفاحة
في خبيث — لا ادري :
وتناثر ازهارا حمراء
تدمي شفتان على بعض الاسماء
اعرف منها . . ليليانا
ليليانا د يمتروفا
(فتاة البار) (٢)
شرفات مدينتها تنهار
وفتاة البار
تندف في الايدي الملعونة
عطرا ونبيذا وسخونة
وتعوم وتغطس في الاسرار . .
شرفات مدينتها تنهار
انباء مدينتها

---

(١) سميح القاسم : قرآن الموت والياسمين ؛ ص ٢٧ — ٢٨
(٢) قرآن الموت والياسمين ؛ ص ٢٨ — ٣٠

ـ فـودكا
ونبات مدينتها
ـ كافيـار
ويجلجلبوق وثني ويُجلجل صوت
ـ الجـنرال
فاذا الاغـراب
عين جامدة في باب
تمثال يولد من تمثال !
وفتاة البـار
تتقلص . تكبر . يشحنها اعصار
وتخض المقصف قنبلة يدوية
وهـوى جنرال
وهـوى اغـراب
تمثال يسقط في تمثال . .
ـ من تلك الماهرة الكلبـة ؟
النادل يرشف كاسا بلغارية
في خبث ـ لا أعرفها ؟
واصطكت ريح غربية
بعيون حمر وبنادق
فتكوّم . . جمرا وزنابق
وعلى شفتيه يسح الدم
يرسم في رفق زهرة اسم :
لي . . لـ . . ـيا . . نا
(الراهبة) (١)

صلبان الموت المعقوفة
سبابات تنقر باب الله
القاطن ديرا مشبوحا بصليب الريف
القاطن رهبانا وشياه . .
صلبان الموت المعقوفة
تستجوب اختا ساجدة
لمسيح لم تنقذه صلاه ،
ـ نقلوا اسلحة من خلف الاشجار .
اكلوا وارتاحوا في قبو الديـر
وضعوا في المذبح كلمات السر .
فاجيبي . . اين الانصـار ؟
صلبان الموت المعقوفة
تتقصف في مطر من نار

---

(١) قرآن الموت والياسمين : ص ٣٠ — ٣٢

دقي .. دقي اعلى ، أيتها الاجراس
للرشاش المؤمن ، هذا القداس
" كيريالايسون "
زخات رصاص الأخت ديمتروفا
زخات أصابع تتهم
زخات دموع تنتقم
فلتحرس والدة السيد ،
والسيد ، والقديسون
ملكوت رصاص الاخت ديمتروفا
كيريا لايسون
حطمت ضلوع الدبابات
اعطيت أكف المنتصرين
يابنت الرب مثلثة الرحمات
طوبى ليمينك .. والرشاش
طوبى .. آمين
(آمين) (١)

نفض الرب تراب الموت ، وقام
من بين الأموات
كل القمل الدامي ، كلّ الدبابات
آلات الموت ، انهارت
شجر البلقان ،
وليليانا ديمتروفا ،
أقوى من فولاذ الراسخ ..
آمين
" درب لينين عبر الحواس الخمس (٢) "

تمثل تأثر الشاعر واعتزازه بلينين والاشتراكية وفيها اشارة الى تأثره بالعقيدة الدرزية

وعندما ألمّ في الوثائق القديمه
بالعالم الغامض في أبهة القصور
وعندما تحتقن الاسرار
بين خلايا جسدى المادى
وردهات الشمع والسجاد والبلور
تنهش اطرافي ،
وتعوى في عروقي ،
صرخة الجريمة

---

(١) قرآن الموت والياسمين ، ص ٣٢
(٢) الموت الكبير ، ص ٤٦ — ٥١

ويشتد به الالم والحزن فيقول :

عندما ألم في الوثائق القديمه
بالرعب والاسمال
بالسل والغربة والاطفال
وعندما اسمع في مداخل الاكواخ
دبيب أقدام بلا طريق
وهمهمات اللحم والجليد والأوحال
أقبض سر حزني العميق !

اسم" لينين" ذكرى، ويشير إلى "لينين" ومفاوضاته في الحرب العالمية لالمانيا رغم رفض المناورة من قبل الحزب :

وعندما ألم يا فلاد يمير ايليتش لينين "
بوجهك القوى والسعيد
ووجهك الضعيف والحزين
وهو يطل من اعالي الزمن القديم
على أعالي الزمن الجديد
وعندما ابصر ، في فجر كل فجر
أحذية الغوغاء والطغام والعبيد
وهي تدوس الشمع والسجاد والبلور
وتسحق التيجان والقصور

وهنا يأتي دور القاسم ليتأثر لأصحاب المآسي والأحزان والآلام ، وهنا تظهر إنسانيته ، لأن القاسم لايحسن العمل ، لايستطيع السير على درب لينين رائد الثورة الاشتراكية فهو حزين على أرضه غريب عن أهله ووطنه ، لايستطيع العمل لأجل هوء لاء الجياع .

أشمُّ خبزاً طازجاً على موائد الجياع
وأرتوي ، اغسل وجهي ، أملأ الجرار والسدود
من عطش السراب
وأفتح الكفين والعينين والزمان
وأفتح الابواب
لتدخل الشمس ، على جسر من العذاب !
لأنني لم أخسر الجداره
بلقمة نظيفة ونزهة ليليه
لأنني لم أخسر الجداره
بامرأة ، وبدلة جديدة ، ومكتبه
لأنني لم أخسر الجداره
باسمي وانسانيتي ،
بان تظل صورتي في منزل جميل
جيلا وراء جيل ،
لأنني في حضرة العراه"

يخجلني قميصي
لانني في حضرة الجياع
يخجلني رغيفي
لانني في حضرة المشردين
يحزنني عنواني المقيم
لأنني حين تشد قبضة الأسير
قضبان زنزانته
توجعني حريتي
لأنني لا أتقن العمل
بلا تحية الصباح
أرفع وجهي ويدي
في دربك الصاعد من مجاهل الاسطورة
عبر الحواس الخمس ،
.. دربك يالينين
وفي عظام جسدي
اترك يافلاديمير ايليتش
وصية لودي ...
لينين ليس صورة كبيرة على جدار
لينين ليس خطبة منمقه
في قاعة محترقه
لينين ، زحف " دائم " ، من قلب خط النار
لقلب خط النار
مادام ظفر الوحش في حنجرة الانسان
ورئة الانسان
وشرف الانسان
فارتفعي ياقبضة الانسان
واصطفقي يا راية النهار ا ا

" أنادي الموت "(١)

تمثل هذه القصيدة الصمود في تجربة سميح الفنية ، والالتصاق بحرارة الكلمة وأثرها الفاعل في الاثارة .

يجثم الحزن على قلبي .. كذكرى مريض
كيمامه
دوحت من سفر مضن ، على الأفق العريض
كغمامه
قعدت تبكي ، على باب المساء
يجثم الحزن على قلبي .. ويغري بالبكاء

---

(١) دخان البراكين ص٨٥ — ٨٦

غيران الشمس .. والبركان .. والقتلى
على شطآن أنهار الدماء ،
أبداً تجذب وجهي بالنداءات الخفيه
لمكان خلف أسوار الشقاء
فيه شيدت قصوري الذهبيه
أرمي ذات العماد ..
ارمي .. أمنحها من كل قلبي للعباد
ثم انهار قريرا ، عبر وديان الرماد
لتصفيني .. كما شاءت ،
حماقات الرياح الهمجيه !
فأيا أم اطفالي الشقيه
أنا لا أنكر مأساتي الطويله
أنا لا ابني سياجا ، حول أحلامي القتيله
انني ارفع وجهي للرياح
اتحداها .. واعطي في الصباح
للمساكين تراتيلي القليله
أنا لا انكر مأساتي ، ولا اخفي عذابي
انني انزف تاريخي ، على ظفر وناب
فاغفري لي ،
اغفري لي غلطة البركان .. لو ناديت موتي
طال صلبي ..
وعلى جرعة سم
ينهب الأعداء لحمي
والاحياء .. تقاطيعي وصوتي !!

يرفض سميح القاسم اى نوع من الأخوة بينه وبين الاسرائيليين بتعبير حاد وصارخ وراسخ . يعبر عن موقفه في ديوانه " اغاني الدروب " لانه يرى الاخوة بينه وبين الاسرائيليين تزويرا لامعنى له ولا جدوى ، بل يرفض السلام بين العرب واسرائيل . فأى سلام يقوم بين غالب ومغلوب على جثة الارض الفلسطينية الممزقة ، وعلى دماء المواطنين العرب الذين تم ذبحهم فوق ارضهم ليعمرها غيرهم . يرفض الاخوة بين العرب الدروز والاسرائيليين ، فهو يعبر عن رأيه في قصيدته " للسلام " (١) جاء فيها :

ليفن غيرى للسلام
ليفن غيرى للصداقة ، للاخوة ، للوئام
.. ليفن غيرى للسلام

---

(١) يوسف الخطيب : ديوان الوطن المحتل، ص ٢٩٤ — ٢٩٥

والعين ماعادت تهل صدى شجيرات العنب
وفروع زيتوناتنا .. صارت حطب
لمواقد اللاهين .. ياويلي .. حطب !
وسياجنا المهدود اوحشه صهيل الخيل في الطفل المهيب
والجرن يشكو الهجر .. والابريق يحلم بالضيوف
بسال " ياهلا " ! .. عند الغروب
وروءى البراويز المغبرة الحطيمة
تبكي على اطرافها ، نتف من الصور القديمه
وحقائيب الاطفال .. اشلاء يتيمه
لبثت لدى انقاض مدرسة مهدمة حزينه
مازال في احنائها .. مازال بهزأ بالسكينه
رجع من الدرس الاخير ..
عن المحبة والسلام !!
ليغن غيرى للسلام
وهناك .. خلف حواجز الاسلاك .. في قلب الظلام
جثمت مدائن من خيام
سكانها
مستوطنات الحزن والحمى ، وسل الذكريات
وهناك .. تنطفىء الحياة
في ناسنا .
في ابرياء .. لم يسيئوا للحياة !

سميح القاسم يشارك الشعوب الاخرى مصابها . يشعر بشعورها ، يتقزز من الاعمال الوحشية التي يقوم بها الانسان نحو اخيه الانسان . ولقد عبر عن موقفه هذا في "ارم" تحت عنوان " هيروشيما " (١) قال فيها :

تبيض اجنحة الغراب !
وتلف اذنابا ، من الخزى ، الكلاب !
وتلوب في فزع وفي خجل ، على أرض الرماد المر
اسراب الذباب
وتجف من رعب السوءال .. تجف حنجرة الجواب :
— من أى اعماق البشر
يتفجر الموت الزوء ام على البشر ؟!
ولاي كهف ينزوى الله المعفر بالغبار
وبالدخان ، بالشرر ؟
وبأي معراج يلوذ الانبياء الصالحون
غداة ترتعد الصور ؟

---

(١) ارم ، ص ٣٢ – ٣٣

بالحظ ، بالمقسوم ؟ بالمكتوب في غيب القدر ؟ !
طفل بلا رجل ، بلا عين ، ومخلوق بلا وجه
واشباح من الانس المشوه تستغيث
وتقهقه الاوباء والقحط الخبيث :
— كل الاناث هنا عواقر
كل الرجال هنا محقمة .. فالقوا العبء
على اكتاف محراث مسافر ،
هذا الرماد المرلم ينبت سوى الورد المحجر
والدم المسود والريح المسمم والخناجر
وتصك سمع الشمس همهمة المصانع
تحت وجه الارض حبلى بالذخائر
قلبي على العمال خوف الجوع .. أيديهم تصوغ الخوف
.. من اجل الصغار .. اكفهم تختط موتا للصغار !
قلبي على الانسان في قلق الدمار
يسوق أحلام الخليقة للدمار !

سميح القاسم شديد التعلق بالوطن . يكافح من أجله ، يتعرض للأهوال للمصائب ، ويتحدى السلطات رغم مايجلبه تحديه للسلطات من متاعب ومشقات ، لكنه يصمد ويقاوم لتأخذ دورها في التأثير على المحتل لتخيفه وتزعزع مركزه لتفقده صوابه . ففي ديوانه " دمي على كفي " تمثيل حي لاعمال المقاومة والتحدي والكفاح الوطني والصمود والتعلق بالأرض . ولنأخذ قصيدة " خطاب من سوق البطالة " مع ما تحمله من معان وافكار ومدلولات . تعبر عن روح الشاعر ونفسه ولتفضح اعمال الاحتلال القمعية واجراءاتها الرهيبة .

خطاب من سوق البطالة (١)

ربما أفقد — ماشئت — معاشي !
ربما اعرض للبيع .. ثيابي وفراشي
ربما اعمل حجارا ..
وعتالا ..
وكناس شوارع :
ربما أخدم .. في سوح (٢) المصانع
ربما أبحث — في روث المواشي —
عن حبوب

---

(١) دمي على كفي : ص ٩ — ١١
(٢) سوح : كلمة فلسطينية يستعملها الاهالي وتدل على الساحات .

ربما أخمد .. عريانا .. وجائع !
ياعدو الشمس .. لكن .. لن أساوم
والى آخر نبض في عروقي
سأقاوم !
ربما تسلبني آخر شبر من ترابي
ربما تطعم للسجن شبابي
ربما تسطو على ميراث جدي
من أثاث
وألوان
وخوابي (١)
ربما تحرق أشعاري وكتبي
ربما تطعم لحمي للكلاب !
ربما تبقي على قريتنا .. كابوس رعب
ياعدو الشمس .. لكن .. لن أساوم
والى آخر نبض في عروقي
سأقاوم !
ربما تطفأ في ليلي شعلة
ربما أحرم من أمي قبله
ربما يشتم شعبي وأبي طفل وطفله
ربما تغنم من ناطور أحزاني غفله
ربما زيف تاريخي جبان
وخرافي مؤلّه ،
ربما تحرم أطفالي يوم العيد بدله
ربما تخدع أصحابي .. بوجه مستعار
ربما ترفع من حولي
جدارا
وجدارا
وجدار ،
ربما تصلب أيامي على رؤيا مذله !
ياعدو الشمس .. لكن .. لن أساوم
والى آخر نبض في عروقي
سأقاوم !
ياعدو الشمس!
في الميناء زينات .. وتلويح بشائر
وزغاريد وبهجه
وهتافات وضجة
والأناشيد الحماسية .. وهج في الحناجر !

---

(١) خوابي : جمع خابية وهي المصنوعة من اللبن . توضع فيها الغلال والمواد التموينية ، وتقام داخل المنازل .

قلت : فوج آخر يمضي
ومن بيت لبيت
رحت اروى نبأ الغلة في العام الجديد
ومن المذياع ، انباء عن العام المجيد :
" مصر بركان . . وكل الشعب يحمي بورسعيد
ايها الاخوة . . والنصر اكيد "
يوم قالوا : سقطوا قتلى وجرحى
صحت والأدمع في عيني : مرحى
ألف مرحى ! !
يوم قالوا : . . مابكيت
ومضت بضعة أيام على عيد الضحايا
واتيت
وتلقاني نبوك البسطاء
وتلونا الفاتحة
وعلى أعين أطفالك
يا ام العيون الجارحة
يبس النهر وماتت في أغاني الحمائم
وأنا يا كفر قاسم
انا لا أنشد للموت . . ولكن
ليد ظلت تقاوم !
سيدى !
ياواهب النار لقلب وجديله
سيدى !
ياساكب الزيت
على موقد أحزاني الطويله
سيدي !
دعني اهنئك على يوم البطوله
عش لعدل لا يضاهى
ايها القيصر عش
ثمن الخمسين . . قرش
أنت يامولاى " رحمن رحيم "
والذى يغضب من عدلك يامولاى
" شيطان رجيم "
والذى يحزن مخدوع . . ومن
ينزف الأدمع
موتور لئيم
سيدى ياقيصر العصر الجليل
كل ماقلناه ياهذا قليل
والذى في القلب . . في القلب

وعلى الافق شراع ..
يتحدى الريح .. والثلج !
ويجتاز المخاطـــر !
انها عودة "يوليسيز"
من بحر الضياع
عودة الشمس .. وانساني المهاجر
ولعينيها ، وعينيه .. يمينا .. لن أساوم
والى آخر نبض في عروقي ..
سأقاوم !
وأقاوم !
وأقاوم !!

هزت الأحداث في الداخل والعالم العربي سميح القاسم . فمذبحة كفر قاسم "هزته من الأعماق والهبت مشاعره : اشعلت لديه الجذوة الشعرية ، لا سيما وانها رافقت العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ م .

لم تزل تتقاوم (١)
بركة دكناء في قلـبي
وفي وجهي سحابه
ونجيع ساخن
يصرخ في وحشة غابه
وعلى قارعة الدرب وعاءات نحاس،
ايقظت بضع رصاصات
والقت في جفون الاخوة القتلى النعاس ،
وعلى روث المواشي
بقع حمـر
وفي الدوّار تمديد مآتم .
كفر قاسم
كفر قاسم
وزهيرات من البرقوق في صدر امرأة
وعيون مطفـأة
وعويل غارق في رهبة المأساة عائم !
وانا ريشة نسر
في مهب الحزن والغيظ
اله لا يسـاوم !
يوم قالوا : سقطوا قتلى وجرحى
ما بكيـــت !

---

(١) دمي على كفـي : ص ١٨ — ٢١

ومن جيل لجيل
والى ان يبعث النهر
وتشدو في اغاني الحمائم
املأ الدنيا هتافا لايساوم
كفر قاسم
كفر قاسم
كفر قاسم
دمك المهدور مازال ..
وما زالنا نقاوم !

وفي اغاني الدروب تحت عنوان " كفر قاسم " (١) قال الشاعر :

لانصب .. لازهرة .. لاتذكار
لابيت شعر .. لاستار
لاخرقة مخضوبة بالدم من قميص
كان على اخوتنا الابرار
لاحجر خطت به اسماؤهم
لاشيء .. ياللعار !!
اشباحهم مابرحت تدور
تنبش في انقاض كفر قاسم القبور .

وفي قصيدة ثالثة قال الشاعر سميح : تحت عنوان كفر قاسم (٢)

رغم ليل الخنى ، وليل المظالم — حل وفد الكفاح ياكفر قاسم
رغم عسف الطاغوت يزيد سماً — رغم سد الأسلاك في الدرب جاثم
رغم حق الرشاش يشهره الظلم — اتينا .. فليلعق الخزى حاكم
نحن من شعبك المقيم على عهد — الضحايا وذكريات المآتم
نحن ابناؤك الأباة على الضيم — اتينا من الجليل المقاوم
ومن الكرمل الصمود اتينا — لهبا في مرابع البغي حائم
ياقبور الأحباب ألف سلام — من قبور عزت عليها المعالم
أى شيء من العزاء نُزجّي ؟ — نحن في اسرة الحداد توائم
نحن جئنا ، نهيب ان تستفيقي — فلتلبي النداء .. ياكفر قاسم

سميح القاسم : صور الاعمال البوليسية التي تقوم بها السلطات ضد المواطنين العرب في اسرائيل، اذ كثيرا ما تطرق عليهم منازلهم للتحقيق والتفتيش والاعتقال والاستجواب ، فكانت اعمالها البوليسية تثير الفزع والهلع في نفوس الاطفال والشيوخ . ضاربة بكل القيم الانسانية عرض الحائط . قال سميح القاسم في

---

(١) ديوان الوطن المحتل : ص ٢٩٦

(٢) يوسف الخطيب : ديوان الوطن المحتل . ص ٤٥٧ — ٤٥٨

قصيدته : "الذي قتل في المنفى كتب الي "(١) .

ذات يوم فاجأوني
دفعوا أمي وأختي جانبا !
واعتقلونـــي !
كالتماثيل الترابية كانوا
بوجوه فقدت ضوء العيون
يوم جاءوا فجأة ..
واعتقلونـي ..
والذي كان يصلي
لاله الأرض
في تربة حقل ،
حقلنا الموروث من قبل قرون
يوم جاءوا فجأة ،
واعتقلوني
وبعيدا .. أخذوني !
ومع العتمة في بعض السجون
ضفـروا لي الشوك
لــكن ..
ظل مرفوعا جبيني !
وعلى الأوحال والاسلاك
جروني ، طوال الليل
لـــكن ..
ظل مرفوعا جبيني
فركوا بالرمل والملح جراحي
والى ركن كريه ركلوني
كانت الأحذية السود البهيمية
من بقايا فرق الاس . اس ،
في بـون اللعينة .
كنــت بستان جراح
رايـة حمـراء
منشـور كفاح
حين صرّ الباب في بعض السجون
قبل ميلاد الصباح
وبلا رعشة هدب
قتلونـي !
قتلوني ذات يوم

---

(١) دخان البراكين : ص ٤٦ — ٤٨

يا احبائي .. لكن
ظـل مرفوعا
الى الضرب
... جبيني !!

وفي موضع آخر تحت عنوان : "ألقاء القبض" (١) قال الشاعر :

داهموا المنزل ،
في منتصف الليل
ومـاتـوا
بعـد وضع القيد في زندي
ماتـوا ..
للأبـد

وفي موضع ثالث يصف مثل هذه الحالة بقوله (٢) :

(من ؟ يقرع ؟ بابي ؟
في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟
ايها الناس
يا روح العالم الحكيم يا روح الحكمة
تعالوا وتفرجوا
كيف تنفس الشرطة كالبالون
أمـام ابتسامتي العالية
ابتسامتي هذه الأبدية !
ألف مرة قرصت آذان الاباطرة الوسخة .
جعلتهم يـركعون في القرنة
ويباتون بلا عشاء
وها هم لم يتعلموا بعد
أ ف
الحمقى القوادون) .

بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ تكشفت لسميح القاسم حقائق كثيرة ، واشتدت عليه اعمال التضييق، فقدم طلب انتساب للحزب الشيوعي وهو في السجن ، وقبل طلبه ، وفي ذلك يقول : (٣)

" إلى ماير فلنر .. وشيوعيين لا أعرف أسماءهم من أسيوط واللاذقية وفولغوغراد ومرسيليا ونيويورك وازمير ، ومن جميع المدن والقرى واكواخ الصفيح والمرائش المتشهنة بكوكبنا ـ بكرتنا الأرضية ! "

---

(١) الموت الكبير : منشورات كتاب الجديد . حيفا ص ١٥٢
(٢) الهي ، الهي لماذا قتلتني ؟ ! ص ٢٩ — ٣٠
(٣) سميح القاسم : طلب انتساب الى الحزب . دخان البراكين ص ٧٥ — ٧٧ .

اعطني ازميلك المسكوب من صلب المراره !
لم اعد أقوى باظفاري
على هذى الوجوه المستعاره
هَــزّ أنْ عظم أصابيعي ، النتوء الهمجيه
في الوجوه الحجريه ،
والافاعي لم تزل تنسل
من أفواه اعداء الحضاره ،
من تجاويف العيون الجاهليه !
اعطني مطرقة . . من منجم الحقد المصفى
علني انسف ماظل من الأصنام
نســـفا !
اعطني من قلبك الملقــوم حبه
علّني أفتح مجرى
لدم يصدم صخرا
كلما هم — ليلقى في الغد الآتي مصبه !
أعطني من نار عينيك شراره !
علّني أحرق جيفه
سممت حقلي وآباري وريحي
واحالت قريتي أرض خرافات مخيفه !
أعطني بعض شراره . .
علني اصبح للآتــين من خلفي . .
منــاره !
أيها النسر المقاتل
أيها الاعصار
ياناهش أطنان السلاسل
أيها الملدوغ من جحرين مرات عديده !
أعطني ازميلك المسكوب من صلب المراره
اعطني مطرقة . . لغما . . شراره
علني اصنع فأسا — من قصيده !

السلطات تطارد سميح القاسم ، وتراقبه في كل مكان . وسميح يخرج لهـا من كل مكان متحديا ثائرا مكافحا ، متعلقا بالارض ، كاتماً جراحاته . ففي قصيدتـه " البيت الاخير في القصيدة "(١) يصور ملاحقة السلطات له ويقول :

صمــود السلم
أسمع وقع الخطوات المشبوهة

---

(١) ويكون أن يأتي طائر الرعــد : ص ٣٤ — ٣٥

أبصر تحت معاطفهم
عنوان المنزل ، والفوهة
صعدوا السلم
همسوا
ثانيهم يتقدم
يعقف سبابته ، ينقر بابي
— ويلك ياهذا .. عكرت الصمت
ويلك .. نفرت الصوره
عن آخر بيت

وتحت عنوان : " الخفافيش " (١) كتب يقول :

الخفافيش على نافذتي
تمتص صوتي
الخفافيش على مدخل بيتي
والخفافيش وراء الصحف ،
في بعض الزوايا
تتقصى خطواتي
والتفاتي
والخفافيش على المقعد
في الشارع خلفي
وعلى واجهة الكتب وسيقان الصبايا
كيف دارت نظراتي
الخفافيش على شرفة جاري
والخفافيش جهاز ما ، خبيء في جدار
والخفافيش على وشك انتحار
اني احضر ربما للنهار !

وبالمقابل يخرج لهم من كل مكان يقول تحت عنوان " الحلول " (٢)

اطلع في الأمطار
أطلع في البرق الازرق
في النسمة في الاعصار
اطلع من جرح فتحته قذيفه
في صدر جدار
اطلع من عطش الابار
أطلع من قنطرة صامدة
في وجه الريح
من نصبة لوز صامدة

---

(١) ويكون ان يأتي طائر الرعد : دار الجليل للطباعة والنشر — عكا — اذار سنة ١٩٦٩ ص ٣٦ — ٣٧
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤١ — ٤٢

في وجه النار
اطلع من توقيع الحاكم في ذيل التصريح
من ظلّ عصي الشرطة أُطلع
من محرمة لم تعرف غير الأدمع
من قلب الارض المسروقه
من حقد الشفه المحروقه
من زحف مظاهرة حزبيه
من قذف زجاج وحجاره
في وجه الريح الوحشيه
اطلع من غيظ رفيق
أعرفه وقت الضيق
من لحمك أطلع
من رعبك أطلع
فبأي آلة بعد اليوم تلوذ

أرأيت هذا التحدي ، العدو يطارد' والقاسم يتحدى'ويقاوم ، يصبر على الآلام، يمتصها ليقـاوم .

يعود سميح القاسم الى محمد رسول البشر — عليه الصلاة والسلام — ليذكر ببطولته ، وما قدمه للبشرية عندما بشر بدعوته . هذه القصيدة تكشف تأثّر سميح بالدين الاسلامي واعتزازه بالرسول الكريم ، ويريد السير على خطاه لجلب العزة والفخار. يقول سميح في قصيدته " مرثية إلى محمد " (١) :

يا حبيـــبي ،
بدويـا أقطع البيداء مفرد
يا حبيـــبي ،
مشـعلا انهض في أُفق تردّـد
يا حبيـــبي ،
مدنا تطلع من حد المنهّد
يا محمـــد ..
يوم قدمت إليَّ الله ، أُحببت نهاره
فيك أنت
وخشيت العالم الآخر ، والحشر ، وناره
فيك أنت
يوم قدّمت إليَّ الله ،
قدمت الحضاره
للملايين التي أنشدت لصوتي
ولوجي ويديـا

---

(١) قرآن الموت والياسمين : ص ١٠٦ — ١٠٧

فيـك أنت
ليـس إلا ..

سميح شديد التعلّق والتغني بالوطن ، لا أحد يُحسن التغني به مثلما يتغنى به . حبه ينبع من طبيعة الوطن ، وينمو مع نمو أزهاره . سميح الوطـن والوطن سميح يقول سميح "(١) :

اتحـلل في ضبابك الوديع
هذا الناعم الناصع كثقاب خديجه
بعد قليل اندغم في عطر أعماقك الساخنه
بعد قليل تشكل في رائحة أعشابك
بعد قليل أنطلق عندليبا طائشاً
بين رياحك وأشقّة شمسك
ولا أحد غيري يعرفك يا بلادي
لا شهداؤك ولا قاتلـوك
مثلي ،لا أحد يعرفـك
وغيري ،لا أحد يعرفك
ولي أنا ، لي وحدي أنت،
لأنك ترابي الأحمر والأسود
ولأني رمالك الناعمة والخشنة وأصدافك
وأنا عيونك المطفأة بالاسمنت المستورد
والاسمنت المحفور من لحمك
أنا البرقوق والسنديان وعصا الراعي
الحلت السبانخ البلان اللوز
البرتقال الزيتون الصوّان
الأطفال السمر الاطفال الشقر
العجائز القرى المقابر
الأيدي العاطلة الرخيصة
المدن المنهوبة الخيول الجرذان الفراشات
الكلاب الضالة الصراصير الطقس
الليالي المقمرة الصباحات حكايا الشتاء
أنا الخلجان الجداول القذرة بزيوت المصانع الحربية
التلال الدوالي التطريز القنوات
العيون السود الصيحات الجهل الفقر
الشهادات الجامعية
اللاجئون المقيمون الثوار الخونة
انا شعبك تاريخ ميلادك مفكرتك وأشياؤك الخاصة
يقتحمك الغزاة كما يفاجئني المرض

---

(١) إلهي إلهي لماذا قتلتني ؟ ص٢٦ — ٢٨

يدهمك السياح كما تداهم جماعة من الكلاب غرفة نومي
لا أحد مثلي يغنيك
لا أحد مثلي يبكيك
ولا أحد مثلي يمقتك
أمقتك امقتك أشد المقت

الهي
لماذا
شهقتني ؟

وقال سميح القاسم في : " حب الوطن "(١) :

يا ابنتي ،
لاتسأليني
عن ملاييني ،
وأمسـي ،
وتضاريس بلادي
يا ابنتي .. حب الوطن
ألفة تنمو على ألوان زهرة
وسنين تنتهي وشما
على انقاض حائط
لا ملايين من الناس ،
وتاريـخ ،
وأشـكال خرائط ..

وصف الشاعر أطفال رفح ووحشية العدوان والاحتلال ودورياته العسكرية في الشوارع ، وترصد المارين لاطلاق النار عليهم ، وليحمل اليتم لاطفال العرب ، ويختم بالشمع الاحمر حوانيتهم .

أطفال رفح (٢)

للذى يحفر في جرح الملايين طريقه
للذي تسحق دباباته ورد الحديقه
للذي يكسر في الليل شبابيك المنازل
للذي يشعل بستانا ومستشفى ومتحف
ويغني للحديقه
للذي ينحل في خطوته شعر التواكل
ودوال تتقصف
للذى يعدم في الميدان دورى الفرح

---

(١) قرآن الموت والياسمين : ص ١٠٨
(٢) الموت الكبير : ص ١١٥–١٢٠ الطبعة الثانية ـ كتاب الجديد ـ حيفا ١٩٧٢

للذى تقصف طياراته حلم الطفوله
للذى يكسر اقواس قزح
يحلن الليلة أطفال الجذور المستحيله
يحلن الليلة اطفال رفح :
نحن لن تنسج غطاء من جديله
نحن لم نبصق على وجه قتيله
(بعد أن تنزع أسنان الذهب)
فلماذا تأخذ الحلوى ،
وتعطينـا القنابل ؟
ولماذا تحمل اليتم لاطفال العرب؟
الف شكر ،
بلغ الحزن بنا سن الرجوله
وعلينا ان نقاتل
كانت —٢—
كانت الشمس على سنجة فاتح
جثة عارية مشتهنه
تنزف الصمت على حقد المسابح
ووجوه حولها محتقنـه
صاح محتل خرافي الملامح :
" لن تبوحوا .. ؟
حسنا .. حظر تجول ،
منـــــــا .. "
وانشق عن صوت علاء الدين
ميلاد المساسين الجوارح
أنا ألقيت على سيارة الجيش الحجاره
أنا وزّعت المناشير ،
وأعطيت الاشـاره
أنا طرّزت الشعار
ناقـلا كرسيّ
من حي .. لبيت .. لجدار
أنا جمعت الصغــار
وحلفنا باغتراب اللاجئين
ان نكافح ،
طالما تلمع في شارعنا سنجة فاتح
(لم يزد عمر عـلاء الدين ،
عن عشر سنـين ..)
—٣—
شجر الفتنة مكسور ،
وأبواب رفـــح

ختمت بالحزن
او بالشمع
أو حظر التجول
وعليها كان ان تنقل خبزا وضمادا
لجريح ، بعد نصف الليل عادا
وعليها كان ان تقطع شارع
رصدته اعين الاغراب
والريح ،
وفوهات المدافع . . ،
شجر الفتنة مكسور ،
وكالجرح انفتح
باب بيت في رفح
قفزة . . في حضن فله
قفزة . . واحتضنتها
في رصيف الرعب نخله
حاذري في كلّ نقله
قفزة ،
دورية ،
أنوار كشاف ،
وسعله
— من تكونين ؟
— قفي
خمس بنادق
جحظت من حولها ، خمس بنادق
وغداة انعقدت باسم الغزاة المحكمه
حضروا بالمجرمه
(آمنه)
طفلة في الثامنه .)
باسم أمن الفاتحين
القوا القبض عليه من شهور
باسم أمن الفاتحين
لم يزل زوجك مجهول الاقامة
لم يزل زوجك ميتا أو سجين
من شهور ، باسم أمن الفاتحين
فاعجني دمعا وصلصالا ،
واذا عزّ الطحين
واطبخي حزنا وصبارا وطين
باسم أمن الفاتحين

هيه يازوجة مجهول الاقامة
مـا الذي تنتظرين ؟
.. ساعة مـرت ،
ومرت ساعة أخرى
وساعـــة ،
قبل ان ترجع ،
في حمالة مصبوغة بالدم ،
حناء الشجاعـة
و...............
قضـي الأمـر
فهل تملك اهـلا آخرين
فـي خيـام اللاجئين
يا ابن مجهول الاقامه
وابن من ملّت محطات السلامه ؟
... وعلى منعطف الشارع ،
في أقصى المدينه
كان اطفال التواريخ الحزينه
يجمعون الكتب والاخشاب واليتم ،
البراويز ، وأوتاد الخيام
علّها تصبح متراساً ،
يسدّ الدرب في وجه الظلام
عليها تقلق افواج الضغينه
لابثما يغسل عينيه السلام
من غبار الحقد والحرب الهجينه
ومع الكتب ، مع الاخشاب واليتم
البراويز وأوتاد الخيام ،
أعطت المتراس صمتا عصبيا ـ دميته
واستعدت بداوة قبضته
وغداة انفلقت أبواب أمن الفاتحين
كان في المعتقلين
ابن مجهول الاقامـه
(حاشيـه
عمره تسع سنين ..)) .

نموذج من اعمال سميح القاسم المسرحية : اللوحة الثانية من مسرحيـــة قرقاش لتصور غطرسة قرقاش : " المسرحية تحكي القصة الدامية لطاغية عسكري ، استطاع أن يسيطر على سفيه ، وان يقضي على كل معارضيه ، ويخوض سلسلة من الحروب ينتصر فيها ، ولكن احساس الجماهير بالظلم والاستبداد الحديدي يؤدي

الى انفجار يقلع عرشه ويقضي عليه . والمسرحية تمثل المؤسسة العسكرية في اسرائيل متمثلة بديان التي احكمت قبضتها على الحكم ، ودخلت الحرب، وحققت نصرا سريعا استبدت وطغت بعده ، وفرضت الصمت على الجميع"(١) وقرقاش يدفع بالجنود الى ساحات القتال للموت والدمار .

" قرقاش يحصد حنطة الاخرين ويشرب آبارهم "(٢) :

(برية . أشجار مهشمة ، معظم أغصانها جرداء . . جنود عائدون من حرب محملين بالغنائم والاسلاب . جرحى ومشوهون . اطفال ورجال ونساء يستقبلون الجنود العائدين ويبحثون عن أبنائهم وذويهم)

الجنــود (منشديــن) :

جنودك الشجعان ، ياصاعه
عادوا من المعارك الشجاعه

كورس : ونحن لم نعد !

الجنود : عادوا ، فلا تنتظري المواسم
عادوا محملين بالغنائم

كــورس : ونحن لن نعــود !

الجنود : بلادنا ! عفوك ان رمينا ،
وراءنا أطرافنا المقطوعه
فان أمرا صارمًا لدينا :
عودة أي ميت ممنوعة !

كــورس : ونحــن لم نعد !
ونحن لن نعود !

(احد الجنود المشوهين يلتقي بوالديه فيعانقانه وتنفجر أمه في العويل . . يبعدهما عنه ويلقي أمامهما كيسا صغيرا) .

الجندي : اعذراني إن كان حملي ضئيلا
اعذراني ، فقد أضعت ذراعي
إن نمت لي يوما ذراع سواهــا
سوف آتي بضعف هذا المتاع !

طفلــة : ياصاحب الكف الوحيده
ان كنت والد طفلــة
ستصير لاهية سعيده
من بعد هذا اليوم ،
لاهية سعيــده !
فإذا غضبــت ،

---

(١) عن روز اليوسف : مجلة الجديد : العدد ٤ ، سنة ١٩٧٥ ص ٩٣
(٢) مسرحية قرقاش : ص ٣١ — ٤

وأمسكت بذراعها يدك الوحيده
قبل .. كيف تضربها ؟
واين ستشترى كفا جديده ؟ !
(تقهقه وتقفز طربا)

الجندي (مداعبا) :
ياضمة الحبق الطريه
ستصير بنتي بعد هذا اليوم
ضائعة .. شقيه
كفي الوحيدة
لن تكون ، لغير لقمتها الوحيده
فبأى كفٍّ ،
في صباح العيد ، تأتيها الهدية ؟ !
وبأي كف سوف أرفعها
لتقطف في شهيه
تفاحة الفرح البعيده ؟

(ينصرف مع والديه . ترافقه الطفلة بنظرة تنمُّ عن عدم الفهم ثم تنصرف عن المسرح مطأطئة الرأس .. يدخل أربعة جنود وهم يحملون ، كل باحدى يديه ، حمالة عليها جثة مغطاة بستارة بيضاء ملطخة بالدم)

أحد المستقبلين (بقلق) :
لمن الجثة .. ياجند الالهة المعصومة ؟

جندى : اخرس يا ابن التافه والكلبه
فمتى حق لمثلك ، من رهط الأوباش
أن يسأل عن جثة قائد حملتنا الخالد
نجل اله الحرب وزوجة مولانا قرقاش ؟ !

(ينصرفون . تدخل امرأة وتتجول بين الجنود العائدين كالمعتوهة . تحدق فيهم واحدا واحدا دون ان يعيروها اي اهتمام)

الامرأة (لاحد الجنود) :
ولدي
ابني
هلا تسمع ؟
أسأل عن ولدي ، فاجبني
أين ابني ؟
أين .. ابني ؟
قامته تشبه قامتكم
لكن بعينين

كورس : اثنتين :
الامرأة : وبساقين

كـورس : شتين !
الامرأة : وبعينين
كـورس : شتـين !
الامـرأة : أين ابني .. هلا تسمع ؟
قولوا لي أين
أتضرّع .. إني أتضرع !
(يتقدم منها ضابط بثياب أنيقـــة)
الضابط : يُسعدنا ياسيدتي
أن نثلج صدرك بالبشرى
فاستلئي فخراً
ابنك ياسيدتي
سينال ثلاثة أوسمة ..
(يقف وقفة عسكرية ،ويؤدي التحية ، بينما تنظر هي إليه مشدوهة) .
كـورس : الاول !
الضابط : وسام الوفاء لقواده
كـورس : الثاني !
الضابط : وسام البطولة في المعركه
كـورس : الثالث !
الضابط : وسام السقوط قتيلا ،
على أرض اعدائه !
(يهتف)
عاش .. عاش .. قرقـاش !
(تظل الامرأة صامتة محدقة في الأرض ، ينظر اليها بغضب) .
الضابط : ومالك لاتهتفين
لقائدنا .. سيد الفاتحين ؟
الامـرأة (بذهول) :
خذوها .. خذوا الأوسمه .
وردوه لي ،
جثة . اصبحا . محرمـه !
خذوا الاوسمه
فليست لها قامته
وليست لها طلعته
ولا مشيته
ولا ضحكته
وليست تجيد حراثة كـرم
وتجهل كيف تضيء . بحلم
على قلب أمّ

خذوها .. خذوا الاوسمه !
وردوه ، ردوه لي ،
جثة . اصبها محرمه !

(تركع على الارض وتغمر وجهها بكفيها)

الضابط (غاضبا) :
كـذا .. أيها المجرمه
اذن ، فاستعدى ،
سألقاك في المحكمه !

(ينصرف بخطى عسكرية ترافقها موسيقى تعبّر عن السخرية والمنفوان في جمل متشابكه . تبقى الامرأة وحدها على المسرح . تنهض ببطء ، وتُنشد وهي حالمة) .

الامـرأة : كأنه ما كان
عمر . ولا بيت . ولا مصباح
ووالد يرتاح
بعد نهار الكدح والحرمان
كأنه مـا كان
عيـد يلم الأهل
وجارة تقول : بالأفراح
ماعدت يا ابني طفل
فالطلب من الحسان
من تشتهي ، ياقصفة الريحان ..
كأنه مـا كان !
....
زوجي ، ابو ابني ، عانق المجاعه
فاسكتت أوجاعه
وحين اعطى يده للموت
قال : احزني في صمت
فالمجد للقناعه !
....
وابني الذى ربيته أعوام
في الجوع ، في الالام
وكنت كل يوم
أقول : يأتيني غدا ،
وفي يديه زهره
وحفنتـا سره
من جنة الدموع والاحلام ،
ابني الذي ربيته أعوام ،
يعاد لي .. وسام !

تغادرُ

(وهي تغادر المسرح) :

خذوها .. خذووا الاوسمة

ردوه لي

جثة . اصبعا محرمه !

(ستار)

مختارات من : اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل

يرحل بزوجته .. باحثا عنها

(١)

متلثّماً بالريح ،

ملتفاً بخارطتي الرهيبه !

ألقي التحية ،

كاظما جرحي وحقد الغنغرينه

وأقول في ثقة لكل الاصدقاء

واقول في ثقة لوالدتي الحزينه

خلوا المحارم والبكاء

لطقوس عودتي القريبه

متلثما بالريح ،

ملتفا بخارطتي الرهيبه

(٢)

صمتي .. وبيداء تميد . ترق . تحملني . تموج

صمتي .. وصاعقة تزلزلني

الى دهر العبادات الفصيحة والقباب

— اين البيارق والسروج ؟

جهزت عارتنا ،

وبحر الروم يضمر شره

وتهسر آلاف الكلاب

صمتي وبيداء تموج

في حفلة الكوكتيل . والقبطان يغمزها فتأتي

— هل تأذنين برقصة ؟

هل تشربين ؟

من اين انت ؟

ويصيح تركي بدين

كل الذين عرفتهم ماتوا ،

وآخر اصدقائي

ضبطوه مختلسا نقود البنك ،

كان مقامرًا وفداً يموت على النساء !

---

(١) اسكندرون في رحلة الخارج والداخل : مط . واوفست الحكيم — الناصرة ، شباط سنة ١٩٧٠) ص ٩ — ٢٢ ، ٢٨ — ٣٢ ، ٣٤ — ٣٨

ومهاجرٌ ضاقت به الملجيك
كالاسفنج يشرب ، وهو يجأرُ بالغناء : ..
.. بعنا ثمار الصيف ياحبي ،
بأوراق الخريف
بعنا ربيعك .. بالخريف
بعنا شتاءك .. بالخريف
بعنا خريفك .. بالشتاء
بعنا الوصية بالتركيبه
بعنا أغاني الحاصدين ، بأم كلثوم المجيبه
بعنا صفارك بالسمال
والفقر والزهرى . في احضان طاهرة غريبه
فلنبك ياحبي دما
ولنبك . آه . كالنساء
ملكاً مضاعاً ،
لم نصن حرماته مثلَ الرجال ..

(٣)

قدمي تدقُ بلاط اوروبا
ووجهي في رمالك يا جزيره
ويداي في أشجارك المادن تنور ياجزائر
وفمي بلال في مآذنك العتيقة يايمن
ودمي يسحُ على جدارك ياكنانه
ليظل سنبلة تهجى درسها
يشهد حقل في عدن
ويشقُ صلصال العراق ،
يشقه عن اقحوانه ..

(٤)

أبواب اسطنبول تجهلني ،
المواخير الكئيبة . والمآذن
وتشيح عن وجهي الوجوه الفارقه
في الشاي والحزن المداهن
وتميل عن دربي الصبايــا
والمقاهي والمداخن
ويخونني حمَّالُ أمتعتي
ويشتم سائق التكسي ابي

(٥)

هذا أنا .. فمي صباحا يا أثينا
ومعي إليك تحية
من ابن رشدٍ وابن سينا
لم يطلبا كتباً ،

فقد سمعا تفاصيل المصيبه
واستنكرا تعذيب جالينوس
في " بورا " الرهيبة
.. لم تعرفيني يا أثينا :
لم تعرفيني . فالوداع . الى غـد ،
يا انتجونـا ! !
سقراط هذا العصر ، يرفض كأسه
ويموت باسم آخـر
في ساحة الاضراب ،
في المنفـى ،
اوالسجن الذي سيصير يومًا مدرسة .

(٦)

برلـــين تعرفـني ،
وتذكر قامتي ودمي وصوتي
برلين تشهد انني
في ليل بوخنفالد (١) ، كنت شريكها
في ليل نكبتها بموتي
فلتمطني يدهـا ،
اقبلُها وامنحها جبيني
وأقول : يا اختي التي خبرت عذابي
باركيـني ..

(٧)

ليلا .. أحجُّ إليك ياحبي القديم
ليلا .. بلا باقـات أزهار ،
بـلا تحف ثمينـه
ياجدتـي ،
ياجدة العرب الحزينه !
في حلة الافرنج ، ياحبي القديم
.. حبي لها ،
.. ولذا أصدّرُ للنساء الاخريات
لحمي وأشعاري وارغفتي
وأعواد الثقاب
حـبي لها ،
ولذا ، تربيَ قامتي ظفراً وناب
ويغيب في كل الجهات
وتعود من كلِّ الجهات
ليكون ميـلاد ،

---

(١) بوخنفالد : معسكرالاعتقال النازى

وتطلع عشيــة ،
ويشق باب !!

" رحلة السراديب الوحشية "(١) ساختار منها الحلقة السابعة .

(٧)
مستلقيـا في النهر ،
مغمورا بأحزان الطحالب
أو مائلا في غمرة البيداء ،
مدغوصا بأعمدة الرمال الغاضبة
او واقفا في الريح ،
مشحونا بأجيال تحارب
اسكندرون يتم سمفونيته
اسكندرون يفك انسانيته
من برجك المرصود ، يا أرض الشموس القاربه !
باسم الهواء الطلق
والحب المغمس بالتراب
باسم ارتطام الفجر بالسكك النقية والمعاول
باسم الشواهد والسنابل
باسم الاغاني . الياسمين
الضحك في فيء المنازل
وشقائق النعمان
والزيتــون
والقصب الملوّح في الضفاف
باسم الحنين إلى الطفولة
باسم الحنين إلى الشباب
باسم الجنازة والزفـاف
اسكندرون يريد زوجته ،
ويحــلم بالســلام .

---

(١) اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل . ص٦٣ — ٦٥

مراثي سميح القاسم

××××××××××××××××××××

كتب الشاعر سميح القاسم قصيدة رثى فيها صديقه الشيوعي الشاعر اليهودي " السكندر بن ابان " الذي كانت تربطه معه صداقة حميمة . فبعد وفاته بقليل كتب سميح هذه القصيدة وترجمها إلى اللغة العبرية ثم ألقاها في تل أبيب ، ونشرها في صحيفة الحزب" زوهد بوخ " وفي هذه القصيدة ينفي الشاعر حالة الموت عن صديقه ، ويعرض بالاوساط الصهيونيه التي " تقتل القتيل وتمشي في جنازته " قال سميح : " يوسف وأخوته "(١)

— من اين أتيتم في هذا الليل ؟
— جئنا من أرض الجوع
— ماذا تطلب أنفسكم ؟
— شيئا من حنطة مولانا ،
— لاخينا النائم قرب الموت
— أين اخوكم ؟
— في ذمة والدنا المقعد في ركن البيت .
— حسنا ، ها انذا طفحت الكيل ،
عودوا من حيث أتيتم
لكني أنذركم بالويل
مالم تأتوني بأخيكم ، في الجوع القادم !

(٢)

— ياطفلي . ياطفلي المذب
ماذا تفعل في هذا الحب ؟
— ابحث عن خاتم أمّي ، عن قمر الحب
— ماذا تفعل ياطفلي الحلو الأحمق ؟
— اقرأ درسي
وألاعب ، ياعم ، نبات الزنبق
— البرد يؤدب قبّرة الجنه
والليل ثقيل ياطفلي
— أهلي في منحدر الوادي
خذني ياعمّ الى أهلي :

(٣)

هاأناذا   ها انذا أقرع باب الموت
" " "   ها انذا امتشق الصوت كخنجر

---

(١) مجلة الجديد : قصيدة لسميح القاسم .العدد ١٠ ، سنة ١٩٧٢، ص ٥٣

ها انذا امتشق الصوت
يطحنني حزني ، لكني لا أبكيك
ها انذا مغلول وجريح
اصرخ في هذي القاعه
أصرخ في الريح
أصرخ في وجه العالم
اصرخ في وجهك :
حطم عنك رخام الموت البارد
وانهض يا يوسف
انهض واشهد اخوتك المحتفلين بموتك
انهض واسمع
صرخة واسمع
صرخة طفل
شهقة مدفع
انهض يا يوسف
وانظر كيف تدقُّ بنعشك
كل مسامير الرعب الحرب العسف الخوف العنت الكبت
انهض واصرخ " لا " للموت
حيٌ انت
حيٌ .. أنت ! ..

سميح القاسم يرحب بالانبعاث انبعاث الثورة فمن ركامات التضعضع والتخلّف في الفجر تتجدد العاصفة فتنثر رمادها على الوطن بارودا وكحلا ، ويهطل المطر بالعدل والقسطاس ، تتمايل او تتماوج السنابل والبرقوق والاجنحه . هذا مايراه سميح في قصيدته : " جناز في ثلاثاء الرملا" (١) ومما جاء فيها أيضا قوله :

لن انتظر ساعي البريد
كالشعلة ، كالشعلة تماما
أواصل علي القديم قدم الجريمة
وعلى عظام قتلاي أصنع أرغنا الكترونيا
وعلى قمة جبل الجرمق
أركز أرغني العملاق
أبتدي بزة المايسترو
واشهر أصابعي المتشنجة
هاهي صالة العالم مكتظة على اتساعها
فانقضيّ أيتها الصواعق

---

(١) مجلة الجديد : العدد ١١ ، سنه ١٩٧٤ ، ص ٦ .

واعزفـي على أرغن الردى الفـني
جناز النيازك المتهاوية
فوق ضفة الاردن الدنس !
ويا ابي المتشكل في الرماد والحلم
لا بأس عـلي
لأكن مايستر والموت
ولتعزف صواعقك المدخرة
جنازا موقتا
في ثلاثاء الرماد !

كتب سميح القاسم قصيدة وطنية في غمرة الاعتقالات الواسعة التي شنتها سلطات الاحتلال في مدينة نابلس والضفة الغربية بعنوان : "الطريق الى جبل النار" . ونشرتها "الاتحاد" في ٢٥/١٠/١٩٧٤ ، وألقى قصيدة وطنية اخرى وهي : "الوصول الى جبل النار" فهي تحية لطلاب المدارس، والعمال المثقفين الفلسطينيين الذين هبوا ضد الاحتلال، ورجموا آلياته بالحجارة، والذين يعانون الان في السجون، وفي حصار حظر التجول والارهاب . ولقد جمعت الالام المشتركة بين عرب الجليل وعرب الضفة الجريح في نابلس فتعرضت لهم مصفحات الجيش الاسرائيلي تقذفهم بحممها وتدوسهم ، ويصور فيها اعمال الهدم وختم الحوانيت بالشمع الاحمر ، والقمع التعسفية التي تمارسها السلطات الاسرائيلية على الارض الفلسطينية الطهور . التي دنّسها الغاصب بأفعاله اللا انسانية فأثار الصبية والعذارى والشباب والشيوخ الذين هبوا هبة رجل واحد في وجه المحتل يقاومونه ويرجمون دباباته وآلياته ودورياته بالحجارة وإشعال اطارات السيارات وما جاء فيها قوله (١) :

وبعد الرحيل الطويل على شفرات العذاب
تراءى لي السفح عبر الظلام المكدس وانشق باب
تلفت حولي ولم اتحجر . ولم اشهـد الصفح والمغفره
وكان هنالك خيط من الدم
(خيط من الدم — اوهو صدع الكره !)
وكان دمي النصل منغرزا في ضمير الشعوب —
ولم اشهد الصفح والمغفرة
وبعد الرحيل الطويل بلغت المدينة ليلا
طرحت السلام . وصحت :

---

(١) مجلة الجديد : العدد (١) سنة ١٩٧٤، ص ٧ .

انا ايها الاخوة الطيبون
رسول جبال الجليل الى جبل النار ،
من مرشـدى ؟
الى جبل النار ــ هل تسمعون ، وهل تفهمون ؟
الى جبل النار ــ من مرشدي ؟
ودبت علينا مجنزرة ، سحقت بعض اقدامنا ،
اختلط الدم بالدم ، ماعدت أعرف جرحي من جرحـهم ،
دوت الصرخة القانيه !
" وقوفا ! "
وزلزلت الارض زلزالها
" وقوفا ! "
وايقظت الام أطفالها
وجلجلت الصرخة القانية
نموت على ساعديك
لنحيا على ساعديك .
نموت ــ ولن تعبر الذئبة الداميه !
اعطى النهار الاشاره
وفي شرفات البيوت ومنعطفات الشوارع ،
بين المدارس والساحة المركزيه
تكشت القبضات الصغيرة حول القنابل
(لابأس ــ حول الحجاره !)
وجلجلت الصرخات الفتيه
تحرك اذن أيها الدنيا صور الغبي تحرك
وسمم سنابل أحلامنا
ودس بجنازيرك السود أطراف أقدامنا
تحـــرك
بظلفك أنت ، ستحفـر نحن ، سنحفر قبرك
ونبعث آباء ايتامنا !
هنا جبل النار ،
ها نحن في السفح من جبل النار ،
بعد الرحيل الطويل على شفرات العذاب
تراءى لنا السفح عبر الظلام المكدس ،
وانشق باب
وصلنـا !
الى جبل النار يا ايها الاخوة الطيبـون
الى جبل النار ــ هل تسمعون وهل تفهمون ؟
الى جبل النار ــ نحن وصلنا
وصلنا بكل العذاب . بكل الدّم المـر والذكريات

وصلنا باطفالنا البالغين
وصلنا بحقد العذارى على الغاصبين
وصلنا بسنبلة سموها
باغنية يتموها
بانقاض بيت
بقلب عريس مجندل
بدعوة عرس تأجل
وصلنا على جسر امواتنا الناهضين
سكاكين ،
تقطع جذر الغزاة الهجين
وصلنا !
هنا جبل النار والحب والاغنيات
وبنك الدم الحر والياسمين
وصلنا !
لنور الحياة ــ وتنور الحياة !

سربية جديدة موضوعها : ثالث اكسيد الكربون

من معايشتي لسميح القاسم ومصاحبتي لأعماله الفنية في شعره ونثره ، في نقده وقدحه ، وفي ثورته وغضبه ، في فرحته وهنائه ، شعرت بالإنسان . الإنسان العبقري الفذّ ، الذي استطاع أن يخترق الآفاق ليوصد أمام المجهول المظلم لوحة الرعب والمصير المحتوم .

سميح المتعلق بالارض : استنطق الأديان عبر القرآن الكريم والانجيل والتوراة في سربيته ويخاطب الله : ليشعر من لا رحمة في قلبه ان الظلم عام وفادح ، ليشعر العالم الغافل عن حقيقته : الهي الهي لماذا قتلتني ؟ الهي الهي لماذا رنحتني ؟ .

عبر سميح القاسم عن نفسه ، وعن القضية باسماء وتصورات وتعابير حتى قيل بحق سميح القضية القضية سميح . فسميح يسمي اشعاره ودواوينه بأسماء مفعمة بالتأثير والايحاء وبالرمز والتلميح والتصريح . فالموت الكبير للمغتصب وللمواطن الفلسطيني بآلامه وأحزانه ، وقرآن الموت والياسمين للكلمات المعسولة ، لا بسر المورفين التي اعرق الفلسطيني بها حتى سبح .

فسربية " ثالث اكسيد الكربون " على غرار سربيته الهي الهي لماذا قتلتني ؟ (وهي قصيدة مطولة : " وهي محاولة لتكثيف صراع الشعب العربي الفلسطيني منذ القدم دون الالتزام بالنصوص التاريخيه المدونة ــ هناك لقاء بالتاريخ وتقاطع

معه ، غير ان الاهتمام الأساسي منصب على الحالات وليس على الوقائع" (١) .

تتألف السربية من ثلاث سير : سيرة بريكافور ، وسيرة نبهون ، وسيرة جلبات . ولقد قامت الجديد بنشرها (٢) . وينوى الشاعر نشرها في كتاب .

سميح القاسم رجل التاريخ في سربيته " ثالث اكسيد الكربون " الذى يأخذ من هاجر ، وبرطاقور ، ومن سيرة بنهون ، ومن سيرة جلبات مكانا ليريح النفس من عنائها اتجاه التزامها القومي نحو الوطن الام والقضية . سميح الرجل المتفاعل مع الصراع المرير خير من يمثل صراع الشعب العربي الفلسطيني بثورته على اللغة والتاريخ في استدراجهما لخدمة لغته الشعرية التصويرية . ولقد جاء في السربية الجديدة ثالث اكسيد الكربون وتحت عنوان : سيرة بريطاقور ما يلي (٣) :

" في البدء سيخرج الاطفال وقد عبأوا جيوبهم بالحلوى . سيتسللون الى معسكر الدبابات والمجنزرات . سيدسون قطع الحلوى في صهاريج الوقود . سيكتشفهم الجنود وسيفتحون عليهم نيران رشاشاتهم . سيسقط الاطفال بصرخات مكتومة ساخرة . ستتحلل أجسادهم الصغيرة في رمال الصحراء ، ستنضج السنابل ، ستتلألأ كواكب التفاح والكواكب . ستتفتح المدن الصناعية والمزارع الجماعية . سيولد الاطفال وأطفالهم . أما انت يا بريطاقور فلن تغفر لك . بريطاقور أيها الدنيا صور القاتل لن تغفر لك . ودمنا لن يجف ، فرح دهورك تزلزله لحظة من حزننا ، وما أشد شماتتنا بك يا بريطاقور . ايها الدنيا صور القارب مع امبراطوريتك الغاربة ، شمسنا تشرق كل يوم ، يا برطاقور المجوف . لن تقوى على النظر الى شمسنا لان دمنا هو القطرة الاولى التي يتهمها نهر الاسى والدم والضوء" .

كانت هناك طفولة أخرى وانجذابات أخر . كان السيف العربي مستلقياً بين البحر والصحراء عاقدا راحتيه تحت رأسه . كان مكشوفا تماما للصواعق والشموس والدوامات الرملية . أما الصدأ فظل مستحيلا . ذلك ان المحارب القتيل لم يجد من يسبل له جفنيه . ظنته الوحوش والصدأ والهوام يقظا فتململت وتحلقت حوله وجأرت وصاءت مشحونة بالهلع . غب الليالي الحالكة الطويلة جرؤت الضوارى

---

(١) المحرر: اشارة : مجلة الجديد : العدد ٦ ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٣٤ .

(٢) راجع مجلة الجديد : الاعداد : ١ ، ٢ ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٦—٧ ، والعدد ٣ ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٦—٩ ، والعدد ٦ ، سنة ١٩٧٥ ، ص ٢٨ — ٣٤ .

(٣) سميح القاسم : سيرة بريطاقور مقطع من سربية الشاعر الجديدة بعنوان ثالث اكسيد الكربون . مجلة الجديد ، العددان : ١ ، ٢ سنة ١٩٧٥ ، ص ٦—٧ .

والجوارح على اقتحام الفارس المسجى . نالت الحشرات والهوام والعوادي نتفا من اطرافه الميتة ، تفجرت ومضات من الدم الكامن ، ارتعدت الدواب المفترسات فرقا تقهقرت إلى مرابضها . كان الدم متربصا في طبقات الوعي الدنيا متطلعا في أغوار الصحراء . وكما تدفق الدم من أبراج البترول الفارعة في الهجير كالنخيل والمآذن ، تدفق من فوهات البنادق . وكنت انت هناك يا بريطاقور ، يا دنيا صور الزمن اللعين .

عذارى يافا وعكا يبتردن في زبد البحر الابيض المتوسط وامواجه القريبة . تتنفض السمكات بين اقدامهن المتنفضة ، تتمسح الطحالب والاصداف بالاظافر الناصعة الصغيرة . وفي دغل القصب القريب ، يزفر العاشق الابدي أحلامه المشتعلة ، عبر ثقوب شبابته البيسانية . ترتعش البيارات وكروم الزيتون بحمى الشهوة الفتية . أيها النسيم المشبع ببهار الصحراء الحاد ، تريث قليلا ايها النسيم . اترك للعاشق اسراره وللوردة نحلتها . واحمل للعالم صرخات العذارى اليافويات والعكيات . انهن يصرخن رعبا مما ترى أعينهن الوسيمات . من اعماق البحر جلجل هزيم عظيم . تصدعت الامواج فجأة عن أنياب سوداء هائلة ، كل ناب في حجم ثلاث مآذن . لم يكن بلال شامخا هناك ، ولم يكن الله اكبر . كان هناك غزاة مدججون بالسلاح ، والفوهات مسددة الى أفواه العذارى وعيونهن الوسيمات الشاملات خليج العقبة ورأس الناقورة . التوارس الذليلة تستمطي جميع السفن في البحار جميعا .

أما عذارى يافا وعكا ، فاتنات الساحل والفاتنات الجليليات ، فقد زغردن رعبا وانتخاءا . وزغرد رصاص الاعداء ممزقا الأفواه الجميلة المشرفة ، لثوها ، على القبل والابتسامات . وكنت انت هناك يا بريطاقور القاتل ، كنت هـ هناك بالسلندر والخوذة الحربية . كنت هناك بالحقائب الدبلوماسية وأطقم الاسنان الاصطناعية اللامعة . انت هناك بخرائط المنشآت العسكرية والهجوم والانسحاب والهجوم ومصافي البترول . كنت هناك بالطرادات المثقلة بالذخائر وامراض الجنس والويسكي .

انت هناك يا بريطاقور ، وكانت الأغنية :

" سجّل ياقرن العشرين عمّارك فلسطين
علي جرى وعلي صار بين العسكر والثوار
طلعت كلاب الاثر من عكا قبل العصر

علـى بـركا والمكسـر والرامة وشعب ولعقـار
وزنود الشباب السمـر بنادق ، وعيونن حمـر
والمبارق بيض وخضـر وسود وحمر ونور ونـار
وسجل يا قرن العشرين عمـارك فلسطيـن
علي جرى وعلي صـار بين العسكر والثـوار

وكنت انت هناك يا بريطاقور . كنت هناك بكلابك ومصفحاتك .

واليك مقطعا آخر من سيرة بريطاقـور (١) :

كان بريطاقور فتى جميلا يصطاد الاسماك
على سواحل جزيرة شمالية يغطيها الثلج والضباب
كاللبنة الناصعة على رغيف ساخن
ذات يوم اصطاد بريطاقور سمكة ميكانيكية جميلة
قالت السمكة الميكانيكية : احتفظ بي جيدا أجعلك موسرا !
وغابت الشمس على بريطاقور دون ان يعود إلى كوخ والديه
وخشي السير في الليل المزدحم بالحيتان الميكانيكية والشباح الموتى
فآثر النوم في كهف صخري صغير ، على شاطىء المحيط
وبينما كان نائماً أبصرت به ربة الظلام والكوابيس
ففتنت بجماله وفتوته النابضة كبركان
واستنجدت بكل الالهة لتجعل بريطاقور من اتباعها وازواجها
وسيطرت ربة الظلام والكوابيس على بريطاقور ونفخت في اذنيه وهو نائم
فامسخ واحتقنت روحه بالاحلام الشريرة وشهوة البطش
وحين أفاق من نومه كان قد اخصب بالربة القاتلة
وأولدها " بنيون " الرهيب ،
" بنيون " ، نسيل بريطاقور ورفيق رحلته إلى بلادنا ..
ولم يحلم " بنيون " الا بان يشاطر والده مملكته الرهيبة
حتى يشتد ساعده فيقوى على أبيه وينفرد بصولجاني الدامي ،
المصنوع من هيكل عظمي لأفعى هندية ماردة
شعوب كثيرة سحقها بريطاقـور

---

(١) سميح القاسم : ثالث اكسيد الكربون . مقطع آخر من سيرة بريطاقور . مجلة الجديد . العدد ٣ سنة ١٩٧٥ ، ص ٦٠

وفي حضارة الحضيض ، شل بنبيذ شرايينها
وظلت شهوته عارمة عاتية
ظلت شهوته مكتظة بأفاعي الخماسين والمستنقعات الراكدة السامة
اما " نبيون " فقد اشتهى أن يرث اباه
في كل الشعوب ، وفي شعب آخر ..

وما جاء في سيرة " نبيون " المقطع الثاني من سرية " ثالث اكسيد الكربون " مايلي: (1)

ايه يا " هاجر " انتظرى طائر الرعد والأخوة الباسلين
ايه ، وانتظرى طفلة تتقن الموت والبعث ،
عنقاء من دير ياسين ، من عين جالوت ، من ميسلون !
طالما انتظرن . طالما سئمت الانتظار
وقبيل النهار
اسرجت خصرها للفتى " اسمعيل "
ومضت في الطريق الطويل
انها في الطريق الى بيتها
في الطريق .. وما من دليل
غير دم القتيل !
صاح " نبيون " من مهده العسكرى :
— لن تعـود !
— " هاجر " احترقت .. مرة .. مرتين !
— ولغمنا الحدود ! .
صاح " بنيون " من مهده : " لن تعود ! "
واستمد الجنود ..
.. جولة ثانية
.. جولة ثالثة
كان لا بد من جولة رابعة
كان لا بد ،
لم تنكص الريح عن طلع زيتونة الذاكره
فلتحوم اذن ولتدوم نسور الدم الكافره ..
هاهيا " هاجر " هاهيا
سئمت غوث جبريل والعافيا
هـاهيـا
انها في الطريق الى بيتها ..
وعلى تلة من تهامـه
أبصرت موكب العائدين

---

(1) مجلة الجديد : العدد ٦، سنة ١٩٧٥، ص ٣١ — ٣٣ .

طائرات التجسس يوتو ـ الحمامه
وعلى تلة من زجاج حزين
عقدوا الجلسة الطارئة
بح " نميون " : " فلتصلبوها ! اصلبوا " هاجر " الخاطئة ! "
فيران الرياح جرت مثلما تشتهي سفن الشمس والمبصرين
وانقضت شزية الغاصبين ..
كان ثلث الوقود أكفًا تلاطم مخرز أعدائها
كان ثلث الوقود وجوها ترمِّم بالنار والطور اطلال سيمائها
كان ثلث الوقود رجال المطافئ ..
والفتى " اسمعيل "
يبذر النار والنور في عتمة المستحيل
ويصول بسيف العذاب القديم على كلّ شانى
منشدًا لرفات القتيل :

بين انفجار وآخر
يرف صوتي عليك
ويوم ترجع " هاجر "
امـي ـ اعود اليك
وبين ليـل وليل
وقت قصـير لغفوه
لا مستريح بظلي
على هشائش رهوه
ويوم ترجع " هاجـر "
أمـي ـ أعود اليك !

أعمـالــه النثريـــة

المغتصبة نبية مسرحية لسميح القاسم في خمس حالات

المغتصبة : مسرحية في خمس حالات تصور فلسطين الشابة الاخت والام والبنت التي وقعت في قبضة رجل عنيد اسرائيل يتشبث بكل المفاهيم المغلوطة في سبيل الامساك عليها ، ويسخر من كل مايمت لها بصلة ، وكأنه لم يعد يرى أحدا يقف أمامه لينقذها من ذل أسرها . ولكنها تحذرهم بقولها : "إنّ ريحاً عاتية ستهب عليكم من جحيم عذابي وستقتلعكم من جذوركم النتنه" (١) ولكن فلسطين الشابة تستصرخ أهلها ليغسلوا عارها لأنها لم تعد لها القدرة على الترقب الملتهب .

وفي الحالة الثالثة : يصور سميح القاسم أخوي الشابة (القوى والضعيف) ويذكرلنا الشاعران شقيقي الشابة القوى والضعيف لم يستطيعا حمايتها من ان يدنس الاوغاد جسدها رغم قوة القوى وضعف الضعيف ، وكأنه يرمز بذلك للعالم العربي فيما يسمى تقدميون ورجعيون . فالضعيف هو : الانظمة العربية التي انهارت امام الجماهير . فالكل لم يعرف حدود مسؤولياته . الكل يريد العمل ولكن لم يهتد الى الطريق السليم إذ يقول سميح على لسان القوى : "لا يا أيها الاخ الحقير ، ليست هي السبب ، انه كامن فينا جميعا ، لم تكن هي حرة بالقدر الكافي ، ولا كنت أنا قويا بالقدر الضروري ، ولا كنت أنت ضعيفا الى الحد المأمول . من هنا نفذ الاوغاد ، ولا بد من سد هذه المنافذ (الثغرات في العالم العربي وتباين الوجهات السياسية) جميعا في وجوههم القاسية . بالعدل والقسطاس سيسدّد كل دينه" (٢) .

---

(١) سميح القاسم : المغتصبة (نبية مسرحية) مجلة الجديد . العدد ٤ سنة ١٩٧٥ ص ٩ . (٢) م ٠ ن ؛ ص ١١ .

ملحوظة: يقوم سميح القاسم الآن باعداد كتابه الجديد (ابني مسرحية) الـذي سيصدر عن منشورات عربسك . ويضم الكتاب المسرحيات التالية : —

١ — هكذا استولى هنرى على المطعم الذي كان يديره رضوان وشلومو وحوله الى دكان لتجارة المعلبات . ٢ — الموءسسة الوطنية للجنون م . ض

٣ — كيف رد الرابي مندل على تلاميذه ٤ — الابن .

٥ — المغتصبة ٦ — موسم زيتون وهي تحت الأعداد .

وفي الحالة الرابعة : يصور الشاعر الواقع على أرض الطبيعة والكل أصبح وجها لوجه قليلهم ثقيل ، ونهارهم كذلك وتطلب الغولة من القوى ان يطلق النار عليها ، لانها لن تتزحزح الا بالدم . وبالفعل شقت الاجيال طريقها عبر أنظمتها المتهالكة المتداعيه بالطلقة الاولى ، طلقة الحرية والحياة الفضلى .

وفي الحالة الخامسة : يصور الشاعر فرحة الشابة فلسطين بأخيها القويّ الذى فجر الثورة ضد مدنسي كرامتها .

وإليك الحالة الأولى من المسرحية (١)

(يكون المسرح معتما تماما طيلة الحالة الاولى . دوى انفجارات متقطع يتداخل مع انشودة " فلسطين " لمحمد عبد الوهاب ، تتوقف الانفجارات والاغنية ويعلن مكبر صوت دقيقة صمت حدادا على أرواح الضحايا . بانتهاء الدقيقة تنطلق من قلب الظلام صرخة نسائية مروعة تطلقها شابة تعاني من رعب شديد) .

صوت الشابة : (صارخًا) لا . . ! . . !

صوت رجل : اصرخي كما تشائين فلن ينقذك الصراخ . لقد دفعنا ثمنك أيتها الجارية !

صوت الشابة : الرحمة !

صوت رجل : أية رحمة تطلبين أيتها النعجة الجاهلة ؟ لقد باعك رعاتك ، وأنت اليوم في قبضتنا . نعلفك وندللك متى شئنا ، ونقدمك قربانا على مذبح الهتنا حين تدق الساعة .

صوت الشابة : (ضارعة) أريد أهلي . أريد أمي وابي وأخوتي .

صوت رجل : نحن أهلك اليوم . أمك ماتت إلى الأبد ، وأبوك شيخ هالك في الفجر ، واخوتك سترين كيف يلقاك أخوتك حين يكشفون جسدك هذا الذي نلهو به الآن .

صوت الشابة : الهي . أين أنت ؟ لماذا تخليت عني ؟

صوت رجل : بل اطلبي الهنا نحن . لم يعد لك اله سواه . الهك الذي تطلبين تخلى عنك الى الابد . وانك لوحيدة الآن . وانك لمعزولة وضعيفة . هذا مصيرك أيتها الجاهلة فاقنعي واستريحي !

صوت الشابة : (متحديا) لا أيها الجبناء . هذه مأساتي لكنها ليست مصيرى . أيها الوحوش لن يكون هذا مصيرى . ان ريحا عاتية ستهبُّ عليكم

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٨ — ٩ .

من جحيم عذابي وستقتلعكم من جذوركم النتنة .

صوت رجل : يالك من عنيدة حمقاء . ومهما يكن من أمر فلن نتركك تلتهمين وقتنا الثمين . تكفيك دقائق من البرسيم الجيد ، وهانحن منصرفون الى شؤوننا . ان امامنا عملا كثيرا ، ومن حولنا اعداء كثيرون . طابت اقامتك في قفصنا هذا الذهبي ؟

صوت الشابة : (مكررة صرختها الاولى من قلب العتمة) لا . . أ . . أ . . أ . . أ . .

وبهذا القدر تنتهي الحالة الاولى وينتقل بعدها الى حالة ثانية .

كيف رد الرابي مندل على تلاميذه

مسرحية في ست حالات ساختار جزء من الحالة السادسة " والنقاش بين رضوان وشلومو " (١) :

شلومو : متى تعلمت ذلك يا ابن الكلب ؟!

رضوان : أنت علمتني ذلك يا ابن الكلب !

شلومو : أنا علمتك ؟ حسنا ها انت تعترف بأنني جلبت اليك الثقافة والمعرفة ، وأنا أعرف الكثير من تراثكم . أعرف مثلا انكم قلتم ذات يوم " من علّمني حرفا أصبحت له عبدا " فلماذا لا تحافظ على تراثك القومي ولا تعمل على ضوء تعاليمه ؟

رضوان : بماذا تشير علي ؟

شلومو : اعترفت قبل قليل بانني علمتك . لذا ينبغي أن تصبح عبدًا لي !

رضوان : إنك تفسّر تراثي القومي تفسيرًا رائعا . انك مستعرب عظيم كما يبدو . ثم انني اعترف بانك علمتني أشياء أخرى كثيرة .

شلومو : مثلا ؟

رضوان : (ساخرا) . . صباح الخير أيها العربي . لا أيها العربي ، أعتقد ان هذا القميص لا يناسبك كثيرا . لطيف جدا ان تتكلم العبرية أيها العربي . هذا الفيلم سيء جدًا فلا تشاهده أيها العربي . أيها العربي ، هل قرأت أحد مؤلفات سولجنتسين ؟ أيها العربي من هنا الطريق الى محطة الباصات ايها العربي . أحبك . أيها العربي ، اكرهك أيها العربي ، دخن أيها العربي . أرني هويتك ايها العربي .

---

(١) سميح القاسم : كيف رد الرابي مندل على تلاميذه (مسرحية) مجلة الجديد : العدد ٣ ، سنة ١٩٧٣ ص ٢٦ .

الاسم : عربي . القومية : أقليه ! . . قلت لك ياعزيزي انك علمتني أشياء اخرى كثيرة !

شلومو : أنت أيضا علمتني أشياء كثيرة : " عليهم ! اذ بحوا اليهود ! اذ بحوا أولاد الميته " ! ثم في البحر حنحد فهكم في البحر . في البحرحنحد فكم" .

رضوان : البادي في الشر أظلم .

شلومو : شر أو لا شر . أنا أحبُّ زوجتي ولن أسمح لاحد بأن يسببها . حتى لو كنت جبانا فسأدافع عنها حتى الموت . وأنا لا أجيد السباحة ، لذلك أرفض أن يحدفوني في البحر !

رضوان : أنت تطمع في كلّ ما أملك . وتصادر حريتي في وطني . أصبحت عاملا زراعيا أجيرًا في الارض التي ورثتها عن آباء آبائي . وجهي صار خطيئتي ، ودمي صار لغتي . واذا صرخت من الألم فأنا لا سامي . أنا أعيش في حقل الغام من القوانين والاجراءات العنصرية . يريدونني أن أتلاشى في صمت . . وهنا يكمن المي الفظيع .

شلومو : حين كنت طفلا ضربوني في يافا . وحين كبرت قليلاً قتلوا أبي . وحين أردت ان أنظم حياتي وأنسّق حديقتي طلعت أنت أيها الكابوس . ليتك سحابة ضئيلة تبددها الرياح .

رضوان : مدينة كبيرة خلت من سكانها . مدينة بكل عماراتها وشوارعها المعبدة ، ومدارسها وجوامعها وكنائسها . . بكلّ متاجرها وبيوتها العامرة . . بكلّ مطابخها وحدائقها ومقاهيها . مدينة كاملة توقفت فيها الحياة فجأة . أصبحت أشبه بمدينة أسطورية . تسكنها الاشباح وتدوم على أرصفتها مزق الجرائد في ريح البحر المالحة . . أسرة كاملة مع ضيوفها تركوا قهوتهم ساخنة وهربوا . . لم يبق من القرية سوى مئذنتها وبرج كنيستها . . كلها زالت من الوجود . . ثم . . ثم . . توتو توغوهمربهم يموتو . . عربوش . . احصدوهم . . احصدوهم . . .

" همـوم "(١)

وقفـة رمضانية مع القـدس :

لست واقفا فيك اليوم ، انني أقف معك . هانحن معا وجها لوجه ، اما البراق

---

(١) سميح القاسم : هموم ، صحيفة الاتحاد ، العدد ٣١/٣٩ ، تاريخ ٢٧/٩/١٩٧٤ ، ص٤ ، عمـ ٧ ، ٨

فانه يمسح عنقه الجميل بفولاذ مدفع الافطار ، بينما يكب سيخنا رمضان الجليل على سبحته الصابرة .

وجها لوجه ، ولا أقول " سلاما يا أماه ا " باشارة من يديك الرحيمة أفهم كل شيء ، واكتشف الصمت المحتقن بكلّ الانفجارات . بيد انني لا أقول : " سلاما يا أماه ! " لأنّ فمي غارق بالدموع . لست مدينة ، ولست واقفا فيك اليوم . ما أنت المآذن والجرسيات والقباب . ما انت هذه الأسوار والبوابات والدكاكين ، ما انت هؤلاء السياح المتعجرفين ولا هؤلاء الجنود الغرباء المتبحترين على ظهرك ببنادقهم المتحفزة كقطيع من القطط البرية المتوحشه اسمك القدس لاغير . أسماؤك السابقة قمصان بالية ، أما القدس فانت ، وانني لاذكر. أذكر لقائي الاول بك . كنا مختنقين نتنفس دمًا ودموعا وحقدا مابعده حقد . أذكر يدي التي دفعتها عبر زحام المهزومين والفاتحين لتلمس اطراف ثوبك الاسود ولتتبارك بما سمين ملاءتـــك الملطخة بالسناج وزيوت الدبابات . اسمك القدس ولا غير . وقد سجل طفلك القاسي في دفتر غضبه . . سجل تفاصيل الطعنة كلها . وسجل وجوه الغزاة واحصـــى أيديهم ، وخبأ كل ذلك في فوهة مدفع رمضان الجاثم حيث البراق والانتظار الواعي . يكتب المؤرخون ، أن الغزاة دخلوك بحرا فاتهم ليغيروا معالمك . اما أنـــا فاكتب كانت جميلة تحبُّ أبناءها : وجاءها محترفو الاغتصاب لقتل روحها وسبي جسدها . اطلقوا النار على أبنائها ، وشوهوا وجهها الجميل بالسكاكين وشفرات الحلاقـــة ، ثم جزوا شعرها وباعوه للسياح .

رمضان كريم . لكنك مازلت في الاسر ، وهاهم يداهمونك بزيناتهم الوضيعة ليعلقوها على صدرك النازف العاري . يالها من مصيبه ساحره ويالي من قـاس يحمل كل هذا القدر من القسوة . انهم يشهرون بنادقهم في وجهك ويكبّلون يديك وصدرك باسلاكهم الكهربائيه لتزيين عذابك ، وعلى تاجك الجمهوري ، على أبـــراج أسوارك العربية يعلكون أصابع " التشيكليتس " وأصابعهم متوترة على الزناد . . اما اسمك فالقدس . القدس لاغير ، اليوم وغدًا والى دهر الداهرين آمين .

كتب سميح مقالا حول الداعية الجديدة سناء حسن المصرية التي حضرت لاسرائيل ، واخذت تطلق التصريحات جزافًا للصحف العبرية حول السلام ورفضها للارهاب فكتب سميح القاسم مقالا تحت عنوان : لا سناء ولا حسن (١) ومما جاء فيه مايلــي :

---

(٢) سميح القاسم : لاسناء ولا حسن . صحيفة الاتحاد . العدد ٣٥/٣١ ، تاريخ ١٣ ايلول ١٩٧٤ ، ص ٤ ، ع ١ ، ٢

حين يسبب الولد العاق هما وغما لآله وذويه ، تسمعهم يولولون :
" نقمتنا منا وفينا " وحين يذكرون لنا اليوم الاسم العربي الجميل " سناء حسن" فاننا نزعق : " نقمتنا منا وفينا " . قبل أسابيع قذفتنا صحف اسرائيل بقنبلة جديدة اسمها سناء حسن ، وراحت هذه الصحف تنشر المقابلات والتقارير المثيرة عن الصحفية العربية المصرية ، وزوجة الدبلوماسي الشهير تحسين بشير الحقيقة دهشنا وغدا بنا الغموض المحيط بهذه السيدة الزائرة ، وأكثر من ذلك فقد شعرنا بشيء من الإهانة . . قبل سنوات لمع في اسرائيل اسم داعيه سلام آخر كان اسمه عبد القادر الجزائري ، في حينه فضحنا ذلك المخلوق شر فضيحة ، ووضعناه عاريا أمام جمهورنا . واليوم لم يبق منه سوى ذكراه السيئة . . واليوم نعلن أن ما سيبقى من سناء حسن بعد أن يعتصروها كالليمونة لن يكون سناء ولن يكون حسناً أبدا " .

مصيدة الموت (١)

في هذه الأيام المحتقنة من تاريخ العرب يصبح القلق عنصرا أساسيًا من عناصر حياتنا . الطمأنينة تعني الاستسلام للموت . وما ينبغي أن يثير قلقنا ليس الاحتلال الخارجي . . الاحتلال العسكري ، فلا شك لدينا أبدًا في أنه احتلال زائل ، اليوم ، غدا أو في الجيل الثالث والرابع .

مصدر القلق الحقيقي هو ذلك الاحتلال الداخلي ، الاحتلال المعنوي النفسي الذي ما زال يواصل هجومه في أدغال النفس العربية . المحتلون الصهيونيون يشنون حرب إذلال مستمرة تستهدف ما هو أشد وأخطر من مطارات مصر وخنادق سوريه ، تستهدف الضمير العربي والروح العربية . على سبيل المثال : تتبجح أبواق الدعاية والاحتلال بأن اسرائيل تؤمن العمل للايدى العربية من المناطق المحتلة في عدوان ١٩٦٧ ، ولكن اى عمل هو هذا ، وفي أية شروط وبأيّة شروط؟ . . وكيف يمكن أن يكون شعورك وأنت ترى أبناء شعبك يعمّرون مشاريع المحتلين ومنازل القادمين الجدد على الارض المحتلة ؟ . كيف يمكن أن يكون شعورك وأنت ترى تلفزيون اسرائيل يعرض عليك الايدي العاملة العربية وهي تكدُّ وتكدحُ في زراعة الأرض المنهوبة وشق الطرق في أعماق جرحك النازف ؟

— كم يدفعون لك أيها الشاب ؟

---

(١) سميح القاسم : ليكن واضحا . مجلة الجديد . العددان ؛ ٨ ، ٩ سنة ١٩٧٣ ، ص ٧٢ — ٨ .

— ١٢ ليرة كل يوم .

— وماذا تفعل بها ؟

المذيع الصهيوني يستكثر على الفتى العربي هذه ال ١٢ ليرة التي ينهبونها وينهبون الملايين مثلها من لحمه وشرفه وعرق جبينه ..

في ١٦-٨-١٩٧٢ نشرت جريدة " دافار " تعليقا صغيرا يتضح منه أن بعض العمال العرب من المناطق — (في اسرائيل يكتفون بكلمة مناطق بعد النقاش الشديد حول ما إذا كانت محتلة أو محررة أو مدارة) — بعض هؤلاء العمال قتلوا حرقا في مطاعم تل أبيب والقدس ، لانّ اصحاب العمل أجبروهم على النوم في المطابخ أو في ممرات مطاعمهم واقفلوا عليهم الأبواب من الخارج لأنّهم لا يأتمنون هؤلاء العمّال .. وكانت النتيجة أن شبت حرائق أودت بحياة هؤلاء العمال . لا تهما هوية أصحاب العمل القومية ، المهم أن مثل هذه المآسي المذلة والمهينة ظواهر طبيعية مرافقة للاحتلال . وإذا كنا نحزن أو نخجل فلا بدّ من التصدى لهذا الاحتلال ومقاومته .. لابد من التحرك بكل القلق للخروج من مصيدة الموت.

وبهذا القدر نكون قد انهينا رحلتنا مع أعمال الشاعر الفنية الشعرية والنثرية ، ولعلّ في بعض ما استشهدت من أعمال القاسم الفنية أكبر دليل على أفكاره ومعانيه ، ووحدته الفنية المتكاملة بعيدة عن التجزئة ، بل صورة متكاملة كأنها لوحة فنية كفرتها يد فنان بارع متمرس في انتزاع الصور الخيالية ، ليحيلها إلى حقيقة أو شبه حقيقة ، هكذا ، سميح القاسم اليساري المرتبط بتراث أجداده . والتي تشده إليها بعنف وقوة ما مكّنه الثبات وعدم المغالاة للتنكر لمبادئه ومبادىء أجداده المسلمين ، فبقي صرخة حق في وجه سلطان جائر يقضّ عليه مضجعه ، ويزيد همومه ويكشفُ مخططاته الخبيثة لابتلاع الارض كل الأرض العربية من المحيط إلى الخليج .

•—•—•—•—•—•—

فهـــرس المراجـــــع

اقتصرت مراجع البحث على المراجع الاتية :

١ ـ المراجع العامة والمصادر التاريخيه .

٢ ـ الدوريات ✱ وتشمل الجرائد التي بحثت عن الشاعر، والاوضاع التي عاش جوها، مثل : الانباء، والشعب، والقدس، والفجر، والاتحاد، الغدير، والمجلات التي بحثت عنه، وعن الدارسين، والمتخصصين، والباحثين في ادب الشاعـــر سميح. مثل : الجديد، والآداب، والافق الجديد، والبرنامج العربـي، وزهرة الشبـاب، والعربي، بجانب بعض الجرائد الاسرائيلية المترجمة ـ

٣ ✱ دواوين الشاعر وكتبه النثرية .

٤ ـ لقاءاتي الشخصية به، في بيته بشارع عباس، في مدينة حيفا، وفي مكتبه بجريدة الاتحاد، ومجلة الجديد بشارع الحريري، في مدينة حيفا كذلك، والتي بلغـت احد عشر لقاء . وعلى رأس هذه المراجع القرآن الكريم في استخراج آيـات كريمة منه، جاءت في سياق البحث .

هذا : وسأقدم لكل دورية من دوريات البحث بتعريف مقتضب يعطي صورة عامة عنهـا . وهذه هي المراجع كما وردت في [خطة] البحث .

١ ـ المراجع العامة والمصـادر التاريخية

١ ـ ابو اسماعيل، سليم : الدروز وجودهم ومذهبهم . بيروت : ط ١

٢ ـ البخاري، محمد بن اسماعيل : صحيح البخاري، ج٢ . المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق، القاهرة . ١٣١٤ هـ

٣ ـ ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين : التاريخ الكبير، المجلد الاول . دمشق . مطبعة روضة الشام، ١٣٢٩ هـ .

٤ ـ البرغوثي، عمر صالح ورفيقه : تاريخ فلسطين، القدس : ١٩٢٣م .

٥ ـ الحنبلي، مجير الدين : الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل . نابلس: النسخة الخطية في مكتبة المدرسة الاسلامية الثانوية التابعة لجمعيـة التضامن الخيرية الاسلامية بنابلس .

٦ ـ الخطيب، يوسف : ديوان الوطن المحتل . دمشق : المطبعة التعاونية، ١٩٦٨م . ط١ .

٧ ــ الدباغ ، مصطفى مراد : بلادنا فلسطين ، ج١ ، القسم الاول . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٥ م . ط١
٨ ــ دكروب، محمد : الموقف والفن ــ بيروت : دار العودة ، ١٩٧٠
٩ ــ الزعبي ، محمد علي : الدروز : ظاهرهم وباطنهم . بيروت : مكتبة العرفان . السنة م * .
١٠ ــ السعيد ، امين : الدولة العربية . ج٣ . مكان الطباعة وزمانها مجهولان .
١١ ــ سلطة السياحة الاردنية : الاردن حقائق ومعلومات . عمان : ١٩٦٢ م .
١٢ ــ السوافيري : كامل صالح محمود : الشعر العربي في مأساة فلسطين . القاهرة : مطبعة نهضة مصر ، ١٩٦٤ م .
١٣ ــ الشقيري احمد اسعد : قضايا عربية (نقلها الى العربية خيري حماد) : بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر ، السنة م .
١٤ ــ د . الشكعة ، مصطفى : اسلام بلا مذاهب ، بيروت : دار النهضة العربيــــة للطباعة والنشر ، ط٣ ، سنة ١٩٧١ .
١٥ ــ شوقي ، احمد : الشوقيات ج٢ . بيروت : دار الكتاب العربي . مجهول السنة .
١٦ ــ الصباغ ، سعيد : الاطلس العام . ميلانو ايطاليا : اوفست دي اوغسطيني ، ١٩٦٠ م
١٧ ــ طليع ، امين محمد : اصل الموحدين الدروز عكا : دار الجليل للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ م .
١٨ ــ عاشور ، سعيد عبد الفتاح : دراسات في الحياة الاجتماعية في مصر . القاهرة : مكتبة النهضة بمصر ، ١٩٥٩ .
١٩ ــ فهمي : مصطفى ورفاقه : مبادئ علم الاجتماع . القاهرة ، النهضة المصرية ، ط١ ، سنة ١٩٥٤ م .
٢٠ ــ القاسم ، سميح : من فمك ادينك ، عكا : منشورات عربسكك ، مطبعــــة الناصرة ، ١٩٧٤ م .
٢١ ــ القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد واخبار العباد . دار صادر ـ دار بيروت : ١٩٦٠ .
٢٢ ــ القلقشندي ، الشيخ ابي العباس احمد : صبح الاعشى . الجزء الرابع . مطبعة دار الكتب الخديوية . القاهرة : ١٩١٤ .
٢٣ ــ اللجنة الملكية لفلسطين : تقرير فلسطين . القدس ، مجهول الزمان لطباعته .
٢٤ ــ المتنبي ، احمد بن الحسين : ديوان المتنبي ، بيروت : دار احياء التراث العربي ، ١٩٦٩ . راجعه نخبة من الاساتذة .

٢٥ـ سرمرجي ، الاب أ . س . الدومنيكي : بلدانية فلسطين العربية . مطبعة جان دارك . بيروت ١٩٤٨ .
٢٦ـ د . مكارم ، سامي : اضواء على مسلك التوحيد " الدرزية " . بيروت : دار صادر . السنة م .
٢٧ـ الموسوعة العربية الميسرة : الطبعة الاولى ١٩٦٥ ، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، في مجلد واحد تحت اشراف لجنة من العلماء والباحثين العرب برياسة محمد شفيق غربال .
٢٨ـ د . النجار ، حسين فوزى : مع الاحداث في الشرق الاوسط ١٩٤٦ — ١٩٥٦ . القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٥٨ م .
٢٩ـ النقاش ، رجاء : ادباء معاصرون . القاهرة . الانجلو المصرية ١٩٦٨ م .
٣٠ـ د . هاشم ، احمد نجيب ورفيقه : التاريخ الحديث والمعاصر . القاهرة : دار المعارف بمصر ، السنه م .
٣١ـ د . ياغي ، عبد الرحمن : (آ) دراسات في شعر الارض المحتلة . القاهرة : مطبعة الجبلاوى ، ١٩٦٩ م .
٣٢ـ د . ياغي ، عبد الرحمن : (ب) حياة الادب الفلسطيني الحديث . بيروت : المكتب التجارى للطباعة والتوزيع ، ١٩٦٨ م .
٣٣ـ د . ياغي هاشم : حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين . القاهرة : جامعة الدول العربية / قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية ، ١٩٧٣ م .
٣٤ـ ياقوت ، حموى : معجم البلدان ١ـ٥ دار بيروت ـ دار صادر بيروت ١٩٥٥ — ١٩٥٧ .

٢ ـ الدواوين الشعرية

هي دواوين شعر سميح القاسم نفسه وهي :

١ ـ ارم : حيفا ، مطبعة الاتحاد التعاونية ، سنة ١٩٦٥
٢ ـ اسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل : واوفست الحكيم ، الناصرة ، ١٩٧٠ م
٣ ـ اغاني الدروب : الحكيم ، الناصرة ١٩٦٤ م .
٤ ـ الهي الهي لماذا قتلتني ؟ سربية : مطبعة الاتحاد التعاونية ، حيفا ، سنة ١٩٧٤ م .
٥ ـ دخان البراكين : منشورات مكتبة المحتسب ، القدس ، ١٩٧٤ .
٦ ـ دمي على كفي : منشورات مكتبة المحتسب ، القدس ، ١٩٧٣ .
٧ ـ قرآن الموت والياسمين : مكتبة المحتسب ، القدس ، ١٩٧١

٨ ــ قرقاش : مسرحية شعرية : دار الاتحاد التعاونية ، حيفا ، ١٩٧٠م
٩ ــ مراثي سميح القاسم : دار الاداب ، بيروت ، ١٩٧٣ م
١٠ــ مواكب الشمس : واوفست الحكيم ، الناصرة ١٩٥٨م
١١ــ الموت الكبير : منشورات الكتاب الجديد ، ط٢ ، حيفا ، ١٩٧٣م
١٢ــ ويكون ان يأتي طائر الرعد : دار الجليل للطباعة والنشر ، عكا : ١٩٦٩م .

٣ ــ الـدوريـات

وتشمل الصحف والمجلات التي صدرت ولا تزال تصدر في الارض المحتلة ، والتي اهتمت بالكتابة عن الادب العربي الفلسطيني على الارض الفلسطينية المحتلة ، وتناولت سميح القاسم بعين الاعتبار والاهتمام .

أ ــ الجرائـد

١ ــ جريدة الاتحاد

١ ــ ابو سلمى : رسالة الى رجاء نقاش ، نقلتها عن الهلال بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٩
ص ٤ ، عم : ٧ ، ٨
٢ ــ عصام محفوظ : مراثي سميح القاسم ، مرثي ــ يارب الجند لاعطيك .
١٩٧٣/٨/١٧ ، ص ٤ ، عم : ١ ، ٢ ، ٣
٣ ــ كلمة الاتحاد : الهدامون . العدد ٣١/٣٥ : ١٩٧٤/٩/١٣ ، ص١ ،
عم : ١
٤ ــ الاتحاد : مقررات مؤتمر جرايسي والاوضاع العربية في اسرائيل : ١٩٧٤/٩/١٣
ص١ ، عم : ١
٥ ــ ابراهيم مالك : ازمة السلطات المحلية انعكاس لازمة البلاد الاقتصادية والسياسية . العدد : ٣١/٣٥ : ١٩٧٤/٩/١٣م . ص ٢ ،
عم : ٨ ، ٧ ، ص ٥ ، عم : ٢
٦ ــ سميح القاسم : هموم لا سناء ولا حسناء : العدد ٣١/٣٥ ، بتاريخ
١٩٧٤/٩/١٣ ، ص ٤ ، عم : ١ ، ٢
٧ ــ رؤساء سلطات محلية عربية يطالبون بالمساواة ويندون بسلب الاراضي :
العدد ٣١/٣٥ بتاريخ ١٩٧٤/٩/١٣ ، ص ٥ ، عم : ١
٨ ــ كلمة الاتحاد : السياسة الاسرائيلية في المحيط العربي . العدد ٣١/٣٥ :
١٩٧٤/٩/١٣ ، ص٦ ، عم : ٦

٩ ـ الاسدى : حديث عن بعض المشاريع في دير الاسد : العدد ٣١/٣٧ : ١٩٧٤/٩/٢٠م ، ص ٤ عم : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ .

١٠ـ جمال عامر : المحنة العربية وحواجز التفتيش : العدد : ٣١/٣٧ : ١٩٧٤/٩/٢٠ . ص ٥ ، عم : ٨

١١ـ سميح القاسم : همسوم وقفه رمضانية مع القدس . العدد: ٣١/٣٩ بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٧ . ص ٤ ، عم : ٧ ، ٨

١٢ـ ابن الفـريد يس : من رسائل القراء . العدد: ٣١/٣٩ : ١٩٧٤/٩/٢٧ ، ص ٥ ، عم : ٨

٢ ـ جريـدة الانبـاء

١ ـ شموئيل طوليدانو : الانجازات الكبيرة التي لحقت بالمحيط العربي العـدد/٨٦٤/١/٢١/١٩٧٢ م ، ص ١ ، عم : ٥

٢ ـ رسمي بيادسه : مقابلة مع مندوب الانباء، العدد ١٠٢٦ ، ١٩٧٢/٦/٢٣ ص ٣ ، عم: ١

٣ ـ زيدان عطشه : مقابلة مع مندوب الانباء : ١١٧٥ بتاريخ ١٩٧٢/٨/٢٥ ، ص ٣ ، عم : ٦

٤ ـ مستشار رئيس الوزراء : حديث مع الانباء ١٣٧٨ "م" ١٩٧٣/٥/٦م ، ص ٢ ، ٣

٥ ـ جدعون فايكرت : نظرة الى الامام في عيد الاستقلال : ١٣٧٨ "م" ١٩٧٣/٥/٦م ، ص ٣

٦ ـ موشيه دايان : الاستيطان في الضفة الغربية : ١٣٧٨"م م ١٩٧٣/٥/٦ ص ٣

٧ ـ شلومو زلخة : (حصيلة ٢٥ عاما) ١٣٧٨"م" ١٩٧٣/٥/٦ ، ص٥ .

٨ ـ سهيل جراح : النظام القضائي والمحاكم في اسرائيل ، ١٣٧٨ "م) ١٩٧٣/٥/٦ ص ٧

٩ ـ توفيق خوري : ندوة الانباء، ١٣٧٨ "م" بتاريخ ١٩٧٣/٥/٦ ، ص ١٢

١٠ـ ملحق الانباء كلمه : انجازات الهستدروت في المحيط العربي ١٣٧٨ "م" ١٩٧٣/٥/٦ م . ص ١٣

١١ـ اضواء وظلال في القرية العربية ، ١٦٧٠ ، ١٩٧٤/٤/٩ ، ص عم: ٦ ، ٧ ، ٨

١٢ـ تقرير لجنة جرايسي : الفراغ الذى تعيشه الشبيبة العربية ، م.ن . ص٥ ، عم : ٨

١٣ــ محمد ابو شلباية : حديث سياسي ، ١٧٦٠ ، ١٩٧٤/٧/٢٦ ، ص٣ ، عم : ٢

١٤ــ تصريح حاييم بارليف : ارتفاع اسعار السلع : العدد ١٧٦٠ ، ٧/٢٦/ ١٩٧٤ ، ص٨ ، عم : ٢ ، ٣

١٥ــ سيف الدين الزعبي : بيان في الكنيست حول الاوضاع العربية ، ١٧٦٦ ، ١٩٧٤/٨/٢م • ص٧ ، عم : ٤

١٦ــ جبر داهش معدى : مشاكل التعلم في الوسط العربي ، ١٧٧٨ ، ١٩٧٤/٨/١٦م • ص٢ ، عم : ٣ ،٤

١٧ــ حماد ابو ربيعة : اوضاع التعليم في المحيط العربي الاسرائيلي ، ١٧٧٨ ، ١٩٧٤/٨/١٦ ، ص٧ ، عم : ٤

١٨ــ سليم البصون : على مسرح الحياة ١٨٠٣ ، ١٥/ ١٩٧٤/٩م • ص٥ ، عم : ع ، ٤ ، ٥

٢٠ــ جبر داهش معدى : بيان في الكنيست عن العرب والدروز ، ١٨٦٣ ، ١٩٧٤/١١/٢٩م ، ص٢ ، عم : ٤ ، ٥ ، ٦

١٩ــ بيان من رجال في اسرائيل حول تاييد الاهالي لاسرائيل • ١٨٦٣ ، ص١ ، عم : ٧ ، ٨

٢١ــ رسمي بيادسه : مقابلة مع مندوب الانباء ، ١٩٤٣ ، ١٩٧٥/٢/٧ ، ص٣ ، عم : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦

٢٢ــ تعليق الانباء على وفد التعزية بوفاة الملك فيصل ، ١٩٨٦ ، ١٩٧٥/٤/٢٥ ص١ ، عم : ٤ ص٨ ، عم : ٨

٢٣ــ اهتمام امريكي باقتراح "غروميكو" مع ضمانات سوفيتيه لكيان وامن اسرائيل ، العدد ١٩٨٦ بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٥م • ص١ ، عم: ٧ ، ٨

٢٤ــ حول محاكمة ابناء الملاعبي في المحكمة المركزية لاسرائيل : العدد ١٩٩١ ، ١٩٧٥/٥/٢م ، ص١ ، عم : ٣ ، ٤

٣ ــ جريدة الشعب

١ ــ حديث الشعب : انخفاض الاستثمارات الامريكية في اسرائيل ، العدد ٨٠٧ ١٩٧٥/٤/٢م ص٢ ، عم : ١

٢ ــ حديث الشعب : الشرطة الاسرائيلية ومنع الشباب العربي من الدخول الى ضريح النبي شعيب ، العدد ٨٢٩ بتاريخ ٢٨/ ١٩٧٥/٤م • ص٢ ، عم : ٥

٣ ـ دكتور كيسنجر: مقررات مؤتمر الرباط ٨٣٨، ٨/٥/١٩٧٥، ص٣، عم: ٦
٤ ـ حلمي المحتسب: تصريح حول تدنيس اليهود لساحة الاقصى والصخرة المشرفة،
المدد: ٨٤، بتاريخ ١١/٥/١٩٧٥م، ص١، عم: ٣
٥ ـ محمد علي الجعبري: بيان اعتذار عن السفر الى السعودية للتعزية بوفاة الملك
فيصل، العدد ٨٤٠ بتاريخ ١١/٥/١٩٧٥م. ص١، عم: ٣، ص٤، عم: ١
٦ ـ تعليق الشعب: الاعتداءات المتكررة على ساحة الحرم الابراهيمي الشريف.
العدد ٨٤٠ بتاريخ ١١/٥/١٩٧٥م، ص٢، عم: ٥
٧ ـ فيصل قدسي: الازمة الوزارية في اسرائيل. العدد ١٣٣٤ بتاريخ ١٩/١/١٩٧٧
ص٣، عم: ٢
٨ ـ اتهامات مناحيم هوروفيتش لافراد الشرطة وضباطها. العدد ١٣٣٥ بتاريخ
٢٠/١/١٩٧٧ ص٢، عم: ٢
٩ ـ خلافات في الليكود حول تشكيل حكومة الظل: العدد ١٣٣٦ بتاريخ
٢١/١/١٩٧٧، ص١، عم: ٣

٤ ـ الغدير

١ ـ الدكتور حنا ناصر: كلمة ترحيبية بسميح القاسم، العدد الاول، تشرين الاول
سنة ١٩٧٢، ص١، عم: ٤، ٥
٢ ـ هيئة التحرير: حديث سميح القاسم للغدير عن تجربته في النضال والصمود،
م.ن ص٤، عم: ١، ٤، ص٥، عم: ١، ٢
٣ ـ فؤاد البرنو: تحية الى سميح. م. ن ص ٥

٥ ـ الفجر

١ ـ محمد خرش: لقاء مع سميح القاسم. العدد ٢٦ بتاريخ ٣٠/٩/١٩٧٢م،
ص٤، عم: ٤
٢ ـ ارتفاع رسوم التعليم في اسرائيل: العدد ١٩٨، ٣١/٨/١٩٧٤م.
ص٤، عم: ٤
٣ ـ جورجي ماكونسكو: تصريح سياسي، ٢٠٨، ١٢/٩/١٩٧٤م. ص١، عم: ٥
٤ ـ جوزيف برونيتو: تصريح سياسي، ٢١٠، ١٤/٩/١٩٧٤م. ص١، عم: ٧
٥ ـ موشيه بارم: النقص الطبيعي للعمال، ٢١٠، ١٤/٩/١٩٧٤م. ص٢،
عم: ٨

٦ — جورج براون : تصريح سياسي : ٢٦٠ ، ١٥ / ١١ / ١٩٧٤م ، ص١ ، عم : ٦ ، ٧ ، ٨

٧ — عادل ساره : اسرائيل وسياستها الاقتصادية ، ٢٦١ ، ١٦ / ١١ / ١٩٧٤م ص ٣ ، عم : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨

٨ — عادل ساره : اسرائيل وسياستها الاقتصادية ، ٢٨٨ ، ١٨ / ١٢ / ١٩٧٤م ص ٤ ، عم : ٣

٩ — حديث الفجر : ابعاد خمسة من مواطني الضفة الغربية ، ٣٤٨ ، ١ / ٣ / ١٩٧٥ ص ١ ، عم : ١ ، ٢ ، ٣

١٠ — صحيفة الفجر : تعليق سياسي عن الوفد الفلسطيني للتعزية بالملك فيصل ، ٣٩٦ ، ٢٦ / ٤ / ١٩٧٥م ، ص١ ، عم : ١ ، ص ٧ ، عم : ٨

١١ — مغادرة ياسرعرفات لموسكو : ٤٠٢ ، ٣ / ٥ / ١٩٧٥م ، ص ١ ، عم : ٢

١٢ — حديث الفجر : ازدياد نسبة الجرائم في اسرائيل ، ٤٠٥ ، ٧ / ٥ / ١٩٧٥م ، ص ٦ ، عم : ٤ ، ٥

١٣ — تعليقات الفجر : الاعتداءات المتكررة على ساحة الحرم الابراهيمي الشريف اثناء الصلاة ، العدد ٤٠٨ ، ١١ / ٥ / ١٩٧٥م ، ص١ ، عم : ١ ، ٢

١٤ — حلمي المحتسب : تصريح سياسي ، ٤٠٨ ، ١٨ / ٥ / ١٩٧٥م ، ص ١ ، عم : ٧

٦ — القــــدس

١ — حديث القدس : اسرائيل ونظرية وحدة فلسطين الاقتصادية ، ١١٩١ ، ٢٦ / ٩ / ١٩٧٢م ، ص ٣ ، عم : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨

٢ — انعام الجندي : سميح ولد مرة ثانية شاعرا معافى ، ١٣٤٥ بتاريخ ٢٩ / ٣ / ١٩٧٣م ، ص٤ ، عم : ٦ ، ٧ ، ٨ منقول عن الدستور اللبنانية .

٣ — حديث القدس : مايعانيه المواطن العربي في اسرائيل من الضائقة المالية والفقر الاقتصادي ، ١٣٤٧ ، بتاريخ ١ / ٤ / ١٩٧٣م ص٣ ، عم : ٦

٤ — حديث القدس : اضواء على ازمة المسرح المحلي ، ١٤٤٣ ، ٢٢ / ٧ / ١٩٧٣م ، ص٣ ، عم : ٦

٥ — الرئيس جيرالد فورد : تصريح سياسي ، ١٩٣٩ ، ٩ / ٢ / ١٩٧٥ ، ص١ ، عم : ٣

٦ — توقع ارتفاع رسوم البريد والهاتف ورخص السيارات ، م ، ن ، ص١ ، عم : ٥

٧ — مؤتمر صحفي " لطافيه الحواري ، واحمد الخليل ، ١٩٤٠ ، ١٠ / ٢ / ١٩٧٥ ، ص١ ، عم : ٦

٨ — احتجاجات اهالي الخليل على انشاء " قريات اربع " ١٩٤٢ ، ١٢ / ٢ / ١٩٧٥ م ، ص ٢ ، عم : ١

٩ ــ عن الاعتقالات والانفجارات في الضفة الغربية ، ١٩٤٣ ، ١٣ / ٢ / ١٩٧٥م ،

ص١ ، عم : ٣

١٠ــ ثلاثة اخبار من اسرائيل : م٠ن ٠ ص٢ ، عم : ٢

١١ــ اسرائيلي مريض نفسيا م٠ن٠ ص٦ ، عم : ٥

١٢ــ المتبرع المغفل ، ١٩٤٥ ، ١٥ / ٢ / ١٩٧٥م ، ص١ ، عم : ٨

١٣ــ السجن مدى الحياة بحق الاخوان ملاعبي : م٠ن ص١ ، عم ٢ ، ٣

١٤ــ الشرطة في خدمة الجنس ، م٠ن ، ص٦ ، عم ٧

١٥ــ معركة مع قادمين الى ارض العسل واللبن ، ١٩٥٢ ، ٢٢ / ٢ / ١٩٧٥ ، ص٢ ، عم ٣

١٦ــ الاجراءات التعسفية الاسرائيلية ضد عرب فلسطين ، ١٩٥٦ ، ٢٦ / ٢ / ١٩٧٥

ص١ ، عم ٤ ، ٥

١٧ــ حديث القدس : تشجيع اسرائيل للهجرة العربية الى الخارج ، ١٩٥٦ ،

٢٦ / ٢ / ١٩٧٥ ، ص١ ، عم ٧ ، ٨

١٨ــ مقررات موءتمر المقاطعة العربية لاسرائيل م٠ن ، ص١ ، عم : ٧ ، ٨

١٩ــ تقديم المساعدات لمنظمة التحرير من منظمة الوحدة الافريقية ، ١٩٤٩ ،

٢٩ / ٢ / ١٩٧٥ ، ص١ ، عم ٣

٢٠ــ انحرافات نفسية تثير قلق المسوءولين في اسرائيل ٠ م٠ن ص٢ ، عم ٣ ، ٤

٢١ــ توقع انقسام في كتلة ليكود : م٠ن ص٤ ، عم ٢

٢٢ــ حديث القدس : عودة المتطوعين من اسرائيل لالمانيا : م٠ن ص٥ ، عم ٦

٢٣ــ د ٠ نفتال : انتقاد الجهاز المالي لاسرائيل ، ٢٠١٩ ، ٣٠ / ٤ / ١٩٧٥

ص٢ ، عم ٥

٢٤ــ رئيس الاركان الاسرائيلي " عيزر " تصريح سياسي : م ٠ن ص٢ ، عم ١

٢٥ــ تشكيل حزب جديد " ياعاد " ٢٠٢٩ ، ١٠ / ٥ / ١٩٧٥ ٠ ص٥ ، عم ٥

٢٦ــ شمعون بيرس : تصريح سياسي ، ٢٠٢٩ ، ١٠ / ٥ / ١٩٧٥ ، ص٢ ، عم ١

٢٧ــ الشيخ حلمي المحتسب : تصريح سياسي وبيان حول تدنيس اليهود لساحة

الحرم الشريف ، العدد ٢٠٣٠ بتاريخ ١١ / ٥ / ١٩٧٥ ص١ ، عم ١

٢٨ــ استقالة ثلاثة اعضاء في الكنيست من كتلة المركز الحر واعلان انضمامهم الى

الحركة الديمقراطية للتغيير ، العدد ٢٦٤٠ بتاريخ ٢٠ / ١ / ١٩٧٧

ص٢ ، عم ١

٢٩ــ اربعة اخبار من اسرائيل : م ٠ ن ص٢ ، عم ٤

٧ — يدعوت احرونوت

١ — مقابلة مع مردخاي رعنان حول مجزرة دير ياسين ، ٤/٤/١٩٧٢ ، نقله سميح القاسم الى العربية في كتابه" من فمك ادينك" منشورات عربستك ١٩٧٤ ص ٢٧

ب — المجـــــلات

١ — الافق الجديد :

مجلة الادب والثقافة والفكر :

١ — ابراهيم ابو ناب : الجذوة الشعرية في الارض المحتلة .العدد الاول .شباط (فبراير) سنة ١٩٦٦ . السنة الخامسة ص ٦٩ — ٧٢

٢ — الاداب : مجلة شهرية : بيروت

١ — ابراهيم ابو ناب : الجذوة الشعرية الفلسطينية . بيروت .العدد الثالث آذار (مارس) السنة الرابعة عشرة سنة١٩٦٦ ص ٨٢—٨٥ ، ص ١٢٦—١٢٧

٣ — البرنامج العربي

١ — وزارة المعارف والثقافة : التعليم الاسرائيلي في المحيط العربي ، ص٩ ، ١٠ مجهول العدد والسنة .

٤ — الجديـــد

وقد رتبت الموضوعات حسب اعداد كل سنة على حدة/وبترتيب الاشهر كما هو واضح فيما يلي :

اعداد ١٩٦٦ : السنة الثالثة عشرة

١ — سميح القاسم : كفر كونخ العدد الاول ، كانون الثاني ، ص ٢١—٢٣ ، ٣٣
٢ — عودة الاشهب : رسالة عبر بوابة الدموع . م.ن ص ٣٤
٣ — محرر الجديد : حديث الشهر العددان ٦و ٧ ،حزيران وتموز ، ص٣
٤ — اميل حبيبي : حديث الشهر العددان ٨و٩ : آب وايلول ، ص ٣ ،٤ .
٥ — توفيق زياد : تقرير خاص من كفر قاسم .العدد العاشر ، تشرين الاول ، ص ٥ ، ٧ ، ١٢
٦ — سميح القاسم : الى ابناء كفرقاسم. ترجمة عن العبرية م .ن ، ص ٢٥
٧ — صليبا خميس : حرب سيناء ومكانها في التاريخ ، م.ن ، ص ٣ ، ٤

١٢ـ سالم جبران : سرازدهار الشعر العربي في اسرائيل . العددان التاسع والعاشر : ايلول وتشرين الاول ، ص ١٢

اعداد ١٩٧٠ : السنة السابعة عشرة

١ ـ استفتاء الجديد : لو كنت اديبا عربيا . العدد الاول ، ك٢ ، ص٣٢ — ٤٢
٢ ـ سميح القاسم : حديث الشهر . العددان ٢و٣ ، شباط واذار ، ص ٣ — ٦
٣ ـ بولس فرح : الخلفية التاريخية لقصيدة ماتيسرمن سورة السلاسل . م.ن ص ٤٧—٤٩
٤ ـ سميح القاسم : حديث الشهر : العدد الرابع ، نيسان ، ص ٣ — ٥
٥ ـ سميح القاسم : كيف استولى هنري على المطعم ، مسرحية شعرية ، م.ن . ص ٢٧ — ٣٤ .
٦ ـ سميح القاسم : حديث الشهر ، ثالثة الاثافي ، العدد ٥ ، ايار ، ص ٣
٧ ـ علي رافع : احاديث بين شباب الحركة الكيبوتسية ، العدد ٦ حزيران ص ٣٠
٨ ـ وليم هل : سقوط وصعود اسرائيل . العدد ٦ ، حزيران ، ص ٤٨
٩ ـ ناحوم جولدمان : تصريح سياسي . العدد السابع ، تموز ، ص ١٠
١٠ـ محمد خاص : صفحات من مفكرتي . م.ن ، ص ١٨
١١ـ رجاء النقاش : الحب والعدل . العدد الثامن ، آب ، ص ٧ — ١٠
١٢ـ لقاء مع سميح القاسم : شهد امتد ثلاثة اشهر . العدد ٨ ، اب ، ص ٢١—٢٤
١٣ـ سميح القاسم : المؤسسة الوطنية للجنون ـ مسرحية نثرية ـ العددان ٩و١٠ ص ٢٧ — ٢٨

اعداد ١٩٧١ : السنة الثامنة عشرة

١ ـ سميح القاسم : شهريات : العددان الاول والثاني : ك٢ ، شباط ، ص ١—٤
٢ ـ الملتقى الشعري الاول : تجربة هامة في بيروت . م.ن ص ٤١ — ٤٦
٣ ـ سميح القاسم : مجموعة من الاشعار المعادية للحرب . العددان الثالث والرابع ، آذار ونيسان ص ٣٤ — ٣٦
٤ ـ كلمة الجديد : الصهيونية والتمزق الروحي . العدد ٥ ، ايار ، ص ٣٠
٥ ـ سميح القاسم : بلاد الصمت . العددان ٧ و ٨ : تموز آب ص ١٨ — ٢١
٦ ـ صليبا خميس : شهريات . العددان ٩ و ١٠ . ايلول ، ت١ . ص ٤
٧ ـ سميح القاسم : الثورة الثقافية ، تجربتان وحصيلتان . م.ن ص ٨ — ١١
٨ ـ محمد الجزائري : نعم انه شعر يساري ومقاوم وشاب . م.ن ص ٤٠—٤٤ .

اعـداد ١٩٦٧ : السنة الرابعة عشرة

١ ــ سميح القاسم: غاية الطفولة . العدد الاول ، كانون الثاني ، والثاني ، شباط
ص ١٨ — ٢١
٢ ــ محمد خاص : دور الثقافة والفن في المجتمع . م.ن . ص ٢٨
٣ ــ توفيق زياد : الادب ومسرحنا العربي في اسرائيل . العدد الرابع نيسان ص ٣٥
٤ ــ علي عاشور : مع ديوان : دمي على كفي . العدد الخامس ايار ص ٧ — ٩
٥ ــ سميح القاسم : من الشعر العبري الحديث . م .ن . ص ٢١—٢٢
٦ ــ بقلم محدث : احاديث ادبية ، العدد السادس ، حزيران ، ص ٩
٧ ــ نبيه القاسم : اصل الموحدين الدروز ــ كتاب امين طليع، م.ن . ص ٣١—٣٢
٨ ــ سميح القاسم: برج بابل العددان ٧ و ٨ ، تموز وآب ، ص ٣١—٣٢—٣٤
٩ ــ سميح القاسم : برج بابل.العدد العاشر ، تشرين الاول ص ٣٤—٣٥—٣٩—٤٠
١٠ ــ سميح القاسم : برج بابل . العدد الحادي عشر ، تشرين الثاني ، ص ٢٥—٢٦

اعـــداد ١٩٦٩ : السنة السادسة عشرة

١ ــ هيئة التحرير: حديث الشهر . العدد الاول ؛ كانون الثاني ، ص ٤
٢ ــ يوسف حمدان : الطالب الاسرائيلي والسياسة ؛ الثاني ، شباط ، ص ٣٢
٣ ــ الجديد : لقاء مع الشاعر محمود درويش . العدد الثالث : آذار ، ص ٢٢
٤ ــ د . اميل توما : دراسات في القضية الفلسطينية .العددان الرابع والخامس ،
نيسان وايار ، ص ٤ ، ٧ ، ٣٠
٥ ــ محمد دكروب : لقاء مع سميح القاسم . العددان ٤و٥ ، نيسان وايار ،
ص ٢٣ — ٢٩
٦ ــ د . اميل توما : دراسات في القضية الفلسطينية . العدد السادس حزيران ص ٦
٧ ــ هيئة التحرير: هذا هو السؤال : م.ن . ص ٢
٨ ــ سميح القاسم : صفحات من مفكرة . العدد السابع ، تموز ، ص ٢٩—٣٢ ، ٥١
٩ ــ فوزي الاسمر: عندما تحمل المرأة اليهودية من عربي . العدد الثامن
آب ، ص ٣٦ .
١٠ ــ محمود درويش : الحصار . العدد الثامن ، اب ، ص ٣ ، ٤
١١ ــ روت لفين : رسالة من تل ابيب . العددان التاسع والعاشر ، ايلول
وتشرين الاول ، ص ٦٢

اعـداد ١٩٧٢ : السنة التاسعة عشرة

١ — سميح القاسم : ليكن واضحا ، العددان الرابع والخامس، نيسان وايار، ص ٣—٦
٢ — سميح القاسم : ليكن واضحا ، العدد السادس ، حزيران ، ص ٣ — ٦
٣ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العددان ٧ و ٨ ، تموز آب ، ص ٣—٧ ، ٦٢ .
٤ — صليبا خميس : تيارات اسرائيلية ومستقبل المناطق المحتلة ، العددان السابع والثامن ، تموز وآب، ص ١٠
٥ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العدد التاسع ، ايلول ، ص ٣—٩
٦ — سميح القاسم : ليكن واضحا : العدد العاشر ، ت١ ، ص ٣ — ٥
٧ — سميح القاسم : يوسف واخوته — قصيدة من مراثي سميح . م . ن ص ٥٣

اعـداد ١٩٧٣ : السنة العشرون

١ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العدد الاول ، ك١ ، ص ٤—٧
٢ — د . اميل توما : مراثي سميح القاسم : م . ن ص ١٥—١٨ ، ٣٧
٣ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العدد الثاني شباط ، ص ٤—٥ ، ٤٧
٤ — د . اميل توما : التعليم العربي في اسرائيل . م . ن ص ٨ — ١٠
٥ — انسان المثلث : الكتب المدرسية . م . ن . ص ٢٧
٦ — سميح القاسم : ليكن واضحا ، العدد الثالث . اذار ، ص ٤
٧ — سميح القاسم : كيف رد الرابي مندل على تلاميذه . م . ن . ص ١٩—٢٧
٨ — عصام محفوظ : سميح القاسم في الموت الكبير . م . ن . ص ٤١
٩ — الجديد : سميح القاسم في الموت الكبير . م . ن . ص ٤٥
١٠ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العدد الرابع : نيسان . ص ٤—٥ ، ٤٧
١١ — محمد كيوان : التربية القومية في المدارس العربية . م . ن . ص ٢٣
١٢ — انعام الجندي : سميح القاسم ولد مرة ثانية شاعرا مصافي . م . ن . ص ٣٩—٤٠
١٣ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العدد الخامس ، ايار ، ص ٤ — ٥
١٤ — محمد حمزة غنايم : الموت الكبير لسميح القاسم . م . ن . ص ٤٦ ، ٧٣
١٥ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العدد السادس ، حزيران ، ص ٥ .
١٦ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العدد السابع ، تموز ، ص ٤—٦
١٧ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العددان ٨و٩ ، اب ، ايلول ، ص ٧—١٠
١٨ — سميح القاسم : ليكن واضحا . العددان ١٠و١١ ، ت١ ، ت٢ ، ص ٤—٨ ، ٦٦

١٩ ـ فؤاد الخشن : اصداء من الليل الابيض ، م ن ، ص ٣١ .
٢٠ ـ عطاالله جبر : العودة الى الوجود (شعر) . العدد ١٢ ، ك١ ، ص ٣٠

اعداد ١٩٧٤ : السنة الحادية والعشرون

١ ـ سميح القاسم : الهي الهي .. سربية . العدد الاول ، ك٢ ، ص ٣٦-٤٣
٢ ـ = = الهي الهي .. سربية . العدد الثاني : شباط ، ص ٣١-٣٤
٣ ـ مجلة الجديد : مقابلة مع سميح القاسم عن مجلة افكار الاردنية : العدد الثالث : اذار ، ص ١٢-١٤ .
٤ ـ سميح القاسم : الكرنفال الدموي ـ قصيدة . العددان الرابع والخامس . نيسان وايار ، ص ٤٥
٥ ـ تحرير الجديد : المعلم ناصر شاعر من الرامة . العددان الرابع والخامس ، نيسان وايار ص ٤٦-٥٠
٦ ـ نادي الجديد : صفحات للرأي والحوار : العدد السادس : حزيران ، ص ٤٦ - ٤٩ .
٧ ـ فاروق مواسي : قراءة في سربية سميح القاسم ، العددان التاسع والعاشر : ايلول ، ت١ ، ص ١١-١٢ ، ٣٨
٨ ـ سميح القاسم : الابن ـ مسرحية ـ م ن : ص ١٩-٢٧
٩ ـ نادي الجديد : ندوة للحوار ، م ن ، ص ٤٩
١٠ ـ سميح القاسم : جناز في ثلاثاء الرملا ـ قصيدة ـ العدد ١١ ، ص ٥-٦
١١ ـ سميح القاسم : الوصول الى جبل النار ـ قصيدة ـ م ن ص ٧
١٢ ـ نادي الجديد : استفزاز العدد الثاني عشر ، ك١ ، ص ٣٨ - ٤٠

اعداد ١٩٧٥ : السنة الثانية والعشرون

١ ـ سميح القاسم : مقطع من ثالث اكسيد الكربون " سيرة بربطافور ـ قصيدة . العددان الاول والثاني ، ك٢ ، شباط ، ص ٦ - ٧
٢ ـ سميح القاسم : مقطع آخر من سيرة بربطافور من ثالث اكسيد الكربون . العدد الثالث آذار ص ٦ - ٩
٣ ـ سميح القاسم : المغتصبة (مسرحية) . العدد الرابع ، نيسان ص ٨ - ١٣
٤ ـ مسرحية قرقاش عن روز اليوسف : م ن ص ٩٣
٥ ـ سميح القاسم : مقطع من ثالث اكسيد الكربون" سيرة بنيون" العدد السادس حزيران ص ٢٨ - ٣٤

٦ ـ المحرر : اشارة ٠م٠ن٠ ص ٣٤٠
٧ ـ هاني الزعبي : الهي ،الهي ، لماذا قتلتني ٠ م٠ن٠ ص ٨٧ — ٨٩
٨ ـ عبد اللطيف عقل : الهي ، الهي ، لماذا قتلتني . العدد السابع ، تموز ، ص ١٤ — ١٨ ، ٦٧ — ٦٨
٩ ـ عايد ابو لبدة : سريبة الهي الهي لماذا قتلتني . العدد الثامن : آب . ص ٣٢ — ٣٣ ، ٧٦ — ٧٩

اعـــداد ١٩٧٦ : السنة الثالثة والعشرون

١ ـ تعقيب من سميح القاسم على كلمة الياس عطا الله . العدد الثامن : آب ، ص ٧٧ — ٧٨ ٠

٥ ـ مجلة العربي الكويتيـة

١ ـ فاروق شوشه : التجربة الشعرية والبناء الفني في اعمال سميح القاسم . العدد ٢٦٣ . السنة الثالثة عشرة . شباط ١٩٧٢ ، ص ٦١
٢ ـ التحرير : انت تسأل ونحن نجيب العدد ١٩٥ شباط ١٩٧٥ ، ص ٥٢

٦ ـ مجلة شؤون فلسطين

١ ـ هيئة التحرير : تقرير عن اوضاع العمال العرب في الاراضي المحتلة بعد عام ١٩٧٦ .العدد الثاني عشر : آب ، ١٩٧٢ من دون ترقيم للصفحات .

٧ ـ مجلة زهرة الشباب

١ ـ عرفت منصور: وضع العمال العرب وعدم انتسابهم للهستدروت . العدد الثالث لعام ١٩٧١ ، ص ٣
٢ ـ مندوب زهرة الشباب : لقاء مع فهد ابي خضرة ٠ م٠ن ص ٥

٨ ـ المرصـــاد

١ ـ موشيه دايان : تصريح له حول الاستيطان في الضفة الغربية . العدد ١١٠٣ ، ٧/٤/١٩٧٢م ٠ ص ٤
٢ ـ حديث المرصاد السياسي : الانتخابات البلدية في الضفة الغربيـــة . م٠ن٠ ص ٦

جـ ــ المخطوطات اليدوية

مخطوطة عبد الحليم عبد اللطيف زهد حول الحركة الادبية في فلسطين المحتلة بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ م. والتي نال بموجبها شهادة الماجستير في الادب العربي من الجامعة اليسوعية / معهد الاداب الشرقية في ١٩٧٤/٦/٢١ . بتقدير جيد جدا .

١ ــ جغرافية فلسطين ــ الموقع ــ ص ١٣
٢ ــ السياحة والاصطياف والخدمات الصحية والاجتماعية في المملكة الاردنية الهاشمية / الضفة الغربية ، ص ١٧ ــ ١٩ .
٣ ــ الوضع الاجتماعي لعرب فلسطين ص ٢٠ .
٤ ــ الحياة السياسية لعرب الضفة الغربية قبل ١٩٦٧ ص ٢٠ــ٢٤
٥ ــ الحياة الثقافية في الضفة الغربية قبل ١٩٦٧ ص ٢٥
٦ ــ العلم والتعليم بين عرب الضفة الغربية ص ٢٨ .
٧ ــ الجمعيات والنوادى في فلسطين منذ ١٩٤٨ ــ ١٩٧٢ ص ٨٣
٨ ــ سميح القاسم : حياته وأدبه ص ١٩٩
٩ ــ ميزات القاسم الادبية فنا واسلوبا ص ٢٠٠ .

المقابلات الشخصية

آ ــ هذه التواريخ التي قابلت فيها سميح القاسم في بيته بشارع عباس في حيفا/وبمكتبه في شارع الحريرى بحيفا ايضا ، للاستفادة منه عن حياته وادبه شعرا ونثرا ونقدا :

١ ــ ١٩٧٤/٩/١٣	٧ ــ ١٩٧٥/١/١٠
٢ ــ ١٩٧٤/٩/٢٧	٨ ــ ١٩٧٥/٢/٢٨
٣ ــ ١٩٧٤/١٠/٤	٩ ــ ١٩٧٥/٣/١٨
٤ ــ ١٩٧٤/١٠/٢٠	١٠ ــ ١٩٧٥/٣/٢١
٥ ــ ١٩٧٤/١٢/١٣	١١ ــ ١٩٧٥/٤/٢٥
٦ ــ ١٩٧٤/١٢/٢٠	

ب ــ مقابلة مع الاستاذ حنا ابراهيم زميل سميح في مكتب تحرير الجديد والاتحاد بحيفا . بحثت فيها عن سميح القاسم ، ورأى حنا ابراهيم فحص شخصيته وادبه وعلاقاته بالاخرين وبالوطن وذلك في مكتب الاتحاد ٩ شارع الحريرى حيفا . ١٨/٣/١٩٧٥م .

—•—•—•—•—•—

الفهـــرس